

The Islamic University of Gaza  
Deanship of Research and Graduate Studies  
Faculty of Religion Fundamentals  
Master of Interpretation & Sciences of Quran



الجامعة الإسلامية بغزة  
عمادة البحث العلمي والدراسات العليا  
كلية أصول الدين  
ماجستير التفسير وعلوم القرآن

الْوَحْدَةُ الْمَوْضُوعِيَّةُ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ  
"دِرَاسَةٌ مَوْضُوعِيَّةٌ تَطْبِيقِيَّةٌ"

The Objective Unity in Surat Al Baqarah  
"Applied Objective Study"

إعداد الباحثة  
هالة عدنان الصفدي

إشراف  
الأستاذ الدكتور  
محمود هاشم عنبر

قُدِّمَ هَذَا الْبَحْثُ اسْتِكْمَالًا لِمُنْتَطَلِبَاتِ الْخُصُولِ عَلَى دَرَجَةِ الْمَاجِسْتِيرِ  
فِي التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية بغزة

شعبان/1441هـ - إبريل/2020م

## إقرار

أنا الموقعة أدناه مقدمة الرسالة التي تحمل العنوان:

### الْوَحْدَةُ الْمَوْضُوعِيَّةُ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ "دِرَاسَةٌ مَوْضُوعِيَّةٌ تَطْبِيقِيَّةٌ"

## The Objective Unity in Surat Al Baqarah "Applied Objective Study"

أُقِرُّ بِأَنَّ مَا اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمّت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدّم من قبل الآخرين لنيل درجة أو لقبٍ علميٍّ أو بحثيٍّ لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

### Declaration

I understand the nature of plagiarism, and I am aware of the University's policy on this.

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted by others elsewhere for any other degree or qualification.

Student's name:	هالة عدنان الصفدي	اسم الطالبة:
Signature:	هالة عدنان الصفدي	التوقيع:
Date:	2020/04/22م	التاريخ:



## نتيجة الحكم على أطروحة ماجستير

بناءً على موافقة عمادة البحث العلمي والدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة الباحثة/ هالة عدنان شحدة الصفدي لنيل درجة الماجستير في كلية أصول الدين/ برنامج التفسير وعلوم القرآن وموضوعها:

الوحدة الموضوعية في سورة البقرة  
"دراسة موضوعية تطبيقية"

### The objective unity in Surat Al Baqarah "Applied objective study"

وبعد المناقشة التي تمت اليوم الاربعاء 28 شعبان 1441هـ الموافق 2020/04/22م الساعة العاشرة صباحاً، في قاعة اجتماعات كلية أصول الدين اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من:

أ.د. محمد  
أ.د. محمد  
أ.د. محمد

مشرفاً ورئيساً

مناقشاً داخلياً

مناقشاً خارجياً

أ.د. محمود هاشم عنبر

أ.د. عبدالسلام حمدان اللوح

د. ماجد رجب سكر

وبعد المداولة أوصت اللجنة بمنح الباحثة درجة الماجستير في كلية أصول الدين/برنامج التفسير وعلوم القرآن.

واللجنة إذ تمنحها هذه الدرجة فإنها توصيها بتقوى الله تعالى ولزوم طاعته وأن تسخر علمها في خدمة دينها ووطنها.

والله ولي التوفيق،،،

عميد البحث العلمي والدراسات العليا

أ.د. بسام هاشم السقا



التاريخ: 2020/7/11 الرقم العام للنسخة 237279 اللغة العربية  ماجستير  دكتوراه



الموضوع/ استلام النسخة الإلكترونية لرسالة علمية

قامت إدارة المكتبات بالجامعة الإسلامية باستلام النسخة الإلكترونية من رسالة

للاطالبة/ صالة عمارة كحمة بصغري

رقم جامعي: 2017/2623 قسم: تربية كلية: أصول الدين

وتم الاطلاع عليها، ومطابقتها بالنسخة الورقية للرسالة نفسها، ضمن المحددات المبينة أدناه:

- تم إجراء جميع التعديلات التي طلبتها لجنة المناقشة.
  - تم توقيع المشرف/المشرفين على النسخة الورقية لاعتمادها كنسخة معدلة ونهائية.
  - تم وضع ختم "عمادة الدراسات العليا" على النسخة الورقية لاعتماد توقيع المشرف/المشرفين.
  - وجود جميع فصول الرسالة مجمعة في ملف (WORD) وآخر (PDF).
  - وجود فهرس الرسالة، والملخصين باللغتين العربية والإنجليزية بملفات منفصلة (PDF + WORD).
  - تطابق النص في كل صفحة ورقية مع النص في كل صفحة تقابلها في الصفحات الإلكترونية.
  - تطابق التنسيق في جميع الصفحات (نوع وحجم الخط) بين النسخة الورقية والإلكترونية.
- ملاحظة: ستقوم إدارة المكتبات بنشر هذه الرسالة كاملة بصيغة (PDF) على موقع المكتبة الإلكتروني.

والله والتوفيق،

إدارة المكتبة المركزية

توقيع الطالب

صالة عمارة كحمة بصغري

## مُلخَص الدراسة

**هدف الدراسة:** هدفت الباحثة إلى إبراز الوحدة الموضوعية لسورة البقرة في دراسة موضوعية تطبيقية على آيات السورة.  
**حدود الدراسة:** سورة البقرة.  
**منهج الدراسة:** اتبعت الباحثة المنهج الاستقرائي الوصفي الموضوعي في التفسير.  
**أهم نتائج الدراسة:**

1. سورة البقرة برهانٌ ساطع على أنّ القرآن الكريم مُحكم السبك، متين الأسلوب، قويُّ الاتصال، فأياته آخذة بعضها بيد بعض، فلا يوجد بين أجزائها تفكك أو انفصال، إنما انتظمت كعقدٍ فريد يأخذ الأبصار.
2. الوحدة الموضوعية مصطلحٌ حديث النشأة من حيث الاستعمال وإن كانت جذوره تمتدّ إلى قرون سالفة، إلا أنّ أهميته تكمن بارتباطه المباشر بكلام الله ﷻ.
3. اتفق جمهور العلماء المعاصرين وبعض القدامى من المفسرين على أنّ محور السورة الأساس هو الاستخلاف في الأرض وتحقيق العبودية، فالمنتبج آيات السورة من مطلعها إلى خاتمتها يلحظ أنها تدور حول محور الاستخلاف في الأرض.
4. عرضت السورة الكريمة نماذج متباينة لاستجابة بني آدم لأمر الله بالاستخلاف في الأرض.
5. اشتملت سورة البقرة على دستورٍ شاملٍ ومنهاجٍ متكاملٍ للجماعة المسلمة ليكون لها دليلاً في رحلتها الدؤوبة في مسيرة الاستخلاف في الأرض.
6. مطلق العبودية يتجسد بالإيمان بمُلك الله وقدرته اللا محدودة مع اليقين بعجز العبد المملوك.

## أهم التوصيات

1. أوصي كل محبّ لكتاب الله ﷻ بأن يلزم سورة البقرة، وأن يحتمي بحماها، فهي الزهراء التي تنير دروب السالكين، والسنام الذي يسمو به المخلصون، والشفيعه لهم يوم الدين.
2. أوصي طلبة العلم الشرعي أن يوجّهوا أنظارهم نحو مثل هذه الدراسات التي تهتم بموضوعات القرآن الكريم والتي تبرز إعجاز الكتاب العزيز وتناغم سوره وآياته.
3. أوصي الباحثين أن يحدو حدو هذه الدراسة فلعلّها تكون باكورة سلسلة كاملة لسور القرآن الكريم لإبراز الوحدة الموضوعية لكل سورة من سوره بحيث تظهر الوحدة البنائية الكلية لكتاب الله المجيد.
4. أوصي الباحثين بالتركيز على الموضوعات التي تبني الفرد والمجتمع، والتي تلمم جراح الأمة وتداوي سقمها لتبعث فيها روح الإيمان من جديد.

## Abstract

**Target of Study:** The researcher aimed to highlight the substantive unity of Surat Al-Baqarah in an objective and applied study on Surah verses.

**Sample of Study:** Verses of Surat Al-Baqarah.

**Method of Study:** The researcher followed the objective descriptive inductive method to explanation.

### **The Most Important Results of The Study:**

1. Al-Baqarah is a shining proof that the Holy Qur'an is tight-fitting, solid in style, strong in communication, so its verses are taking each other with their hand, so there is no fragmentation or separation between its parts, but it is organized as a unique contract that takes sight.
2. Objective unity is a newly created term in terms of usage, although its roots extend to past centuries, but its importance lies in its direct connection with the word of God [٥٥].
3. The majority of contemporary scholars and some ancient interpreters agreed that the main axis of the surah is the disbelief in the land and the achievement of slavery. The follower of the verses of the surah from its beginning to its conclusion is noted to revolve around the axis of disbelief in the land.
4. The Holy Surah presented various examples of the response of the children of Adam to the command of God to be replaced on earth.
5. Surat Al-Baqara included a comprehensive constitution and an integrated method for the Muslim community to have evidence of its tireless journey in the path of underdevelopment on the ground.
6. Absolute servitude is embodied in faith in the King of God and his limitless power, with certainty of the power of the servant.

### **The Most Important Recommendations:**

1. I recommend to all who love the Book of God [٥٥] that he adheres to Surat Al-Baqarah, and to take care of her protection, for it is the flower that illuminates the paths of those who walk, and the hump that the Savior transcends, and the intercession for them on the Day of Judgment.
2. I recommend forensic students to direct their attention to such studies that are concerned with the topics of the Noble Qur'an and which highlight the miracle of the Holy Book and the harmony of its verses and verses.
3. I recommend the researchers to follow the example of this study so that it may be the first complete series of the Surahs of the Holy Qur'an to highlight the objective unity of each Surah so that the total structural unity of the glorious book of God appears.
4. I recommend researchers to focus on the issues that build the individual and society, and which heal the wounds of the nation and heal its sickness, and in which the spirit of faith is re-emerging.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾

[البقرة: 30]

## الإهداء

إلى النَّبِيِّ الهاشميِّ المصطفى.. مَنْ له كلُّ القلوب تميلُ.. إلى رسول الله وصفوة خَلقه..  
إلى من كان للجنان دليلُ..

إلى التي لازال صوتها يراود مسمعي.. وطيفها ما زال أمام ناظري.. العظيمة الصابرة المحتسبة  
الشهيدة بإذن الله أُمي الغالية.

إلى روح من خَلته أُمامي وأنا أقرأ قول الحق ﷻ: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا..﴾ [الكهف: 82] والدي  
الشهيد بإذن الله.

إلى الحبيب المهاجر.. البعيد القريب.. صاحب الرفيق.. زوجي الشهيد بإذن الله محمد بكر العف.  
إلى مَنْ هُم روح الحياة وحياة الروح.. قرة العين ونبض الفؤاد.. أبنائي الأعمام عبيدة صاحب  
وبكر الضاحك ولانا الرقيقة وحنين الجميلة.

إلى مَنْ اشتدَّ بهم عضدي.. واعتصم بهم زندي.. وقوي بهم ساعدي.. إخوتي الأحباب -جهد  
ورائد ومحمد- وزوجاتهم الكريمات.

إلى مَنْ ارتحل على عجل.. وسعى إلى الشهادة بلا وجل.. أخي الشهيد بإذن الله -أحمد-.  
إلى مَنْ كانوا لي سكنًا ووطنًا.. إلى من كانوا لي أمًا حين انكسرت.. وقوامًا حين اعوججت..  
ومتنفسًا كلما اختنقت.. وصدرا حانياً كلما بكيت.. أخواتي الحبيبات الرقيقات.. رجاء ووفاء وآمال  
وأمل ورائدة ورشيده وولاء.

إلى من صنعنا سوياً أجمل الذكريات.. وتشاركنا معاً ألطف اللحظات.. أحبّاء القلب أبناء وبنات  
إخوتي وأخواتي.

إلى مَنْ شرفنت بصحبتهم وازددت قدراً برفقتهم.. إلى من كانوا لجروحي طبيباً.. ولأحلامي طريقاً..  
ولدروبي رقيقاً.. حبيبات القلب زوجات وأمّهات وبنات الشهداء.

إلى صديقات الطفولة.. وصاحبات العمر.. مَنْ أحبوني بصدق وغمروني بدعواتهم الطيبة..  
رفيقاتي وصاحباتي وجاراتي وكل من وقف بجانبني يوماً ولو بدعوة في ظهر الغيب.

إلى مَنْ تدمع عيني حين ألقاهم.. وتترك في النفس أثراً قراهم.. وتشحن همتي وقوداً بذكراهم.. أهل  
القرآن الكرام.

وختاماً.. لكل موحد بالله.. محب لهذا الدين.. لكل من سار على درب الهدى وإن تعثر  
المسير وطال الطريق.. إليكم جميعاً يا أحباب أهدي هذا الزاد...

## شكر وتقدير

اللهم لك الحمد حمداً لا ينفذ أوله ولا ينقطع آخره، اللهم لك الحمد فأنت أهل أن تُحمد وتُعبَد وتُشكر، الحمد لله القائل في كتابه العزيز: ﴿.. وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ..﴾ [لقمان: 12]، فالنعمة موصولة بالشكر، والشكر متعلق بالمزيد، ولن ينقطع المزيد من الله ﷻ حتى ينقطع الشكر من العبد.

فإذا كان شكري نعمةً الله نعمةً عليّ وفي أمثالها يجب الشكر فكيف وقوعُ الشكر إلا بفضلِه وإن طالَت الأيام واتَّصل العمرُ<sup>(1)</sup>

بحار الفكر ويخجل القرطاس أن يخطّ كلمات شكرٍ متواضعة لمن كان منارةً للعلم، ومرشداً في الدرب، معلّمي وأستاذي ومُشرفي الأستاذ الدكتور الفاضل: محمود هاشم عنبر، الذي غمرني بتوجيهاته العلمية ونصائحه الفكرية وتنبهاته النحوية التي كانت عوناً لي في إخراج هذا البحث على هذه الصورة الطيبة، فما رأيتُ من سعة صدره ودماثة خلقه زادني تقديراً وإجلالاً لأهل العلم الكرام، فجزاه الله عني خير الجزاء.

ويطيب لي أن أتقدّم بشكري وامتناني لفضيلة الأستاذ الدكتور/ عبد السلام حمدان اللوح، والذي شرفني بقبوله مناقشة رسالتي المتواضعة هذه، وقد أكرمني الله ﷻ بأن أكون طالبتَه في مساقين من مساقات الدراسات العليا واللذان كانا من أمتع ما درست!

والشكر موصول كذلك لفضيلة الدكتور/ ماجد رجب سكر، والذي قبل مناقشتي هذه الرسالة، وهو الذي أمتعني في العديد من مناقشاته العلمية لطلبة الدراسات العليا والذي ما توانى فيها عن كل نقدٍ ببناء من أجل إخراج الرسالة بأبهى صورة بإذن الله، فجزاهما الله عني خير الجزاء.

كما أتقدّم بالشكر والتقدير إلى أساتذتي في قسم التفسير وعلوم القرآن على كل ما قدّموه من علم وعطاء، وشكري موصول لجامعتي الغراء الجامعة الإسلامية، منارة العلم ومنبع العلماء.

وكل من ساندني وأعانني وأرشدني أو دعا لي في ظهر الغيب...لهم جميعاً حبي وشكري وتقديري.

الباحثة/ هالة الصفدي

(1) ديوان محمود الوراق، الوراق، موقع بوابة الشعراء، رابط

<https://www.poetsgate.com/ViewPoem.aspx?id=99816K>، تاريخ الاطلاع 2020/6/22م.

## قائمة المحتويات

أ.....	إقرار
ب.....	نتيجة الحكم
ت.....	مُلخّص الدراسة
ث.....	Abstract
ج.....	اقتباس
ح.....	الإهداء
خ.....	شكر وتقدير
د.....	قائمة المحتويات
1.....	<b>مقدمة</b>
2.....	أولاً: أهمية الموضوع
2.....	ثانياً: أسباب اختيار الموضوع
3.....	ثالثاً: أهداف البحث وغاياته
4.....	رابعاً: الدراسات السابقة
5.....	خامساً: منهج البحث
7.....	سادساً: خطة البحث
14.....	<b>التمهيد بين يدي سورة البقرة</b>
15.....	المطلب الأول التعريف بسورة البقرة وزمن نزولها وترتيبها في المصحف العثماني وأسمائها..
15.....	أولاً: التعريف بسورة البقرة وزمن نزولها
15.....	ثانياً: ترتيبها في المصحف العثماني
16.....	ثالثاً: أسماء السورة
20.....	المطلب الثاني فضل سورة البقرة
24.....	المطلب الثالث بيان محور السورة الأساس

28.....	المطلب الرابع مناسبات سورة البقرة.....
28.....	أولاً: أوجه التناسب الخارجية للسورة.....
35.....	ثانياً: أوجه التناسب الداخلية للسورة.....
37.....	<b>الفصل الأول بين يدي الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية.....</b>
38..	المبحث الأول تعريف الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية ونشأتها وجهود العلماء في بيانها ..
38.....	المطلب الأول تعريف الوحدة الموضوعية لغةً واصطلاحاً.....
38.....	أولاً: تعريف "الوحدة" لغةً واصطلاحاً.....
39.....	ثانياً: تعريف "الموضوعية" لغةً واصطلاحاً.....
41.....	ثالثاً: تعريف "الوحدة الموضوعية" اصطلاحاً.....
41.....	رابعاً: تعريف الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم.....
42.....	المطلب الثاني نشأة الوحدة الموضوعية وجهود العلماء في بيانها ..
50.....	المبحث الثاني حقيقة الوحدة الموضوعية وأهميتها وعلاقتها بمحور السورة.....
50.....	المطلب الأول حقيقة الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية.....
53.....	المطلب الثاني أهمية الوحدة الموضوعية في تفسير السورة القرآنية.....
55.....	المطلب الثالث الوحدة الموضوعية لسورة البقرة وعلاقتها بمحور السورة.....
55.....	أولاً: الوحدة الموضوعية في سورة البقرة عند الشيخ محمد عبد الله دراز.....
57.....	ثانياً: الوحدة الموضوعية في سورة البقرة عند الإمام محمد رشيد رضا.....
59.....	ثالثاً: الوحدة الموضوعية في سورة البقرة عند الإمام البقاعي.....
60.....	رابعاً: رؤية الباحثة للوحدة الموضوعية في السورة الكريمة وعلاقتها بمحورها الرئيس .....
64.....	<b>الفصل الثاني التعريف بأصناف البشر الثلاثة وبيان صفاتهم وجزائهم في مقدّمة سورة البقرة .....</b>
66.....	المبحث الأول المتقون وصفاتهم وجزاؤهم في مقدّمة سورة البقرة.....
66.....	المطلب الأول تعريف التقوى لغةً واصطلاحاً.....
66.....	أولاً: تعريف التقوى لغةً.....

67	ثانياً: تعريف التقوى اصطلاحاً.....
68	المطلب الثاني صفات المتقين المذكورة في مقدمة سورة البقرة.....
72	المطلب الثالث جزاء المتقين كما تبينه مقدمة سورة البقرة.....
75	المبحث الثاني الكافرون وصفاتهم ومصيرهم في مقدمة سورة البقرة.....
75	المطلب الأول تعريف "الكفر" لغةً واصطلاحاً.....
75	أولاً: تعريف "الكفر" لغةً.....
76	ثانياً: تعريف "الكفر" اصطلاحاً.....
77	المطلب الثاني صفات الكافرين المذكورة في مقدمة سورة البقرة.....
77	أولاً: عدم الإيمان سواء أُنذروا أم لم يُنذروا.....
78	ثانياً: ختم الله ﷻ على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة.....
80	المطلب الثالث جزاء الكافرين كما بيّنته مقدمة سورة البقرة.....
82	المبحث الثالث المنافقون وصفاتهم وجزاؤهم ومثلهم في مقدمة سورة البقرة.....
82	المطلب الأول تعريف النفاق لغةً واصطلاحاً.....
82	أولاً: تعريف النفاق لغةً.....
83	ثانياً: تعريف النفاق اصطلاحاً.....
84	المطلب الثاني صفات المنافقين في مقدمة سورة البقرة.....
89	المطلب الثالث جزاء المنافقين في مقدمة سورة البقرة.....
91	المطلب الرابع مثل المنافقين في سياق مقدمة سورة البقرة.....
92	أولاً: المثل الناري.....
94	ثانياً: المثل المائي.....
98	الفصل الثالث الدعوة إلى تحقيق الاستخلاف في الأرض وعلاقته بوحدة موضوع السورة ..
99	المبحث الأول دعوة الناس كافة إلى تحقيق الاستخلاف في الأرض وعلاقتها بوحدة موضوع السورة.....

99	المطلب الأول دعوة الناس كافة إلى تحقيق الاستخلاف في الأرض.....
101	المطلب الثاني تحديّ الشاكّين وتوعدهم بالنار .....
105	المطلب الثالث بشارة المؤمنين بالجنة.....
109	المبحث الثاني دعوة بني إسرائيل خاصة إلى تحقيق الاستخلاف في الأرض وعلاقتها بوحدة موضوع السورة.....
111	أولاً: تذكير بني إسرائيل بنعم الله ﷻ عليهم وأمرهم بالإيفاء بعهده.....
113	ثانياً: دعوتهم إلى الإيمان بما أنزل الله ﷻ وعدم الاشتراء بآياته ثمناً قليلاً.....
114	ثالثاً: عدم لبس الحق بالباطل وكنم الحق.....
115	رابعاً: أمرهم بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والركوع مع الراكعين.....
116	خامساً: نهيه عن أمرهم الناس بالبر ونسيانهم أنفسهم.....
117	سادساً: الاستعانة بالصبر والصلاة.....
118	سابعاً: تذكيرهم بنعمة تفضيلهم على العالمين.....
120	ثامناً: انتقاء عذاب يوم القيامة.....
122	الفصل الرابع بيان صفات بني إسرائيل خاصة وأهل الكتاب عامة في سورة البقرة وعلاقتها بوحدة موضوعها.....
123	المبحث الأول بيان صفات بني إسرائيل خاصة في سورة البقرة.....
123	المطلب الأول صفات بني إسرائيل الحسية.....
148	المطلب الثاني صفات بني إسرائيل المعنوية.....
154	المبحث الثاني صفات أهل الكتاب عامة كما عرضتها سورة البقرة وعلاقتها بوحدة موضوعها ...
154	المطلب الأول صفات أهل الكتاب الحسية.....
164	المطلب الثاني صفات أهل الكتاب المعنوية.....
168	الفصل الخامس شمولية العبودية ووسائل تحقيقها وعلاقتها بوحدة موضوع السورة.....
169	المبحث الأول عرض بعض الشرائع العقديّة الواردة في السورة وعلاقتها بوحدة موضوعها .

169	المطلب الأول التأكيد على وحدانية الله ﷻ
170	أولاً: التأكيد على توحيد الربوبية
171	ثانياً: التأكيد على توحيد الألوهية
180	ثالثاً: التأكيد على توحيد الأسماء والصفات
182	المطلب الثاني التأكيد على أركان الإيمان
184	المطلب الثالث قضايا عقديّة متنوعة في سورة البقرة
184	أولاً: الإيمان بالغيب
185	ثانياً: قضية البعث والإحياء والإماتة
187	ثالثاً: قضية الثواب والعقاب
190	رابعاً: قضية الهدى والضلال
193	المبحث الثاني عرض بعض الشرائع التعبدية في السورة وعلاقتها بوحدة موضوعها
194	المطلب الأول عرض بعض أحكام الصلاة وتحويل القبلة
203	المطلب الثاني عرض بعض أحكام الزكاة والإنفاق
203	أولاً: عرض بعض أحكام الزكاة
205	ثانياً: عرض بعض أحكام الإنفاق
213	المطلب الثالث عرض بعض أحكام الصيام
216	المطلب الرابع عرض بعض أحكام الحج والعمرة والأهلة والحكمة منها
222	المطلب الخامس عرض بعض أحكام القتال والجهاد في سبيل الله
231	المبحث الثالث تنظيم العلاقات الأسرية والمعاملات في السورة وعلاقتها بوحدة موضوعها
231	المطلب الأول تنظيم العلاقات الأسرية في سورة البقرة
231	أولاً: أحكام الوصية
233	ثانياً: أحكام النكاح
234	ثالثاً: أحكام الحيض

235	رابعًا: أحكام اليمين.....
235	خامسًا: حكم الإيلاء.....
236	سادسًا: أحكام الطلاق.....
242	سابعًا: أحكام الرضاعة.....
243	ثامنًا: أحكام المتوفى عنها زوجها.....
246	المطلب الثاني تنظيم المعاملات في سورة البقرة "آية الدين أنموذجًا".....
252	المبحث الرابع العقوبات والمحرمات في السورة وعلاقتها بوحدة موضوعها.....
252	المطلب الأول العقوبات في سورة البقرة "القصاص أنموذجًا".....
253	المطلب الثاني المحرمات في سورة البقرة.....
254	أولًا: المحرمات من المآكل.....
254	ثانيًا: تحريم أكل أموال الناس عامّة بالباطل، وأموال اليتامى على وجه الخصوص.....
256	ثالثًا: تحريم الخمر والميسر.....
257	رابعًا: تحريم أكل الربا.....
262	المبحث الخامس وسائل تحقيق العبودية كما تصوّرها سورة البقرة.....
262	المطلب الأول التحذير من اتباع خطوات الشيطان.....
265	المطلب الثاني التزام الوازع الديني وبيان محدودية الطاقة الإنسانية.....
266	أولًا: الالتزام بالوازع الديني.....
268	ثانيًا: سعة مُلك الله ﷻ وقدرته ومحدودية الطاقة الإنسانية.....
276	الفصل السادس قصص المستخلفين في الأرض في سورة البقرة وعلاقتها بوحدة موضوعها ...
277	المبحث الأول قصة الاستخلاف الأولى وبداية الخلق.....
277	المطلب الأول حوار الله ﷻ مع الملائكة وإعلانه استخلاف آدم ﷺ.....
279	المطلب الثاني قصة آدم ﷺ وزوجه مع إبليس وهبوطه من الجنة.....
284	المبحث الثاني قصص بني إسرائيل وفسلهم في تحقيق الاستخلاف في الأرض.....

284	المطلب الأول قصة فرعون مع كليم الله موسى ﷺ
287	المطلب الثاني قصة عبادة بني إسرائيل للعجل
289	المطلب الثالث قصة أصحاب السبت
290	المطلب الرابع قصة بقرة بني إسرائيل
292	المطلب الخامس قصة طائفة من بني إسرائيل مع هاروت وماروت
295	المطلب السادس قصة الذين خرجوا من ديارهم حذر الموت
298	المطلب السابع قصة طالوت وجالوت
303	المطلب الثامن قصة الذي مرّ على قرية وهي خاوية على عروشها
306	المبحث الثالث قصص خليل الرحمن إبراهيم ﷺ ونجاحه في تحقيق الاستخلاف في الأرض ...
307	المطلب الأول إبراهيم ﷺ بين التكليف والتشريف
312	المطلب الثاني قصة إبراهيم ﷺ والمَلِك
314	المطلب الثالث قصة نبي الله إبراهيم ﷺ والطير
318	<b>الخاتمة</b>
318	أولاً: النتائج
320	ثانياً: التوصيات
322	<b>المصادر والمراجع</b>
344	<b>الفهارس العامة</b>
345	أولاً: فهرس الآيات القرآنية
364	ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية
368	ثالثاً: فهرس الأعلام

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مقدمة

الحمد لله رب العالمين، منزل الكتاب المبين، هدايةً للمتقين، وحجةً على الكافرين، وشاهدًا على المنافقين، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هاديَّ له، وأصلي وأسلم على سيد الخلق أجمعين، وعلى آله وصحبه المُصطفىين، أما بعد

فإنَّ القرآن الكريم معجزة الله الخالدة، تحدّى الله به أرباب العقول والأفهام من عرب وعجم، وخاطب به سائر الأمم، فأعجزهم عن الإتيان بمثله، لا بلفظه ولا نظمه ولا معناه، فهدى الله ﷺ به البشر للعبادة وحقق لهم به سبيل السعادة، فهو ﷺ القائل في كتابه العزيز: ﴿.. قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ \* يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: 15-16].

فالوقوف على معانيه العظيمة وهداياته الكريمة والتدبر في موضوعاته والتأمل في عجائب بيانه لهو من أهمّ التوجيهات التي قد دعانا المولى ﷺ إليها حيث قال الحق ﷺ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: 82].

فحكف العلماء منذ زمن على الاشتغال به فأصبح "علم التفسير" من أعظم العلوم وأجلّها، كيف لا وشرف العلم من شرف المعلوم، فتنوَّعت مناهج التفسير في كل عصر حتى ظهر في العصر الحاضر منهجٌ جديدٌ معاصرٌ في التفسير وهو "التفسير الموضوعي"، ثم ازدادت الدراسات في هذا اللون الجديد من ألوان التفاسير حتى سُمّي بـ"تفسير العصر"، وبتتابع الدراسات التفسيرية والقرآنية ظهر مصطلح "الوحدة الموضوعية للقرآن الكريم وللسورة الواحدة"، وذلك من خلال البحث في الخصائص البيانية للأسلوب القرآني.

فهذا القرآن المعجز مع تعدّد سورته، وتباعد فترات نزول السور عن بعضها، وكثرة موضوعاته، إلا أنّه يخلو من أي خللٍ أو اضطرابٍ أو عيبٍ أو نقص، بالإضافة إلى أنه يمتلئ وحدةً موضوعيةً واحدة.

والتأمل في آيات القرآن الكريم والمنتبّع لسوره يستشعر الترابط والتناسب ما بين السورة والسورة، وما بين مقاطع السورة الواحدة كذلك، فنجد أنّ السورة الواحدة رغم كثرة موضوعاتها

وتفريعاتها إلا أنها تمثل وحدة موضوعية واحدة، تجمع عُراها وتربط أطرافها، فتتير الطريق لكشف أسرار القرآن الكريم، وإظهار مكنوناته.

وسورة البقرة مثالاً لهذه الوحدة الموضوعية، فبالرغم من أنها أطول سور القرآن الكريم، وأكثرها اشتمالاً على عدة موضوعات، وبالرغم من البعد الزمني لنزول آياتها وبالرغم من تعدد أسباب نزولها إلا أنّ موضوعاتها مترابطة متناسقة كأنها موضوع واحد وكأنها نزلت دفعةً واحدة! ونظرًا لما لاحظته الباحثة من ترابطٍ بين أجزاء السورة وائتلافٍ بين محور السورة وموضوعاتها كانت الرغبة في البحث في هذا الموضوع القرآني والموسوم بـ "الوَحْدَةُ الْمَوْضُوعِيَّةُ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ - دِرَاسَةٌ مَوْضُوعِيَّةٌ تَطْبِيقِيَّةٌ" - فأسأل الله ﷻ التوفيق والقبول.

### أولاً: أهمية الموضوع

1. تعلق هذا البحث بأشرف الكتب وأجلّها وهو القرآن الكريم، ولا يخفى أنّ الشيء يشرف بشرف متعلقه.
2. أنه يعرض جانباً مهماً من الخصائص البيانية للأسلوب القرآني وهو الوحدة الموضوعية في السورة القرآنية.
3. يمثل هذا الموضوع دراسة تطبيقية للوحدة الموضوعية في سورة البقرة والذي يُظهر الانسجام بين موضوعاتها المختلفة حيث إنّ هذه السورة هي أطول سور القرآن الكريم.
4. يقف هذا البحث على مقاصد سورة البقرة ويبرز هداياتها ويبين الوجه الذي استحكمت به أن تكون سناماً للقرآن الكريم.

### ثانياً: أسباب اختيار الموضوع

لاختيار هذا الموضوع أسباب كثيرة، أذكر أهمها:

1. ابتغاء الأجر من الله وحده والتشرف بخدمة كتابه والانشغال بمعانيه والوقوف على أسرارهِ.
2. إدراك سرّ التناغم بين موضوعات السورة القرآنية الواحدة، ممّا يزيد من فهم النص القرآني وبيان مراد الله ﷻ منه.
3. حبيّ الشديد لسورة البقرة ورغبتني الحثيثة في البحث عن موضوعاتها ودراستها، وإبراز وحدتها الموضوعية وعلاقتها بالمحور العام للسورة.
4. تشجيع معلّمي الفاضل الأستاذ الدكتور: محمود هاشم عنبر على البحث في هذا الموضوع والغوص فيه.

5. افتقار المكتبة الإسلامية إلى موضوع تفسيريّ محكم يتناول الوحدة الموضوعية لسورة البقرة في إطار دراسة تطبيقية محكمة.

### ثالثاً: أهداف البحث وغاياته

لهذا البحث أهداف كثيرة وغايات سامية أذكر أهمها:

1. التعرف على مفهوم الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية عامّة، وأثرها في تفسير النص القرآني.
2. إبراز الوحدة الموضوعية في سورة البقرة خاصّة، وذلك في إطار دراسة موضوعية تطبيقية.
3. تفسير النص القرآني وفق وحدة موضوع السورة ممّا يحول دون كثرة التفسيرات التي تهدف إلى ليّ عنق النص القرآني، وتفسيره بمعنى غير المعنى المراد.
5. إبراز الإعجاز البياني للقرآن الكريم في لفظه ونظمه ومعناه وتناسق آياته وترابطها ووحدة موضوعاتها، من خلال تسليط الضوء على الوحدة الموضوعية في السورة القرآنية.
6. استشعار إحكام القرآن الكريم وتشابهه في آن واحد من حيث التناغم والانسجام بين موضوعات السورة الواحدة.
7. التعرف على أهمية سورة البقرة، وأسرارها، وعرض شرائع الإسلام التي بينتها.
8. بيان تناسب القصص القرآني في سورة البقرة مع المحور الأساس للسورة.
9. تأكيد حقيقة واقعية لكلّ الباحثين وطلاب العلم الشرعي بأنّ تفسير القرآن الكريم لم يتوقف عند مرحلة من مراحل التاريخ الإسلامي، فمناهج المفسرين وألوانها لا تتضب.
10. إثراء مكتبة التفسير ببحث علميّ محكم ودراسة تطبيقية لوجه مهم من أوجه الإعجاز البياني في القرآن الكريم وهو "الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية".
11. فتح آفاق جديدة أمام الدارسين وطلاب العلم الشرعي لاستكمال البحث في الوحدة الموضوعية لبقية سور القرآن الكريم.

## رابعًا: الدراسات السابقة

بعد الاطلاع على جهود العلماء السابقين حول هذا الموضوع، والقراءة المتأملّة فيما كُتِب من قَبْل حوله، وبعد البحث في المكتبات الإسلامية والمراكز البحثية تبين للباحثة أنّ ما كُتِب من قبل حول هذا الموضوع كان بمثابة دراسات عامة تناولت الوحدة الموضوعية للقرآن الكريم بشكل عام، أو تناولت آراء العلماء في موضوع الوحدة الموضوعية، أو كانت على شكل دراسات ثانوية تناولت الموضوع كمبحث فرعيّ ضمن كُتِب لم تنفرد بالحديث عن الموضوع نفسه، ولم أَعثر على دراسة علميّة محكمة اختصّت ببيان الوحدة الموضوعية لسورة البقرة على وجه الخصوص دراسة موضوعية تطبيقية، وإنّ استيفاء أهداف البحث وكذلك مفرداته لم يسبق لها بحث أو رسالة علميّة محكمة؛ لذا تأتّى هذه الدراسة في سياق الإسهام العلميّ في علم التفسير الموضوعي، والله الموفّق والمستعان.

ومن الدراسات السابقة التي تحدّثت عن جانب من جوانب موضوع البحث أو أشارت إليه:

1. "الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم": رسالة دكتوراة للدكتور محمد محمود حجازي، والذي تعرّض فيها لقضية الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم من واقع رحلته في تفسير آيات كتاب الله، حيث تناولها بالتعريف وبيّن أهمية هذا العلم، وذكر جهود العلماء فيه، إلا أنه لم يتناول سورة البقرة بالتفصيل كنموذج للبحث.
2. "التناسب في سورة البقرة": رسالة ماجستير في الدراسات الإسلاميّة المعاصرة، للباحث: طارق مصطفى محمد حميدة.
3. "محور الوحدة الموضوعية لسورة البقرة - دراسة في مقاصد السور-": للدكتور: حسين بن علي عمر الزومي.

وهذا البحث هو بحث علميّ محكّم قليل الصفحات تقدّم به الباحث لإحدى المجالات العلميّة بغرض الترقية، تناول فيه الباحث المحور الأساس لسورة البقرة، وآراء العلماء المختلفة فيه، دون التركيز على الوحدة الموضوعية لموضوعات السورة بالتفصيل.

4. "الوحدة الموضوعية بين عبد الحميد الفراهي وسيد قطب": للدكتور: صبحي رشيد اليازجي.

وهذا البحث كان رسالة لنيل درجة الماجستير، تناول فيه الباحث منهجَي الفراهي وقطب في الوقوف على الوحدة الموضوعية، وقد اتخذ الباحث الجزء الأول من سورة البقرة أنموذجاً تطبيقياً، إلا أنّ الباحث لم يتناول موضوع الوحدة الموضوعية في سورة البقرة تحديداً ولم يكن هو الموضوع الأساس للبحث.

5. "الوحدة الموضوعية بين المؤيدين والمعارضين": للباحثة: خلود باوزير.

وهذه الأطروحة مقدّمة لنيل درجة الماجستير، تناولت فيها الباحثة التّأصيل لمصطلح "الوحدة الموضوعية"، وتوسّعت في بيان اختلاف العلماء تجاهه ما بين مؤيّد ومعارض، مع عرض بعض المؤلفات التي كُتبت حوله، ولم تخصّص الباحثة الحديث عن الوحدة الموضوعية في سورة البقرة وإنما اكتفت بالتّأصيل لها كعلم من علوم القرآن الكريم.

ومن هنا فإنّ هذا البحث جديد ومختلف عمّا سبقه من دراسات وأبحاث، حيث ستتناول الباحثة فيه الوحدة الموضوعية في سورة البقرة في إطار دراسة موضوعية تطبيقية شاملة.

#### خامساً: منهج البحث

اتّبعت الباحثة المنهج الاستقرائي وفق منهجية التفسير الموضوعي، وذلك من خلال تتبّع موضوعات الآيات القرآنية في سورة البقرة مع استنباط المحور الرئيس للسورة والمقاصد الفرعية التي تناولتها، وكان ذلك ضمن الخطوات الآتية:

1. القراءة الشاملة لما كُتب عن مصطلح الوحدة الموضوعية، والتعرّف على حقيقتها ونشأتها وأقوال العلماء فيها.
2. الاطلاع على ما استطعت الوصول إليه من أمّهات الكتب التفسيرية، ومن كتابات العلماء والباحثين الذين حاولوا الوقوف على هذه السورة المباركة تحليلاً وتأملاً وارتواءً من معانيها التي لا حصر لها.
3. اتّباع الخطوات المرحلية للتفسير الموضوعي للسورة القرآنية التي توصل إليها العلماء والباحثون.
4. الوقوف على أسماء السورة التوقيفية والتوفيقية واستشعار جو نزول السورة وحال الجماعة المسلمة آنذاك، والتعرف على زمان ومكان نزول السورة وعلاقتها بموضوع السورة العام وأهدافها.

5. التأمل والتدبر جيداً في آيات السورة للتعرف على شخصية السورة وخطوطها الرئيسية، وربطها بما سبقها وبما تلاها من سورٍ كريمة.
6. ربط الوحدة الموضوعية لسورة البقرة بمحورها العام وبموضوعاتها المختلفة.
7. تقسيم السورة إلى عدة مقاصد تبعاً للوحدة الموضوعية لها، والوقوف على كلّ منها بالتعرف على معناه الإجمالي واستخلاص ما فيه من دروس وربطه بمحور السورة الأساس.
8. الإشارة إلى بعض لطائف سورة البقرة من خلال التأمل والقراءة التي سئساهم في بيان ما تميّز به الخطاب القرآني في هذه السورة الكريمة من تآلف وانسجام.
9. عزو الآيات لسورها وكتابتها بالرسم العثماني وتوثيقها في متن البحث تجنباً لإثقال الحواشي.
10. تمييز آيات سورة البقرة بكتابة رقم الآية بين القوسين المزهرين، لتمييزها عن باقي الآيات من السور القرآنية الأخرى.
11. تخريج الأحاديث النبوية التي وردت في البحث وعزوها إلى مظانها الأصلية، ونقل حكم العلماء عليها، باستثناء الأحاديث الواردة في الصحيحين (البخاري ومسلم).
12. مراعاة الأمانة العلمية في النقل والتوثيق وذلك بتوثيق الاقتباسات في الحواشي ونسبتها إلى مصادرها الرئيسية ابتداءً باسم الكتاب ثم المؤلف ثم الجزء والصفحة.
13. بيان معاني الألفاظ الغريبة - إن وُجدت - وتفسيرها من المعاجم اللغوية الأصيلة.
14. ترتيب المصادر والمراجع في مجموعات حسب الأحرف الهجائية.
15. الترجمة للأعلام المغمورين وجمعهم في ختام الرسالة في فهرس الأعلام.
16. إعداد الفهارس اللازمة التي تخدم البحث وتسهّل الوصول إلى المعلومات.
17. إعداد ملخص للبحث باللغة العربية وآخر باللغة الانجليزية في بداية البحث.
18. ختم البحث بخاتمة تشتمل على أهم النتائج والتوصيات.

## سادساً: خطة البحث

وتحقيقاً لتلك الأهداف والغايات فقد اشتمل البحث على: مقدّمة وتمهيد وستة فصول وخاتمة.

أما المقدمة فقد اشتملت على:

1. أهمية الموضوع
2. أسباب اختيار الموضوع
3. أهداف البحث وغاياته
4. الدراسات السابقة
5. منهج البحث
6. خطة البحث

### التمهيد

#### بين يديّ سورة البقرة

وفيه أربعة مطالب:

**المطلب الأول:** التعريف بسورة البقرة وزمن نزولها وترتيبها في المصحف العثماني وأسمائها

**المطلب الثاني:** فضل سورة البقرة

**المطلب الثالث:** بيان محور السورة الأساس

**المطلب الرابع:** مناسبات سورة البقرة

**أولاً:** أوجه التناسب الخارجية للسورة

- التناسب بين سورتيّ البقرة والفاثحة
- التناسب بين سورتيّ البقرة وآل عمران
- تناسب ترتيب السورة في المصحف العثماني مع مقصد السورة الرئيس
- تناسب موضوع السورة مع الجو الزماني والمكاني لنزولها

ثانيًا: أوجه التناسب الداخلية للسورة

– التناسب بين مطلع السورة وخاتمتها

– التناسب بين اسم السورة ومحورها الرئيس

## الفصل الأول

### بين يدي الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية

ويشتمل على مبحثين:

**المبحث الأول:** تعريف الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية ونشأتها وجهود العلماء في بيانها

وفيه مطلبان:

**المطلب الأول:** تعريف الوحدة الموضوعية لغةً واصطلاحًا

**المطلب الثاني:** نشأة الوحدة الموضوعية وجهود العلماء في بيانها

**المبحث الثاني:** حقيقة الوحدة الموضوعية وأهميتها وعلاقتها بمحور السورة

وفيه ثلاثة مطالب:

**المطلب الأول:** حقيقة الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية

**المطلب الثاني:** أهمية الوحدة الموضوعية في تفسير السورة القرآنية

**المطلب الثالث:** الوحدة الموضوعية لسورة البقرة وعلاقتها بمحور السورة

## الفصل الثاني

التعريف بأصناف البشر الثلاثة وبيان صفاتهم وجزائهم في مقدّمة سورة البقرة

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

**المبحث الأول:** المتقون وصفاتهم وجزاؤهم في مقدّمة سورة البقرة

وفيه ثلاثة مطالب:

**المطلب الأول:** تعريف التقوى لغةً واصطلاحاً

**المطلب الثاني:** صفات المتقين المذكورة في مقدّمة سورة البقرة

**المطلب الثالث:** جزاء المتقين كما تبيّنه مقدّمة سورة البقرة

**المبحث الثاني:** الكافرون وصفاتهم ومصيرهم في مقدّمة سورة البقرة

وفيه ثلاثة مطالب:

**المطلب الأول:** تعريف "الكفر" لغةً واصطلاحاً

**المطلب الثاني:** صفات الكافرين المذكورة في مقدّمة سورة البقرة

**المطلب الثالث:** جزاء الكافرين كما بيّنته مقدّمة سورة البقرة

**المبحث الثالث:** المنافقون وصفاتهم وجزاؤهم ومثّلهم في مقدّمة سورة البقرة

وفيه أربعة مطالب:

**المطلب الأول:** تعريف النفاق لغةً واصطلاحاً

**المطلب الثاني:** صفات المنافقين في مقدّمة سورة البقرة

**المطلب الثالث:** جزاء المنافقين في مقدّمة سورة البقرة

**المطلب الرابع:** مثّل المنافقين في مقدّمة سورة البقرة

### الفصل الثالث

**الدعوة إلى تحقيق الاستخلاف في الأرض وعلاقتها بوحدة موضوع السورة**

ويشتمل على مبحثين:

**المبحث الأول:** دعوة الناس كافة إلى تحقيق الاستخلاف في الأرض وعلاقتها بوحدة موضوع السورة

وفيه ثلاثة مطالب:

**المطلب الأول:** دعوة الناس كافة إلى تحقيق الاستخلاف في الأرض

**المطلب الثاني:** تحدّي الشاكّين وتوعدهم بالنار

**المطلب الثالث:** بشارة المؤمنين بالجنة

**المبحث الثاني:** دعوة بني إسرائيل خاصة إلى تحقيق الاستخلاف في الأرض وعلاقتها بوحدة موضوع السورة

وفيه ثمانية مطالب:

**المطلب الأول:** تذكير بني إسرائيل بنعم الله ﷻ عليهم وأمرهم بالإيفاء بعهده

**المطلب الثاني:** دعوتهم إلى الإيمان بما أنزل الله ﷻ وعدم الاشتراء بآياته ثمناً قليلاً

**المطلب الثالث:** عدم لبس الحق بالباطل وكنم الحق

**المطلب الرابع:** أمرهم بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والركوع مع الراكعين

**المطلب الخامس:** نهيه عن أمرهم الناس بالبر ونسيانهم أنفسهم

**المطلب السادس:** الاستعانة بالصبر والصلاة

**المطلب السابع:** بيان فضل الله ﷻ عليهم

**المطلب الثامن:** انقضاء عذاب يوم القيامة

#### **الفصل الرابع**

**بيان صفات بني إسرائيل خاصّة وأهل الكتاب عامّة في سورة البقرة**

**وعلاقتها بوحدة موضوعها**

ويشتمل على مبحثين:

**المبحث الأول:** بيان صفات بني إسرائيل خاصّة في سورة البقرة كما عرضتها سورة البقرة وعلاقتها بوحدة موضوعها

وفيه مطلبان:

**المطلب الأول:** صفات بني إسرائيل الحسية

**المطلب الثاني:** صفات بني إسرائيل المعنوية

**المبحث الثاني:** بيان صفات أهل الكتاب عامّة كما عرضتها سورة البقرة وعلاقتها بوحدة موضوعها

وفيه مطلبان:

**المطلب الأول:** صفات أهل الكتاب الحسية

**المطلب الثاني:** صفات أهل الكتاب المعنوية

### الفصل الخامس

**شمولية العبودية ووسائل تحقيقها كما تصوّرها سورة البقرة**

ويشتمل على خمسة مباحث:

**المبحث الأول:** عرض بعض الشرائع العقديّة في السورة وعلاقتها بوحدة موضوعها

وفيه ثلاثة مطالب:

**المطلب الأول:** التأكيد على وحدانية الله ﷻ

**المطلب الثاني:** التأكيد على أركان الإيمان

**المطلب الثالث:** قضايا عقدية متنوعة في سورة البقرة

**المبحث الثاني:** عرض بعض الشرائع التعبدية في السورة وعلاقتها بوحدة موضوعها

وفيه خمسة مطالب:

**المطلب الأول:** عرض بعض أحكام الصلاة وتحويل القبلة

**المطلب الثاني:** عرض بعض أحكام الزكاة والإنفاق

**المطلب الثالث:** عرض بعض أحكام الصيام

**المطلب الرابع:** عرض بعض أحكام الحج والعمرة والأهلة والحكمة منها

**المطلب الخامس:** عرض بعض أحكام القتال والجهاد في سبيل الله

**المبحث الثالث:** تنظيم العلاقات الأسرية والمعاملات في السورة وعلاقتها بوحدة موضوعها

وفيه مطلبان:

**المطلب الأول:** تنظيم العلاقات الأسرية في سورة البقرة

**المطلب الثاني:** تنظيم المعاملات في سورة البقرة "آية الدين أنموذجاً"

**المبحث الرابع:** العقوبات والمحرمات في السورة وعلاقتها بوحدة موضوعها

وفيه مطلبان:

**المطلب الأول:** العقوبات في سورة البقرة "القصاص أنموذجاً"

**المطلب الثاني:** المحرمات في سورة البقرة

**المبحث الخامس:** وسائل تحقيق العبودية كما تصوّرها سورة البقرة

وفيه مطلبان:

**المطلب الأول:** عدم اتباع خطوات الشيطان

**المطلب الثاني:** التزام الوازع الديني وبيان محدودية الطاقة الإنسانية

## الفصل السادس

**قصص المستخلفين في الأرض في سورة البقرة وعلاقتها بوحدة موضوعها**

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

**المبحث الأول:** قصة الاستخلاف الأولى وبدء الخلق

وفيه مطلبان:

**المطلب الأول:** حوار الله ﷻ مع الملائكة وإعلانه استخلاف آدم ﷺ

**المطلب الثاني:** قصة آدم ﷺ وزوجه مع إبليس وهبوطه من الجنة

**المبحث الثاني:** قصص بني إسرائيل وفشلهم في تحقيق الاستخلاف في الأرض

وفيه ثمانية مطالب:

المطلب الأول: قصة فرعون مع كليم الله موسى ﷺ

المطلب الثاني: قصة عبادة بني إسرائيل للعجل

المطلب الثالث: قصة أصحاب السبب

المطلب الرابع: قصة بقرة بني إسرائيل

المطلب الخامس: قصة طائفة من بني إسرائيل مع هاروت وماروت

المطلب السادس: قصة الذين خرجوا من ديارهم حذر الموت

المطلب السابع: قصة طالوت وجالوت

المطلب الثامن: قصة الذي مرّ على قرية وهي خاوية على عروشها

المبحث الثالث: قصص خليل الرحمن إبراهيم ﷺ ونجاحه في تحقيق الاستخلاف في الأرض

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: إبراهيم ﷺ بين التكليف والتشريف

المطلب الثاني: قصة إبراهيم ﷺ والمَلِك

المطلب الثالث: قصة نبي الله إبراهيم ﷺ والطير

الخاتمة: وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات

الفهارس وفيها:

1. فهرس المصادر والمراجع

2. فهرس الآيات القرآنية

3. فهرس الأحاديث النبوية

4. فهرس الأعلام المغمورين

# التمهيد بين يدي سورة البقرة

## المطلب الأول

التعريف بسورة البقرة وزمن نزولها وترتيبها في المصحف العثماني وأسمائها

أولاً: التعريف بسورة البقرة وزمن نزولها

سورة البقرة من أعظم سور القرآن الكريم، وأطولها على الإطلاق، "وأيها مئتان وثمانون وست آيات، وحروفها خمسة وعشرون ألف حرف وخمس مئة حرف، وكلّمها ستة آلاف ومئة وإحدى وعشرون كلمة."<sup>(1)</sup>

يقول الإمام ابن عطية: "وعدد آي سورة البقرة مائتان وخمس وثمانون آية، وقيل: ست وثمانون، وقيل سبع وثمانون."<sup>(2)</sup>

وحول نزول سورة البقرة يقول الإمام القرطبي: "سورة البقرة مدنيّة، نزلت في مُدَد شتّى"<sup>(3)</sup>، وأضاف الإمام المراغي: "وغالب السورة نزل أول الهجرة."<sup>(4)</sup>

وسورة البقرة تحتوي على سيّدة آي القرآن الكريم وأعظم آية فيه وهي آية الكرسي ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ.. (255)﴾<sup>(5)</sup>، كما تحتوي على أطول آية في كتاب الله وهي آية الدّين ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ.. (282)﴾.<sup>(6)</sup>

ثانياً: ترتيبها في المصحف العثماني

لم يكن ترتيب السور القرآنية في المصحف العثماني ترتيباً زمنياً حسب زمن النزول، وسورة البقرة ثبت أنها نزلت على مراحل متفرقة وعلى مدار سنوات عدّة، وبالرغم من ذلك فهي ثاني السور القرآنية في ترتيب المصحف العثماني، وهذا الترتيب اختلف العلماء في شأنه على عدة أقوال رجّح منها الإمام الزركشي كونه ترتيباً توقيفياً حيث قال: "الترتيب وضع السور في المصحف أسباب تطلّع على أنه توقيفيّ صادرٌ عن حكيم."<sup>(7)</sup>

(1) فتح الرحمن في تفسير القرآن، العليمي، ج1/48.

(2) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، ج1/81.

(3) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج1/152. انظر: روح المعاني، الألويسي، ج1/101.

(4) تفسير المراغي، المراغي، ج1/39.

(5) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية، ابن أبي طالب، ج1/118.

(6) انظر: تفسير المراغي، المراغي، ج1/39.

(7) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج1/260.

وكَوْن هذه السورة العظيمة قد احتلت هذا الترتيب في المصحف العثماني فهذا يدلّ دلالة واضحة على أهمية هذه السورة -كما غيرها من السور-، وسموّ قدرها، وعِظَم ما تحتويه من توجيهاتٍ وأحكام، فهي بمثابة البوابة الرئيسة لفهم المنهج القرآني السليم.

### ثالثاً: أسماء السورة

لسورة البقرة أسماء عدّة اشتهرت بها، وهي:

1. "سورة البقرة"، وهذا الاسم هو الاسم المشهور لها، وليس أدلّ على ذلك من تسمية النبي ﷺ لها بهذا الاسم في العديد من الأحاديث النبوية الشريفة، أذكر منها:
  - عن أبي مسعود الأنصاري ﷺ<sup>(1)</sup> قال: قال النبي ﷺ: «الآيَاتَانِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ مَنْ قَرَأَ بِهِمَا فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ». (2)
  - عن جبير بن نفير ﷺ<sup>(3)</sup> قال: سمعت النّوّاس بن سمعان الكلابي ﷺ<sup>(4)</sup>، يقول: سمعت النبي ﷺ يقول: «يُؤْتَى بِالْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَهْلِهِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ تَقْدُمُهُ سُورَةُ الْبَقَرَةِ، وَآلِ عِمْرَانَ». (5)

- 
- (1) أبو مسعود الأنصاري: اسمه عقبة بن عمرو من بني خداعة، شهد ليلة العقبة وهو صغير ولم يشهد بدرًا وشهد أحدًا ونزل الكوفة، مات في آخر خلافة معاوية بن أبي سفيان ﷺ وقد انقضى عقبه فلم يبق منهم أحد. انظر: الطبقات الكبرى، ابن سعد، ج 94/6.
  - (2) صحيح البخاري، البخاري، كتاب فضائل القرآن/ باب من لم ير بأسًا أن يقول سورة البقرة وسورة كذا وسورة كذا، ج 194/6، رقم الحديث 5040.
  - (3) جبير بن نفير: بن مالك بن عامر الإمام الكبير، أبو عبد الرحمن الحضرمي الحمصي، أدرك حياة النبي ﷺ وحدث عن: أبي بكر ﷺ -فيُحتمل أنه لقيه- وعن عمر ﷺ، وعدة، وكان جبير من علماء أهل الشام. انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج 32/5.
  - (4) نّوّاس بن سمعان: بن خالد بن عمرو بن قرط الكلابي، معدود في الشاميين، يُقال: إن أباه سمعان بن خالد وفد على النبي ﷺ فدعا له، وأهدى إلى النبي ﷺ نعلين، فقبلهما، وزوّج أخته من النبي ﷺ فلما دخلت على النبي ﷺ تعوّذت منه، فتركها وهي الكلابية، روى النّوّاس عن النبي ﷺ، وروى عنه: جبير بن نفير، ويسر بن عبيد الله، وغيرهما. انظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، ج 345/5.
  - (5) صحيح مسلم، مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها/ باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة، ج 554/1، رقم الحديث 805.

كذلك الآثار الواردة عن الصحابة -رضوان الله عليهم- التي بيّنت أن هذا الاسم هو الاسم المتعارف عليه للسورة الكريمة في ذلك الوقت، ومن هذه الأقوال:

- عن عائشة رضي الله عنها قالت: لَمَّا أُنزِلَتِ الآيَاتُ مِنْ سُورَةِ الْبَقْرَةِ فِي الرَّبَا، «خَرَجَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم إِلَى الْمَسْجِدِ فَقَرَأَهُنَّ عَلَى النَّاسِ، ثُمَّ حَرَّمَ تِجَارَةَ الْخَمْرِ». (1)

- عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه انتهى إلى الجمرة الكبرى جعل البيت عن يساره ومنى عن يمينه، ورمى بسبع وقال: «هَكَذَا رَمَى الَّذِي أُنزِلَتْ عَلَيْهِ سُورَةُ الْبَقْرَةِ صلى الله عليه وسلم». (2)

فهذه الروايات الصحيحة تؤكد على أن هذا الاسم "البقرة" هو اسم توقيفي للسورة الكريمة، وقد اشتهرت به عند أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقد سُمّيت سورة البقرة بهذا الاسم لاشتمالها على قصة البقرة، التي أمر الله صلى الله عليه وسلم بني إسرائيل بذبحها، لاكتشاف قاتل إنسان، وذلك بأن يضربوا الميت بجزء منها، فيحيا بإذن الله، ويُخبرهم عن القاتل، والقصة تبدأ بقول الله صلى الله عليه وسلم: «وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُذْبَحُوا بَقَرَةً.. (67)»، وهي قصة مثيرة فعلاً، يعجب منها السامع، ويحرص على طلبها. (3)

2. "إحدى الزهراوين"، قال الإمام النووي: "وسُمّيت البقرة وآل عمران بـ "الزهراوين" لنورهما وهدايتهما وعظيم أجرهما" (4)، ومعنى الزهراوان أي: النيرتان، مأخوذ من الزهر، والزهرة، والزهرة، وفي تسمية سورتي البقرة وآل عمران بالزهراوين وجهان:

- إما لهدايتهما قارئهما بما يُزهر له من أنوارهما.

- وإما لما يترتب على قراءتهما من النور التام يوم القيامة. (5)

(1) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الصلاة/ باب تحريم تجارة الخمر، ج1/99، رقم الحديث 459.

(2) المرجع السابق، كتاب الحج/ باب رمي الجمار بسبع، ج2/178، رقم الحديث 1748.

(3) انظر: التفسير المنير، الزحيلي، ج1/71.

(4) شرح صحيح مسلم، النووي، باب/ فضل قراءة القرآن وسورة البقرة، ج6/89.

(5) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي، باب/ فضل تعلم القرآن وقراءته وفضل سورة

البقرة وآل عمران، ج2/430.

وقد ورد اسم الزهراوين لسورتي البقرة وآل عمران في حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه (1)، حيث قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: «أَقْرَأُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ، أَقْرَأُوا الزَّهْرَاوَيْنِ الْبَقْرَةَ، وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ، فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا عَمَامَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَّائَتَانِ» (2)، أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافٍ (3)، تُحَاجَّانِ عَنِ أَصْحَابِهِمَا، أَقْرَأُوا سُورَةَ الْبَقْرَةَ، فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ، وَتَرْكُهَا حَسْرَةٌ، وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطْلَةُ» قال معاوية: بلغني أن البطلة السحرة (4). (5)

وهذه الروايات تؤكد أن هذا الاسم قد أطلقه رسول الله صلى الله عليه وسلم على هاتين السورتين الكريمتين لبيان مكانتهما وأهميتهما وللترويج في إدراك أنوارهما.

### 3. "سنام القرآن" (6)

"وسُمِّيت بذلك إما لطولها واحتوائها على أحكام كثيرة، أو لما فيها من الأمر بالجهاد، وبه الرفعة الكبيرة." (7)

(1) أبو أمامة الباهلي: الصدي بن عجلان بن والبة ويقال ابن عجلان بن وهب، ويقال أحد بني سهم له صحبة من النبي صلى الله عليه وسلم، سكن مصر ومات بالشام سنة ست وثمانين وهو ابن إحدى وتسعين سنة. انظر: رجال صحيح مسلم، ابن منجويه، ج 320/1.

(2) قال أهل اللغة: الغمامة والغياية كل شيء أظلم الإنسان فوق رأسه من سحابة وغبرة وغيرهما، وقال العلماء: المراد أن ثوابهما يأتي كغمامتين. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي، ج 90/6.

(3) فرقان: وفي رواية أخرى حرقان، والمعنى: قطيعان وجماعتان، يقال في الواحد فرق وحزق وحزقة وهو الجماعة، من طير صواف: أي صافات جمع صاففة بمعنى مصطفة وهي من الطيور ما يبسط أجنحتها في الهواء. انظر: الكوكب الوهاج والروض البهّاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ابن الأمين، ج 153/10.

(4) البطلة أي: أصحاب البطالة والكسالة لطولها ولتعوّدهم الكسل، وقول معاوية: "بلغني أن البطلة السحرة" لأن ما يأتي به السحرة باطل فسمّاهم باسم فعلهم الباطل، أي إنهم لا يوفّقون لقراءتها لطمس قلوبهم بالمعاصي، ويمكن أن يقال معناه لا تقدر على إبطالها أو على صاحبها السحرة. منة المنعم في شرح صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج بن مسلم، الشارح: صفي الرحمن المباركفوري، ج 505/1.

(5) صحيح مسلم، مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها/ باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة، ج 553/1، رقم الحديث 804.

(6) السّنام: بفتح السين المهملة هو من كل شيء أعلاه ومنه سنام البعير لأنه أعلاه. انظر: الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ومعه بلوغ الأمان من أسرار الفتح الرباني، الساعاتي، ج 70/18.

(7) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، الملا، كتاب/فضائل القرآن، ج 1419/4.

وقد وردت تسمية سورة البقرة بسنام القرآن في السنة النبوية، وذلك في حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه حيث قال: «إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ سَنَامًا، وَإِنَّ سَنَامَ الْقُرْآنِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ، وَإِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ نُبَابًا<sup>(1)</sup>، وَإِنَّ نُبَابَ الْقُرْآنِ الْمُفْصَلُ<sup>(2)</sup>». (3)

وقد اشتهر تسمية سورة البقرة بـ "ذروة سنام القرآن" استنادًا لحديث معقل بن يسار رضي الله عنه (4) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الْبَقْرَةُ سَنَامُ الْقُرْآنِ وَذُرْوَتُهُ، نَزَلَ مَعَ كُلِّ آيَةٍ مِنْهَا ثَمَانُونَ مَلَكًا...». (5)

وحديث معقل بن يسار حديث ضعيف، وعليه فلم يثبت أن سورة البقرة قد سُميت بـ (ذروة القرآن)، ولم يثبت سوى أنها سنام القرآن لحديث ابن مسعود السابق الذكر.

ومما اشتهر أيضًا تسمية السورة الكريمة بـ "فسطاط<sup>(6)</sup> القرآن"، وكان الإمام ابن عطية ممن قال بهذا حيث قال: "ويقال لسورة البقرة: «فسطاط القرآن» وذلك لعظمتها وبهائها وما تضمنت من الأحكام والمواعظ"<sup>(7)</sup>، وقيل: "سُميت فسطاط القرآن لكونها فصلت فيها الحجج إذ لم تشمل سورة على ما اشتملت عليه من ذلك"<sup>(8)</sup>.

(1) اللباب: بضم اللام، أي: خلاصة هي المقصودة منه. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، نور الدين الملا، كتاب/ فضائل القرآن، ج4/1419.

(2) المفصل: لأنه فصل فيها ما أجمل في غيره وهو من سورة الحجرات إلى آخر القرآن على المشهور. انظر: مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، المباركفوري، ج7/254.

(3) الجامع الصحيح للسنن والمسانيد، عبد الجبار، باب/ فضل المفصل من القرآن، ج21/278. وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، وقال: "إسناده حسن"، ج2/135.

(4) معقل بن يسار: بن عبد الله، يكنى أبا علي، له دار بالبصرة، مات في إمرة ابن زياد بعد الستين. انظر: طبقات خليفة بن خياط، ابن خياط، ج1/79.

(5) مسند الإمام أحمد بن حنبل، بن حنبل، ج33/417. المعجم الكبير، أبو القاسم الطبراني، ج20/220. وضعفه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، وقال: "وهذا إسناد ضعيف؛ لجهالة الرجل وأبيه"، ج14/788.

(6) الفسطاط: بضم الفاء مدينته لاشتمالها على أمهات الأحكام. التيسير بشرح الجامع الصغير، زين الدين محمد الحدادي، ج2/73.

(7) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، ج1/81.

(8) السراج المنير شرح الجامع الصغير في حديث البشير النذير، العزيزي، ج1/263.

وقد احتج على هذه التسمية بقول خالد بن معدان رضي الله عنه (1)، حيث قال: «سُورَةُ الْبَقَرَةِ تَعْلَمُهَا بَرَكَتُهُ، وَتَرْكُهَا حَسْرَةٌ، وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبُطْلَةُ، وَهِيَ فَسْطَاطُ الْقُرْآنِ» (2).

ولا بدّ من الإشارة إلى أنّ هذا الحديث موضوع ولم تثبت تسمية السورة بهذا الاسم من أي وجه، وعليه يتبيّن للباحثة أن الأسماء التي ثبتت للسورة الكريمة هي: سورة البقرة وهو الاسم التوقيفي لها والذي له ارتباط وثيق بقصة البقرة الواردة في السورة الكريمة، وكذلك تسميتها مع سورة آل عمران بـ "الزهاوين" وبأنها سنام القرآن، وهذه الأسماء تنبئ بعظيم قدر السورة الكريمة وبهداياتها التي تُزهر القلوب.

## المطلب الثاني

### فضل سورة البقرة

سورة البقرة ثاني سور المصحف العثماني ترتيباً، وتميّزت بكونها التالية لفاتحة الكتاب والسبع المثاني، ولهذا إشارة واضحة وجليّة على أهمية هذه السورة وفضلها.

وقد برزت هذه الأهمية وهذا الفضل في كثير من الأحاديث النبوية الشريفة، وأقوال الصحابة الكرام، والعلماء الأجلاء.

وقد تتبعت الباحثة ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أقوال حول فضل هذه السورة الكريمة وحصرتها فيما يأتي:

#### 1. تحصين البيوت من الشيطان الرجيم عند تلاوتها

فقد أكرم الله صلى الله عليه وسلم عباده الصالحين بهذه السورة المباركة التي لا يقوى الشيطان على المكوث في البيت الذي تُقرأ فيه، وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: «لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ، إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ» (3).

(1) خالد بن معدان: بن أبي كرب الكلاعي، الإمام، شيخ أهل الشام، أبو عبد الله الكلاعي، الحمصي، وهو معدود في أئمة الفقه قال: أدركت سبعين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم. وقال ابن سعد: أجمعوا على أنه مات سنة ثلاث ومائة. انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج4/536-539.

(2) سنن الدارمي، الدارمي، باب/ فضل سورة البقرة، ج4/2126. مسند الدارمي، الدارمي، باب/ فضل سورة البقرة، ج2/1072. قال الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة "وهذا موضوع"، ج8/214.

(3) صحيح مسلم، مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها/ باب استحباب صلاة النافلة في بيته، وجوازها في المسجد، ج1/539، رقم الحديث 209.

## 2. المحاجة عن أصحابها وجلب البركة

فسورة البقرة هي منبع الخير والبركة، والسبيل إلى النجاة من شرور السحرة، وفي هذا جاء قول النبي ﷺ الذي ذكرناه آنفاً، فعن أبي أمامة الباهلي ؓ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أَقْرَأُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ، أَقْرَأُوا الزَّهْرَاوَيْنِ الْبَقْرَةَ، وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ، فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَاتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافٍ، تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا، أَقْرَأُوا سُورَةَ الْبَقْرَةِ، فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ، وَتَرْكُهَا حَسْرَةٌ، وَلَا تَسْتَطِيعُهَا النَّبْطَةُ».(1)

## 3. الشفاعة يوم القيامة

بشّر رسولنا الكريم ﷺ أهل القرآن العاملين به بشفاعة القرآن الكريم لهم يوم الحساب وخاصة سورة البقرة لما لتلاوتها والعمل بها من الأجر العظيم، فعن جبير بن نفيير ؓ، قال: سمعت النّوّاس بن سمعان الكلابي ؓ يقول: سمعت النبي ﷺ يقول: «يُؤْتَى بِالْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَهْلِهِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ تَقْدُومُهُ سُورَةُ الْبَقْرَةِ، وَالْ عِمْرَانَ»(2)، وبمفهوم المخالفة فإن الحديث يدلّ على أنّ مَنْ قرأ القرآن الكريم ولم يعمل به لا يكون له شفيعاً يوم القيامة بل يكون حجة عليه، أمّا من عمل بما فيه نال شفاعة القرآن الكريم عامّة وشفاعة سورتي البقرة وآل عمران خاصّة.(3)

## 4. نزول السكينة والملائكة عند تلاوتها

فمن فضائل هذه السورة العظيمة نزول السكينة والملائكة عند تلاوتها كما جاء في صحيح البخاري عن أسيد بن حضير ؓ(4) قال: بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة، وفرسه مربوطة عنده، إذ جالت(5) الفرس فسكت فسكتت، فقرأ فجالت الفرس، فسكتت فسكتت الفرس، ثم قرأ فجالت الفرس فانصرف، وكان ابنه يحيى قريباً منها، فأشفق أن تصيبه فلما اجتزّه(6) رفع

(1) صحيح مسلم، مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها/ باب فضل قراءة القرآن، وسورة البقرة، ج1/553، رقم الحديث 252.

(2) صحيح مسلم، مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها/ باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة، ج1/553، رقم الحديث 804.

(3) انظر: منّة المنعم في شرح صحيح مسلم، المباركفوري، ج1/505.

(4) أسيد بن حضير: بن سَمَاك بن عبد الأشهل الأنصاريّ صاحب رسول الله ﷺ، أحد النقباء ليلة العقبة، واختلف في شهوده بدرًا، رَوَى عَنْ: النَّبِيِّ ﷺ، رَوَى عَنْهُ: أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ وَغَيْرُهُ. انظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، القضاعي، ج3/246.

(5) جالت: من الجولان وهو الاضطراب الشديد. انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، العيني، ج20/36.

(6) اجتزّه: بالجيم وتشديد الراء أي: اجتز أسيد ابنه يحيى من المكان الذي هو فيه حتى لا يصيبه الفرس.

إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، القسطلاني، ج7/466.

رأسه إلى السماء، حتى ما يراها، فلما أصبح حدّث النبي ﷺ فقال: اقرأ يا ابن حضير، اقرأ يا ابن حضير، قال: فأشفقت يا رسول الله أن تطأ يحيى، وكان منها قريباً، فرفعت رأسي فانصرفت إليه، فرفعت رأسي إلى السماء، فإذا مثل الظلة<sup>(1)</sup> فيها أمثال المصاييح، فخرجت حتى لا أراها، قال: «وتدري ما ذاك؟»، قال: لا، قال: «تلك الملائكة دنت لصوتك، ولو قرأت لأصبحت تنظر الناس إليها لا تتواري منهم»<sup>(2)</sup>، وقد دلّ قوله ﷺ لأسيد: (لو قرأت لأصبحت تنظر الناس إليها لا تتواري منهم) على حرص الملائكة على سماع كتاب الله من بنى آدم، وهذا كله ترغيب في تلاوة القرآن الكريم على العموم وسورة البقرة على وجه الخصوص، والحث على قيام الليل به، وتحسين قراءته.<sup>(3)</sup>

### 5. فيها آية الكرسي أعظم آية في كتاب الله

تتضمن سورة البقرة على آية الكرسي وهي أعظم آية في كتاب الله، ومما ذكر عن فضل هذه الآية المباركة ما جاء في صحيح البخاري عن أبي هريرة ؓ قال: وكّلتني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان فأتاني آتٍ فجعل يحثو من الطعام فأخذته، فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ - فذكر الحديث -، فقال: إذا أويت إلى فراشك فأقرأ آية الكرسي، لن يرال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح، فقال النبي ﷺ: «صدقك وهو كذوب ذاك شيطان»<sup>(4)</sup><sup>(5)</sup>، قال ابن بطال معلّقاً

(1) الظلة: بضم الظاء المعجمة: شيء مثل الصفة، فأول بسحابة تظل. انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني، ج20/36.

(2) صحيح البخاري، البخاري، كتاب فضائل القرآن/ باب نزول السكينة والملائكة عند قراءتها، ج6/190، رقم الحديث 5018.

(3) انظر: شرح صحيح البخاري، ابن بطال، ج1/254.

(4) معنى الحديث: أن رسول الله ﷺ وكّل أبا هريرة ؓ على حفظ الزكاة أو الخراج فجاءه شخص مجهول "فجعل يحثو من الطعام" أي: يأخذ منه ملء كفه مرة بعد أخرى، ويفرغه في وعائه، ليذهب به، فأمسك به أبو هريرة ؓ وتهدّده بشكواه إلى رسول الله ﷺ فجعل الرجل يستعطفه، ويرجوه أن يترفق به ويتركه ويعطيه من هذه الزكاة، لأنه بائس مسكين فقير الحال، فتوسّل إليه أن أطلق سراحي، وأنا أعلمك هذه الكلمات النافعة، وهي أن تقرأ إذا ذهبت إلى فراش نومك قبل أن تنام آية الكرسي، فإنك إذا فعلت ذلك، وكّل الله بك ملكاً يحرسك من شر الجن والإنس، والإنسان والحيوان طول ليلك، فلما أصبح أبو هريرة ؓ أخبر النبي ﷺ بذلك "فقال النبي ﷺ: أما إنه قد صدقك وهو كذوب" أي: قد صدقك فيما حدّثك به عن آية الكرسي مع أنه يغلب عليه الكذب بطبعه، لخبثه وشره، ثم قال له ﷺ: "تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليال: قلت: لا، قال: ذاك شيطان" أي ذلك أحد الشياطين. انظر: منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري، قاسم، ج3/321-323 باختصار.

(5) صحيح البخاري، البخاري، كتاب بدء الخلق/ باب صفة إبليس وجنوده، ج4/123، رقم الحديث 3275.

على الحديث: "إذا كان من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة كفتاه، ومن قرأ آية الكرسي كان عليه من الله حافظ ولا يقربه شيطان حتى يصبح، فما ظنك بمن قرأها كلها من كفاية الله له وحرزه وحمائته من الشيطان وغيره، وعظيم ما يدخر له من ثوابها." (1)

ومما روي عن فضل هذه الآية الكريمة أيضاً ما روي عن أبي بن كعب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يا أبا المنذر، أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟» قال: قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «يا أبا المنذر، أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟» قال: قلت: «الله لا إله إلا هو الحي القيوم... (255)» قال: فضرب في صدري، وقال: «والله ليهنك العلم (2) أبا المنذر...» (3)

## 6. قراءة خواتيم سورة البقرة تكفي العبد

فالأحاديث النبوية أكدت على فضل الآيتين الأخيرتين من سورة البقرة وحثت العبد المؤمن على الاستعانة بهما في دفع كل أذى ودرء كل مكروه قد يصيبه، فقد جاء في الصحيحين عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه أنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه» (4). (5)

## 7. قراءة خواتيم سورة البقرة نور للمؤمن

وفي صحيح مسلم عن ابن عباس رضي الله عنه قال: بينما جبريل عليه السلام قاعد عند النبي صلى الله عليه وسلم سمع نقيضاً من فوقه، فرفع رأسه، فقال: "هذا باب من السماء فتح اليوم لم يفتح قط إلا اليوم، فنزل منه ملك، فقال: هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم، فسلم، وقال: «أبشِرْ بِنُورَيْنِ

(1) شرح صحيح البخاري، ابن بطال، ج10/247.

(2) ليهنك العلم: ليكن العلم هنيئاً لك. انظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، الملا، كتاب/ فضائل القرآن، ج4/1462.

(3) صحيح مسلم، مسلم، كتاب/ صلاة المسافرين وقصرها، باب/ فضل سورة الكهف وآية الكرسي، ج1/556، رقم الحديث 258.

(4) كفتاه أي: عن قيام الليل، وقيل: ما يكون من الآفات تلك الليلة، وقيل: من الشيطان وشربه، وقيل: كفتاه من حزيه إن كان له حزيب من القرآن، وقيل: حسبه بهما أجراً وفضلاً. انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، العيني، ج20/30.

(5) صحيح البخاري، البخاري، كتاب فضائل القرآن/ باب فضل سورة البقرة، ج6/188، رقم الحديث 5009. صحيح مسلم، مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها/ باب فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة والحث على قراءة الآيتين من آخر البقرة، ج1/555، رقم الحديث 256.

أُوتِيَتْهُمَا لَمْ يُؤْتِيَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ: فَاتِحَةُ الْكِتَابِ، وَخَوَاتِيمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا إِلَّا أُعْطِيَتْهُ»<sup>(1)</sup>.

ويعدُّ فهذا فيضٌ من غيضٍ ممَّا ذُكر عن فضل هذه السورة المباركة، وما كانت دعوة رسولنا الكريم ﷺ إلى التمسك بهذه السورة الكريمة إلا لرغبته أن يعمَّ خيرها على عباد الله الصالحين، ولتكون لهم منهاجًا ينير دروبهم لتحقيق الغاية العظمى من خلقهم ألا وهي الاستخلاف الحق في هذه الأرض على الوجه الذي يرضاه ربنا تبارك وتعالى.

### المطلب الثالث

#### بيان محور السورة الأساس

تعدُّ سورة البقرة أنموذجًا بديعًا للبناء المحكم المتقن لآيات القرآن الكريم والتي انتظمت آياتها نظمًا رصيفًا محكمًا لا يقع فيه نقص ولا خلل، وقد أبدع الأستاذ سيد قطب في وصفه لسورة البقرة قائلاً: "سورة البقرة يعيش معها القلب كما لو كان يعيش مع روح حيٍّ مميز الملامح والسمات والأنفاس! ولها موضوع رئيسي أو عدة موضوعات رئيسية مشدودة إلى محور خاص، ولها جوٌّ خاص يظلل موضوعاتها كلها ويجعل سياقها يتناول هذه الموضوعات من جوانب معينة، تحقق التناسق بينها وفق هذا الجو، ولها إيقاع موسيقي خاص إذا تغير في ثنايا السياق وإنما يتغير لمناسبة موضوعية خاصة، وهذا طابع عام في سور القرآن جميعًا."<sup>(2)</sup>

وأشار الإمام الفراهي إلى عمود السورة القرآنية قائلاً: "وأما العمود فلا يكون لسورة إلا واحد، وهذا الواحد ربما يحتوي على أشياء كثيرة، وليس العمود ما هو أعظم المقاصد حقيقة، بل هو الشيء الجامع الذي به رباط السورة بأسرها، ولكنه أهم الأمور بيانًا في سورة ذكر فيها."<sup>(3)</sup>

ولأنَّ سورة البقرة هي سنام القرآن، كان للعلماء فيها صولات وجولات، فما زالوا إلى يومنا الحالي يعكفون على استنباط محورها الرئيس، حيث تفاوتت الآراء في تحديد محورها واستشهد كلٌّ منهم على صحة رأيه.

(1) صحيح مسلم، مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها/ باب فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة والحث على

قراءة الآيتين من آخر البقرة، ج1/554، رقم الحديث 254.

(2) في ظلال القرآن، قطب، ج1/27.

(3) نظام القرآن وتأويل القرآن بالقرآن، الفراهي، ص42-43.

وقد تتبعت الباحثة آراء العلماء في تحديد محور السورة الرئيس، وكانت هذه الآراء على النحو الآتي:

### الرأي الأول: الإيمان بالغيب وكل ما يتعلّق به من بعث وإحياء وإماتة

وممن مال إلى هذا القول الإمام البقاعي حيث قال: "والمقصود من هذه السورة (سورة البقرة): إقامة الدليل على أن الكتاب هدىً لِيُتَّبَعَ في كل حال، وأعظم ما يهدي إليه الإيمان بالغيب، ومجمعه: الإيمان بالآخرة، ومداره: الإيمان بالبعث، الذي أعربت عنه قصة البقرة، التي مدارها الإيمان بالغيب، فلذلك سُمّيت بها السورة."<sup>(1)</sup>

### الرأي الثاني: تقرير شريعة الإسلام والدفاع عنها

وممن قال بذلك الطاهر بن عاشور حيث قال: "ومعظم أغراضها (سورة البقرة) ينقسم إلى قسمين: قسم يثبت سموّ هذا الدين على ما سبقه وعلوّ هديه وأصول تطهيره النفوس، وقسم يبيّن شرائع هذا الدين لأتباعه وإصلاح مجتمعاتهم."<sup>(2)</sup>

### الرأي الثالث: الدعوة إلى الإسلام دعوة عامّة وخاصّة

وهذا المحور هو ما أشار إليه الإمام محمد رشيد رضا في تفسيره حيث اعتبر خلاصة سورة البقرة وما فيها من دعوة الإسلام وأحكامه وقواعده، دعوة الإسلام العامة ابتداءً فقد بدأ الله ﷻ سورة البقرة بدعوة القرآن، وكونه حقاً لا مجال فيه لشك ولا ارتياب، المتقون والكافرون والمنافقون... ثم خصّ بني إسرائيل بالدعوة، تاليًا عليهم ما لم يكن يعلمه محمد ﷺ لولا وحيه تعالى له، فذكّرهم بنعمه، وأمرهم أن يؤمنوا بما أنزله على خاتم رسله، ونهاهم أن يكون المعاصرون له منهم أول كافر به، وحاجهم في الدين بتذكيرهم بأيام الله، وبأهم الوقائع التي كانت لسلفهم مع كليمة، من كفر وإيمان، وطاعة وعصيان.<sup>(3)</sup>

### الرأي الرابع: الهداية

وتبنّى هذا القول الإمام المودودي حيث اعتبر أنّ المحور الرئيس لسورة البقرة "أنها دعوة لقبول الهداية الإلهية، وكل القصص والحوادث التي وردت بها تدور حول هذه الفكرة المركزية، وفيها ذكر اليهود على وجه الخصوص بحوادث تاريخية متعددة مستوحاة من سيرتهم الخاصة كي يذكّرهم الله وينصحهم بأنّ صلاحهم وخيرهم يكمن في قبول هذه الهداية المنزلة

(1) مساعد النظر للإشراف على مقاصد السور، البقاعي، ج9/2.

(2) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج203/1.

(3) انظر: تفسير المنار، رضا، ج88/1-89.

على النبي ﷺ، ولذا فعليهم أن يكونوا أول من يؤمن بها لأنها -في أصلها وأساسها- هي نفس الهداية التي أنزلت على نبيهم موسى ﷺ. (1)

### الرأي الخامس: محاجة بني إسرائيل وإعداد الجماعة المسلمة

وكان الأستاذ سيد قطب ممّن أيد هذا القول حيث قال أنّ "هذه السورة تضمّ عدة موضوعات، ولكنّ المحور الذي يجمعها كلها محور واحد مزدوج يتربط الخطان الرئيسان فيه ترابطاً شديداً، فهي من ناحية تدور حول موقف بني إسرائيل من الدعوة الإسلامية في المدينة، واستقبالهم لها، ومواجهتهم لرسولها ﷺ وللجماعة المسلمة الناشئة على أساسها، وسائر ما يتعلق بهذا الموقف بما فيه تلك العلاقة القوية بين اليهود والمنافقين من جهة، وبين اليهود والمشرّكين من جهة أخرى، وهي من الناحية الأخرى تدور حول موقف الجماعة المسلمة في أول نشأتها، وإعدادها لحمل أمانة الدعوة والخلافة في الأرض، بعد أن تعلن السورة نكول بني إسرائيل عن حملها، ونقضهم لعهد الله بخصوصها، وتجريدهم من شرف الانتساب الحقيقي لإبراهيم ﷺ صاحب الحنيفية الأولى، وتبصير الجماعة المسلمة وتحذيرها من العثرات التي سببت تجريد بني إسرائيل من هذا الشرف العظيم." (2)

### الرأي السادس: تقرير قواعد التقوى

وقد أشار الإمام الشاطبي لهذا المحور قائلاً: "ثمّ لما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة كان من أول ما نزل عليه سورة البقرة، وهي التي قررت قواعد التقوى المبنية على قواعد سورة الأنعام؛ فإنها بيّنت من أقسام أفعال المكلفين جملتها، وإن تبين في غيرها تفاصيل لها كالعبادات التي هي قواعد الإسلام، والعادات من أصل المأكل والمشروب وغيرهما، والمعاملات من البيوع والأنكحة وما دار بها، والجنايات من أحكام الدماء وما يليها." (3)

### الرأي السابع: الاستخلاف في الأرض

"ويكاد يتفق جمهور المعاصرين على أنّ محور السورة الكريمة يدور حول الخلافة في الأرض ومقوماتها وأهلها، وهذا يتفق مع مضمون السورة إلى حد كبير، ولذلك توأماً عليه بعض القدامى وجمهور المعاصرين." (4)

(1) تفهيم القرآن، المودودي، ج 1/43.

(2) في ظلال القرآن، قطب، ج 1/29.

(3) الموافقات، الشاطبي، ج 4/257.

(4) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، مسلم وآخرون، ص 27-28.

وأيد هذا القول الإمام البقاعي في تفسيره لخاتمة السورة حيث قال: "إن بداية هذه السورة هداية وخاتمتها خلافة، فاستوفت تبين أمر النبوة إلى حدّ ظهور الخلافة فكانت سناماً للقرآن." (1)

فإن تأملت في السورة الكريمة تجد أنها افتتحت بإثبات أن القرآن الكريم كتاب هداية وارشاد مع بيان موقف الناس منه على اختلاف أصنافهم، ثم جاءت الدعوة العامة لتحقيق العبودية في الأرض في قوله ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (21)﴾، ثم أتى بقصة الاستخلاف الأولى المتمثلة في قصة آدم عليه السلام وصراعه مع إبليس -لعنه الله- فقال ﷺ: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً (30)﴾، ثم انتقل للحديث مطولاً عن بني إسرائيل وتخلّفهم عن الاستجابة لأمر الله ﷻ بأن يكونوا خلفاء في الأرض فقال ﷺ: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُون (40)﴾، فالله ﷻ يأمر بني إسرائيل بالدخول في الإسلام، ومتابعة محمد ﷺ، مهيباً لهم بذكر أبيهم (إسرائيل) وهو نبي الله يعقوب عليه السلام، وتقديره: يا بني العبد الصالح المطيع لله كونوا مثل أبيكم في متابعة الحق (2)، أي: كونوا خلفاء للدين كما كان أبوكم، لكنهم تخلّفوا، فذكر كثيراً من مثالبهم ومعاصيهم التي لم تهيئهم لتحقيق الخلافة على الأرض، ثم عرض الله ﷻ تجربة الاستخلاف الناجحة المبهرة التي تمثّلت في قصة إبراهيم وإسماعيل -عليهما السلام- في قوله: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا (124)﴾، وكيف أنه حقّق معنى الاستخلاف في الأرض وما لازمه من معاني العبودية والطاعة المطلقة والتقوى التي عبّر عنها الله ﷻ في قوله: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (131)﴾، ثم انتقل بعدها للحديث عن الجماعة المسلمة ليخاطبهم بموجبات الخلافة، وبيّن لهم منهاجهم ودستورهم في ميادين الحياة ليكونوا خلفاء بحق، ثم ختم السورة الكريمة بتفويض تام من حاملي راية الخلافة لربهم وإعلانهم التسليم التام لأمره ﷻ: ﴿... وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِير (285)﴾، فواسى الله ﷻ نفوسهم وداوى قلوبهم بقوله: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ (286)﴾، أن يا عبادي أنتم خلفائي في الأرض ما استطعتم إلى ذلك سبيلاً.

(1) نظم الدرر في تناسب الآيات والصور، البقاعي، ج4/187.

(2) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج1/241.

وهذا المحور يتناسب مع زمن نزول السورة، فهي أول سورة نزلت في المدينة أي بعد الهجرة مباشرة، بعد أن انتقل المسلمون من الاستضعاف والحصار في مكة إلى المدينة حيث أصبح لديهم آنذاك أرضٌ ودولة، فكان ولا بدّ من أن يُخاطبوا لوراثة الاستخلاف الإلهي لهم.<sup>(1)</sup>

وهذا الرأي هو ما تؤيده الباحثة وترجّحه لاعتبارين:

**الأول:** اتفاق جميع المعاصرين وبعض القدامى من المفسرين على أنّ محور السورة هو موضوع "الاستخلاف في الأرض".

**الثاني:** إنّ المتتبع لآيات سورة البقرة من بدايتها إلى نهايتها يلاحظ أنّ الآيات كلها تدور بين الأمر بالاستخلاف في الأرض والحديث عن صنفين من الناس، صنفٌ مستجيب لهذا الاستخلاف وملتزمٌ بمتطلباته ومقتضياته، وصنفٌ رافض للاستجابة لأوامر الله ونواهيه بحيث لا يستحق أن يكون خليفة الله في أرضه.

## المطلب الرابع

### مناسبات سورة البقرة

علم المناسبات علمٌ من علوم القرآن الكريم حيث يُستعان به للوقوف على أوجه التناسب الخارجية للسورة مع ما سبقها وما تلاها من السور، وتناسب موضوعاتها مع ترتيبها في المصحف، ومع الجوّ الزماني والمكاني لنزول السورة، وكذلك إبراز أوجه التناسب الداخلية للسورة ما بين مطلعها وخاتمتها من جهة، وما بين موضوعاتها وخاتمتها من جهة أخرى، وما بين اسم السورة ومحورها الرئيس، وستقوم الباحثة بتلمّس أوجه التناسب هذه لإبراز مكنونات هذه السورة الكريمة.

### أولاً: أوجه التناسب الخارجية للسورة

#### • التناسب بين سورتي البقرة والفاحة

هناك مناسبة واضحة بين سورتي البقرة والفاحة، فكلتاها نالتا شرف الاستهلال الرباني بهما في محكم تنزيله، وهذا الاستهلال القرآني بهما حتمًا له غايات عظيمة عكف المتأملون على استنباطها.

(1) انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، مسلم وآخرون، ص28.

يقول الإمام ابن عثيمين: "وهذه السورة (الفاتحة) قال العلماء: إنها تشتمل على مجمل معاني القرآن في التوحيد، والأحكام، والجزاء، وطرق بني آدم، وغير ذلك؛ ولذلك سميت أمّ القرآن"<sup>(1)</sup>، وسورة البقرة جاءت مفصلة لهذا المجمل، فتحدّثت عن معاني التوحيد، وفصلت في الأحكام الشرعية، وأمور الثواب والعقاب، والجنة والنار، وكذلك الكثير من القصص عن الأمم السابقة، لبيان طرق بني آدم واستجاباتهم للهدايات الربانية، لذلك جاءت سورة البقرة تالية للفاتحة تفصيلاً بعد إجمال، وإسهاباً بعد إيجاز، واستجابةً بعد تضرّع ودعاء!

ويقول الإمام الألوسي: "وجه مناسبتها (البقرة) لسورة الفاتحة أن الفاتحة مشتملة على بيان الربوبية أولاً والعبودية ثانياً وطلب الهداية في المقاصد الدينية والمطالب اليقينية ثالثاً، وكذا سورة البقرة مشتملة على بيان معرفة الربّ أولاً كما في قوله ﷻ: ﴿..يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ..﴾ (3) وأمثاله، وعلى العبادات وما يتعلق بها ثانياً، وعلى طلب ما يُحتاج إليه في العاجل والآجل آخراً، وأيضاً في آخر الفاتحة طلب الهداية وفي أول البقرة إيماء إلى ذلك بقوله ﷻ: ﴿..هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (2)﴾."<sup>(2)</sup>

ومن عجيب هذا التناسب أنه عندما استهلّ ربّ العزة أمّ الكتاب بالحمد في قوله ﷻ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: 2]، جاءت سورة البقرة وفيها بيان تشريعات الدستور القرآني والدعوة الربانية للبشر أجمعين للاستخلاف في الأرض حيث قال الحق ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (21)﴾، وكأنها إشارة إلى أن الاستخلاف الذي يرتضيه المولى ﷻ لا يتأتى إلا بالحمد، نعم بالحمد على كونه رباً للعالمين، رباً رحيمًا، مالكاً لأمر الدنيا والآخرة.

ولما سأل عباد الله المخلصون ربّهم الهداية ملحين في كل ركعة من صلاة قائلين: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: 6] جاءت الإجابة عاجلة في مطلع السورة التي تليها، فقال لهم ربهم ﷻ: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (2)﴾، أي الزموا يا عبادي كتابي، فهو منبع الهداية ومعينها.

وعندما تضرّعوا إليه أن يهديهم طريق الصالحين، وأن يجنبهم طريق الغاوين حين قالوا: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: 7]، بين لهم المولى ﷻ طرق الهداية والغواية في سورة البقرة، فقسّم أصناف البشر إلى ثلاثة أقسام: المتقين والكفار

(1) تفسير العثيمين الفاتحة والبقرة، ابن عثيمين، ج 3/1.

(2) روح المعاني، الألوسي، ج 101/1.

والمنافقين، وأرشدهم إلى الصفات التي تؤهلهم لأن يكونوا من حزب الهداة المتقين، وحذّهم من الصفات التي بموجبها منع الله ﷻ عن الكفار والمنافقين هدايته ومرضاته، وكأنه يقول لهم يا عبادي: عرفتم فالزموا!

وهل هناك تناسب أعمق وأبلغ من هذا؟؟؟! تبارك الله ربّ العالمين.<sup>(1)</sup>

### • التناسب بين سورتي البقرة وآل عمران

سورة آل عمران هي ثالث السور القرآنية ترتيباً في المصحف العثماني، جاءت بعد فاتحة الكتاب وسورة البقرة، أما علاقتها بسورة البقرة فليس أدلّ عليها من وصف النبي ﷺ لهما بالزهراوين في عديد من الأحاديث النبوية التي ذكرناها آنفاً، بل وحثّ على تعلّمهما والعمل بهما، وأشار إلى عظم شأنهما.

والزهراوان بينهما كثير من نقاط التناسب<sup>(2)</sup>، سنتذكر الباحثة بعضها على سبيل المثال

لا الحصر:

#### 1. التناسب في موضعهما من المصحف العثماني

كلتاها من الطوال ومن أوائل السور ترتيباً في المصحف العثماني.

#### 2. التناسب بين فاتحتي السورتين

السورتان متناسبتان في فاتحتيهما، حيث افتتحت كلتاها بقوله ﷻ: ﴿الم (1)﴾ كما بدأت كل واحدة منهما بالتتويه بشأن القرآن والإشادة بذكره، ثم ما أنزل إلى الرسول ﷺ وما أنزل من قبله، حيث قال ﷻ في سورة البقرة: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (2)﴾، وقال ﷻ في سورة آل عمران: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ \* نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ [آل عمران: 2، 3] وهذا التناسب في المطلع يدلّ على التشابه فيما وراءه من المعاني والموضوعات؛ فالموضوع في كلتا السورتين متقارب، حيث إنّ الأولى دعوة إلى الإيمان بالقرآن والتمسك به، كما أنّ الثانية دعوة إلى اتباع الرسول ﷺ والمشاركة إلى أوامره وما جاء به من عند ربه ﷻ.<sup>(3)</sup>

(1) انظر: نظم الدرر، البقاعي، 77/1. البرهان في تناسب سور القرآن، الغرناطي، 190-191 بتصرف.

(2) للاطلاع بتوسّع على أوجه التناسب هذه انظر: التناسب في سورة البقرة، حميدة، ج 5/11-20.

(3) انظر: البرهان في نظام القرآن، سبحاني، ص 592.

### 3. التناسب بين خاتمة سورة البقرة و فاتحة آل عمران

التناسب بين خاتمة سورة البقرة و فاتحة آل عمران له صور عديدة تذكر الباحثة منها:

أ- ختم الله ﷻ سنام القرآن بالثناء على نبيه الكريم ﷺ في قوله ﷻ: ﴿أَمَّنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ..(285)﴾، وابتدأ توأمها (آل عمران) بالثناء على نبيه الكريم ﷺ أيضاً فقال: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا...﴾ [آل عمران: 3].

ب- أثنى الله ﷻ على عباده المؤمنين في خاتمة سورة البقرة حين قال: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ..(285)﴾، ووبَّخ الكافرين وحرَّهم من عذابه الشديد في فاتحة آل عمران فقال: ﴿..إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ [آل عمران: 4].

ت- اشترط الله ﷻ للإيمان الحق أن يكون إيماناً بالكتب والرسالات السماوية، وذلك في قوله ﷻ: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ..(285)﴾، وقد وافق ذلك بالتأكيد على أن هذه الكتب السماوية هي من عند الله وحده، وقد جاءت مصدقة بالحق مثلنسة به، فقال الله ﷻ في فاتحة آل عمران: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ \* مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْقُرْآنَ..﴾ [آل عمران: 3، 4].

ث- ختم الله ﷻ سورة البقرة بالدعاء الصادق الرقيق، الذي جسّد كل معاني العبودية الخالصة لله ﷻ وقنوت الصالحين من عباده، فقال على لسانهم: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا..(286)﴾، في حين أتت توأمتها وشقها الثاني (آل عمران) في فاتحتها بدعاء ورجاء من عباد الله الصالحين وهم (الراسخون في العلم) فقالوا: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ \* رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ [آل عمران: 8-9] فكان هذا الدعاء خاتمة أولى الزهراويين، ومستهل ثانيهما، ففتجلى الرسالة وتنتضح الدلالة أن الدعاء والرجاء هما وقود الجماعة المسلمة المستخلفة في هذه الأرض.

ج- لما ذكر الله ﷻ في آخر سورة البقرة دعاء المؤمنين بالنصر على الكافرين حين قال: ﴿..أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ(286)﴾ ناسب أن يذكر في سورة آل عمران نصره ﷻ لهم على الكافرين فقال ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ

عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿آل عمران: 4﴾ حيث ناظرهم رسول الله ﷺ، وردّ عليهم بالبراهين الساطعة، والحجج القاطعة، فقّص الله ﷻ أحوالهم، وردّ عليهم في اعتقادهم، وذكر تنزيهه ﷺ عمّا يقولون، وبداءة خلق مريم وابنها المسيح ﷺ إلى آخر ما ردّ عليهم في أمر عيسى ﷺ، حيث قال الحق ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ \* هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ آل عمران: 5-6. (1)

#### 4. التناسب بين موضوعيّ السورتين من حيث الإجمال والتفصيل

تحدّث الإمام السيوطي عن سرّ الترابط بين الزهراوين قائلاً: "وسورة البقرة تضمّنت قواعد الدين، وآل عمران مكتملة لمقصودها، فسورة البقرة بمنزلة إقامة الدليل على الحكم، وآل عمران بمنزلة الجواب عن شبهات الخصوم؛ ولهذا ورد فيها كثير من المتشابه لما تمسك به النصارى، فأوجب الحجّ في آل عمران، وأمّا في البقرة فنذكر أنه مشروع وأمر بإتمامه بعد الشروع فيه، وكان خطاب النصارى في آل عمران، كما أن خطاب اليهود في البقرة أكثر؛ لأنّ التوراة أصل، والإنجيل فرع لها، والنبي ﷺ لما هاجر إلى المدينة دعا اليهود وجاهدهم، وكان جهاده للنصارى في آخر الأمر." (2)

وأشار الإمام البقاعي - رحمه الله - إلى أنّ مقصود سورة آل عمران هو التوحيد، فلما ثبت في سورة البقرة أنّ الكتاب فيه هدى في قوله ﷻ: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (2)﴾، وقامت به دعائم الإسلام الخمس، جاءت سورة آل عمران لإثبات أمر الدعوة الجامعة التي جاءت في سورة البقرة في قوله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (21)﴾، فأثبت الحق ﷻ في سورة آل عمران الوحدانية له سبحانه بإبطال إلهية غيره وذلك بإثبات أن عيسى ﷺ - الذي كان يُحيي الموتى - عبده، فغيره بطريق الأولى عبدٌ له، وعلم أنّ الذي أقدره على إحياء الموتى، تارة بالنفخ، وتارة بغيره، في قوله ﷻ: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ ..﴾ [آل عمران: 49]، هو الذي أقدر أحد بني إسرائيل - على عهد موسى ﷺ - على إحياء ذلك القتيل، بضربه ببعض تلك البقرة، التي أمرهم موسى ﷺ بذبحها في قوله سبحانه وتعالى في

(1) انظر: البحر المحيط، أبو حيان، ج9/3.

(2) أسرار ترتيب القرآن، السيوطي، ص53.

سورة البقرة ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (73).<sup>(1)</sup>

## 5. التناسب بين خاتمتي السورتين

كما تشابهت الزهراوان في فاتحتيهما تشابهتا في خاتمتيهما كذلك، كيف لا وهما النيرتان اللتان خرجتا من مشكاة واحدة، فخاتمة سورة البقرة مدح وثناء على الصحابة الكرام حيث قال ﷺ: ﴿أَمَّنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ... (285)﴾، وخاتمة سورة آل عمران: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِ وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ [آل عمران: 195]، والخاتمتان تشتملان على أدعية ضارعة من المؤمنين واستجابة عجيبة سريعة من الله ﷻ.<sup>(2)</sup>

فالدعاء في الأولى يناسب بدء الدين لأن معظمه يتعلّق بالتكليف وطلب النصر على جاحدي الدعوة ومحاربي أهلها، وفي الثانية يناسب ما بعد ذلك لأنه يتضمن الكلام في قبول الدعوة وطلب الجزاء عليه في الآخرة، وكذلك فإن خاتمة البقرة فيها سؤال المؤمنين الله ﷻ النصر على الكافرين حيث قالوا: ﴿.. أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (286)﴾، فجاءت خاتمة آل عمران تبين سبيل النصر والفلاح بالصبر والمصابرة والمرابطة وتقوى الله ﷻ وذلك في قوله: ﷻ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: 200].<sup>(3)</sup>

وبعد.. فهذا قبسٌ من نور هاتين الزهراوين، حاولتُ فيه أن ألقى الضوء على بعض المناسبات بينهما ممّا لا حصر له، فالمتمأمل فيهما يجذبه التلاحم والتناغم الواضح بين السورتين الكريمتين، ولا يملك حينها إلا أن يسبح بحمد الله!

(1) انظر: مساعد النظر، البقاعي، ج2/67.

(2) انظر: البرهان في نظام القرآن، سبحاني، ص593.

(3) انظر: التناسب في سورة البقرة، حميدة، 14/5.

## • تناسب ترتيب السورة في المصحف العثماني مع مقصد السورة الرئيس

سورة البقرة أطول السور القرآنية، وأوّل الطوال، وأوّل ما نزل في المدينة بعد الهجرة، إلا أنها تميّزت بكونها ثاني السور ترتيباً في المصحف العثماني، وما كان ذلك لها إلا لاعتبارات جليّة ذكرها الإمام السيوطي بقوله: "و"القاعدة التي استقرّ بها القرآن: أنّ كل سورة تفصيل لإجمال ما قبلها، وشرح له، وإطّاب لإيجازه، وقد استقرّ معي ذلك في غالب سور القرآن طويلها وقصيرها، وسورة البقرة قد اشتملت على تفصيل جميع مجملات الفاتحة."<sup>(1)</sup>

ولمّا كان مقصد سورة البقرة إعداد الأمة لعمرارة الأرض والقيام بدين الله، جاءت في مقدّمة السور، وفيها أصول الإيمان وكليات الشريعة وأحكام الدين واستفاضت في الحديث عن شؤون الدولة الخارجية، وأرست معالم الأسرة المسلمة وما إلى ذلك من الموضوعات التي ناسب المقصد الرئيس للسورة وهو الاستخلاف في الأرض، فكأن الله ﷻ يقول لعباده أنتم مسئولون عن هذه الأرض وهذا دستورك ومنهاجكم.

## • تناسب موضوع السورة مع الجو الزماني والمكاني لنزولها

أمّا الجو الزماني للسورة فسورة البقرة مدنية باتفاق، أي أنها نزلت بعد الهجرة النبوية، ولا يخفى علينا ما تميّز به القرآن المدني عن المكي، "وغالب السور المدنية يكون فيها تفصيل أكثر من السور المكية؛ ويكون التفصيل فيها في فروع الإسلام دون أصوله؛ وتكون غالباً أقلّ شدة في الزجر، والوعظ، والوعيد؛ لأنها تخاطب قومًا كانوا مؤمنين موحدّين قائمين بأصول الدين، ولم يبق إلا أن تُبيّن لهم فروع الدين ليعملوا بها؛ وتكون غالباً أطول آيات من السور المكية"<sup>(2)</sup>، أي أن "الفارق بين المكي والمدني موضوعي لا مكاني، إذ إنّ الموضوعات التي تتصدّى لها السور والآيات المكية مختلفة تماماً عن موضوعات السور المدنية."<sup>(3)</sup>

وأمّا الجو المكاني "فلمّا هاجر النبي ﷺ إلى المدينة، أظهر له أحبار اليهود فيها العداوة بغياً وحسداً، ومال إليهم المنافقون من الأوس والخزرج، فكان أولئك الأحبار يسألونه ويتعنّونه ويأتونه باللّبس ليلبسوا الحق بالباطل، فنزلت سورة البقرة في أولئك الأحبار وفي ما يسألون عنه، وفي أولئك المنافقين الذين مالوا إليهم، وفي ما نزل من أحكام العبادات والمعاملات بعد استقرار الإسلام بالمدينة، وبعد أن صار بها للمسلمين جماعة تحتاج إلى هذه الأحكام في أمر دينها

(1) تناسق الدرر في تناسب السور، السيوطي، ص65.

(2) تفسير العثيمين الفاتحة والبقرة، ابن عثيمين، ج1/21.

(3) زهرة التفاسير، أبو زهرة، ج1/75-76.

ودنياها، فيكون الغرض المقصود من هذه السورة الرد على أولئك الأخبار ومن مال إليهم من المنافقين، وبيان فساد ما شغبوا به في أمر القرآن، وفي أمر النبي ﷺ، وقد جرّ هذا إلى ذكر كثير من أمورهم، بعضها جرى مجرى الترغيب، وبعضها مجرى التهيب، ثم تخلص من هذا إلى بيان ما نزل على المسلمين في هذا العهد من الأحكام اللازمة لهم في عباداتهم ومعاملاتهم.<sup>(1)</sup>

كل هذه المعايير بدت واضحة في هذه السورة الكريمة، في أسلوب القرآن وفي لغة الخطاب وفي نوع التوجيهات وفي صيغة الأوامر والنواهي على حد سواء.

### ثانياً: أوجه التناسب الداخلية للسورة

#### • التناسب بين مطلع السورة وخاتمتها

يقول الشيخ محمد دراز في وصفه للتناسب البديع بين مطلع سورة البقرة وخواتيمها: " نعد بذاكرتنا إلى الآيات الخمس التي افتتحت بها سورة البقرة؛ لنرى كيف تتجاوب تلك المقدمة مع هذه الخاتمة؛ ثم كيف يتعانق الطرفان هكذا ليلتحم من قوسيهما سورٌ محكم يحيط بهذه السورة، فإذا هي سورة حقاً، أي بنية محبوكة مسورة.

ألم يكن مطلع السورة وعداً كريماً لمن سيؤمن بها ويطيع أمرها بأنهم أهل الهدى وأهل الفلاح؟ ألسنا نترقب الآن صدى هذا الوعد؟ بلى؛ إننا ننتظر الآن أن تحدثنا السورة: هل آمن بها أحد، وهل اتبع هداها أحد، ثم ننتظر منها إن كان ذلك قد وقع، أن تحدثنا عن جزاء من استمع واتبع، وهكذا سيكون مقطع السورة:

1. بلاغاً عن نجاح دعوتها: ﴿أَمَّنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ ... وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (285)﴾.

2. وفاءً بوعدها لكلّ نفس بذلت وسعها في اتباعها: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ.. (286)﴾.

3. فتحاً لباب الأمل على مصراعيه أمام هؤلاء المهتدين فليسطوا إذا أكفهم مبتهلين: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا

(1) الموسوعة القرآنية خصائص السور، شرف الدين، ج 51/1-52.

وَأَغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (286) ﴿١﴾

• التناسب بين اسم السورة ومحورها الرئيس

من الطبيعي أن يخطر بالبال عند تلاوة آيات سورة البقرة لم سُميت بهذا الاسم بالذات؟! رغم تنوع القصص القرآنية المذكورة في هذه السورة!

وقد أجاب الشيخ أبو زهرة على هذا التساؤل فقال: "وسُميت البقرة لأظهر الحوادث التي ذكرتها، وأغربها، وهي بقرة بني إسرائيل التي لجّوا في السؤال عنها، وما تدلّ على أخلاقهم من اللجاجة في القول، وإرادة التلبيس في الأمر الواضح البين، فقد كانوا كلما زادت لجاجتهم زاد الأمر تعقيداً عليهم، وتلبيساً على أنفسهم." (2)

إن قصة البقرة قد جسّدت الأخطاء الأساسية الكبرى لبني إسرائيل، فسُميت السورة باسمها لتبيان فشلهم في امتحان مسؤوليتهم عن الأرض، ولكي يتذكّر المسلم المسؤول عن الأرض هذه الأخطاء ويتجنبها فالسعيد من وعظ بغيره!

إن الله ﷻ خلال مسيرة البشرية قد استخلف أمماً كثيرة على الأرض، فمنهم من نجح ومنهم من فشل وقد حان الدور في نهاية المطاف على هذه الأمة، والله ﷻ لا يُحابي أحداً حتى ولو كانت أمة محمد ﷺ، فلو فشلت في المسؤولية فإنها سُنستبدل كما استُبدل بنو إسرائيل من قبلها.

وبعد هذا العرض لبعض أوجه التناسب الخارجية والداخلية لسورة البقرة لا بدّ من الإشارة إلى أن أوجه التناسب فيها كثيرة لا يتسع المجال لحصرها، وإنما أشارت الباحثة لأوجه التناسب الرئيسية وستحاول خلال بحثها تسليط الضوء على بعض المناسبات الأخرى ما أمكن ذلك.

(1) النبا العظيم، دراز، ص283.

(2) زهرة التفاسير، أبو زهرة، ج1/75-76.

## الفصل الأول

بين يدي الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية

## المبحث الأول

### تعريف الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية ونشأتها وجهود العلماء في بيانها

الوحدة الموضوعية مصطلح حديث ظهر في زمننا المعاصر، وانتشر كعلم من علوم القرآن، وستعرض الباحثة في هذا المبحث لمفهوم الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، مع تتبع أطوار نشأتها وإبراز جهود العلماء القدامى والمعاصرين في بيانها.

## المطلب الأول

### تعريف الوحدة الموضوعية لغةً واصطلاحاً

#### أولاً: تعريف "الوحدة" لغةً واصطلاحاً

##### • الوحدة لغةً

لفظة الوحدة في لغة العرب عدة معاني، منها:

- ذكر ابن فارس<sup>(1)</sup> أن المادة اللغوية للوحدة هي الواو والحاء والـدال: وهي أصل واحد يدل على الانفراد، ومن ذلك الوَحْدَةُ، وهو واحد قبيلته، إذا لم يكن فيهم مثله، والواحد: المنفرد.<sup>(2)</sup>
  - وفي مختار الصحاح (الْوَحْدَةُ) الانفراد، تقول: رأيتُه (وَحْدَهُ)، و(وَحَدَّ) (وَوَجَدَ) بفتح الحاء وكسرها، و(وحيد) أي منفرد، (وتوَحَّد) برأيه تفرَّد به<sup>(3)</sup>، "وكل شيء على حدة أي متميز عن غيره."<sup>(4)</sup>
  - وفي المعجم الوسيط معنى آخر للوحدة هو (اتَّحَدَ) أي: انفرد والشيطان أو الأشياء صارت شيئاً واحداً.<sup>(5)</sup>
- فمن خلال ما سبق تبين للباحثة أنّ المعاني اللغوية للوحدة تدور حول معنيين اثنين هما: الانفراد والاتحاد.

---

(1) أحمد بن فارس زكريا القزويني الرازي، من أئمة اللغة والأدب ومن شيوخ البديع الهمداني والصاحب ابن عباد، أصله من قزوين إليها يُنسب، وله تأليف كثيرة منها كتاب المجمل المشهور في فقه اللغة، توفي سنة 395 هـ. تراجم موجزة للأعلام، موقع وزارة الأوقاف المصرية، ج1/433.

(2) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، ج6/90-91.

(3) انظر: مختار الصحاح، الرازي، ج1/334.

(4) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الفيومي، ج2/650.

(5) انظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ج2/1016.

## • الوحدة اصطلاحًا

عرّف الأصفهاني<sup>(1)</sup> الوحدة بأنها بمعنى الانفراد، والواحد في الحقيقة هو الشيء الذي لا جزء له البتّة، ثمّ يطلق على كلّ موجود... وإذا وصف الله ﷻ بالواحد فمعناه: هو الذي لا يصحّ عليه التجزّي ولا التكرّر، ولصعوبة هذه الوحدة قال ﷻ: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ [الزمر: 45]<sup>(2)</sup>، ومنه قوله ﷻ: ﴿وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ [النساء: 171]، وقوله ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: 19].

وعرّفها الدكتور محمد حجازي قائلاً: "فأما الوحدة فقد فسّرت في المعاجم بالانفراد، وتُستعمل الآن في معنى الاتحاد أو صيرورة الاثنين فما فوقها واحداً، فيقال وحدة الدولتين، ووحدة قوانين التجارة، وكأن هذا المعنى نشأ بالتوسع والتجوز في المعنى الأول، فمن شأن المنفرد الضبط وعدم الانتشار، ومن شأن التعدد التشتت فاستعملت الوحدة التي في أصلها الانفراد في الإجماع الذي فيه الضبط والالتزام."<sup>(3)</sup>

من خلال ما سبق تبين للباحثة أن معنى الوحدة اصطلاحًا ينحصر في معنيين، وهما: الانفراد والاتحاد، وأنّ العلاقة بين المعاني اللغوية والاصطلاحية علاقة تطابق وتماتل.

## ثانياً: تعريف "الموضوعية" لغةً واصطلاحاً

### • الموضوع لغةً

ذكر ابن منظور<sup>(4)</sup> أنّ المادة اللغوية للموضوع هي (وضع)، والوضع: ضد الرفع، وضعه يضعه وضعاً وموضوعاً، والموضوع ما أضمره ولم يتكلّم به.<sup>(5)</sup>

(1) الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم الأصفهاني (أو الأصبهاني) المعروف بالراغب: أديب، من الحكماء العلماء، من أهل (أصبهان) سكن بغداد، واشتهر، حتى كان يُقرن بالإمام الغزالي، له كتب عديدة منها: محاضرات الأدباء وجامع التفاسير وغيرها، أخذ عنه البيضاوي في تفسيره، توفي سنة 502 هـ - 1108م. انظر: الأعلام، الزركلي، ج2/255.

(2) انظر: المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، ج1/857.

(3) الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، حجازي، ص32.

(4) محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفي الإفريقي، صاحب (لسان العرب)، الإمام اللغوي الحجة، من نسل رويغ بن ثابت الأنصاري. ولد بمصر، وقيل: في طرابلس الغرب، تُوفي بمصر عام 711 هـ - 1311 م، وقد ترك بخطه نحو خمسمائة مجلد، وعمي في آخر عمره. انظر: الأعلام، الزركلي، ج7/108.

(5) انظر: لسان العرب، ابن منظور، ج8/396.

ويقول ابن فارس: (وضع) الواو والضاد والعين: أصل واحد يدل على الخفض للشيء وحطّه. (1)  
ويضيف الأصفهاني أنّ الوضع أعم من الحطّ، ومنه: الموضع. ومنه قوله ﷺ:  
﴿يُخَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ [النساء: 46]، ويقال ذلك في الحمل ومنه قوله ﷺ: ﴿وَأَكْوَابُ  
مَوْضُوعَةٌ﴾ [الغاشية: 14]، وقد يكون الوضْعُ عبارة عن الإيجاد والخلق ومنه قوله ﷺ: ﴿وَالْأَرْضُ  
وَصَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾ [الرحمن: 10]، وقوله ﷺ: ﴿فَلَمَّا وَصَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَصَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ  
بِمَا وَصَعَتْ﴾ [آل عمران: 36]، ووَضِعُ البيت: بناؤه، ومنه قوله ﷺ: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾  
[آل عمران: 96]، ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾ [الكهف: 49] أي: إبراز أعمال العباد، وقول الله ﷻ:  
﴿وَلَا وُضِعُوا خِلَالَكُمْ﴾ [التوبة: 47]، أي: حملوكم على الإسراع في السير. (2)

من خلال ما سبق تبين للباحثة أنّ المعاني اللغوية للموضوع تنحصر في: الخفض وهو ضد  
الرفع، وبمعنى الإيجاد والخلق، وإبراز أعمال العباد، وكذلك بمعنى الحمل على الإسراع في السير.

#### • الموضوع اصطلاحاً

عرّف أصحاب المعجم الوسيط "الموضوع" بأنّه هو المادة التي يبنى عليها المتكلم أو الكاتب  
كلامه. (3)

وعرّفه الجرجاني (4) بقوله: "والموضوع هو محل العرض المختص به، وقيل: هو الأمر الموجود  
في الذهن، وموضوع كل علم: ما يبحث فيه عن عوارضه الذاتية، كبذل الإنسان لعلم الطب". (5)  
وعند علماء التفسير الموضوعي الموضوع: "هو القضية التي وردت في القرآن  
الكريم". (6)

(1) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، ج6/117.

(2) انظر: المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، ج1/874.

(3) انظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ج2/1040.

(4) أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، شيخ العربية، أخذ النحو بجرجان عن أبي الحسين محمد  
بن حسن ابن أخت الأستاذ أبي علي الفارسي. وصنّف العديد من الشروح، وكان شافعياً، عالماً، أشعرياً،  
ذا نُسك ودين، وكان آية في النحو. تُوفي: سنة إحدى وسبعين وأربع مائة وقيل: سنة أربع وسبعين -  
رحمه الله - . انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج18/432-433.

(5) معجم التعريفات، الجرجاني، ص199.

(6) تحرير التفسير الموضوعي والوحدة الموضوعية، بازمول، ص52.

وبالنظر فيما سبق من المعاني اللغوية للموضوع سواء كان ذلك بمعنى الحط والخفض، أو بمعنى الإلقاء والتنثيت في المكان، فإنها تتناسب مع المعنى الاصطلاحي للموضوع من جهة الارتباط بموضوع معيّن لا يتم تجاوزه إلى غيره، أي أنّ العلاقة بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي علاقة تقارب وتشابه.

### ثالثاً: تعريف "الوحدة الموضوعية" اصطلاحاً

وأما الوحدة الموضوعية باعتبارها مركباً وصفيّاً فمعناها: "اتحاد الموضوع الذي ذكر متنازلاً وأنه لا تباين فيه أو اختلاف بل يؤلف وحدة موضوعية كاملة، وهو ما يُعرف بوحدة الموضوع." (1) من خلال ما تقدّم من المعاني اللغوية والاصطلاحية لمصطلح "الوحدة الموضوعية" تبين للباحثة أنّ الوحدة الموضوعية هي: اتفاق أجزاء الكلام المختلفة على دلالة معينة أو موضوع معين يجمع معانيها ويؤلف بين موضوعاتها فيضم بعضها إلى بعض لتتفق على هدف واحد يجمع بينها.

### رابعاً: تعريف الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم

تقاربت تعريفات العلماء للوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، سنتذكر منها الباحثة ما يأتي:

1. جاء في مصابيح الدرر أنّ الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم هي "بيان اتحاد سورة من القرآن الكريم في موضوع رئيس ترد إليه سائر الموضوعات الجزئية التي قد تناولها - لا سيّما إذا كانت من الطوال - بحيث تبدو السورة كلها وحدة واحدة، يرد عجزها إلى صدرها، وتتفق مقدمتها ومؤخرتها." (2)
2. وقد وصفها محمد حجازي في أطروحته للدكتوراة بأنها "هي البحث عن القضايا الخاصة التي عرض لها القرآن في سوره المختلفة ليظهر ما فيها من معانٍ خاصة تتعلق بالموضوع العام الذي نبخته لتحقيق الهدف، وهو الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم." (3)
3. ومنهم من قال أنّ المراد بها: "أنّ السورة وإن تعددت موضوعاتها وكثرت أغراضها، يكون لها موضوع بارز وهدف رئيسي ومقصود أعظم، ومحور أساسي تُظهره آياتها، وتدور حوله أجزاءها ومقاطعها، وتصب في إطاره موضوعاتها وقضاياها." (4)

(1) الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، حجازي، ص33.

(2) مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور، أبو العلاء، ص26.

(3) الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، حجازي، ص 33-34.

(4) الوحدة الموضوعية في السور القرآنية، الخضير، ص86.

والباحثة تميل إلى القول الأول والثالث، فهما تعريفان متقاربان وأكثر وضوحاً من الثاني، وعليه فتكون الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم لوناً بديعاً من ألوان الإعجاز البياني بل هي إحدى الخصائص البيانية للأسلوب القرآني يبرز معها أحكام كتاب الله ﷻ وإتقانه وأنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

## المطلب الثاني

### نشأة الوحدة الموضوعية وجهود العلماء في بيانها

عكف العلماء قديماً وحديثاً على تدارس كتاب الله وتدبر آياته، فتنافسوا لينهل كل منهم من معين هذا الكتاب المحفوظ الذي لا تتضب معانيه ولا ينطفئ سحر بيانه، فتنوعت الكتابات والدراسات والتأملات فيه، وقد نال البيان القرآني كثيراً من الاهتمام، فتعددت الجهود لإبراز وجوه الإعجاز البياني لكتاب الله.

ومصطلح "الوحدة الموضوعية" الذي هو موضوع البحث هو مصطلح حديث النشأة من حيث الاستعمال وإن كانت جذوره تمتد إلى قرون سالفة، والوحدة الموضوعية اعتبرها كثير من الباحثين لوناً من ألوان "التفسير الموضوعي"<sup>(1)</sup> الذي هو علم قديم النشأة، بدأ يسيراً، ثم نما وتطور على مر العصور<sup>(2)</sup>، "ولم يظهر هذا المصطلح (التفسير الموضوعي) إلا في القرن الرابع عشر الهجري، عندما قررت هذه المادة ضمن مواد قسم التفسير بكلية أصول الدين بالجامع الأزهر. إلا أن لينات هذا اللون من التفسير وعناصره الأولى كانت موجودة منذ عصر التنزيل في حياة رسول الله ﷺ، فإن تتبّع الآيات التي تناولت قضية ما، والجمع بين دلالاتها، وتفسير بعضها لبعض، ممّا أطلق عليه العلماء فيما بعد بتفسير القرآن بالقرآن، كان معروفاً في الصدر الأول، وقد لجأ رسول الله ﷺ إليه عندما سئل عن تفسير بعض الآيات الكريمة، ومثاله ما روى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: 82] شق ذلك على الناس، فقالوا: يا رسول الله وأينا لا يظلم نفسه؟ قال: "إنه ليس الذي تعنون، ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ

(1) انظر: مباحث في التفسير الموضوعي، مسلم، ص 23-29. التفسير والتأويل في القرآن الكريم، الخالدي، ص 14-16.

(2) انظر: المدخل إلى التفسير الموضوعي، سعيد، ص 27.

عَظِيمٍ [لقمان: 13]، إنما هو الشرك<sup>(1)</sup>..... وكل ذلك لون من ألوان التفسير الموضوعي في خطواته الأولى.<sup>(2)</sup>

وقد بدا اهتمام العلماء بهذا العلم "التفسير الموضوعي" من نواحٍ عدة، منها: دراسة السورة القرآنية كلها من أول آية منها إلى آخر آية فيها، مهما تعددت موضوعاتها، في محاولة لإبراز الوحدة الموضوعية للسورة، وذلك بالكلام عن السورة ككل، من ناحية أغراضها العامة والخاصة، مع ربط موضوعاتها، بعضها ببعض، حتى تبدو السورة، وهي في منتهى التناسق والإحكام، وكأنها عقد من لؤلؤ منظوم في غاية الإبداع.<sup>(3)</sup>

كذلك برزت جهود العلماء في علم المناسبات وأفردوا له كثيرًا من مؤلفاتهم، "ويمكن القول أن المناسبة والترابط بين الآيات في السورة قد ظهرت وليدة على أيدي علماء التفسير المتقدمين، فقد قاموا بإظهار المناسبة بين آيات السورة، وهؤلاء الأعلام وإن عكفوا على بحث الصلات الجزئية بين الآيات غاضين أبصارهم عن النظام الكلي الذي رُتبت عليه السورة في جُمَلتها، إلا أنهم يعتبرون أول من لفت الأنظار إلى أن هناك ترابطًا في السورة القرآنية فمهّدوا الطريق للبحث عن هذا الترابط لمن جاء بعدهم."<sup>(4)</sup>

وقبل الحديث عن مراحل تطوّر مصطلح الوحدة الموضوعية وجهود العلماء فيه لا بدّ لنا من الإشارة بعُجالة إلى العلاقة بين التفسير الموضوعي والوحدة الموضوعية وعلم المناسبات على النحو الآتي:

## 1. العلاقة بين علم المناسبات والوحدة الموضوعية

المناسبة هي جزء من أجزاء الوحدة الموضوعية وليس العكس، حيث إن التناسب بين الآيات بعضها مع بعض لا يكشف عن كون الكلام شيئًا واحدًا مستقلًا بنفسه، بينما الوحدة

- 
- (1) سنن الترمذي، الإمام الترمذي، باب ومن سورة الأنعام، ج5/262، رقم الحديث 3067. السنن الكبرى، النسائي، كتاب التفسير/ سورة لقمان، ج10/212، رقم الحديث 11326. ذكره الألباني في كتابه صفة صلاة النبي وقال: "حديث صحيح"، ج3/936.
  - (2) مباحث في التفسير الموضوعي، مسلم، ص17.
  - (3) انظر: الموسوعة القرآنية المتخصصة، مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين، ج1/288-289.
  - (4) التفسير والتأويل في القرآن، الخالدي، ص14-15.
  - (4) الوحدة الموضوعية بين سيد قطب والفراحي، اليازجي، ص46.

الموضوعية تؤكد على كون السورة كلاً واحداً، ولا يتأتى ذلك إلا بالوقوف على مناسبة الآيات مع بعضها، ومناسبة فواصلها، وما إلى ذلك من مناسبات.<sup>(1)</sup>

## 2. العلاقة بين الوحدة الموضوعية والتفسير الموضوعي

تعتبر الوحدة الموضوعية لونهاً من ألوان التفسير الموضوعي وجزءاً منه من حيث وحدة الغرض والغاية في السورة القرآنية الواحدة، أي أنها ليست بنفس المعنى وإنما هي جزء من كل، وما هي إلا الثمرة المرجوة والطبيعية للتفسير الموضوعي.<sup>(2)</sup>

## 3. العلاقة بين التفسير الموضوعي وعلم المناسبات والوحدة الموضوعية

يُعدّ التفسير الموضوعي البوتقة الكبرى التي تحوي علم المناسبة والوحدة الموضوعية معاً، ولا يمكن أبداً إطلاق الجزء على الكل.<sup>(3)</sup>

وستتبع الباحثة جهود العلماء القدامى ثم المعاصرين في نشأة الوحدة الموضوعية وظهورها.

### أولاً: جهود العلماء قديماً

ترجع جذور هذا المصطلح إلى مؤلفات عديدة تناولت موضوع التفسير الموضوعي وعلم المناسبات اللذين مثلاً اللبنة الأولى لمصطلح "الوحدة الموضوعية" تذكر الباحثة منها ما يأتي:

كانت البدايات بظهور علم المناسبة بين الآيات على يد الإمام أبو بكر النيسابوري، وجاء من بعده ابن العربي والذي أشار إلى أنّ هناك وحدة جامعة تربط آيات السورة كلها حتى تبدو كأنها كلمة واحدة.<sup>(4)</sup>

وكان الرائد في هذا المضمار الإمام الفخر الرازي حيث التزم في كتابه "مفاتيح الغيب" بذكر المناسبة بين الآيات، فزاد على سابقه وتقدّم بهذا العلم إلى الأمام حيث قام بذكر مقصود بعض السور في أولها، ثم ربط بعض موضوعات السورة بهذا المقصود الرئيس للسورة، ثم قام في مواطن كثيرة بربط موضوعات السورة ببعضها ونظمها في عقد واحد، وهذا ما يعرف الآن

(1) انظر: الوحدة الموضوعية بين المؤيدين والمعارضين، باوزير، ص 69-70.

(2) انظر: الوحدة الموضوعية بين سيد قطب والفراحي، اليازجي، ص 31.

(3) انظر: المرجع السابق، نفس الجزء والصفحة.

(4) انظر: الإتيقان في علوم القرآن، السيوطي، ج 3/369.

بالوحدة الموضوعية للسورة<sup>(1)</sup>، فهو من أكثر ممن اعتنى بعلم المناسبات وقال في تفسيره أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط.<sup>(2)</sup>

ومن هؤلاء أيضاً القاضي أبو بكر الباقلاني في كتابه "إعجاز القرآن"، وعبد القاهر الجرجاني حيث استفاد من جهود من سبقه من العلماء وقد ركّز في كتابه "دلائل الإعجاز" على النظم القرآني.<sup>(3)</sup>

وكذلك الإمام الشاطبي كان ممن ذهبوا إلى وحدة الغرض والهدف في السورة القرآنية في كتابه "الموافقات" حيث أشار إلى مُجمل موضوعات سورة البقرة، وأنها تتدرج من أولها لآخرها تحت مقصد واحد لا تتفكّ عنه.<sup>(4)</sup>

وممن اعتنى بذكر موضوعات السور: الفيروز آبادي في كتابه "بصائر ذوي التمييز".<sup>(5)</sup> توسّع الإمام برهان الدين البقاعي في الحديث عن المناسبات بين الآيات والسور القرآنية في كتابه المشهور "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور" وكتابه الآخر "مساعد النظر للإشراف على مقاصد السور".<sup>(6)</sup>

وممن اعتنى بهذا اللون ابن القيم الجوزية حيث إنّه في كثير من كتبه وعند تعرضه للكلام عن تفسير بعض الآيات والسور يبيّن الوحدة الموضوعية فيها، والتي تربط أركانها بعضها ببعض، لتخدم الأهداف التي أنزلت من أجلها.<sup>(7)</sup>

وممن أكّد على وجود نظام قرآني الفراهي في كتابه "دلائل النظام"، حيث ألف هذا الكتاب لإقامة الحجة على وجود النظام (أي الوحدة الموضوعية) في كل سورة من سور القرآن الكريم، وبيان الطرق التي تهدي إلى نظام السورة.<sup>(8)</sup>

(1) انظر: الوحدة الموضوعية بين سيد قطب والفراهي، اليازجي، ص33-34.

(2) انظر: الإتيقان في علوم القرآن، السيوطي، ج3/369.

(3) الوحدة الموضوعية بين سيد قطب والفراهي، اليازجي، ص34-35 بتصرف.

(4) انظر: علوم القرآن عند الشاطبي من خلال كتابه الموافقات، أبو عاصي، ص154. المحرر في علوم القرآن، الطيار، ص210-211.

(5) انظر: المحرر في علوم القرآن، الطيار، ص210-211.

(6) انظر: الإتيقان في علوم القرآن، السيوطي، ج3/369.

(7) انظر: الوحدة الموضوعية بين سيد قطب والفراهي، اليازجي، ص38.

(8) انظر: مفردات القرآن، الإمام الفراهي، ص33.

## ثانياً: جهود العلماء حديثاً

أما في عصرنا الحاضر، فقد ظهرت مؤلفات ودراسات عديدة حول الوحدة الموضوعية، تذكر الباحثة منها:

جهود الشيخ محمد رشيد رضا حيث تطرّق إلى الوحدة الموضوعية في السور القرآنية في تفسيره "المنار"، وكذلك الدكتور محمد شلتوت في كتابه "الإسلام عقيدة وشريعة"، حيث اعتبرها أساساً من أسس المدرسة العقلية الاجتماعية في التفسير للذان يعدّان من أهم روادها.<sup>(1)</sup>

وقد ترك الدكتور الفذ محمد عبد الله دراز بصمة واضحة في هذا المجال في كتابه البديع "النبأ العظيم" حيث أفرد فيه فصلاً في بيان الوحدة الموضوعية، وبين فيه أنّ من أدلة صدق القرآن وأنه ليس من البشر الوحدة الموضوعية لكل سورة، فكل سورة معقودة للتكلم عن موضوع معين، ومع كبر بعض السور وامتداد نزولها على عدة سنوات إلا أن هذه الوحدة لم تتخرم ولم تنس ولم تتبدل.<sup>(2)</sup>

والطاهر بن عاشور في كتابه "التحرير والتنوير" كان ممن تحدّث عن موضوعات السور القرآنية.<sup>(3)</sup>

وللشيخ القاضي شمس الدين بن شير محمد<sup>(4)</sup> جهود قيمة في كتابه "أنوار التبيان في أسرار القرآن"، حيث قدّم خلاصة موضوعية لما تدور حوله آيات كل سورة من القرآن الكريم.<sup>(5)</sup> وقد برز في "تفسير الخطيب"<sup>(6)</sup> أسلوب المحافظة على الوحدة الموضوعية للسورة "ففي ختام السورة يأتي على موضوعاتها، تلك الموضوعات التي تتسق بعضها مع بعض حيث يلتقي

(1) انظر: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، الرومي، ج2/718-720.

(2) انظر: النبأ العظيم، دراز، ص17 وما بعدها. دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم في القرن الرابع عشر الهجري والرد عليها، المطيري، ج1/160.

(3) انظر: المحرر في علوم القرآن، الطيار، ص210-211.

(4) هو شيخ الحديث والتفسير العلامة القاضي شمس الدين بن الشيخ شير محمد، ولد عام 1901م في باكستان، كان الشيخ يدرس الفنون والعلوم كلها، غير أن أكثر اشتغاله كان في الحديث النبوي وتفسير القرآن الكريم، له مصنفات عدة منها: تيسير القرآن بتبصير الرحمن، وأنوار التبيان في أسرار القرآن. انظر: الشيخ القاضي شمس الدين بن شير محمد ومنهجه في التفسير، د. حكمت الحريري، ص87 وما بعدها.

(5) انظر: المرجع السابق، نفس الجزء والصفحة.

(6) عبد الكريم محمود يونس أحمد الخطيب وُلد في سوهاج بمصر في 17 مايو سنة 1910م، عمل أستاذاً للدراسات العليا بكلية الشريعة في الرياض في عام (1974 - 1976)، أثنى المكتبة الإسلامية بمجموعة من الكتب الدينية، هذا إلى جانب المئات من المقالات في الصحف والمجلات المصرية والعربية. انظر: التفسير والمفسرون في العصر الحديث، عباس، ج3/431.

بدء السورة مع ختامها، وكان الخطيب يذكر وجه ارتباط السورة بالتي قبلها، ويربط بداية السورة بنهاية السورة التي قبلها، والموضوعات التي تناولتها السورة. (1)

وكان للأستاذ الشهيد سيد قطب في ظلال القرآن جهود قيّمة في هذا المجال، حيث أبداع وتفرد في ذكره الموضوعات التي تناولتها السور القرآنية، "كما سلك فيه مسلكاً مبتكراً، وإن لم يكن جديداً في موضوعه، لكنّه غير شائع في تطبيقه في كتب التفسير، وهو مراعاة الوحدة الموضوعية للسورة، والاعتناء بتحليل مضمونها، ثمّ تجزئته إلى مقاطع، ممّا يحصل به تقريب للبعيد، وربط للمعاني، وهو نمط فريد في شرح الكتاب العزيز" (2)، وهذا النمط لم ينقص من منزلة الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم بل اهتم بها اهتماماً واضحاً في شتى جوانبها وأشكالها. (3)

وقد وصف منهجه الأستاذ عدنان زرزور بقوله: "(الظلال) لسيد قطب مدرسة متميزة في تفسير القرآن غير معهودة عند السابقين، لم يسلك منهج الإعراب والنحو والقراءات والأحكام والقصة والمناسبة، كان من نوع آخر، اهتم بالوحدة الموضوعية في السورة ووجه الارتباط بين الآيات. لا أعتقد أن أحداً قبله استطاع أن يلمس فكرة الوحدة الموضوعية في السورة بهذا العمق وهذه السلاسة" (4)، بل وعدّه "أول مفسر في تاريخ القرآن الكريم أبرز الوحدة الموضوعية في السورة القرآنية المفردة طالت أم قصرت! أبرزه بشكل عمليّ مكتوب أو طبّقه أروع تطبيق وأعمقه في كتابه العظيم رحمه الله، والذين سبقوا سيّداً من المفسرين منهم من لم يلاحظها ولم يسلم بوجودها". (5)

كما سلك طريقة الأستاذ سيد قطب الشّيخ سعيد حوى في تفسيره المسمّى بـ "الأساس في التفسير" حيث قال في كتابه: "إن لهذا القرآن ملامح عامة مشتركة، وله وحدته وترتيبه، ثمّ إنّ لكل سورة من سور ملامحها الخاصة بها، وسياقها الخاص بها". (6)

وللدكتور محمد محمود حجازي كتاب (الوحدة الموضوعية في القرآن)، والذي كان عنوان رسالته للدكتوراة، وقد فصل القول في مقدمة أطروحته للدكتوراة عن دوافع اختياره هذا

(1) التفسير والمفسرون في العصر الحديث، عباس، ج3/433.

(2) المقدمات الأساسية في علوم القرآن، العنزي، ص386-387.

(3) انظر: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، الرومي، ج3/1039.

(4) الحاكم الجشمي ومنهجه في التفسير، زرزور، (الكتاب غير مرقم).

(5) مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه، زرزور، ص267.

(6) الأساس في التفسير، حوى، ج2/686.

الموضوع للبحث<sup>(1)</sup> فقال: "لقد راعني وأنا أكتب "التفسير الواضح" هذا النسق العجيب في سور القرآن وترتيبها في المصحف، فهذه سورة مدنية بجوار سورة مكية، وهذه سورة مدنية وسط عدد من السور المكية وهكذا، ثم إذا نظرت إلى نفس السورة وآياتها تجد العجب العجيب، تجد السورة وقد جمعت آيات متعددة، وإن تكن متناسبة ومتلائمة، ولكنك تجد السورة تتحدث عن موضوع خاص، فماذا قرأت غيرها تجدها تحدثت هي الأخرى عن نفس الموضوع، ولكن بشكل خاص ونسق يلتئم مع جو السورة التي قيل فيها، هذه ظاهرة استرعت البحث والنظر، أما السابقون فتخلصوا من هذا بالقول بالنسخ فالآية المتأخرة نسخت المتقدمة وهكذا، وأما نحن فقد هدانا الله ﷻ إلى القول بنظرية «الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم».<sup>(2)</sup>

وهناك بعض الرسائل العلمية الجامعية التي تناولت تفسير بعض السور وفق المنهج المذكور أذكر منها:

- دراسة موضوعية لسورة الكهف للدكتور مصطفى مسلم، ضمن كتابه (مباحث في التفسير الموضوعي).

- ومن أجود الدراسات القرآنية التي تمثل هذا اللون من التفسير الموضوعي، كتاب «سورة الحجرات: دراسة تحليلية موضوعية» للأستاذ الدكتور ناصر العمر.

- ومنها كتاب «تدبر سورة الفرقان» لعبد الرحمن حبنكة الميداني.<sup>(3)</sup>

ولا بدّ من الإشارة إلى أنّ العلماء انقسموا إلى فريقين في موقفهم من "الوحدة الموضوعية" باعتبارها لوناً من ألوان البيان القرآني، وقد أوجز الدكتور فضل عباس هذا الخلاف في قوله: "ولقد اختلفت كلمة الكاتبين فذهب بعضهم إلى أنّ هناك وحدة موضوعية في كلّ سورة من سور القرآن الكريم، فالسورة مهما تعددت القضايا التي تحدّثت عنها إلا أنّها ينتظمها جميعها موضوع واحد، وهذه هي التي تسمى "الوحدة الموضوعية".

وهناك من ذهب غير هذا المذهب، فرأى أن هذا الاتجاه، قد يشوبه شيء من التكلّف فرأى أن كلّ سورة من سور القرآن، وإن لم يكن فيها وحدة موضوعية، فإن فيها وحدة عضوية، بمعنى أن ما في السورة الكريمة من موضوعات وقضايا يتمّ بعضه بعضاً، ولعل هذا أقرب إلى الحق.<sup>(4)</sup>

(1) انظر: مناهج المفسرين، محمود، ج1/378-379.

(2) الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، حجازي، ص13.

(3) التفسير والتأويل في القرآن الكريم، الخالدي، ص16.

(4) التفسير والمفسرون، عباس، ج1/646-647.

وبعد هذا العرض لتاريخ نشأة مصطلح "الوحدة الموضوعية" وجهود العلماء في بيانها، تظهر لنا مدى أهمية هذا النوع من الدراسات، وأن الكتابات فيه في تزايد، فهو جدير بالعناية والبحث لتعلّقه بأسمى كتاب ألا وهو "القرآن الكريم"، حيث يفيد الدارسين في جمع الموضوعات التي تحدّث عنها القرآن الكريم، وكيفية تطرّقه لها، وكيفية معالجته لكثير من هذه الموضوعات فتظهر لنا ملامح الدستور القرآني والتصور الإيماني التي جاء بها كتاب الله لتتهيئ الإنسان المسلم ليكون خليفة الله على أرضه على الوجه الذي أمرنا به الله ﷻ.

## المبحث الثاني

### حقيقة الوحدة الموضوعية وأهميتها وعلاقتها بمحور السورة

بعد بيان تعريف الوحدة الموضوعية وجهود العلماء في نشأتها كعلم من علوم القرآن، سنتناول الباحثة في هذا المبحث حقيقة الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية، مع بيان أهميتها وعلاقتها بوحدة موضوع السورة، وذلك في ثلاثة مطالب على النحو الآتي:

#### المطلب الأول

#### حقيقة الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية

القرآن الكريم وحدة موضوعية متكاملة، وبنیان متماسك متناسق متصل معجز، "فريط أي سورة بهدفها مع السور التي قبلها بأهدافها والسور التي بعدها أيضًا بأهدافها هو ما نطلق عليه (الوحدة الموضوعية الكبرى للقرآن الكريم) حيث ترتبط هذه الأهداف بعضها ببعض ويصدق بعضها بعضًا فنصل إلى الغاية العظمى وهي إثبات الإعجاز القرآني في الترابط، وتحقيق عبادة الله وحده لا شريك له وامتنال أوامره واجتناب نواهيه."<sup>(1)</sup>

"والقارئ البصير مُطالب أن يلتفت إلى الوحدة الموضوعية للقرآن وللسورة منه، وأن يلحظ التناسق والتناسب والارتباط بين الدروس والمقاطع، وأن يتعامل مع السورة على أنها وحدة موضوعية متكاملة متجانسة، وأن يتعامل معها على أن لها شخصية مستقلة متميزة متفردة، شخصية تربط موضوعها الرئيس بموضوعات دروسها ومقاطعها، بخيوط دقيقة متينة يلحظها المتدبر البصير."<sup>(2)</sup>

والوحدة الموضوعية للسورة القرآنية هي لون من ألوان التفسير الموضوعي كما ذكر كثير من العلماء والباحثين، فقد جاء في مصابيح الدرر أن "التفسير الموضوعي يراد به معنيان: أحدهما: هو بيان اتحاد سورة من القرآن الكريم في موضوع رئيس تُرد إليه سائر الموضوعات الجزئية التي قد تتناولها - لا سيما إذا كانت من الطوال - بحيث تبدو السورة كلها وحدة واحدة، يرد عجزها إلى صدرها، وتتفق مقدمتها ومؤخرتها."<sup>(3)</sup>

ومنهم من اعتبر أن "سور القرآن من ناحية (الوحدة الموضوعية) قسمان:

1. قسم تعالج فيه السور أكثر من موضوع مع وجود وحدة الأسلوب، التي لا يستطيعها بشر.

(1) الوحدة الموضوعية بين سيد قطب والفراهي، اليازجي، ص 41.

(2) مفاتيح للتعامل مع القرآن، الخالدي، ج 1/150-151.

(3) مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور، ابن محمد، ص 26-27.

2. وقسم آخر تعالج فيه السور موضوعاً واحداً كسورة الواقعة، التي التزمت بموضوع البعث وما يؤيده من أدلة ومناقشات.<sup>(1)</sup>

وقد عرّف الماتريدي "الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية" بمعنى "أنّ بناء السورة الكريمة من سور القرآن الكريم يتناول في معظمه موضوعاً واحداً، تقوم السورة الكريمة على بيانه والإلحاح عليه من أولها إلى آخرها، وقد يتخلّل ذلك موضوعات أخرى أو إشارات إلى موضوعات أخرى، ولكن يبقى الخيط العام في السورة وموضوعها واضحاً، ونادراً ما تقتصر سورة من سور القرآن على موضوع واحد، وذلك من مميزات أسلوبه الفريد وإعجازه الواضح، ومع هذا يبقى الموضوع الكبير وتفصيله واضحاً في بناء السورة الكريمة، صغيرة كانت أو كبيرة."<sup>(2)</sup>

"وهذا اللون يبحث عن الهدف الأساس في السورة الواحدة، ويكون هنا الهدف هو محور التفسير الموضوعي في السورة"<sup>(3)</sup>، وهذا المصطلح تعددت تسمية العلماء له، "فقد أطلق الفراهي مصطلح النظم أو النظام في القرآن وهو اصطلاح خاص عند المؤلف، يقصد به الوحدة الموضوعية في السورة والتلاحم بين أجزائها وكذلك ربط السورة بما قبلها وما بعدها، وعلى ذلك بنى تفسيره (نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان)"<sup>(4)</sup>، وقد أفرد الفراهي مقدمته السابعة في كتابه القيم نظام القرآن ليثبت فيها أنّ السورة القرآنية الواحدة لها نظام واحد وخيط متين يضم موضوعاتها فتتحد في هدف أو محور رئيس.<sup>(5)</sup>

وبعضهم عبّر عن "ملاحظة الوحدة الموضوعية للسورة، بالنظر إلى ترابط أجزائها لتكوّن موضوعاً واحداً يـ «المناسبة» أو «التناسب»."<sup>(6)</sup>

### كيفية استنباط الوحدة الموضوعية

اتّفق العلماء والباحثون على منهجية عامة على الباحث أو المفسّر لكتاب الله أن يتبعها؛ لكي يستطيع تذوّق التناسق الجميل البديع في النص القرآني في السورة الكريمة، فيستخلص منه وحدتها الموضوعية، حيث "يفرد الباحث فيه السورة القرآنية بدراسة خاصة،

(1) سورة الواقعة ومنهجها في العقائد، غريب، ص14.

(2) تفسير الماتريدي، الماتريدي، ج1/234.

(3) مباحث في التفسير الموضوعي، مسلم، ص29.

(4) مفردات القرآن، الفراهي، ص92.

(5) انظر: نظام القرآن، الفراهي، ص46-47.

(6) المقدمات الأساسية في علوم القرآن، العنزي، ص426.

ويعمن النظر فيها، ويبين الوحدة الموضوعية للسورة، ويلحظ أهدافها ومقاصدها، ويقف على وحدتها ودروسها، ثم يحللها تحليلاً موضوعياً، ويقدمها للقارئ وحدةً موضوعيةً متكاملةً.<sup>(1)</sup>

وقد أشار الدكتور مساعد الطيار<sup>(2)</sup> إلى هذه المنهجية قائلاً: "ويمكن استنباط (الوحدة الموضوعية) أو ما كان يسميه بعض العلماء (مقصد السورة) من خلال النظر في: اسم السورة وموضوعاتها وملابساتها وتفسيرها الإجمالي."<sup>(3)</sup>

وفي رحلة التأمل والتدبر في السورة القرآنية لاستنباط وحدتها الموضوعية كان للعلماء بعض التنبهات التي على الباحث أن يحترز منها، فقال بعضهم:

1. "لا تعنى الوحدة الموضوعية احتواء القرآن الكريم على موضوع واحد، وإنما إذا كان القرآن الكتاب المقروء، والكون هو الكتاب المنظور، فإن محتوَاهما واحد، بمعنى أنّ الكون تمتد منه شواهدٌ كثيرةٌ لكن دلالاتها واحدة، هي أن للكون إلهًا."<sup>(4)</sup>

2. "الوحدة الموضوعية في كل سورة على حدة لا ينبغي أن تكون هي الوحدة الموضوعية عينها في السور كلها مجتمعة."<sup>(5)</sup>

3. إن إدراك الوحدة الموضوعية الكلية ليس بالأمر الميسور، كما أنه ليس ملقياً على قارعة الطريق، وإنما يحتاج إلى بحث ودراسة، وقد تختلف فيه أنظار الباحثين والدارسين ومن ثم تختلف المناسبات باختلافهم، ومن هنا فالطريق الصحيح لإدراك المناسبة لا بد أن يستخدم أولاً منطق التحليل، حيث يضع الفرضيات الأولى للمناسبة بين الآيات، ثم يأتي بعد ذلك منطق التركيب الذي يحاول استكشاف الوحدة الكلية الموضوعية التي يقوم عليها بناء السورة.<sup>(6)</sup>

(1) التفسير والتأويل في القرآن الكريم، الخالدي، ص 15-16.

(2) مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، تخرّج في قسم القرآن وعلومه في كلية أصول الدين بالرياض، نال درجة الدكتوراة، وكانت بعنوان (التفسير اللغوي للقرآن الكريم)، احتل العديد من المناصب العلمية في جامعات الرياض وله العديد من المؤلفات. انظر: موقع المكتبة الشاملة، <https://shamela.ws/index.php/author/27>، تاريخ الاطلاع 2019/12/17م.

(3) المحرر في علوم القرآن، مساعد الطيار، ج 1/209-210. انظر: الموسوعة القرآنية المتخصصة، مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين، ج 1/288.

(4) عناية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، أحمد، ص 92.

(5) مباحث في علوم القرآن، الصالح، ص 152.

(6) انظر: مناسبات الآيات والسور، فرحات، ج 16/30.

وكتاب الله ﷻ لم ينزل دفعة واحدة على رسول الله ﷺ، بل نزل منجّماً، على امتداد ثلاث وعشرين سنة تقريباً، إلا أنك تُذهل من وحدته الفنية الرائعة في التصوير والتعبير وترابط الآيات التي هي سر من أسرار الإعجاز القرآني، ثم إنّ هذه الصورة الكلية في كل سورة، مشدودة إلى الصورة المركزية في القرآن كلّّه وهي صورة قدرة الخالق، التي هي مصدر كلّ شيء، وإليها يرجع كلّ شيء، وبذلك تتحقّق الوحدة والانسجام بين سور القرآن الكريم، في ترتيبها، وموضوعها، وصورها.<sup>(1)</sup>

فمن خلال ما تقدّم يتبيّن حقيقة الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية وكيفية استنباطها مع بيان بعض التنبيهات والمحترزات التي ينبغي على الباحث أن يعلمها عند استنباط الوحدة الموضوعية.

## المطلب الثاني

### أهمية الوحدة الموضوعية في تفسير السورة القرآنية

بعد التبحر في مفهوم الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية حريٌّ بنا أن نسلمّ الضوء على أهمية الوحدة الموضوعية في تفسير السورة القرآنية، وقد حصرت الباحثة ذلك في نقاط، وهذه أهمها:

1. **الوقوف على مقاصد القرآن الكريم وغاياته**، فالكتابة في مقاصد السور وموضوعاتها - والذي هو من أهم أهداف الوحدة الموضوعية- جزء من الكتابة في مقاصد القرآن وموضوعاته؛ لأنها تعتبر أفراداً له، وباجتماعها تظهر مقاصده، وتتكوّن موضوعاته<sup>(2)</sup>، فالتعمق فيها يقود الباحث إلى ما في هذا الكتاب العزيز من مقاصد وعبر، وأحكام وحكم.<sup>(3)</sup>
2. **الاستدلال بها على وجه من وجوه الإعجاز البياني للقرآن الكريم**، وذلك من خلال تدبر نظام القرآن وارتباط الآيات المؤدي للوحدة الموضوعية، فيتجلّى تناسق كتاب الله دون اضطراب أو اختلاف، فيثبت صدق الوحي والنبوة وأنّ القرآن الكريم من لدن حكيم خبير.<sup>(4)</sup>

(1) وظيفة الصورة الفنية في القرآن، الراغب، ج1/415-416.

(2) انظر: المحرر في علوم القرآن، الطيار، ص212.

(3) انظر: دراسات في علوم القرآن، إسماعيل، ج1/34.

(4) الوحدة الموضوعية بين المؤيدين والمعارضين، باوزير، ص77 بتصرف.

3. الحدّ من الخلافات وردّ الشبهات عن كتاب الله، فقد كثرت الشبه والاعتراضات على القرآن الكريم في عصرنا الحالي، وعلى إمكانية انبثاق الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية عنه، ووجدت مفاهيم واتجاهات مضادّة لبناء الحياة المعاصرة على أساس قرآني، ومن هنا يبرز دور الوحدة الموضوعية في تضيق هوة الخلاف وتوحيد الآراء والمواقف.<sup>(1)</sup>
4. مجابهة مشاكل العصر ومعطيات الحضارة، فأسلوب الدراسات الموضوعية للقرآن الكريم أو أسلوب "التفسير الموضوعي" هو السبيل الأمثل لمجابهة مشاكل العصر ومعطيات الحضارة، حيث إنّ نصوص القرآن الكريم محددة والقضايا التي تناولتها بالتوضيح والبيان والتفصيل محددة أيضاً، أما المشاكل الإنسانية وآفاق المعرفة فغير محددة ما دامت الحياة مستمرة على هذه الكرة الأرضية، ولا يمكن أن نجابه هذه المشكلات بظواهر النصوص المحددة، بل نجد المرونة والسعة في الخطوط الأساسية التي تعرض لها آيات التنزيل الحكيم والتي تتجلى واضحة عند إبراز الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية.<sup>(2)</sup>
5. تأهيل الدراسات القرآنية وتصحيح مسارها: لقد نالت بعض العلوم القرآنية حظاً وافراً من جهود العلماء وصنفت فيها المصنفات الكثيرة مثل العلوم المتعلقة بالجوانب اللغوية، والدراسات الفقهية لآيات الأحكام، إلا أن علوماً جديدة برزت تحتاج إلى تأهيل قواعدها على ضوء القرآن الكريم من أبرزها التفسير الموضوعي للقرآن الكريم والوحدة الموضوعية التي هي لون من ألوانه إذ لم تحظَ بالاهتمام المطلوب على الرغم من ضرورتها الملحة مع مرور الزمن.<sup>(3)</sup>
6. الارتباط الوثيق بين "الوحدة الموضوعية" وعلوم القرآن المختلفة، "وذلك أن علوم القرآن المساعدة أشبه بالمقدمات التي تمهّد له، فهي تتعرض لما يتعلق بالقرآن المجيد من أمور متصلة بذات النص كالوجوه والنظائر، والناسخ والمنسوخ، والفواصل، والقراءات، والمتشابه والغريب.. إلى آخر هذه المباحث التي تتعلق ببنية النص ذاتها، وكذلك تتعرض لما يتعلّق بالقرآن من أمور خارجة عنه، كأسباب النزول، والمكي والمدني، ومعرفة جمعه وحفظه... وما إلى ذلك."<sup>(4)</sup>

(1) انظر: الأساس في التفسير، حوى، ج 1/9.

(2) انظر: مباحث في التفسير الموضوعي، مسلم، ص 30-31.

(3) انظر: المرجع السابق، ص 32.

(4) مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور، ابن محمد، ص 28.

7. تمحيص الاسرائيليات والوقوف على الحقائق، حيث إنّ تخصيص أي موضوع بالدراسة والبحث، وجمع أطرافه بشمولية وعمق لهو السبيل إلى الوقوف على صحته وصدقه، فالباحث في الوحدة الموضوعية للسورة لا بدّ له من الوقوف على حقيقة الروايات وتمييز صحيحها من سقيمها ليستطيع إبراز وحدة موضوعاتها التي تتناسب مع محورها الرئيس وما صحّ عنده من روايات وأقوال.<sup>(1)</sup>

### المطلب الثالث

#### الوحدة الموضوعية لسورة البقرة وعلاقتها بمحور السورة

سورة البقرة سورة مترامية الأطراف وأساليبيها ذات أفنان، فقد جمعت من وشائج أغراض السور ما كان مصداقاً لتلقيبها بسنام القرآن، فلا تستطيع إحصاء محتوياتها بحسبان؛ فقد حيكت بنسج المناسبات والاعتبارات البلاغية من لحمة محكمة في نظم الكلام، وسدّ متين من فصاحة الكلمات<sup>(2)</sup>، وقد يتبادر إلى الذهن عند النظرة العُجلى لآيات السورة الكريمة عدم الترابط بين أجزائها على طولها وتعدّد القضايا التي تناولتها، لكنّ من تأمل في لطائف نظم هذه السورة وفي بدائع ترتيبها علم أن القرآن الكريم كما أنّه معجز بفصاحة ألفاظه وشرف معانيه فهو أيضاً كذلك بسبب ترتيبه ونظم آياته.<sup>(3)</sup>

ولمّا كانت سورة البقرة أطول سورة من سور القرآن الكريم ومن أرفعها مكانةً وقدراً توافد عليها المفسرون تأملاً وتدبراً متتقلين بين بساينها يشتمون شذا آياتها وينهلون من معين موضوعاتها، وكما اختلف المفسرون في تحديدهم لمحور السورة الأساس كما بيّنا آنفاً<sup>(4)</sup>، اختلفوا كذلك في استنباط الوحدة الموضوعية لهذه السورة العظيمة، وستذكر الباحثة بعضاً ممّا قيل في وحدة موضوع هذه السورة ورؤية الباحثة لهذه الوحدة وعلاقتها بعمود السورة الأساس.

أولاً: الوحدة الموضوعية في سورة البقرة عند الشيخ محمد عبد الله دراز

قال الشيخ دراز في نظام عقد المعاني في سورة البقرة: "اعلم أن هذه السورة على طولها تتألف وحدتها من: مقدمة، وأربعة مقاصد، وخاتمة، على هذا الترتيب:

(1) الوحدة الموضوعية بين المؤيدين والمعارضين، باوزير، ص 78 بتصرف.

(2) انظر: التحرير والتوير، ابن عاشور، ج 1/203.

(3) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي، ج 7/106.

(4) انظر: المطلب الثالث في التمهيد من هذا البحث ص 24-28.

**المقدمة:** جاءت في التعريف بشأن هذا القرآن وبيان أن ما فيه من الهداية قد بلغ حدًا من الوضوح لا يتردد فيه ذو قلب سليم، وإنما يعرض عنه من لا قلب له أو من كان في قلبه مرض.

**المقصد الأول:** في دعوة الناس كافة إلى اعتناق الإسلام.

**المقصد الثاني:** في دعوة أهل الكتاب إلى اعتناق الإسلام.

**المقصد الثالث:** في عرض شرائع هذا الدين تفصيلاً.

**المقصد الرابع:** ذكر الوازع والنوازع الديني الذي يبعث على ملازمة تلك الشرائع ويعصم عن مخالفتها.

**الخاتمة:** في التعريف بالذين استجابوا لهذه الدعوة الشاملة لتلك المقاصد، وبيان ما يرجى لهم في آجلهم وعاجلهم.<sup>(1)</sup>

وقد وصف الإمام محمد عبد الله دراز هذه الوحدة بوصف بليغ أرى نقله رغم طوله لنفاسته وتأثيره في القلوب، فتراه يصفها: "تلك هي سورة البقرة.. رأيت وحدتها في كثرتها؟ أعرفت اتجاه خطوطها في لوحاتها؟ رأيت كيف التحمت لبناتها من غير ملاطٍ يمسكها، وارتفعت سماؤها بغير عمد تسندها؟ ..... رأيت كيف انتظمت كل ذرة في خليتها، وكل خلية في عضوها، وكل عضو في جهازه، وكل جهاز في جسمه، كل منهم ينادي بأنه قد أخذ مكانه المقسوم، وفقاً لخط جامع مرسوم، رسمه مرتي النفوس وباريها، ومنور العقول وهاديها، ومرشد الأرواح وحاديها.. فتالله لو أن هذه السورة رتبت بعد تمام نزولها، لكان جمع أشتاتها على هذه الصورة معجزة، فكيف وكل نجم منها -كسائر النجوم في سائر السور- كان يوضع في رتبته من فور نزوله، وكان يحفظ لغيره مكانه انتظاراً لحلوله؛ وهكذا كان ما لم ينزل منها معروف الرتبة محدد الموقع قبل أن ينزل؟ ثم كيف وقد اختصت من بين السور المنجمة بأنها حددت مواقع نجومها لا قبل نزولها بعام أو بعض عام، بل بتسعة أعوام؟

لعمري لئن كانت للقرآن في بلاغة تعبيره معجزات، وفي أساليب تربيته معجزات، وفي نبوءاته الصادقة معجزات، وفي تشريعاته الخالدة معجزات، وفي كل ما استخدمه من حقائق العلوم النفسية والكونية معجزات ومعجزات، لعمري إنه في ترتيب آيه على هذا الوجه لهو معجزة المعجزات!<sup>(2)</sup>

(1) النبأ العظيم، دراز، ص 196-197.

(2) المرجع السابق، ص 284.

## ثانيًا: الوحدة الموضوعية في سورة البقرة عند الإمام محمد رشيد رضا

قسّم الإمام محمد رشيد رضا السورة الكريمة إلى محورين، ستعرضهم الباحثة باختصار كما يأتي:

### المحور الأول: دعوة الإسلام العامة<sup>(1)</sup>

- بدأ الله ﷻ سورة البقرة بدعوة القرآن، وكونه حقًا لا مجال فيه لشك ولا ارتياب، وجعل الناس تجاه هدايته ثلاثة أقسام: المتقون والكافرون والمنافقون.
  - قفى الله ﷻ على هذا بدعوة الناس جميعًا إلى عبادة ربهم وحده، وعدم اتخاذ الأنداد له.
  - ثم تلى دعوة التوحيد بدعوة الوحي والرسالة، واحتجّ على إعجاز كتابه ﷻ بتحدّي الناس كافة بالإتيان بسورة من مثله، مع التصريح القطعي بعجزهم أجمعين، ورتّب على هذا إنذار الكافرين بالنار، وتبشير المؤمنين بجنات تجري من تحتها الأنهار، وقفى على هذا ببيان بعض الأدلة العقلية على الإيمان، وبخلاصة النشأة الآدمية، وعبادة الشيطان للإنسان.
  - ثم خصّ بني إسرائيل بالدعوة، تاليًا عليهم ما لم يكن يعلمه محمد ﷺ لولا وحيه ﷻ له، فذكّرهم بنعمه، وأمرهم أن يؤمنوا بما أنزله ﷻ على خاتم رسله، ونهاهم أن يكون المعاصرون له منهم أول كافر به، وحاجّهم في الدين بتذكيرهم بأيام الله، وبأهم الوقائع التي كانت لسلفهم مع كليمة، من كفر وإيمان، وطاعة وعصيان، ثم بالتذكير لهم وللعرب بهدي جدهم إبراهيم الخليل ﷺ وبنائه لبيت الله الحرام مع ولده إسماعيل ﷺ وواجههم بأن علماءهم يعرفون أن محمدًا ﷺ هو الرسول الذي دعا به إبراهيم ﷺ ويشّر به موسى ﷺ وفريق منهم يؤمنون به وفريق يكتُمون الحق وهم يعلمون.
- وقد بدأ هذا السياق بالآية 40 من السورة وانتهى بالآية 142 منها، وتخلّله بعض الآيات الموجّهة للمؤمنين للاعتبار بما فيه من شئون أهل الكتاب السابقين والحاضرين من اليهود بالتفصيل ومن النصارى بالإجمال، وما تقدّم يناهز نصف السورة، وهو شطرها الخاص بأمة الدعوة.

(1) انظر: تفسير المنار، رضا، ج1/88-89.

## المحور الثاني: خطاب أمة الإجابة بموضوع الدعوة العام<sup>(1)</sup>

- كان الانتقال من خطاب أهل الكتاب من أمة الدعوة إلى خطاب أهل القرآن من أمة الإجابة بذكر ما هو مشترك بين قوم موسى عليه السلام وقوم محمد عليه السلام من نسب إبراهيم عليه السلام والاتفاق على فضله وهدايته، وكان العرب في الجاهلية يعترفون بذلك إجمالاً كالمسلمين.
- ثم يذكر أول مسألة عملية اختلف فيها القومان وهي مسألة القبلة، والتي تعد من شعائر الله ومن خصائص الأمة المسلمة الدينية الاجتماعية لذلك كان ولا بد من تمييز المسلمين عن غيرهم.
- بعد تأكيد أمر القبلة، وأنه من إتمام النعمة على هذه الأمة، بين وظائف الرسول عليه السلام من تبليغ القرآن وتربية الأمة، وتعليمها الكتاب والحكمة، وتتابع التوجيهات للجماعة المسلمة حيث أمرهم بذكره وشكره تعالى، وبالاستعانة بالصبر والصلاة على النهوض بمهمات الأمور وغيرها من التوجيهات.
- ثم ذكر الأساس الأعظم للدين ألا وهو "توحيد الألوهية"، بتخصيص الخالق سبحانه بالعبودية، وهو قوله عليه السلام: ﴿وَالْهَكْمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (163)﴾ وقرن ذلك بالتذكير بآياته الكثيرة الدالة عليه في السماوات والأرض وما بينهما ثم ذكر ما يقابل هذا التوحيد مقابلة التضاد، وهو الشرك باتخاذ الأنداد.
- استمرت التوجيهات للجماعة المسلمة من بيان الحلال والحرام في الأرزاق، والتحذير من كتمان الحق اتباعاً للهوى، وختم هذا السياق العام ببيان أصول البر ومجامعه في الآية المعجزة الجامعة لكليات العقائد والآداب والأعمال ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ..(177)﴾، وفقى عليه بسياق طويل من الأحكام الشرعية الفرعية ابتداءً بأحكام القصاص في القتل وانتهى بأحكام القتال.
- ثم عاد الكلام على بدئه في العقائد العامة من الرسالة والتوحيد وحججه والبعث، وفي الأحكام والآداب العامة التي هي سياج الدين ونظام الدنيا، ورأسها الإنفاق في سبيل الله، ثم عاد إلى الأحكام الفرعية العملية في العبادات والمعاملات إلى ما قبل ختم السورة كلها بالدعاء المعروف في ختام السورة.

(1) انظر: تفسير المنار، رضا، ج1/89-91.

### ثالثاً: الوحدة الموضوعية في سورة البقرة عند الإمام البقاعي

عقب الإمام البقاعي على ترابط آيات السورة الكريمة ووحدة موضوعاتها أن سر ترتيب سورة السنام على هذا النظام ما يلي:

- أنه لما افتتحها ﷺ بتصنيف الناس الذين هم للدين كالقوائم الحاملة لذي السنام فاستوى، وقام ابتداءً بذكر أقرب السنام إلى أفهام أهل القيام فقال مخاطباً لجميع الأصناف التي قدمها ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ.. (21)﴾.
- استمر إلى أن بان الأمر غاية البيان فأخذ يذكر مننه ﷺ على الناس المأمورين بالعبادة بما أنعم عليهم من خلق جميع ما في الوجود لهم وبما أكرم به أباهم آدم ﷺ، ثم خصّ العرب ومن تبعهم ببيان المنة عليهم في مجادلة بني إسرائيل وتبكيتهم، وهو ﷺ يؤكد كل حين أمر الربوبية والتوحيد بالعبادة إلى أن قال ﷺ: ﴿وَالهَكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (163)﴾. (1)
- فلما تسنموا هذا الشرف لقتهم العبادات المزكية ونقاهاهم أرواحها المصفية فذكر أمهات الأعمال أصولاً وفروعاً وما تبع ذلك من الحدود في المآكل والمشارب والمناكح وغير ذلك من المصالح.
- ولما كان الواصل إلى أعلى مقام الحرية لا بد عند القوم من رجوعه إلى ربة العبودية ذكر لهم بعض الأعمال اللاتقة بهم، فحثهم عليها فذكر النفقة ورغب فيها إشارة إلى أنه لا مطمع في الوصول إلا بالانسلاخ من الدنيا كلها، وأكثر من الحث على طيب المطعم الذي لا بقاء بحال من الأحوال بدونه، ونهى عن الربا أشد نهياً، وأرشد إلى آداب الدين الموجب للثقة.
- لكونه الختام وبه بركة التمام أكد عليهم بعد خاتمته في الإيمان بجميع ما في السورة، وختم بالإشارة إلى أن عمدة ذلك الجهاد لذوي الغي والعناد، والاعتماد فيه على مالك الملك ومالك العباد، وذلك هو طريق أهل الرشاد، والهداية والسداد. (2)

(1) انظر: نظم الدرر، البقاعي، ج4/192-193.

(2) انظر: المرجع السابق، ج4/192-194.

## رابعًا: رؤية الباحثة للوحدة الموضوعية في السورة الكريمة وعلاقتها بمحورها الرئيس

بعد أن صالت وجالت الباحثة في رياض سورة البقرة وتحسّست جمال آياتها وتدوّقت رحيق موضوعاتها، دُهِشت مما شهدته بين آياتها من التناسب والتجاوب والتآخي والتناغم ممّا أظهر أنّها بمجموعها تمثّل وحدة بيانية وموضوعية مُعجزة مدهشة، فالسورة الكريمة وإن ظهرت مقسّمة إلى موضوعات متباينة إلا أنّها تلتحم عند محور السورة الأساس وغرضها الرئيس، فتتحد تلك الموضوعات وفق روابط وثيقة يشدّ بعضها بعضًا.

وقد خلّصت الباحثة أنّها إلى أن محور السورة الأساس هو الدعوة إلى تحقيق العبودية والاستخلاف في الأرض، وهذا المحور كان بمثابة عمود السورة الذي يجمع أقطابها ويشدّ عُراها، وقد لاحظت الباحثة أن السورة الكريمة قد تفرّعت إلى مقدمة وثلاثة مقاصد - استشهد على كل مقصد منها بنموذج من نماذج الاستخلاف في الأرض - وخاتمة، وتفصيلها على النحو الآتي:

### المقدمة: وتناولت محورين:

**المحور الأول:** التحديّ بالقرآن الكريم وأنه لا يرب فيه ولا شك، وأنّه هو الهدى المبين الذي يُخرج الناس من الظلمات إلى النور، وذلك في الآيات (1،2) من السورة.

**المحور الثاني:** حيث عرض أصناف البشر المستخلفين في الأرض، وقسمهم من حيث استجابتهم لهدايات القرآن الكريم وتحملهم لأعباء الاستخلاف إلى ثلاثة أقسام:

1. **المتقون:** وهم الفئة التي حملت أعباء الأمانة والذين سبقت لهم الحسنى فذكر أوصافهم التي استحقوا بها فضيلة التقوى مع بيان ما أعدّ الله ﷻ لهم من ثواب، وهذا العرض كان في الآيات من (2 - 5) من السورة.

2. **الكافرون:** وهم الفئة التي اختارت الضلال وأعرضت عن الهدى، وقد ذكر الموانع التي حالت بينهم وبين الاهتداء بنور الإيمان، فحقّت عليهم كلمة العذاب، وذلك في الآيتين (6،7).

3. **المنافقون:** وهم الفئة المتذبذبة الحائرة لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، حيث عطف هذه الفئة على أختها، فكلتاها خرجتا من مستنقع الكفر والضلال، حيث فضح سرائرهم وخبث ضمائرهم وأسهب في بيان ألعابهم، ثم ضرب مثلين عجيبين لكشف ضلالاتهم، وهذا المقال كان في الآيات من (8 - 20) من آيات السورة الكريمة.

**المقصد الأول:** وهو دعوة الله ﷻ للناس كافة للتوحيد وتحقيق العبودية، واستدل ﷻ على استحقاقه للعبودية بآيات الربوبية التي أبدعها في خلقه، مع تحدي الشاكرين بصدق دعوى رسول الله ﷺ بأن القرآن حق، مع جزمه بعدم قدرتهم على ذلك، ثم أعقب ذلك بإنذار الكافرين نارا وقودها الناس والحجارة، ويشرى المؤمنين بجنان تجري من تحتها الأنهار، ثم أتبع ذلك ببعض دلائل ربوبيته ووحدانيته ﷻ، وهذا البيان استوعبته الآيات من (21-29).

ولما كانت الدعوة الإلهية للناس أجمعين في هذا المقصد ناسب المقام أن يعرض الحق ﷻ نموذجا عالميا للاستجابة لأمره ﷻ فاستشهد بقصة بداية الخلق وتجربة العبودية الأولى مع بيان أسباب الفشل ومقومات النجاح في مهمة الاستخلاف وذلك في قصة آدم ﷺ، وقد جاء هذا العرض في الآيات من (30-39) من آيات السورة الكريمة.

**المقصد الثاني:** دعوة أهل الكتاب خاصة وعلى رأسهم بني إسرائيل لتحقيق العبودية والاستخلاف في الأرض، وهذا المقصد كان طويلا نسبيا فقد احتل قرابة الجزء الأول من السورة الكريمة وذلك في الآيات من (40-123)، وقد فصلت الباحثة هذا المطلب في سياق هذا البحث كما يأتي:

1. دعوة الله ﷻ لبني إسرائيل خاصة إلى حمل أمانة الاستخلاف في الأرض، وقد جاءت هذه الدعوة ضمن عدة توجيهات كريمة أمرهم الله ﷻ بها مع هز مشاعرهم بتذكيره ﷻ لأنعمه العظيمة عليهم، وقد امتد هذا الخطاب من الآيات (40-60)، ثم أشار إليها مرة أخرى في ختام الحديث عن بني إسرائيل في الآيات (122-123) من السورة.

2. بيان صفات بني إسرائيل الحسية والمعنوية وذلك لترسم ملامح شخصيتهم المعقدة وسلوكياتهم الشنيعة، وقد طال القول في هذا الجانب وذلك في الآيات من (61-104)، ولهذا دلالة عميقة على فُبح بواطن وظواهر القوم، وفضح لمكائدهم التي حاكوها للتحايل في أداء الأمر الإلهي بالاستخلاف في الأرض وانجرارهم خلف أهوائهم وشهواتهم.

3. انتقل السياق للحديث عن صفات أهل الكتاب عامة -اليهود والنصارى- على حد سواء، فكشف صفاتهم الحسية والمعنوية التي جُبلت عليها نفوسهم، وترجمت بها أفعالهم من كيد وضر وكراهية وحسد للجماعة المسلمة، وقد جاء ذكر ذلك في الآيات من (105-121).

وقد كان هذا الخطاب الطويل عرضا لتجربة بني إسرائيل الفاشلة في الاستخلاف، فقد جادلوا وتمادوا وتنتطعوا وانحازوا لرغباتهم وشهواتهم، فما أغنتهم شفاعة الشافعين ولا نذر المنذرين فاستحقوا العذاب الأليم.

**المقصد الثالث:** شمولية العبودية لجميع جوانب الحياة، وهذا المقصد كان بمثابة توجيه مباشر للجماعة المسلمة وفق دليل إرشادي شامل متكامل ليثبت ركائز الأمة الإسلامية ويقوي عضدها، وقد مهد المولى ﷺ لجملة هذه التوجيهات بنموذجين من نماذج الاستخلاف الناجحة والتي استطاعت أن تحمل الراية وتحوز شرف الإمامة.

1. النموذج الأول: وهو نموذج قديم حيث عرض تجربة خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام وابنه إسماعيل عليه السلام وبنائهما للبيت العتيق ورهبتهم ورجبتهم إلى الله ﷻ، وذلك في الآيات (124-141)، وهذا النموذج إنما كان لتلهيب المشاعر وتحفيز الضمائر المسلمة للاقتداء بجدها الكريم ﷺ وأن تحذو حذوه وتقفو أثره.

2. النموذج الثاني: وهو نموذج حديث معاصر للجماعة المسلمة آنذاك وتجربة عملية واختبار فعلي للطاعة والانقياد لأمر الله ﷻ، وذلك في قصة تحويل القبلة، حيث عرض الحق ﷻ تداعياتها وملابساتها وظروفها الزمانية والمكانية وأظهر سرعة استجابة عباد الله الصالحين لأوامر ربهم ونجاحهم وبجدارة في اختبار الطاعة والتميز وهذا في الآيات من (142-150).

بعدها بدأ الخطاب برسم معالم الطريق للأمة المستخلفة مع بيان منهاجها الحكيم فنتوع التوجيه ما بين أصول العقائد والإيمان، والعبادات والتشريعات، وأرسى دعائم النظام الاجتماعي من جذوره وبذر بذور اللبنة الأولى في المجتمع من خلال بيان أحكام الأسرة وما يتعلق بها، ونظم كذلك الجانب الاقتصادي ووضع الضوابط والمعايير الرشيدة التي تحكمه وتحيده عن الظلم والهدر لمقومات الأمة وثرواتها، وطال الحديث في هذه المحاور في عرض ممتع مشوق مثير احتل أكثر من جزء من السورة الكريمة وذلك في الآيات من (151-283)، وهذا البلاغ المبين تخلله إشارات لبعض القصص للأقوام السابقين من أنبياء أو صالحين أو عاصين كلها جاءت لتخدم المقصد الأساس للسورة وهو تحقيق العبودية في الأرض وبيان قدرة الخالق وعظمته واستحقاقه للعبادة.

كل هذه التوجيهات كانت دستوراً ربانياً متكاملًا لمنهاج الحياة، دستوراً لا يعتره الباطل من بين يديه أو من خلفه، دستور يؤكد على أن الدين هو الحياة، وأن العبودية لا تقتصر على جانب من جوانبها وإنما هي قلب الحياة وجوهرها، هذا الأمر هو الكفيل بنجاح بني آدم في حمل أمانة الخلافة على الوجه الحق.

**خاتمة السورة:** أنت خاتمة السورة متناغمة أيما تناغم مع مقاصد السورة الكريمة ومحورها الأساس، حيث أكدت على الوازع الديني المُعين على تحقيق الاستخلاف في الأرض ألا وهو التقوى وذلك في الآية (281)، ثم ختم السورة بختام بليغ جمع ما بين إظهار قدرة الله اللامحدودة من جهة، ومحدودية طاقة الإنسان من جهة أخرى، وهذا الختام عجيب لأنه يجسد في بضعة سطور أساس الاستخلاف في الأرض فالمملوك لا بدّ له من مالك، والعبد لا بدّ له من معبود، وشتان ما بين الرب المعبود وبين العبد المخلوق، وذلك في الآيات من (284-286).

وهذا الختام الرقيق تخلّله الثناء الحسن على النبي الكريم وعباد الله المؤمنين، والتأكيد على أن الخضوع والإنابة هما حقيقة العبودية، والدعاء والبذل بقدر الوُسع والطاقة هو السبيل للنجاح في مهمة الخلافة، وقاتل الأعداء وجهادهم هو الطريق إلى الإمامة.

هكذا التحمت آيات السورة الكريمة وموضوعاتها لتكوّن وحدة موضوعية متكاملة يستشعر المتأمل فيها كما لو أنه واكب رحلة الاستخلاف في الأرض من مبدئها إلى منتهاها، بكل امتيازاتها وصعوباتها، ومنهاجها وأحكامها، ونماذجها وتجاربها، فتسمو السورة الكريمة كشجرة شاهقة ذات أغصان وارفة وثمار يانعة، يسعد من يرتع في بساطينها، وتزهو قلبه وحياته، فيتسنّم بها ركب الهدى، ويحظى بشرف الوصول.

## الفصل الثاني

التعريف بأصناف البشر الثلاثة وبيان  
صفاتهم وجزائهم في مقدّمة سورة البقرة

## الفصل الثاني

### التعريف بأصناف البشر الثلاثة وبيان صفاتهم وجزائهم في مقدمة سورة البقرة

أنت سورة البقرة على طولها مقسمة إلى مقدمة ومقاصد وخاتمة وفق ترابط متين بليغ! فاستهل الباري ﷻ سنام قرآنه بالتحدي الحازم والإثبات الجازم بأن القرآن الكريم هو الطريق الأوحد لهداية البشرية، وكونه حقاً لا مجال فيه لشك ولا ارتياب.

وقد تألفت مقدمة السورة على حد قول أكثر من واحد من العلماء من عشرين آية، وتُسمت هذه المقدمة إلى ثلاثة أقسام بيّنت موقف الناس اتجاه هداية القرآن، فكانت على النحو الآتي: (1)

1. **القسم الأول:** [الآيات من 1-5] متمثلة في الأحرف «الم» ثم أربع آيات في وصف المتقين مع بيان ثوابهم عند الله ﷻ.

2. **القسم الثاني:** [الآيات 6، 7]، حيث كانت وصفاً للكافرين مع بيان مصيرهم.

3. **القسم الثالث:** [الآيات من 8-20] وفيها بيان حقيقة المنافقين وصفاتهم ومواقفهم وعاقبتهم.

وبالتأمل في هذه الأقسام الثلاثة نخلص إلى أن "المقدمة جاءت في التعريف بشأن هذا القرآن، وبيان أنّ ما فيه من الهداية قد بلغ حدّاً من الوضوح لا يتردد فيه ذو قلب سليم، وإنما يعرض عنه من لا قلب له، أو من كان في قلبه مرض." (2)

وفي هذا الفصل سنتناول الباحثة الحديث عن هذه الأقسام بشيء من التفصيل مقسمة هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث، كل مبحث يتحدّث عن صنف من أصناف البشر كما عرضها القرآن الكريم في مقدمة هذه السورة، والله الموفق.

(1) انظر: تفسير المنار، رضا، ج1/88. الأساس في التفسير، حوى، ج1/64.

(2) النبأ العظيم، دراز، ص196.

## المبحث الأول

### المتقون وصفاتهم وجزاؤهم في مقدمة سورة البقرة

سورة البقرة من أكثر السور التي ورد فيها ذكر المتقين مع بيان ما يتعلّق بهم من أوصاف وأحوال، وليس أدل على ذلك من ذكر الله ﷻ لهم في ثاني آية من آيات أعظم سورة في كتابه حيث قال: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (2)﴾.

وفي هذا المبحث ستقوم الباحثة ببيان معنى التقوى لغةً واصطلاحاً، وبيان صفات المتقين وجزائهم الذي أعدّه الله ﷻ لهم كما ورد في مقدمة سورة البقرة.

## المطلب الأول

### تعريف التقوى لغةً واصطلاحاً

#### أولاً: تعريف التقوى لغةً

أشار ابن منظور إلى المادة الأصلية للتقوى فقال: (وَقِيَ) أي: وقاه الله وقياً ووقاية وواقية: صانه وحماه مما يكره؛ ووقيت الشيء أقيه إذا صنته وسترته عن الأذى، ومنه في التنزيل العزيز: ﴿..فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ ..﴾ [الإنسان:11] وقوله ﷻ: ﴿..وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾ [الرعد: 34] أي: من دافع، والاسم (التقوى)، التاء بدل من الواو والواو بدل من الياء، ومنه قوله: ﴿..وَأَتَاهُمُ تَقْوَاهُمْ﴾ [محمد: 17]؛ أي جزاء تقواهم، وقيل: معناه ألهمهم تقواهم، وقوله تعالى: ﴿هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾ [المدثر:56]؛ أي هو أهل أن يتقى عقابه وأهل أن يعمل بما يؤدي إلى مغفرته.<sup>(1)</sup>

وأضاف ابن فارس: (وقي) الواو والقاف والياء: كلمة واحدة تدل على دفع شيء عن شيء بغيره. والوقاية: ما يقي الشيء. واتفق الله: توقّه، أي اجعل بينك وبينه كالوقاية. قال النبي ﷺ: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ»<sup>(2)</sup>، وكأنه أراد: اجعلوها وقاية بينكم وبينها.<sup>(3)</sup>

فمن خلال المعاني السابقة يتبيّن للباحثة أن المعنى اللغوي للتقوى ينحصر في معاني الخشية والخوف وصون النفس عن الأذى وحمايتها.

(1) انظر: لسان العرب، ابن منظور، ج15/401-402. القاموس المحيط، أبدي، ج1344.

(2) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الزكاة/ باب اتقوا النار ولو بشق تمرة والقليل من الصدقة، ج2/109، رقم الحديث 1417.

(3) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، ج6/131.

## ثانياً: تعريف التقوى اصطلاحاً

تعددت التعريفات الاصطلاحية للتقوى فمنهم من عرفها:

1. تقوى الله: خشيته والخوف منه بامتثال أوامره واجتناب نواهيه.<sup>(1)</sup>
2. وعرفها البعض بقوله: التقوى خصلة من الطاعة يُحترز بها من العقوبة، وهي: كف النفس عما نهى الشارع عنه حراماً كان أم مكروهاً.<sup>(2)</sup>
3. سئل عليٌّ عليه السلام عن النَّقْوَى، فقال: هي الخوفُ من الجَلِيلِ، والعملُ بما في التنزيلِ، والاستعدادُ ليوم الرَّحِيلِ. وقال ابنُ عُمر رضي الله عنهما: المراد بالتقوى: وقاية النفس عن الشرك والأعمال السيئة، والمواظبة على الأعمال الصالحة.<sup>(3)</sup>
4. ووصفها الخليفة عمر بنُ عبد العزيز رضي الله عنه بقوله: "ليست التقوى قيامَ الليل، وصيامَ النهار، والتخليطَ فيما بيّنَ ذلك، ولكن التقوى أداءُ ما افترض الله، وترك ما حرّم الله، فإن كان مع ذلك عملٌ، فهو خير إلى خير."<sup>(4)</sup>
5. وقد عرفها الراغب بقوله: "والنَّقْوَى جعل النَّفْسِ في وَقَايَةِ مما يخاف."<sup>(5)</sup>

وعلى هذا فالباحثة تميل وترجّح القول الأول في تعريف التقوى وتضيف عليه فتقول: التقوى هي خشية الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه مع الشعور بحبه والرجاء والرغبة فيما عنده. وبالتأمل فيما سبق من تعريفات اصطلاحية للتقوى<sup>(6)</sup> يتبين للباحثة أنّ التقوى شجرة طيبة لا تؤتي أكلها إلا إذا ارتوت من معينين أولاهما: اتباع أوامر الله تعالى، وثانيهما: اجتناب نواهيه، وهذا الغيث لا يهطل إلا من غمامة حب لله تعالى داعبتها رياح الخشية من المولى تعالى مع الرجاء والرغبة فيما عنده.

(1) انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، عمر، ج3/2486.

(2) معجم الفروق اللغوية، العسكري، ج1/137.

(3) انظر: كوثر المعاني الدراري في كشف خبايا صحيح البخاري، الشنقيطي، ج1/402.

(4) جامع العلوم والحكم، ابن الحسن، ج1/268.

(5) المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، ص881.

(6) للاطلاع على أقوال أخرى للعلماء في تعريف التقوى انظر: التقوى تعريفها وفضلها ومحدوراتها وقصص من أحوالها، الأشقر، ص9-11.

## المطلب الثاني

### صفات المتقين المذكورة في مقدمة سورة البقرة

جاءت مقدمة سورة البقرة لتقول لنا أنّ التقوى أول منازل الهداية وأنّ من تلقى هدايات الله ﷻ في هذه السورة وفي غيرها من السور كان من المتقين ومن المفلحين ومن أهل الجنة، حيث بينت مقدمة السورة الكريمة صفات المتقين، إرشاداً إليها، وحثاً على التحليّ بها، وإشارة إلى أنّ المتقين لهم صفات وأعمال نالوا بها السعادة في الدنيا والآخرة، ومقدمة السورة هي أولى مواطن ذكر المتقين حيث عدّدت صفاتهم التي بموجبها استحقّوا هذا المديح الجميل من المولى ﷻ، وستقوم الباحثة في هذا المطلب بإبراز هذه الصفات على النحو الآتي<sup>(1)</sup>:

#### 1. الإيمان بالغيب

وهذه الصفة كانت أولى الصفات التي وصف الله ﷻ بها عباده المتقين في مطلع السورة الكريمة حيث قال ﷻ: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (2) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ..(3)﴾، أما وصفهم بأنهم «يؤمنون» فلأنّ الإيمان: هو التصديق الجازم المقترن بإذعان النفس وقبولها واستسلامها، وآيته العمل بما يقتضيه الإيمان، فميّزهم بإيمانهم وتصديقهم عن غيرهم ممّن ادّعوا الإيمان قولاً لا عملاً<sup>(2)</sup>، وكونه ﷻ قرن إيمانهم بـ «الغيب» وخصّه بالذكر في أولى أوصافهم فلحكمة عظيمة، حيث قال الإمام السعدي: «إنما الشأن في الإيمان بالغيب، الذي لم نره ولم نشاهده، وإنما نؤمن به، لخبر الله ﷻ وخبر رسوله ﷺ. فهذا الإيمان الذي يميّز به المسلم من الكافر، لأنه تصديق مجرد لله ورسوله، فالمؤمن يؤمن بكل ما أخبر الله به، أو أخبر به رسوله، سواء شاهده، أو لم يشاهده وسواء فهمه وعقله، أو لم يهتد إليه عقله وفهمه، بخلاف الزنادقة والمكذّبين بالأمر الغيبية، لأن عقولهم القاصرة المقصرة لم تهتد إليها فكذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ففسدت عقولهم، ومرجت أحلامهم، وزكّت عقول المؤمنين المصدقين المهتدين بهدى الله.

(1) انظر: نور التقوى وظلمات المعاصي في ضوء الكتاب والسنة، القحطاني، ص14-16. التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، مسلم وآخرون، ص45-46.

(2) انظر: تفسير المنار، رضا، ج1/107.

ويدخل في الإيمان بالغيب، الإيمان بجميع ما أخبر الله به من الغيوب الماضية والمستقبلية، وأحوال الآخرة، وحقائق أوصاف الله وكيفيتها، وما أخبرت به الرسل من ذلك فيؤمنون بصفات الله ووجودها، ويتيقنوها، وإن لم يفهموا كيفيتها".<sup>(1)</sup>

وعن أصحاب هذه الصفة العظيمة وهي (الإيمان بالغيب) يقول الإمام الزحيلي: "الذين يؤمنون ويصدقون بالغيبات التي أخبر عنها القرآن من البعث والحساب والصراف والجنة والنار وغيرها، فلا يقفون عند مجرد الماديات والمحسوسات التي يدركها العقل إدراكاً قريباً، وإنما يدركون أيضاً ما وراء المادة من عوالم أخرى كالروح والجن والملائكة، وعلى رأسها وجود الله ﷻ ووحدانيته"<sup>(2)</sup>، فهذه إشارة واضحة إلى أنّ أهم صفات الأمة المسؤولة عن الأرض هي الإيمان بالغيب وأخطر صفة في الأمم السابقة هي المادية الشديدة وعدم الإيمان إلا بما تراه أعينهم، فالجند المكلفون بالاستخلاف في هذه الأرض لن ينالوا هذا الشرف إلا بالإيمان بالغيب.

## 2. إقام الصلاة

أشار الله ﷻ إلى الصفة الثانية من صفات المتقين بقوله ﷻ: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ..(3)﴾، فكانت (إقامة الصلاة) هي ثاني الصفات التي وصف الله ﷻ بها عباده المتقين، وإقامة الصلاة تكون إما بتمام فعلها على الوجه المأمور به، أو المحافظة على مواقيتها ووضوئها وركوعها وسجودها، أو إدامتها<sup>(3)</sup>، فمن أتى بها على هذا الوجه تحلّى بصفة من صفات عباد الله المتقين، لذلك نعتها المولى ﷻ ب(الإقامة)، يقول المراغي: "والصلاة على النحو الذي شرعه الإسلام من أفضل ما يعبر عن الشعور بعظمة المعبود وشديد الحاجة إليه لو أُقيمت على وجهها، أما إذا خلت من الخشوع والخضوع فإنها تكون صلاة لا روح فيها، وإن كانت قد وجدت صورتها وهي الكيفيات المخصوصة ولا يقال للمصلّي حينئذ إنه امتثل أمر ربه فأقام الصلاة، لأن الإقامة مأخوذة من أقام العود إذا سواه وأزال اعوجاجه، فلا بدّ فيها من حضور القلب في جميع أجزائها واستشعار الخشية ومراقبة الخالق كأنك تنظر إليه".<sup>(4)</sup>

(1) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص40.

(2) التفسير المنير، الزحيلي، ج1/74.

(3) انظر: زاد المسير، ابن الجوزي، ج1/28.

(4) تفسير المراغي، المراغي، ج1/42.

### 3. الإنفاق من رزق الله

وهذه الصفة من صفات المتقين التي ذُكرت في سياق الحديث عنهم فقال الحق ﷻ: ﴿.. وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (3)﴾، واختلف العلماء في المراد من (الإنفاق) في الآية الكريمة، يقول الإمام الطبري: "وأولى التأويلات بالآية وأحقها بصفة القوم: أن يكونوا لجميع اللازم لهم في أموالهم مؤدّين، زكاةً كان ذلك أو نفقةً من لزمته نفقته، من أهل وعيال وغيرهم، ممن تجب عليهم نفقته بالقرابة والملك وغير ذلك، لأن الله ﷻ عمّ وصفهم إذ وصفهم بالإنفاق مما رزقهم، فمدحهم بذلك من صفتهم، فكان معلوماً أنه إذ لم يخصّ مدحهم ووصفهم بنوع من النفقات المحمود عليها صاحبها دون نوع بخير ولا غيره - أنهم موصوفون بجميع معاني النفقات المحمود عليها صاحبها من طيب ما رزقهم ربهم من أموالهم وأملاكهم." (1)

وفي الآية الكريمة "إيماء إلى أنّ النفقة المشروعة تكون بعض ما يملك الإنسان، لا كل ما يملك، وإلى تعليم الإنسان مبادئ الاقتصاد وحبّ ادّخار المال، وأنّ من يجد في نفسه ميلاً إلى بذل أحب الأشياء إليه، وهو ماله ابتغاء رضوان الله، وقياماً بشكره على أنعمه، رحمة لأهل البؤس والعوز - كان من المتقين المستجيبين لهدى القرآن." (2)

وجمّع المولى ﷻ لهذه الأوصاف الثلاثة في الآية الكريمة "بصيغة المضارع الدالة على التجدد إيذاناً بتجدد إيمانهم بالغيب وتجدد إقامتهم الصلاة والإنفاق إذ لم يكونوا متصفين بذلك إلا بعد أن جاءهم هدى القرآن." (3)

ولما كانت التقوى أمراً باطناً، وكان الإيمان مقروناً بالعمل الصالح أظهر الله ﷻ الإمارات عليهما فأشار إلى الصلاة كأسمى علاقة بين الخلق والخالق، فهي أفضل أعمال البدن وبها تتجلى معاني المراقبة، ثم أشار إلى الإنفاق على أنه من أعظم دعائم الدين صلة بين الخلاق فيما بينهم. (4)

فتأمل معي جمال هذه الآية الكريمة حيث تؤسّس للمشروع الإيماني فتبين اكتمال بنائه المنشود شرعاً وذلك ببناء الفرد بالصلاة التي هي عماد الدين، وبناء المجتمع بالزكاة وتوابعها

(1) جامع البيان، الطبري، ج1/244.

(2) تفسير المراغي، المراغي، ج1/42-43.

(3) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج1/229.

(4) انظر: نظم الدرر، البقاعي، ج1/82-85.

التي هي أساس التقدم ورفي الحياة وسعادة الأمة. فالآية عامة في كل غيب أخبر به الرسول ﷺ أنه كائن، وعامة في كل صلاة فرضاً كانت أو نفلًا، وعامة في كل نفقة واجبة أو مندوبة.<sup>(1)</sup>

#### 4. الإيمان بالقرآن الكريم والكتب السماوية السابقة

لما وصف الله ﷻ المتقين بالإيمان جملةً أشار إلى تفصيله بقوله ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ..(4)﴾، "أما قوله: ﴿..وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ..﴾ يعني القرآن، ﴿..وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ..﴾ يعني به التوراة والإنجيل وما تقدم من كتب الأنبياء، بخلاف ما فعلته اليهود والنصارى في إيمانهم ببعضها دون جميعها"<sup>(2)</sup>، فهذه الآية الكريمة عطف على ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ..(3)﴾ فعطف الطائفة الثانية على الطائفة الأولى المعنية بقوله ﷻ: (الذين يؤمنون بالغيب) وهما معًا قسمان للمتقين، فإنه بعد أن أخبر ﷻ أن القرآن هدى للمتقين الذين آمنوا بعد الشرك وهم العرب من أهل مكة وغيرهم ووصفهم بأنهم يؤمنون بالغيب لأنهم لم يكونوا يؤمنون به حين كانوا مشركين، ذكر فريقًا آخر من المتقين وهم الذين آمنوا بما أنزل من الكتب الإلهية قبل بعثة محمد ﷺ ثم آمنوا بمحمد، وهؤلاء هم مؤمنو أهل الكتاب، وذلك حتى لا يُظن أن الذين آمنوا عن شرك لا حظ لهم من هذا الثناء، كيف وفيهم من خيرة المؤمنين من الصحابة<sup>(3)</sup>، ومن العلماء من اعتبر أن هذا العطف استكمال لوصف المؤمنين بالعموم.<sup>(4)</sup>

#### 5. اليقين بالآخرة

فاليقين بالآخرة من صفات المتقين التي وردت في مقدمة هذه السورة الكريمة، وذلك في قوله تعالى: ﴿..وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ(4)﴾، يقول الإمام الطبري: "وأما الذي وصف الله ﷻ به المؤمنين - بما أنزل إلى نبيه محمد ﷺ وما أنزل إلى من قبله من المرسلين ﷺ - من إيقانهم به من أمر الآخرة، فهو إيقانهم بما كان المشركون به جاحدين: من البعث والنشور والثواب والعقاب والحساب والميزان، وغير ذلك مما أعد الله لخلقه يوم القيامة"<sup>(5)</sup>، "والآخرة اسم لما يكون بعد الموت، وخصّه بالذكر بعد العموم، لأن الإيمان باليوم الآخر، أحد أركان الإيمان؛ ولأنه

(1) انظر: التفسير المنير، الزحيلي، ج1/75.

(2) النكت والعيون، الماوردي، ج1/70.

(3) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج1/237.

(4) انظر: جامع البيان، الطبري، ج1/237-241. زهرة التفاسير، أبو زهرة، ج1/109-110.

(5) جامع البيان، الطبري، ج1/246. انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود،

ج1/33.

أعظم باعث على الرغبة والرغبة والعمل، واليقين هو العلم التام الذي ليس فيه أدنى شك، الموجب للعمل.<sup>(1)</sup>

ويعد هذا المسير الممتع مع صفات المتقين التي بيّنتها مقدمة السورة الكريمة يظهر لنا صفات المتقين ومنهجهم وقانونهم في الحياة الإسلامية، وأن الإيمان إيمان شامل كامل بكل ما غاب علمه عنهم، مما أخبر عنه القرآن العظيم وأرشد إليه الدليل السليم، والإيمان مقرون بالعمل الصالح: وهو إقامة الصلاة المفروضة، والإنفاق في سبيل الله في الجهاد، وعون الفقراء والمساكين وصدقة التطوع، والنفقة الواجبة على الأهل والولد وذي القربى. ولا يتجزأ الإيمان بما أنزل الله، فلا بد من الإيمان التفصيلي بكل ما أنزله الله تعالى في القرآن، والإيمان الإجمالي بالكتب والصحف السماوية السابقة، فأرشدت الآيات إلى أن التقوى فيها جماع الخير كله، وهي وصية الله في الأولين والآخرين، وهي خير زاد ليوم المعاد.<sup>(2)</sup>

وهنا لا بدّ لنا من الإشارة إلى أن ذكر التقوى وأحوال المتقين لم يكن مقتصرًا على مقدّمة السورة الكريمة، وإنما انتشر هذا العبق بين ثنايا آياتها الكريمة، فتعدّدت صفات المتقين وتنوع الثناء الرباني عليهم.

وهذا الحثّ الدائم على التقوى وذكرها في مواضع الحديث عن الأحكام الشرعية في مختلف المجالات له دلالة مباشرة على أنّ من التزم بأحكام الله وأقام العدل في حقوق العباد استحقّ أن يكون من عباد الله المتقين.

### المطلب الثالث

#### جزاء المتقين كما تبينه مقدّمة سورة البقرة

بعد أن بيّن الله ﷻ حال المتقين الذين يكون الكتاب هدىً لهم، وبيّن صفاتهم التي سلكت بهم إلى طريق الهداية، بيّن بعد ذلك جزاءهم الذي يستحقونه حيث تمثّل هذا الجزاء في أمرين:

#### الأول: استحقاق الهداية الربانية

فالجزاء الأول للمتقين من ربهم هو نيل هدى الله ﷻ فقد قال الله ﷻ في مطلع السورة الكريمة: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (2)﴾، فالمتقون الذين أتوا بالسبب الأكبر،

(1) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص40.

(2) انظر: التفسير المنير، الزحيلي، ج1/75-76.

لحصول الهداية، وهو التقوى التي حقيقتها: اتخاذ ما يقى سخط الله وعذابه، بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، فاهتدوا به، وانتفعوا غاية الانتفاع هم المنتفعون بالآيات القرآنية، والآيات الكونية، ولأن الهداية نوعان: هداية البيان، وهداية التوفيق. فالمنتقون حصلت لهم الهدايتان، وغيرهم لم تحصل لهم هداية التوفيق. وهداية البيان بدون توفيق للعمل بها، ليست هداية حقيقية تامة.<sup>(1)</sup>

ومما أكد على ذلك تكرار الله ﷻ هذا التصريح بأنهم هم الهداة في الآية الخامسة من مطلع السورة الكريمة حيث قال ﷻ: ﴿أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۗ﴾ (5)، أي: "هم على نور من ربهم وبرهان واستقامة وسداد، بتسديد الله إياهم، وتوفيقه لهم"<sup>(2)</sup>، وإنما كررت الإشارة لبيان "أن هذه الصفات أيضاً هي سبب الفوز بالنعيم المقيم، والبعد عن العذاب الأليم، فالتكرار للتبنيه على أنها سبب للثانية كما هي سبب للأولى"<sup>(3)</sup>، وتأمل الاستعلاء في قوله ﴿.. عَلَىٰ هُدًى ۗ﴾ ليظهر لك مدى تمكّنهم من الهدى، واستقرارهم عليه، وتمسّكهم به.<sup>(4)</sup>

### الثاني: الفلاح

وهذا هو الجزء الثاني للمتقين والذي سطرته مقدّمة سورة البقرة، فبعد أن ذكر الله ﷻ الجزء الأول للمتقين وهو الهداية، أتبعه بالثاني وهو الفلاح وذلك في قوله ﷻ: ﴿.. وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (5)، والمراد أي: "أولئك هم المنجحون المدركون ما طلبوا عند الله ﷻ بأعمالهم وإيمانهم بالله وكتبه ورسله، من الفوز بالثواب، والخلود في الجنان، والنجاة مما أعد الله ﷻ لأعدائه من العقاب"<sup>(5)</sup>، وقد عقّب الإمام الشعراوي على هذه الآية الكريمة بأن أولئك الذين تنطبق عليهم هذه الصفات وصلوا إلى الهدى أي إلى الطريق الموصل للإيمان، ووصلوا إلى الفلاح، وهو الهدف من الإيمان، والفلاح أصله شقّ الأرض وبذر البذور والمراد هنا: هم الفائزون<sup>(6)</sup>، وجيء بالضمير ﴿.. هُمْ ۗ﴾ ليفيد الحصر كأنه يقول: من اتّصفوا بهذه الصفات هم

(1) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص40.

(2) جامع البيان، الطبري، ج1/249.

(3) زهرة التفاسير، أبو زهرة، ج1/112.

(4) انظر: الكشاف، الزمخشري، ج1/44.

(5) جامع البيان، الطبري، ج1/250.

(6) انظر: الخواطر، الشعراوي، ج1/132.

المفلحون لا غيرهم<sup>(1)</sup>، فأولئك الموصوفون بشرهم الله ﷻ بالفوز دون الناس بالهدى عاجلاً، وبالفلاح آجلاً فهنيئاً هنيئاً لهم.

• علاقة المبحث بوحدة موضوع السورة:

وفي ختام الحديث عن المتقين وصفاتهم وجزائهم تؤكد الباحثة أنّ التقوى كنز عزيز، إذا ظفر به المرء، وجد فيه خيراً كثيراً، ورزقاً كريماً. فهي الخصلة التي تجمع خيرَي الدنيا والآخرة. والمتأمل مواقعها في القرآن الكريم يجد كم رتب عليها من خير، وكم وعد عليها من ثواب، وكم أضيف إليها من سعادة.

وهذا التركيز الواضح عليها واستهلال سنام القرآن الكريم بذكر فئة المتقين مع بيان صفاتهم وجزائهم إنما كان لإبراز صفات الأمة المستخلفة على هذه الأرض، ومقومات نجاحها، والتأكيد على أن تقوى الله هي سر النجاح ووقود المسير وسبيل الظفر في الدنيا والآخرة.

---

(1) انظر: صفوة التفاسير، الصابوني، ج1/26.

## المبحث الثاني

### الكافرون وصفاتهم ومصيرهم في مقدمة سورة البقرة

لما قدّم الله ﷻ ذكر أوليائه وخاصة عباده بصفاتهم التي أهلتهم لإصابة الزلّفى عنده، وبيّن أن الكتاب هدى ولطفٌ لهم خاصّة، عقّبهم بذكر أصدادهم وهم العتاة المردة من الكفار الذين لا ينفع فيهم الهدى، ولا يُجدي عليهم اللطف، ولا تُغني عنهم الآيات والنذر، سواء عليهم وجود الكتاب أو عدمه، وإنذار الرسول ﷺ لهم أو سكوتهم<sup>(1)</sup>، فجاء القسم الثاني من مقدّمة السورة الكريمة مبيّنًا لأوصافهم وأحوالهم فبضدها تتميز الأشياء، ممّا يُثبت أن الإيمان والكفر نموذجان متناقضان متعاكسان، فالإيمان تصديقٌ والكُفر تكذيب، الإيمان كشفٌ والكفر غطاء، الإيمان إقبالٌ والكفر إعراض، الإيمان شُكْرٌ والكفر جحود؛ فاختر أيهما شئت!

وستقوم الباحثة في هذا المبحث بتعريف الكفر لغةً واصطلاحًا، وبيان صفات الكافرين التي ذُكرت في مقدّمة السورة الكريمة ومصيرهم الذي آلا إليه، وذلك من خلال المطالب الثلاثة الآتية:

### المطلب الأول

#### تعريف "الكفر" لغةً واصطلاحًا

##### أولاً: تعريف "الكفر" لغةً

جاء في مقاييس اللغة: (كفر) الكاف والفاء والراء أصل صحيح يدل على معنى واحد، وهو الستر والتغطية، يقال لمن غطّى درعه بثوب: قد كفر درعه.<sup>(2)</sup>

و(كَفَرَ) نعمة الله وبها (كُفُورًا) و(كُفْرَانًا): جدها، وسترها، و(كافره) حقه: جده، و(كافر): جاحد لأنعم الله ﷻ وجمعها: كفار وكفرة.<sup>(3)</sup>

وأضاف الأصفهاني: الكُفْرُ في اللّغة: ستر الشيء، ووصف الليل بِالْكَافِرِ لستره الأشخاص، والزَّرَاع لسترهم البذر في الأرض. وكُفْرُ التّعمة وكُفْرَانُهَا: سترها بترك أداء شكرها، قال تعالى: ﴿فَلَا كُفْرَانَ لِسَعِيهِ﴾ [الأنبياء: 94].<sup>(4)</sup>

(1) انظر: الكشاف، الزمخشري، ج1/46. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، ج1/41.

(2) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، ج5/191. مختار الصحاح، الرازي، ص271. المعجم الوسيط، معجم اللغة العربية بالقاهرة، ج2/791-792.

(3) انظر: القاموس المحيط، الفيروز أبادي، ص470-471.

(4) انظر: المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، ص714-717.

مما سبق من معانٍ لغوية للكفر تبين للباحثة أنّ المعاني اللغوية للكفر تنحصر في معنى (الستر أو التغطية) سواء كان سترًا لأمر مادية محسوسة كالأشخاص أو البذور أو غيرها، أو الستر لأمر معنوية كالكفر أو الإيمان أو الشكر، كما تأتي كلمة الكفر في اللغة بمعنى (الجحود).

### ثانيًا: تعريف "الكفر" اصطلاحًا

تعددت التعريفات الاصطلاحية للكفر عند علماء التفسير والعقيدة، تذكر الباحثة منها:

1. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية أن "الكفر عدم الإيمان بالله ورسله سواء كان معه تكذيب أو لم يكن معه تكذيب بل شك وريب أو إعراض عن هذا كله حسدًا أو كبرًا أو اتباعًا لبعض الأهواء الصارفة عن اتباع الرسالة".<sup>(1)</sup>
2. عرّف الإمام القرطبي الكفر بأنه: "ضد الإيمان ... وقد يكون بمعنى جحود النعمة والإحسان".<sup>(2)</sup>
3. اعتبر الطاهر بن عاشور أنّ الكفر في الشرع هو: "إنكار ما دلّت عليه الأدلة القاطعة وتناقضه جميع الشرائع الصحيحة الماضية حتى علمه البشر وتوجّهت عقولهم إلى البحث عنه ونصبت عليه الأدلة كوحداية الله ﷻ ووجوده .... وإنكار ما علم بالضرورة مجيء النبي ﷺ به ودعوته إليه وعده في أصول الإسلام".<sup>(3)</sup>
4. يرى الإمام محمد رشيد رضا أنّ الكفر هو: "جحود ما صرح الكتاب المنزل أنه من عند الله، أو جحود الكتاب نفسه، أو النبي الذي جاء به".<sup>(4)</sup>
5. والكفر هو "الخروج عن الإيمان والانسلاخ منه".<sup>(5)</sup>
6. وجاء في الموسوعة العقدية أن "الكفر شرعًا ضد الإيمان، فيكون قولًا وعملاً واعتقادًا وتركًا، كما أن الإيمان قول وعمل واعتقاد".<sup>(6)</sup>

(1) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، ج12/335.

(2) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج1/183.

(3) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج1/249.

(4) تفسير المنار، رضا، ج1/118.

(5) الحد الفاصل بين الإيمان والكفر، اليوسف، ج1/77.

(6) الموسوعة العقدية، مجموعة من الباحثين، ج6/250.

مما سبق يتبين للباحثة أن الكفر هو الخروج عن الإيمان والانسلاخ منه، وإنكار كل ما جاء به الله ﷻ ورسوله ﷺ، والسبب في تسمية الخارج عن الإيمان كافرًا أنه يرى أدلة التوحيد، وما يدعو به إلى الإيمان بربه ﷻ ثم يصّر مستكبرًا على باطله وكفره، أعادنا الله ﷻ من الكفر وأهله.

## المطلب الثاني

### صفات الكافرين المذكورة في مقدمة سورة البقرة

لما بيّن الله ﷻ نعوت المتقين وصفاتهم وجزاءهم في الآخرة وما ينتظرهم من خير كبير من قبل، بيّن أحوال مقابليهم وهم الكفرة الفجرة، فجاء القسم الثاني من مقدمة سورة البقرة ليتحدث عن هؤلاء القوم في آيتين اثنتين أجملتا أبرز صفات هذا الفريق المعرض عن سبيل الهدى وما أعد الله له من جزاء وحساب<sup>(1)</sup>، وافتتح قصتهم بحرف التأكيد ليبدل على استئناف الكلام فيهم، ولذلك لم يدخل في قصة المتقين، لأن الحديث إنما جاء فيهم بحكم الانجرار، إذ الحديث إنما هو عن الكتاب ثم انجرّ ذكرهم في الإخبار عن الكتاب وأحوال الناس تجاهه.<sup>(2)</sup>

وستتناول الباحثة في هذا المطلب صفات الكافرين التي جاء ذكرها في مقدمة هذه السورة الكريمة.

### أولاً: عدم الإيمان سواء أُنذروا أم لم يُنذروا

وقد وردت هذه الصفة من صفات الكافرين المعرضين في قول الحق ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (6)﴾، وقوله ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا..﴾ "كلامٌ مستأنف سيق لبيان أحوال الكفرة الغواة المردة العتاة إثر بيان أحوال أضدادهم المتّصفين بنعوت الكمال الفائزين بمباغيهم في الحال والمآل".<sup>(3)</sup>

وقد تعدّدت الأقوال فيمن نزل قوله ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا..﴾، وفي نزولها أربعة أقوال<sup>(4)</sup>: الأول: أنها نزلت في قادة الأحزاب.

(1) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج1/247.

(2) انظر: البحر المحيط، أبو حيان، ج1/77.

(3) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، ج1/35.

(4) انظر: زاد المسير، ابن الجوزي، ج1/29.

الثاني: أنها نزلت في أبي جهل وخمسة من أهل بيته.

الثالث: أنها نزلت في طائفة من اليهود، ومنهم حيي بن أخطب.

الرابع: أنها نزلت في مشركي العرب، كأبي جهل وأبي طالب وأبي لهب وغيرهم ممن لم يسلم.

ويرى ابن عباس رضي الله عنه أن هذه الآية نزلت في اليهود الذين كانوا بنواحي المدينة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، توبيخاً لهم في جحودهم نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وتكذيبهم به، مع علمهم به ومعرفتهم بأنه رسول الله إليهم وإلى الناس كافة. (1)

وقوله صلى الله عليه وسلم: «..سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ..» معناه: معتدل عندهم الإنذار وتركه، أي سواء عليهم هذا، وجيء بالاستفهام من أجل التسوية، وقوله صلى الله عليه وسلم: «..أَأَنْذَرْتَهُمْ..» الإنذار: الإبلاغ والإعلام، ولا يكاد يكون إلا في تخويف يتسع زمانه للاحتراز، فإن لم يتسع زمانه للاحتراز كان إشعاراً ولم يكن إنذاراً. (2)

فإن قلت: إذا علم أنهم «..لَا يُؤْمِنُونَ»، فما معنى دعوتهم إلى الإسلام؟ فاعلم أن تلك الدعوة زيادة للحجة عليهم، كما إن الله صلى الله عليه وسلم قد بعث موسى عليه السلام إلى فرعون ليدعوه إلى الإسلام وعلم أنه لا يؤمن. وجواب آخر: أن الآية خاصة، وليست بعامّة، وإنما أراد به بعض الكفار الذين ثبتوا على كفرهم (3)، وقوله «..لَا يُؤْمِنُونَ» جملة مؤكدة للتي قبلها أي هم كفّار في كلا الحالين (4)، فويل وألف ويل لهم من عذاب يوم عظيم!

ثانياً: حَتَّمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً

لما أخبر المولى صلى الله عليه وسلم باستحالة إيمان الكافرين سواء وقع الإنذار لهم أم لم يقع، علل لهذا الحكم وأظهر سببه في الواقع قائلاً: «حَتَّمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (7)»، فهذه الجملة جارية مجرى التعليل للحكم السابق وذلك ليدفع بها تعجب المتعجبين من استواء الإنذار وعدمه عندهم ومن عدم نفوذ الإيمان إلى نفوسهم مع

(1) انظر: جامع البيان، الطبري، ج1/251 وما بعدها.

(2) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج1/184.

(3) انظر: بحر العلوم، السمرقندي، ج1/24.

(4) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج1/174.

وضوح دلائله، فإذا عُلِمَ أَنَّ عَلَى قُلُوبِهِمْ خَتْمًا وَعَلَى أَسْمَاعِهِمْ، وَأَنَّ عَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً عُلِمَ سَبَبُ ذَلِكَ كُلِّهِ وَبَطَلَ الْعَجَبُ. (1)

فالختم على القلوب عند الإمام القرطبي هو: عدم الوعي عن الحق سبحانه مفهوم مخاطباته والفكر في آياته، وعلى السمع: عدم فهمهم للقرآن إذا نُثِلِي عَلَيْهِمْ أَوْ دَعُوا إِلَى وَحْدَانِيَّتِهِ، وَعَلَى الْأَبْصَارِ: عَدَمُ هِدَايَتِهَا لِلنَّظَرِ فِي مَخْلُوقَاتِهِ وَعَجَائِبِ مَصْنُوعَاتِهِ، وَهَذِهِ الْآيَةُ أَدَلُّ دَلِيلٍ وَأَوْضَحُ سَبِيلٍ عَلَى أَنَّ اللَّهَ ﷻ خَالِقُ الْهُدَى وَالضَّلَالِ، وَالْكَفْرِ وَالْإِيمَانِ، فَاعْتَبَرُوا أَيُّهَا السَّامِعُونَ، وَتَعَجَّبُوا أَيُّهَا الْمَفْكَرُونَ فَمَنْ يَهْدِيكُمْ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ إِذَا أَضَلَّكُمْ وَأَصَمَّكُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَكُمْ. (2)

واختلف أهل العلم هل المراد من هذا الختم والغشاوة حقيقته أم أنه على وجه الاستعارة والتشبيه، ورجَّح شيخ المفسرين الطبري ما صحَّ بنظيره الخبرُ عن رسول الله ﷺ، وهو ما رُوي عن أبي هريرة ؓ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: **إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَدْنَبَ دُنْبًا كَانَتْ نُكْتَةً سَوْدَاءَ فِي قَلْبِهِ، فَإِنْ تَابَ وَتَزَعَّ وَاسْتَغْفَرَ سُقِلَ مِنْهَا قَلْبُهُ، وَإِنْ زَادَ زَادَتْ حَتَّى يَغْلِقَ بِهَا قَلْبُهُ فَذَلِكَ الرَّأْيُ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾** [سورة المطففين: 14] (3)، فأخبر ﷺ أَنَّ الذُّنُوبَ إِذَا تَتَابَعَتْ عَلَى الْقُلُوبِ أَغْلَقَتْهَا، وَإِذَا أَغْلَقَتْهَا أَتَاهَا حِينُذُ الْخَتْمِ مِنْ قَبْلِ اللَّهِ ﷻ وَالطَّبْعِ، فَلَا يَكُونُ لِلْإِيمَانِ إِلَيْهَا مَسْلَكٌ، وَلَا لِلْكَفْرِ مِنْهَا مَخْلَصٌ، فَذَلِكَ هُوَ الطَّبَعُ وَالْخَتْمُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ ﷻ فِي قَوْلِهِ: **﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ..﴾** (4).

أما الإمام البيضاوي فرجَّح أن هذا الحال سُمِّيَ خَتْمًا وَتَغْشِيَةً عَلَى سَبِيلِ الْإِسْتِعَارَةِ وَإِنَّمَا الْمُرَادُ مِنْ وَصْفِهِمْ بِهَذِهِ الْحَالَةِ الشَّنِيعَةِ بَيَانُ مَا يَحْدُثُ فِي نَفْسِهِمْ مِنْ هَيْئَةِ تَمَرُّنِهِمْ عَلَى اسْتِحْبَابِ الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي، وَاسْتِقْبَاحِ الْإِيمَانِ وَالطَّاعَاتِ بِسَبَبِ غِيْبِهِمْ، وَإِنْتِهَاكَهُمْ فِي التَّقْلِيدِ، وَإِعْرَاضِهِمْ عَنِ النَّظَرِ الصَّحِيحِ. (5)

(1) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج1/254.

(2) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج1/186-187.

(3) هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. انظر: المستدرک على الصحيحين، النيسابوري، كتاب

الإيمان، ج2/562، حديث رقم 3908. وقال الألباني: هذا حديث حسن صحيح. انظر: صحيح الترغيب

والترهيب، للألباني، كتاب الذكر/ باب الترغيب في الاستغفار، ج2/271، حديث رقم 1620.

(4) انظر: جامع البيان، الطبري، ج1/260-261.

(5) انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، ج1/42.

ولابدّ لنا من الإشارة إلى أن الله ﷻ لم يكتفِ بهذه الأوصاف التي ذُكرت في مقدمة السورة وحسب، وإنما أكّد على أوصاف الكافرين وفضح خباياهم في ثنايا آيات السورة الكريمة، وإنما كان ذلك للتأكيد على سوء هذه الفئة القبيحة وما انطوت عليه عقائدهم وسرائرهم من آفات.

وهكذا فلا يبقى مجالاً للشكّ في أنّ الكفر وصفٌ قائم يتّصف به كلُّ مَنْ لا يؤمن بالله ربّاً، وبالإسلام ديناً، وبمحمدٍ ﷺ نبياً ورسولاً منذ جاء الإسلام، وأشرق نوره من بطاح مكّة، وحتى يريث الله الأرض ومن عليها، وأنّ الكافرين عُمي أبصارٍ، صُمُّ آذانٍ، غُلف قلوب، ولذلك فهم مصرّون على كفرهم، يستوي لديهم الإنذار وعدمه، فجمعوا أقبح الأوصاف وأرذل الأقوال وأحقر الأفعال، نجّانا الله من شرورهم وحفظ لنا إيماننا به.

### المطلب الثالث

#### جزاء الكافرين كما بيّنته مقدمة سورة البقرة

بعد أن بيّن الله ﷻ أوصاف الصنف الثاني من البشر وهم (الكفار) الذين أعرضوا عن الهدايات الربانية ظاهراً وباطناً ختم أوصافهم ببيان مصيرهم الذي توعدّهم الله به نكالاً لهم وزجراً لنفوسهم وإنذاراً لكل من كان على شاكلتهم، حيث قال الله في كتابه العزيز: ﴿..وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (4)﴾، وهذا التنكير للعذاب إنّما هو للتعظيم والتهويل، ثمّ وصفه مع ذلك بـ ﴿..عَظِيمٌ﴾ ليدلّ على أنه بالغ حدّ العظمة كمّاً وكيفاً، فهو شديد الإيلام، وطويل الزمان.<sup>(1)</sup>

ويقول الإمام البغوي: ﴿..وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (7)﴾ أي: في الآخرة، وقيل: القتل والأسر في الدنيا والعذاب الدائم في العقبى، والعذاب: هو كل ما يعيي الإنسان ويشقّ عليه.<sup>(2)</sup>

ويرى الإمام البيضاوي أن قوله ﷻ: ﴿..وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (7)﴾ وعيدٌ وبيانٌ لما يستحقونه، والعذاب كالنكال بناءً، أي: عقاباً يردع الجاني عن المعاودة فهو أعم منهما، والعظيم نقيض الحقيق.<sup>(3)</sup>

(1) انظر: التفسير المنير، الزحيلي، ج1/77.

(2) تفسير البغوي، البغوي، ج1/87.

(3) انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، ج1/43.

وأضاف صاحبنا الجليلين -رحمهما الله- أن العذاب العظيم هو: "القوي الدائم"<sup>(1)</sup>، أما الإمام السعدي فيرى أنّ العذاب العظيم وهو "عذاب النار، وسخط الجبار المستمر الدائم"<sup>(2)</sup>.

بهذا التهديد المخيف ختم الله ﷻ حديثه عن هذه الفئة الضالة المنتفعة بكفرها، الساعية وراء شهواتها، المنكبة على ملذات الدنيا فلا تسمع دعاءً ولا نداءً، هم غارقون في الكفر فلا تنفعهم شفاعة ولا يُغني عنهم نُذر، فوا حسرتنا على كافرٍ غَفَلَ عن الله، وتَقَلَّتْ من منهج الله، وأساء إلى خلقه، فشقي في الدنيا والآخرة.

#### • علاقة المبحث بوحدة موضوع السورة:

بعد أن أظهر لنا المولى ﷻ صفات الصنف الثاني من أصناف البشر في مستهلّ السورة الكريمة، تأكّد لنا أن هذا الكشف والبيان إنما كان للتحذير من هذه الفئة الضالة، التي تخلّت عن ركب الهدى، وتخلّفت عن رحلة الاستخلاف في الأرض، لهذا كان التنبيه على صفات القوم، والتحذير من عقابهم، لتتحفّز الأمة المستخلفة لإكمال مسيرتها، وحمل رايّتها، وفق رؤية واضحة بصعوبة المهمة وتحدياتها، ومقومات النجاح والفشل، ﴿... يَهْلِكُ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ ..﴾ [الأنعام: 42].

(1) تفسير الجلالين، المحلي والسيوطي، ص4.

(2) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص41.

## المبحث الثالث

### المنافقون وصفاتهم وجزاؤهم ومثلهم في مقدمة سورة البقرة

انتقل الله ﷻ في الآيات السابقة من الثناء على القرآن الكريم بذكر المهتدين به من (المتقين) وذكر أصدادهم وهم (الكافرون) إلى الحديث عن (المنافقين)، حيث أطنب الحق ﷻ ذكرهم في ثلاث عشرة آية، لينبّه إلى عظيم خطرهم، وكبير ضررهم، ثم عقّب ذلك بضرب مثلين زيادة في الكشف والبيان، وتوضيحاً لما تتطوي عليه نفوسهم من ظلمة الضلال والنفاق، وما يؤول إليه حالهم من الهلاك والدمار.<sup>(1)</sup>

وستتناول الباحثة في هذا المبحث مصطلح النفاق وتعريفه من حيث اللغة والاصطلاح، ثم الحديث عن صفات المنافقين المذكورة في مقدمة السورة الكريمة وما أعدّ الله ﷻ لهم من جزاء، وما ضرب الله ﷻ من أمثال لبيان حالهم وسوء صنيعهم.

### المطلب الأول

#### تعريف النفاق لغةً واصطلاحاً

#### أولاً: تعريف النفاق لغةً

جاء في مقاييس اللغة أنّ المادة الأصلية للنفاق هي: (نَفَق) النون والفاء والقاف، وهما أصلان صحيحان، يدل أحدهما على انقطاع شيء وذهابه، والآخر على إخفاء شيء وإغماضه. ومتى حصل الكلام فيهما تقارباً. فالأول (نفقت الدابة نفوقاً) أي: ماتت، والأصل الآخر (النفق) وهو سرب في الأرض له مخلص إلى مكان، و(النافقاء): موضع يرفقه البربوع من جحره فإذا أتى من قبل القاصعاء<sup>(2)</sup> ضرب النافقاء برأسه فانفق، أي خرج، ومنه اشتقاق (النفاق)، لأن صاحبه يكتم خلاف ما يظهر، فكأن الإيمان يخرج منه، أو يخرج هو من الإيمان في خفاء. ويمكن أن الأصل في الباب واحد، وهو الخروج.<sup>(3)</sup>

و(النفاق) بالكسر فعل (المنافق)<sup>(4)</sup>، و(المنافق) "مَنْ يُخْفِي الكفر ويُظْهِر الإيمان، وَمَنْ يُضْمِر العداوة ويُظْهِر الصداقة، وَمَنْ يُظْهِر خلاف ما يُبْطِن".<sup>(5)</sup>

(1) انظر: صفوة التفاسير، الصابوني، ج28/1.

(2) القاصعاء: جحر يحفره البربوع. انظر: لسان العرب، ابن منظور، ج275/8.

(3) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، ج455/454/5.

(4) انظر: مختار الصحاح، الرازي، ص316.

(5) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ج942/2.

مما سبق ذكره من معانٍ لغوية للنفاق تبيّن للباحثة أن هذه المعاني تنحصر في انقطاع الشيء أو إخفائه أو الخروج من أمر إلى آخر.

### ثانياً: تعريف النفاق اصطلاحاً

تعددت التعريفات الاصطلاحية للنفاق في المعاجم اللغوية والكتب الفقهية، تذكر الباحثة منها:

1. يقول الحافظ ابن كثير أنّ النفاق هو: "إظهار الخير وإسرار الشر، وهو أنواع: اعتقادي: وهو الذي يخلد صاحبه في النار، وعملي: وهو من أكبر الذنوب." (1)
2. وعرف الجرجاني النفاق بقوله: "النفاق هو إظهار الإيمان باللسان، وكتمان الكفر بالقلب." (2)
3. والنفاق في الدين: "هو ستر الرجل كفره بقلبه وإظهاره إيمانه بلسانه فهو منافق." (3)
4. جاء في معجم لغة الفقهاء أن النفاق نوع من أنواع الكفر وهو كفر النفاق: وهو "أن لا يعتقد المنافق بقلبه بما جاء به النبي ﷺ، ولكنه يقرّ به بلسانه." (4)
5. عرف ابن منظور النفاق بأنه: "الدخول في الإسلام من وجه والخروج عنه من آخر ... وهو اسم إسلامي لم تعرفه العرب بالمعنى المخصوص به، وهو الذي يستتر كفره ويظهر إيمانه وإن كان أصله في اللغة معروفاً." (5)
6. ويرى العسكري أنّ النفاق هو: "إظهار الإيمان مع إسرار الكفر ... ولا يقع هذا الاسم على من يُظهر شيئاً ويخفي غيره إلا الكفر والإيمان وهو اسم إسلامي، والإسلام والكفر اسمان إسلاميان، فلما حدثا وحدث في بعض الناس إظهار أحدهما مع إبطان الآخر سُمي ذلك نفاقاً." (6)

(1) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج1/176.

(2) التعريفات، الجرجاني، ص245. دستور العلماء = جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، عبد النبي، ج3/287.

(3) التعريفات الفقهية، الإحسان، ص230.

(4) معجم لغة الفقهاء، قلعي - قنبي، ص383.

(5) لسان العرب، لابن منظور، ج10/359.

(6) الفروق اللغوية، العسكري، ج1/228-229.

وبالتأمل فيما سبق ذكره من تعريفات اصطلاحية للنفاق تأكد للباحثة أن النفاق هو نوع من أنواع الكفر، يتمثل بإظهار الإيمان باللسان، وكتمان الكفر بالجان؛ ليتسنى للمنافق الوصول إلى أهدافه البغيضة، ودس سمومه في دين الإسلام، ونشر الفرقة والفتن في المجتمع الإسلامي.

## المطلب الثاني

### صفات المنافقين في مقدمة سورة البقرة

جاء ذكر المنافقين وبيان صفاتهم في هذه السورة الكريمة التي هي أولى السور المدنية نزولاً -على رأي الجمهور- لأن مكة لم يكن فيها نفاق بل كان خلافه، ولهذا نبه الله ﷻ على صفات المنافقين؛ لئلا يغترّ بظاهر أمرهم المؤمنون، فيقع لذلك فساد عريض من عدم الاحتراز منهم، ومن اعتقاد إيمانهم وهم كفار في نفس الأمر، وهذا من المحذورات الكبار أن يُظنّ بأهل الفجور خيراً.<sup>(1)</sup>

وقد تتبعت الباحثة مقدمة سورة البقرة وحصرت صفات المنافقين الواردة فيها في الصفات الآتية:

#### الصفة الأولى: ادعاء الإيمان بالله واليوم الآخر

ادعاء الإيمان من أبرز صفات المنافقين، فهم صنفٌ من الناس يدعون الإسلام والإيمان، وهم في حقيقتهم يُضمرون العداوة لأهل الإسلام، ويبغضون الدين الإسلامي ومبادئه التي تحثّ على كلّ فضيلة، وتنذّر كلّ فحشاءٍ ورذيلة، فقد قال ﷻ في وصفهم: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ (8)﴾، يقول الإمام الطبري في الآية الكريمة: "وأجمع جميع أهل التأويل على أنّ هذه الآية نزلت في قوم من أهل النفاق، وأن هذه الصفة صفتهم."<sup>(2)</sup>

وتأمل قوله تعالى ﴿وَمِنَ النَّاسِ..﴾ فالمولى لم يحدّد لهم اسماً ولا لقباً تعريضاً بأن هؤلاء المنافقين نكرة حائرون، فلا يعبر عنهم إلا بأنهم ناس، لا دين لهم ولا خلق، وليس معنى ذلك أنهم خيرٌ حالاً من الكافرين، بل هم أشدّ كفراً، وأبعد إيغالاً في الشر، وأكثر فساداً، وإذا كان في

(1) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج1/176-177.

(2) جامع البيان، الطبري، ج1/268.

الكافر وضوح، فهو يعلنه، فأولئك كافرون يُبهمون، ويجبنون، ولا يصارحون، ولم يذكرهم الله ﷻ في الذين لا يُجدي فيهم إنذار نذير، وأنه ﷻ ختم على قلوبهم وعلى سمعهم، وعلى أبصارهم غشاوة، لم يذكرهم الله في أولئك، وإن كانوا داخلين فيهم؛ لأنهم جمعوا مع هذه الأوصاف أوصافاً أخرى، فكانوا أشدّ عند الله مقتاً، وأبعد في الفساد والأذى، ذلك أنهم زادوا المراءاة والاستهزاء بالمؤمنين، وبتّ روح الفشل فيهم، وعادوهم أشد من عداء الآخرين، وحاربوهم في العقيدة والفساد بأشد ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً.<sup>(1)</sup>

ولعله يتبادر إلى ذهنك أن يُقال: ﴿..وما آمنوا..﴾ ليطابق قوله ﴿..مَنْ يَقُولُ آمَنَّا..﴾ ولكنه ﷻ عدل عن الفعل إلى الاسم فقال: (وما هم بمؤمنين)، لإخراجهم من عداد المؤمنين، وأكّده بالباء مبالغة في تكذيبهم<sup>(2)</sup>، فما أقبح هؤلاء القوم، وما أشنع صنيعهم!

### الصفة الثانية: مخادعتهم الله ﷻ والمؤمنين

وهذه هي الصفة الثانية من صفات المنافقين، وفي ذلك يقول الله ﷻ: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يُخَادِعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (9)﴾، وهي صفة تدل على غفلتهم وحُرق تفكيرهم، فإنهم يحسبون أنهم بنفاقهم يخدعون الله ﷻ، وهم في خداعهم يحسبون أيضاً أنهم يخدعون الذين آمنوا، بأنهم يقولون أمامهم غير ما يبطنون، ولكنّ هذا الخداع شقاء عليهم، لأنهم يعيشون في خوفٍ مستمر، وهم دائماً في قلق أو خوف من أن يكشفهم المؤمنون، أو يستمعوا إليهم في مجالسهم الخاصة، وهم يتحدثون بالكفر ويسخرون من الإيمان، والحقيقة أنّهم لا يخدعون إلا أنفسهم. فالله ﷻ يعلم نفاقهم، والمؤمنون قد يعلمون هذا النفاق، فإن لم يعلموه، فإن الله ﷻ يخبرهم به.<sup>(3)</sup>

"والمخادعة هي أن يُظهر المخادع لمن يخادعه شيئاً، ويبطن خلافه لكي يتمكن من مقصوده ممن يُخادع، فهؤلاء المنافقون سلكوا مع الله وعباده هذا المسلك، فعاد خداعهم على أنفسهم، فإنّ هذا من العجائب؛ لأن المخادع إما أن ينتج خداعه ويحصل له ما يريد أو يسلم، لا له ولا عليه، وهؤلاء عاد خداعهم عليهم، وكأنهم يعملون ما يعملون من المكر لإهلاك أنفسهم وإضرارها وكيدها؛ لأن الله ﷻ لا يتضرر بخداعهم شيئاً، وعباده المؤمنون لا يضرهم كيدهم

(1) انظر: زهرة التفاسير، لأبي زهرة، ج1/121-122.

(2) انظر: التفسير المنير، الزحيلي، ج1/80.

(3) انظر: الخواطر، الشعراوي، ج1/149-150.

شيئاً، فلا يضرّ المؤمنين أن أظهر المنافقون الإيمان، فسلمت بذلك أموالهم وحقنت دماؤهم، وصار كيدهم في نحرهم." (1)

### الصفة الثالثة: مرض قلوبهم

فالمنافقون أصحاب قلوب مريضة كما يقول الله ﷻ: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ(10)﴾، يقول الخازن: "﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ أي شك ونفاق، وأصل المرض الضعف والخروج عن الاعتدال الخاص بالإنسان وسُمي الشك في الدين والنفاق مرضاً لأنه يُضعف الدين كالمريض يُضعف البدن، أما قوله ﷻ: ﴿فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ يعني أن الآيات كانت تنزل تترى، أي آية بعد آية فكلما كفروا بآية ازدادوا بعد ذلك كفراً ونفاقاً." (2)

ويضيف ابن عطية قائلاً: "المرض عبارة مستعارة للفساد الذي في عقائد هؤلاء المنافقين وذلك إما أن يكون شكاً، وإما جحداً بسبب حسدهم مع علمهم بصحة ما يجحدون." (3)

### الصفة الرابعة: ادعائهم الإصلاح رغم فسادهم

يرفع المنافقون على الدوام شعار الإصلاح في جميع محافلهم، وذلك لتحقيق مآربهم الخبيثة من وراء هذا الشعار الجميل، فالإصلاح عندهم وكما يُقال: كلمة حق يُراد بها باطل، وهم في حقيقة الأمر مفسدون لا يهدفون من وراء أفعالهم إلا إفساد حياة المسلمين، وإحداث الشرخ في جسد الأمة الإسلامية، وقد وصف المولى ﷻ طبيعة هذه النفس الخبيثة بقوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (11) أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ (12)﴾

وعلى قول الجمهور أنّ هذه الآية نزلت في المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ، وأما المراد بالفساد هنا فهو على خمسة أقوال: أحدها: أنه الكفر، والثاني: العمل بالمعاصي، والثالث: أنه الكفر والمعاصي، والرابع: أنه ترك امتثال الأوامر، واجتتاب النواهي، والخامس: أنه النفاق الذي صادفوا به الكفار، وأطلعوهم على أسرار المؤمنين.

(1) تيسير الكريم الرحمن، للسعدي، ص42.

(2) لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، ج27/1.

(3) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية، ج92/1.

وفي قوله تعالى: ﴿..إِنَّمَا فَخِئْصَةٌ مِّثْلُ حَافِيَةٍ﴾ خمسة أقوال: أحدها: أن معناه إنكار ما عرفوا به، وتقديره: ما فعلنا شيئاً يوجب الفساد، والثاني: أن معناه: إننا نقصد الإصلاح بين المسلمين والكافرين، والثالث: أنهم أرادوا في مصافاة الكفار صلاحاً لا فساداً، والرابع: أنهم أرادوا أن فعلنا هذا هو الصلاح، وتصديق محمد هو الفساد، والخامس: أنهم ظنوا أن مصافاة الكفار صلاح في الدنيا لا في الدين.<sup>(1)</sup>

### الصفة الخامسة: السفاهة

فقد وصف الله ﷺ المنافقين بالسفاهة وذلك في قوله ﷺ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ (13)﴾، وأول الإمام الطبري قوله ﷺ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ..﴾ أي: وإذا قيل لهؤلاء الذين وصفهم الله ونعتهم بأنهم يقولون: ﴿..آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين..﴾ صدّقوا بمحمد ﷺ وبما جاء به من عند الله، كما صدّق به الناس. ويعني بـ "الناس": المؤمنين الذين آمنوا بمحمد ﷺ ونبوته وما جاء به من عند الله، وإنما عنى المنافقون بقيلهم: ﴿..أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ..﴾ فقالوا إجابة لقائل ذلك لهم: أنؤمن كما آمن أهل الجهل، ونصدّق بمحمد ﷺ كما صدّق به هؤلاء الذين لا عقول لهم ولا أفهام؟ والسفيه: الجاهل، الضعيفُ الرأي، القليلُ المعرفة بمواضع المنافع والمضار<sup>(2)</sup>، فزُدَّ عليهم بأبلغ ردٍّ وجُهلوا أشنع تجهيل، حيث جاء الرد بحرفي التأكيد في قوله تعالى: ﴿..أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ (13)﴾، حيث جُعِلت السفاهة مقصورةً عليهم وبالغَةً إلى حيث لا يدرون أنهم سفهاء.<sup>(3)</sup>

وهؤلاء القوم "لو كان لهم عقول، لتنبهوا إلى هذا كله، ولكنهم لا يشعرون وهم يمشون في هذا الطريق، طريق النفاق، إنهم يجسّدون السفاهة بعينها، بكلّ ما تحمله من حُقم واستخفاف، وعدم التنبّه إلى الحقيقة، والرعونة التي يتصرّفون بها، والله ﷻ حين وصفهم بالسفهاء، كان وصفاً دقيقاً، لحالتهم وطريقة حياتهم."<sup>(4)</sup>

(1) انظر: زاد المسير، ابن الجوزي، ج 1/32.

(2) انظر: جامع البيان، الطبري، ج 1/292-293.

(3) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، ج 1/45.

(4) الخواطر، الشعراوي، ج 1/158.

## الصفة السادسة: ادعائهم الإيمان استهزاءً بالمؤمنين

تميّز المنافقون عن غيرهم بقدرتهم الفائقة على التلون والظهور بمظاهر مختلفة متنوعة، فتأمل معي هذا الوصف البليغ الذي وصفه المولى ﷺ لهم لبيان حالتهم البغيضة حين قال: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُونَ (14)﴾، فهذا هو حالهم إذا التقوا مع المؤمنين الصادقين قالوا لهم إننا معكم، ويظهرون العلامات كلها التي تدلّ على ذلك، بينما إذا التقوا مع أعداء الدين رأيتهم يظهرون بوجه آخر حينما يقدمون لهم قرايين الطاعة والولاء، ولسان حالهم إننا معكم على من عاداكم.

وقال الإمام القاسمي في تفسير الآية الكريمة: "واعلم أنّ مساق هذه الآية بخلاف ما سيقّت له أول قصة المنافقين، فليس بتكرير، لأنّ تلك في بيان مذهبهم، والترجمة عن نفاقهم، وهذه لبيان تباين أحوالهم، وتناقض أقوالهم- في أثناء المعاملة والمخاطبة- حسب تباين المخاطبين." (1)

ويضيف الإمام البيضاوي: «..قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ..» أي في الدين والاعتقاد، خاطبوا المؤمنين بالجملة الفعلية «.. قَالُوا آمَنَّا ..»، والشياطين بالجملة الإسمية المؤكدة (بانّ) لأنهم قصدوا بالأولى دعوى إحداث الإيمان، وبالثنائية تحقيق ثباتهم على ما كانوا عليه، ولأنه لم يكن لهم باعث من عقيدة وصدق رغبة فيما خاطبوا به المؤمنين، ولا توقّع رواج ادعاء الكمال في الإيمان على المؤمنين من المهاجرين والأنصار بخلاف ما قالوه مع الكفار، وقولهم «..إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُونَ» تأكيد لما قبله، لأن المستهزئ بالشيء المستخفّ به مُصِرٌّ على خلافه. (2)

فهذه بعض صفات المنافقين الواردة في مقدّمة سورة البقرة، فقد أكثر الله من فضيحتهم، وكشف أحوالهم، وهتك أستارهم، وبيّن صفاتهم المطردة إلى يوم القيامة، لأنهم شرّ مكانًا من الكفار الصرحاء، وأعظم خطرًا.

(1) محاسن التأويل، القاسمي، ج1/253.

(2) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، ج1/47. انظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، ج1/52.

## المطلب الثالث

### جزاء المنافقين في مقدمة سورة البقرة

بعد بيان صفات المنافقين في مقدمة سورة البقرة بين الله ﷻ ما أعد لهم من الجزاء عقوبة لهم على نفاقهم وخُبت سرائرهم، وقد تتبعت الباحثة آيات مقدمة سورة البقرة وحصرتها هذا الجزاء في النقاط الآتية:

#### 1. زيادة مرض قلوبهم وتوعددهم بالعذاب الأليم

في سياق الحديث عن جزاء المنافقين على نفاقهم يؤكد الله ﷻ على زيادة مرض قلوبهم وما أعدّه لهم من عذاب أليم، وفي ذلك يقول المولى ﷻ: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (10)﴾، والمعنى "أن الله ﷻ زاندهم شكاً وريبة بما كانوا يكذبون الله ورسوله والمؤمنين بقولهم بألسنتهم آمناً بالله وباليوم الآخر، وهم في قلوبهم ذلك كذبة، لاستسراهم الشك والمرض في اعتقادات قلوبهم في أمر الله ﷻ وأمر رسوله ﷺ".<sup>(1)</sup>

فقوله ﷻ: ﴿..فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا..﴾ فمراده أنّ تلك الأخلاق الذميمة الناشئة عن النفاق والملازمة له كانت تتزايد فيهم بتزايد الأيام لأنّ من شأن الأخلاق إذا تمكّنت أن تتزايد بتزايد الأيام حتى تصير ملكات، وإنّما كان النفاق موجّباً لازدياد ما يقارنه من سوء الأخلاق لأنّ النفاق يستر الأخلاق الذميمة فتكون محجوبة عن الناصحين والمرتبين والمرشدين وبذلك تتأصل وتتوالد إلى غير حد.<sup>(2)</sup>

وقوله ﷻ: ﴿..وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ..﴾ أي: عذاب مؤلم فوق هذه الأمراض، وقوله ﷻ: ﴿..بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (10)﴾ أي: في دعوهم بالإيمان بالله واليوم الآخر، فإنهم لم يصدقوا بأعمالهم ما يزعمونه من حالهم<sup>(3)</sup>، وكان عطفه ﷻ قوله ﴿..وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (10)﴾ على قوله ﷻ: ﴿..فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا..﴾ إكمالاً للفائدة فكمّل بهذا العطف بيان ما جرّه النفاق إليهم من فساد الحال في الدنيا بأن زادهم شكاً وريبةً ونفاقاً والعذاب الأليم في الآخرة.<sup>(4)</sup>

(1) جامع البيان، الطبري، ج1/285.

(2) انظر: التحرير والتتوير، ابن عاشور، ج1/279.

(3) انظر: تفسير المنار، رضا، ج1/130.

(4) انظر: التحرير والتتوير، ابن عاشور، ج1/282.

## 2. استهزاء الله ﷻ بهم ومدّهم في طغيانهم يعمهون

عاقب المولى ﷻ المنافقين على استهزائهم بالمؤمنين بتلوينهم مواقفهم أمامهم بعقوبة من جنس ما يفعلون فقال ﷻ: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (15)﴾، والاستهزاء في كلام العرب: إظهار المستهزئ للمستهزأ به من القول والفعل ما يُرضيه ظاهراً، والله جل ثناؤه قد جعل لأهل النفاق في الدنيا من الأحكام - بما أظهروا بألسنتهم من الإيمان المُدْخِل لهم في عداد من يشمله اسمُ الإسلام - أحكامَ المسلمين المصدِّقين إقرارهم بألسنتهم مع علم الله ﷻ بكذبهم، وإطلاعه على خُبث اعتقادهم، حتى ظنُّوا في الآخرة إذ حشروا في عداد من كانوا في عدادهم في الدنيا، أنّهم واردون مؤرِّدَهم وداخلون مُدخلهم! لكنَّ الله ﷻ معدُّ لهم من أليم عقابه ونكال عذابه، ما أعدَّ منه لأعدى أعدائه وشرَّ عبادِهِ، حتى ميّز بينهم وبين أوليائه، فألحقهم من طبقات جحيمه بالدرك الأسفل مستهزئاً، وبهم ساخراً، ولهم خادعاً، وبهم ماكرًا. (1)

ويقول الإمام القرطبي: "قوله ﷻ: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ..﴾ أي ينتقم منهم ويعاقبهم، ويسخر بهم ويجازيهم على استهزائهم، فسمى العقوبة باسم الذنب. هذا قول الجمهور من العلماء، والعرب تستعمل ذلك كثيراً في كلامهم." (2)

أما قوله ﷻ: ﴿..وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (15)﴾ ﴿..يَمُدُّهُمْ..﴾ أي يطيل لهم المدة ويمهلهم ويملي لهم، وأصله الزيادة، وقوله ﷻ: ﴿..فِي طُغْيَانِهِمْ..﴾ أي: كفرهم وضلالهم، وأصل الطغيان مجاوزة الحد، والمعنى في الآية: يمدّهم بطول العمر حتى يزيدوا في الطغيان فيزيدهم في عذابهم، وقوله ﷻ: ﴿..يَعْمَهُونَ﴾ يعمهون أي: يتردّدون متحيرين في الكفر. (3)

## 3. كساد تجارتهم وحرمانهم من الهداية الربانية

أكد الله ﷻ على كساد تجارة المنافقين، ونفى الهداية، عنهم وذلك بقوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ (16)﴾، "فأولئك البعداء الضالّون عن طريق الهداية هم الذين ﴿..اشْتَرَوْا..﴾ أي استبدلوا واختاروا الضلالة المتقررة في نفوسهم بتقليد آبائهم بالهدى المتقرّع على الإيمان بالله وبرسوله فَمَا رَبِحَتْ بهذا الاختيار والاستبدال ﴿..تِجَارَتُهُمْ..﴾ أي: ما يتّجرون به ﴿..وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ أي: رابحين هادين بسبب هذا الاستبدال بل خاسرين ضالين

(1) انظر: جامع البيان، الطبري، ج1/303-304.

(2) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج1/207.

(3) انظر: المرجع السابق، ج1/209. الهداية إلى بلوغ النهاية، مكّي، ج1/168.

به<sup>(1)</sup>، فقد شبه الله ﷻ أولئك المنافقين بحال التاجر الذي يطلب الكاسد في مقابل الربح، فهم في هذه التجارة خاسرون، لأنهم خسروا الخير وأخذوا الشر، وأي كسب فيها؟!

وفي قوله ﷻ: ﴿..فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ..﴾ نجد أن التعبير جاء للمبالغة في نفي الربح وثبوت الخسارة، لمن ترك الهداية وأخذ الضلال، وأكد المولى ﷻ على هذه الخسارة بتكرار النفي في قوله ﷻ: ﴿..وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾، لأن نفوسهم ضلّت ذلك الضلال، وفسدت ذلك الفساد، فما كان من شأنهم أن يهتدوا أبداً، فنفى عنهم الاهتداء نفيًا مؤكدًا بالجملة الاسمية، وبكلمة ﴿..كَانُوا..﴾ الدالة على الدوام والاستمرار، فليس من شأن من كانت هذه الحال حاله أن يهتدي أبداً، لأن الشر قد استمكن من نفسه وأظلمت بالضلالة حتى إنه لا منفذ لنور يدخلها أبداً<sup>(2)</sup>، وكأنتهم ما كانوا مهتدين في طور من الأطوار، ولا مسّ الرشد قلوبهم في وقت من الأوقات؛ لأنهم نشؤوا على التقليد الأعمى من أول وهلة، ولم يستعملوا عقولهم قط في فهم أسرار الإيمان واقتباس أنواره.<sup>(3)</sup>

فهذا هو جزاء ضعفاء البصيرة خبيثاء السريرة، وهذا الجزاء العظيم والتهديد والوعيد إنما هو من جنس أعمالهم، أليس الجزاء من جنس العمل؟! أعاذنا الله من النفاق وشوائبه وشروره، وشرح الله صدورنا للهدى، فلا نضل أبداً.

## المطلب الرابع

### مثل المنافقين في سياق مقدمة سورة البقرة

نهج القرآن الكريم نهج العرب في أساليبها، فضرب الأمثال التي تُجلى المعاني أتمّ جلاء، وتُحدّث في النفوس أثرًا عظيمًا، فبعد أن ذكر الله ﷻ بعض صفات المنافقين وجزائهم، أراد أن يُمثّل لحالهم وواقعهم بتمثّل يبيّن حقيقة موقفهم، ويكشف عن طبيعة أمرهم، فضرب لذلك مثلين في غاية الروعة والتصوير الملائم لأحوالهم، أحدهما مثل نارٍ والآخِر مائيّ، فكانا مثلين محسوسين مشاهدين؛ ليكون التمثيل أقرب إلى الأذهان، وأصدق في التعبير عن المراد، وستستعرض الباحثة هذين المثلين محاولةً إبراز ما فيهما من دقة التشبيه وبلاغة الوصف.

(1) الفواتح الإلهية والمفاتيح الغيبية، النخجواني، ج1/22-23.

(2) انظر: زهرة التفاسير، أبو زهرة، ج1/140.

(3) انظر: تفسير المنار، رضا، ج1/140.

## أولاً: المثل الناري

استهّل المولى ﷺ أمثاله التي ضربها لبيان حال المنافقين بمثل ناري بالغ الوضوح لإبراز سرعة انكشاف أمرهم، حيث قال ﷺ: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ (17) صُمُّ بُكُمْ عُمِّي فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ (18)﴾، حيث شبّه حال المنافقين الذين آمنوا -ظاهراً لا باطناً- برسالة محمد ﷺ، ثم كفروا، فصاروا يتخبطون في ظلماتٍ ضلالهم وهم لا يشعرون، ولا أمل لهم في الخروج منها، بحال جماعة في ليلة مظلمة، أوقد أحدهم ناراً عظيمة للدفع والإضاءة، فلما سطعت النار وأنارت ما حوله، انطفأت وأعتمت، فصار أصحابها في ظلمات لا يرون شيئاً، ولا يهتدون إلى طريق ولا مخرج، هم صُمٌّ عن سماع الحق سماع تدبر، بُكْمٌ عن النطق به، عُمِّيٌّ عن إِبصار نور الهداية، لذلك لا يستطيعون الرجوع إلى الإيمان الذي تركوه، واستعاضوا عنه بالضلال فلم ينفعهم تظاهرهم بالإيمان إلا زمناً يسيراً بل باؤوا بالخسران المبين<sup>(1)</sup>، فهذا هو حال المنافقين الذين عاشوا وسط المؤمنين يناكحونهم، ويتوارثونهم، ويعاملونهم، ويوادّونهم، ومعرفتهم للإيمان وأهله وذوقهم محبة بعض المؤمنين، كلّ هذا كان من شأنه أن يعلموا به الحق، لكنهم صمّوا وخرسوا وعموا فلم يتبعوا الحق بل ضلّوا عنه.<sup>(2)</sup>

والمتمأمل في هذا المثل الناري يلحظ عدة حكم بليغة، منها:

**الأولى:** قوله ﷺ: ﴿صُمُّ بُكُمْ عُمِّيٌّ﴾ إشارة إلى أنّ الهدى يدخل إلى العبد من ثلاثة أبواب، مما يسمعه بأذنه، ويراه بعينه، ويعقله بقلبه، وهؤلاء القوم قد سدّت عليهم أبواب الهدى، فلا تسمع قلوبهم شيئاً، ولا تبصره، ولا تعقل ما ينفعها، فاحذر أن تغلق أبواب الهدى، وتعطلّ حواسك التي أنعم الله ﷻ عليك بها فتُحرم من نور الهداية.<sup>(3)</sup>

**الثانية:** قوله ﷺ: ﴿..اسْتَوْقَدَ نَارًا..﴾ بيان أنّ المستضيء بالنار مستضيء من جهة خارجية لا من جهة نفسه، فإذا ذهبت تلك النار بقي في ظلمة دامسة، فكأنهم - لما أقرّوا بألسنتهم من غير اعتقاد قلوبهم - كان نورهم كالمستعار، فتراهم حيارى فارغين.

(1) انظر: التفسير الميسر، نخبة من أساندة التفسير، ج4/1. والتفسير المنير، الزحيلي، ج91/1.

(2) انظر: زهرة التفاسير، لأبي زهرة، ج141/1.

(3) انظر: تفسير القرآن الكريم، لابن القيم، ص117.

**الثالثة:** معلوم أنّ ضياء النار يحتاج لدوامه إلى وقود - من حطب أو غيره - فكذلك نور الإيمان يحتاج إلى مادة الاعتقاد الصحيح من صدق وإخلاص، فعندما سُحِّ وقودهم انطفأ نورهم.

**الرابعة:** أن الظلمة الحادثة بعد النور أشدّ على الإنسان من الظلمة قبله، فلهذا شبّه حالهم بذلك، لإظهار مدى تخبّطهم في الظلمات من بعد النور وعِظَم خسارتهم بأن أعرضوا عن الهدى بعد أن كان متاحًا لهم. (1)

**الخامسة:** "تأمل قوله ﷺ: ﴿..أَصَاةٌ مَا حَوْلَهُ..﴾ كيف جعل ضوءها خارجًا عنه منفصلاً؟ ولو اتّصل ضوءها به ولا يسه لم يذهب، ولكنه كان ضوء مجاورة، لا ملابسة ومخالطة، وكان الضوء عارضًا والظلمة أصلية، فرجع الضوء إلى معدنه وبقيت الظلمة في معدنها، فرجع كل منهما إلى أصله اللائق به، حجة من الله تعالى قائمة، وحكمة بالغة، تعرّف بها إلى أولي الألباب من عباده!" (2)

**السادسة:** انظر لبديع المقال في قوله ﷺ: ﴿..ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ..﴾ ولم يقل: بضوئهم، لأن الضوء أقوى من النور، وما النور إلا انعكاس للضوء، فالضوء لا يأتي إلا من إشعاع ذاتي، فلو أن الحق تبارك وتعالى قال ذهب الله بضوئهم لكان المعنى أنه سبحانه ذهب بما يعكس النور، ولكنه أبقى لهم النور! ولكن قوله ﷺ: ﴿..ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ..﴾ معناها أنه لم يبق لهم ضوءًا ولا نورًا، فكان قلوبهم يملؤها الظلام، ولذلك قال الله ﷻ بعدها: ﴿..وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ لنعلم أنه لا يوجد في قلوبهم أي نور ولا ضوء إيماني، كلّ هذا حدث بظلمهم هم وانصرافهم عن نور الله. (3)

**السابعة:** قال الله ﷻ: ﴿..ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ..﴾ ولم يقل: بنارهم، لأن النار فيها إشراق وإحراق، فذهب بإشراقها - وهو النور - وأبقى عليهم ما فيها من الإحراق والدخان!

وقوله: ﴿..ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ..﴾ ولم يقل: (ذهب نورهم) ففيه سرٌّ بديع، وهو انقطاع سر تلك المعية الخاصة التي هي للمؤمنين من الله ﷻ، فإن الله ﷻ مع المؤمنين فذهب الله بذلك

(1) انظر: زاد المسير، ابن الجوزي، ج 1/37.

(2) تفسير القرآن الكريم، لابن القيم، ص 118.

(3) انظر: الخواطر، الشعراوي، ج 1/171-172.

النور هو انقطاع المعية التي خصّ بها أوليائه، فقطعها بينه وبين المنافقين، فلم يبقَ عندهم بعد ذهاب نورهم ولا معهم. (1)

**الثامنة:** إنّ الحق ﷻ لم يقل (وتركهم في ظلام)، بل قال: ﴿..فِي ظُلُمَاتٍ..﴾ أي أنها ظلمات متراكمة، ظلمات مركّبة لا يستطيعون الخروج منها أبدًا، لأنهم طلبوا الدنيا ولم يطلبوا الآخرة، وعندما جاءهم نور الإيمان انصرفوا عنه فصرف الله قلوبهم. (2)

**التاسعة:** تأمل إفراد الله ﷻ للنور في قوله: ﴿..بِنُورِهِمْ..﴾ وجمعه للظلمات في قوله: ﴿..فِي ظُلُمَاتٍ..﴾ وذلك لأن الحق واحد، وما عداه فهو سبل كثيرة، فعبر بالجمع، للإشارة إلى تكاثف الظلمات في النفاق وتوَعّ أساليب المنافقين، أما الحق فطريقه واحد صراطٌ مستقيم لا تيه فيه. (3)

واللمسات البيانية في هذا المثل القرآني أكثر من أن نحيط بها، وإنما حاولت الباحثة أن تتلمّس بديع التمثيل القرآني في هذا المثل للوقوف على حال المنافقين، فكأن أن تتخيل الترابط بين مثل المنافقين بإيقاد النار، لما يوقدونه من نار الفتنة بين المسلمين، وخطورة دورهم الخفي، فكان هذا المثل تحقيرًا لكل من آتاه الله ﷻ ضربًا من الهدى فأضاعه، ولم يتوصل به إلى النعيم الأبدي فبقي متحيرًا متحسرًا، فهذا حال من اشترى الضلالة بالهدى!

### ثانيًا: المثل المائي

ضرب الحق ﷻ مثلًا آخر للمنافقين لبيان حيرتهم وقلقهم وانتهازيتهم حيث قال: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ 19 يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (20)﴾، فالقرآن الكريم قد أتاهم بالإرشادات الإلهية، ولكنهم أعرضوا عنها، فحالهم تشبه حال قوم نزل عليهم المطر الغزير، المصحوب بالمخاوف من ظلمات المطر والسحب والليل، والرعد القاصف، والبرق الخاطف، وفي هذا الجو القاتم تلمّسوا سبيل النجاة، وعقدوا الأمل على ما لاح في الأفق من نور، فعزموا على اتباع الحق الذي جاءت به الآيات البيّنات، ثم ما لبثوا أن وقعوا في الظلام، فأصابهم القلق والاضطراب، والله محيطٌ بهم، قادرٌ عليهم، فلو شاء لأذهب أسمعهم بقوة الرعد،

(1) انظر: تفسير القرآن الكريم، ابن القيم، ص 117-118.

(2) انظر: الخواطر، الشعراوي، ج 1/172.

(3) انظر: زهرة التفاسير، أبو زهرة، ج 1/144.

وأبصارهم بوميض البرق الخاطف، ولكن لحكمةٍ ومصلحةٍ، لم يشأ ذلك، لإمهالهم وإعطائهم الفرصة ليثوبوا إلى رشدهم<sup>(1)</sup>، ثم تأمل عجيب التمثيل حيث إنَّ الله ﷻ "ضَرَبَ الصَّيْبَ لظاهر إيمان المنافق مَثَلًا، وَمَثَلٌ ما فيه من ظلمات لضلالته، وما فيه من ضياء برقٍ لنور إيمانه؛ واتقاءه من الصواعق بتصيير أصابعه في أذنيه لضعف جنانه وتحير فؤاده من خلول عقوبة الله بساحته؛ ومشيئه في ضوء البرق باستقامته على نور إيمانه؛ وقيامه في الظلام، لحيرته في ضلالته وارتكاسه في عمه!"<sup>(2)</sup>

وقد ذكر الإمام الشعراوي بعض اللطائف والمعاني البليغة التي ظهرت له من تأملاته في هذا المثل القرآني، ومن هذه اللطائف<sup>(3)</sup>:

1. هؤلاء المنافقون لم يلتفتوا إلى هذا الخير الذي ينزل عليهم من السماء من غير تعب أو جهد منهم، بل التفتوا إلى أشياء ثانوية، كان من المفروض أن يرحبوا بها لأنها مقدمات خير لهم، فالمطر قبل أن ينزل من السماء لابد أن يكون هناك شيء من الظلمة والرعد والبرق، فجميعها من مقدمات الخير. إنهم لم يلتفتوا إلى الخير الذي ملأ الله ﷻ به الأرض، بل التفتوا إلى الظلمة فنفروا من الخير، فكأنهم يستقبلون نعمة الله ﷻ بغير حقيقتها، هم لا يرون النعمة الحقيقية في أن هذا المطر يأتي لهم بعوامل استمرار الحياة، ولكنهم يأخذون الظاهر في البرق والرعد، وكذلك المنافقون لا يستطيع الواحد منهم أن يصبر على شهوات نفسه ونزواتها إته يريد ذلك العاجل ولا ينظر إلى الخير الحقيقي الذي وعد الله ﷻ به عباده المؤمنين في الآخرة، وهو ينظر إلى التكاليف كأنها شدة ومشقة، ويغفل عن حقيقة جزاء التكاليف في الآخرة، وكيف أنها ستوفر لهم النعيم الدائم.

2. عندما يسمع الإنسان الرعد يفزع، ويحاول أن يمنع استقبال الأذن له، بأن يضع أنامله في أذنيه، وهؤلاء المنافقون لم يضعوا الأنامل، ولكن كما قال الله ﷻ: ﴿...يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ...﴾ ولم يقل (أناملهم)، وذلك مبالغة في تصوير تأثير الرعد عليهم، فكأنهم من خوفهم وذعرهم يحاول كل واحد منهم أن يدخل كل إصبعه في أذنه ليحميه من هذا الصوت المخيف، فما أروع هذا البيان في وصف حيرتهم وخوفهم!

(1) التفسير المنير، الزحيلي، ج1/93.

(2) جامع البيان، الطبري، ج1/352.

(3) انظر: الخواطر، للشعراوي، ج1/178.

هذه هي جزالة التعبير القرآني، وهذا هو أسلوب ضرب الأمثال، وهذا مثل القرآن الذي أنزله الله ﷻ غيئاً تحيا به القلوب، وتنبت به ثمرات الأخلاق الزكية والأعمال الصالحة، فقد يضيء النفاق لصاحبه الدرب حيناً قصيراً، ثم سرعان ما ينطفئ كما تنطفئ النار، مما يجعل النفاق لا دوام له ولا استمرار، فيتلاشى أمله بالنفع والكسب الدنيوي، ثم تتبدد الآمال.

وإذا كان هذا المثل القرآني يبيّن حال المنافقين في عهد الرسول ﷺ بعد أن هاجر إلى المدينة، فإنّه في الوقت نفسه ينطبق على الدور الذي يقوم به المنافقون على المستويات كافة في عالم اليوم، وما خربت البلاد اليوم وما تعطلت مصالح الأمة المحمّدية اليوم إلا بسبب هؤلاء الذين دمروا البلاد والعباد، وكانوا يداً للظالم الكافر على المسلمين في كل مكان، والوصف القوي الذي وُصف به المنافقون في الآيات، والتتديد الشديد الذي نُددوا به، يدلان على ما كان لظهور هذه الفئة من خطورة وأثر.

ومن جانب آخر، فإن هذا التمثيل جاء لأبناء الإسلام الحقيقيين؛ ليقول لهم: احذروا أن يتسلّل الشيطان إلى قلوبكم فيُظهر عليكم من علامات النفاق صفةً أو صفتين، فينخدش إيمانكم، فالنفاق مرض خطير وسَمّ قاتل وشوكة مؤذية تطعن المجتمع الإسلامي من الداخل.

وبعد استعراض آيات مقدّمة سورة البقرة والتي تحدّثت عن أصناف البشر الثلاثة وهم المتقون والكافرون والمنافقون تخلص الباحثة إلى أنّ مقدمة سورة البقرة ذات استهلال في غاية الروعة، حيث تنقلنا من الحديث عن "المتقين" الذين سبقت لهم الحسنی، إلى "الكافرين" الذين حقّت عليهم كلمة العذاب، ثم عُطفت الطائفة الثالثة "المنافقون" على أختها؛ لأنهما خرجتا من رحم الكفر والجحود، فتشابهت قلوبهم بالإعراض عن الهدى وإن اختلفت!

هنا تمت مقدمة السورة الكريمة "بعد أن وصفت القرآن بما هو أهله، ووصفت متبعية ومخالفية كلاً بما يستحقه. ولا مرية أن وصف هذه الطوائف جميعها راجع في المآل إلى الثناء على القرآن؛ فإن الشيء الذي يكون متبعوه هم أهل الهدى والفلاح، ومخالفوه هم أهل الضلالة والخسر لا يكون إلا حقاً واضحاً لا ريب فيه. فما هو ذلك الحق الذي لا يتبعه إلا مهتد مفلح، ولا يعرض عنه إلا ضالّ خاسر؟ بل ما هو ذلك الحق الذي ضربت له الأمثال بالضياء الباهر والغيب الكثير؟!"<sup>(1)</sup>

(1) النبا العظيم، دراز، ص206.

## • علاقة المبحث بوحدة موضوع السورة:

بعد أن رسمت لنا الآيات الكريمة في المبحث السابق الصورة واضحة جلية للصنف الثالث من أصناف البشر ألا وهو المنافقون، وفضحت تشوهات نفوسهم، وخبائث صدورهم، وشخصت أمراض قلوبهم، وكشفت حبايل جيلهم، وضربت لهم أجلى الأمثال وأدقها تصويراً، فاكتملت صورتهم البغيضة، وظهر لكل ذي لب كيف تتصل حزب المنافقين من مهمة الاستخلاف، وتواروا عنها، بل كيف حاولوا أن يكونوا عثرة في طريق الهداية، ومعولاً لهدم جيل الخلافة الراشدة.

وهذا السرد والوصف والتنفير والتحذير إنما كان لكشف هوية العدو الخفي لأمة الخلافة الحقّة، لتحذر منه، وتنجو من مكائده، ولتعلم أنّ للكافرين -تلك الفئة المعادية الظاهرة- أعياناً مستترون أخفياء، لم يتوانوا عن الكيد والصد لأمة الإسلام، ولا زالوا بين ظهرانينا يحاولون أن ينخروا في جسد هذه الأمة المباركة إلا أن الله غالب، والحق ظاهر، والباطل زائل لا محالة.

فالرسالة الجليلة لهذا العرض القرآني لأصناف البشر وموقفهم تجاه الهدايات الربانية، أن يا عبد الله: حدّد واختر أي الأصناف تريد أن تكون لأنّ واحداً فقط من هذه الأصناف سيجعله الله ﷻ مسؤولاً عن الأرض مستخلفاً فيها، فاختر أيهم شئت أن تكون؟ بين من حملوا راية الاستخلاف في الأرض أم ممن أضاعوها!!؟

## الفصل الثالث

الدعوة إلى تحقيق الاستخلاف في الأرض  
وعلاقته بوحدة موضوع السورة

## الفصل الثالث

### الدعوة إلى تحقيق الاستخلاف في الأرض وعلاقتها بوحدة موضوع السورة

خاطب الحق ﷺ الناس أجمعين في كل زمان ومكان ودعاهم إلى تحقيق الاستخلاف في الأرض وعمارتها، ثم خصّ هذا الخطاب ببني إسرائيل ودعاهم إلى تحقيق نفس الهدف وبيّن مؤامراتهم وإعراضهم واجترائهم عليه ﷺ وعلى أنبيائه ورسالاته.

فالدعوة إلى الله وعبادته وطاعته هي محور الجزء الأول من السورة الكريمة، والذي سنتناوله الباحثة في هذا الفصل من خلال هذين المبحثين والذي سيبدو الحديث خلالهما حول دعوة الناس كافة، ودعوة بني إسرائيل خاصة للاستجابة للهدايات الربانية وتحقيق الاستخلاف في الأرض.

### المبحث الأول

#### دعوة الناس كافة إلى تحقيق الاستخلاف في الأرض وعلاقتها

##### بوحدة موضوع السورة

بعد أن استعرض المولى ﷺ الصور الثلاثة للبشر، وأثار في النفوس الرغبة في الانضمام للفريق الأول وهو: المتقون، والنفور من الفريقين الآخرين وهما: الكافرون والمنافقون، ارتدّ الخطاب في السورة ليكون نداءً للناس كافة وأمرًا للبشرية جمعاء أن تنضم إلى ركب الفريق المهتدي المفلح، ورتّب على هذا إنذار الكافرين بالنار، وتبشير المؤمنين بجنات تجري من تحتها الأنهار، فكانت هذه الدعوة العامة المقصد الأول للسورة الكريمة، وهذا ما ستبيّنه الباحثة خلال هذه المطالب الثلاثة:

### المطلب الأول

#### دعوة الناس كافة إلى تحقيق الاستخلاف في الأرض

خاطب القرآن الكريم الناس كافة بقول المولى ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (21) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (22)﴾.

وفي هذا النداء الإلهي قال الإمام السمرقندي: "أما قوله ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾ أي: أطيعوا ربكم ويقال: وحدوا ربكم، وهذه الآية عامّة، وقد تكون كلمة ﴿يَا أَيُّهَا

النَّاسِ..﴾ خاصّة لأهل مكة وقد تكون عامّة لجميع الخلق، فهأنا ﴿..يَا أَيُّهَا النَّاسُ..﴾ لجميع الخلق. يقول للكفار: وَّحَدُوا رَبِّكُمْ، ويقول للعصاة: أَطِيعُوا رَبِّكُمْ، ويقول للمنافقين: أَخْلَصُوا بِالتَّوْحِيدِ مَعْرِفَةَ رَبِّكُمْ، ويقول للمطيعين: اثْبُتُوا عَلَى طَاعَةِ رَبِّكُمْ، واللفظ يحتمل هذه الوجوه كلها، وهو من جوامع الكلم. (1)

وأسلوب النداء هذا وما فيه من الانتقال من ضمير الغيبة الذي استخدمه المولى ﷺ في عرض الفرق الثلاثة إلى الخطاب على سبيل الالتفات فيه قرعٌ للأذهان وتحفيزٌ للأسماع للإصغاء للنداء الرباني، وهذا النداء الرقيق فيه من شرف المخاطبة والمكالمة ما يزيد في إكرام العبد وتقريبه، فخاطبه الله ﷻ من غير واسطة، ليحصل له مع التنبيه على الأدلة، هذا الشرف العظيم. (2)

ثمّ خصّ نعمة الخلق وامتّن عليهم بها في قوله ﷻ: ﴿..الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ..﴾ لأن جميع النعم مترتبة عليها، وهي أصلها الذي لا يوجد شيء منها بدونها. وأيضاً فالكفار مقرّون بأن الله هو الخالق ﴿..وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [الزخرف: 87]، فامتّن عليهم بما يعترفون به ولا ينكرونه. (3)

وفي قوله ﷻ ﴿..لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (21)﴾ يقول الإمام الطبري: "وتأويل ذلك: لعلمك تتقون بعبادتك ربكم الذي خلقكم، وطاعتكم إياه فيما أمركم به ونهاكم عنه، وإفرادكم له العبادة لتتقوا سخطه وغضبه أن يحلّ عليكم، وتكوّنوا من المتقين الذين رضي عنهم ربهم. (4)

ثم لما قدّم نعمة خلق الخلق أتبعها بقوله: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (22)﴾ فامتّن عليهم بنعمة خلق الأرض فراشاً لهم، وذلك لما كانت الأرض التي هي مسكنهم ومحلّ استقرارهم من أعظم ما تدعو إليه حاجتهم، ثم أتبع ذلك بنعمة جعل السماء كالقبة المضروبة عليهم، والسقف للبيت الذي يسكنونه، ثم امتنّ عليهم بإنزال الماء من السماء فأخرج به ألواناً من الثمرات وأنواعاً من النباتات، ليكون ذلك متاعاً لهم ورزقاً يقتاتون به. (5)

(1) بحر العلوم، السمرقندي، ج 1/33.

(2) انظر: مفاتيح الغيب، للرازي، ج 2/319.

(3) فتح القدير، الشوكاني، ج 1/59.

(4) جامع البيان، الطبري، ج 1/364.

(5) انظر: فتح القدير، الشوكاني، ج 1/60.

وبعد أن عدّد الله ﷻ أظهر نعمه عليهم أتبعه بالنهي في قوله ﷻ: ﴿..فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا..﴾ أي: أمثلاً تعبدونهم كعبادة الله، والند: الضد، والله ﷻ بريء من المثل وال ضد، وقوله: ﴿..وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (22)﴾ أنه واحد خلق هذه الأشياء. (1) ويضيف الراغب: "وقوله: ﴿..فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا..﴾ عام في النهي عن الشرك المطلق وعن الدقائق المؤدية إلى الشرك" (2)، فنهى عن كل صور الشرك الخفية من تعليق الرجاء بغير الله، أو الخوف من غير الله، أو الاعتقاد بنفع أو ضرر غير الله. (3)

وهذه الفاصلة القرآنية لهذه الآية الكريمة تحمل عتاباً من المولى ﷻ لعباده، وكأنه يقول لهم: أبعد أن علمتم أنني خلقتكم والذين من قبلكم، وجعلت لكم الأرض فراشاً والسماء بناءً، وأنزلت من السماء ماءً، ولم يكن لي شريك يعاضد، ولا ند يعارض، أبعد هذا تشركون بي؟؟!

## المطلب الثاني

### تحدي الشاكين وتوعددهم بالنار

لما احتج الحق ﷻ على عباده بما يثبت الوجدانية ويحققها، ويبطل الإشراك ويهدمه، عطف على ذلك ما هو الحجة على إثبات نبوة محمد ﷺ، وما يدحض الشبهة في كون القرآن الكريم معجزة (4)، فبعد أن بيّن المولى ﷻ لنا أن هؤلاء الذين يتخذون من دون الله أنداداً لا يعتمدون على منطوق ولا عقل، ولكنهم يعتمدون على شهوات دنيوية عاجلة، أراد أن يأتي بالتحدي بالنسبة للقرآن الكريم المعجزة الخالدة لرسول الله ﷺ حتى يثبت لهم أن الله ﷻ إذا كان قد جعل خلق الكون إعجازاً محسوساً، فإن القرآن منهج معجز إعجازاً قيمياً، فقال الله ﷻ: ﴿وَأِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (23)﴾، والخطاب هنا لكل كافر ومناق غير مؤمن، لأن الذين آمنوا بالله ورسوله ليس في قلوبهم ريب، بل هم يؤمنون بأن القرآن موحى به من الله ﷻ، مُبَلَّغ إلى محمد ﷺ بالوحي المنزل من السماء. (5)

(1) انظر: تفسير البغوي، البغوي، ج 1/93.

(2) تفسير الراغب، الأصفهاني، ج 1/115.

(3) انظر: في ظلال القرآن، قطب، ج 1/48.

(4) انظر: الكشف، الزمخشري، ج 1/96.

(5) انظر: الخواطر، الشعراوي، ج 1/192.

وقوله ﷺ: ﴿..نَزَّلْنَا..﴾ يدل على أن التنزيل كان منجمًا زمنيًا بعد زمن، ولم ينزل دفعة واحدة، وكانوا يثيرون الشك حوله بسبب ذلك، وقد قال ﷺ فيما حكى عنهم: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِيُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ [الفرقان: 32]، ثم ذكر الله ﷻ تنزيله على النبي ﷺ بقوله: ﴿..عَلَى عَبْدِنَا..﴾، حيث وصفه بالعبودية لله تعالى، وفي ذلك تشريف للنبي ﷺ، وبيان لحماية الله ﷻ له، وبيان بأن الرسالة لا تبعده عن مقام العبودية فهو عبد لله ﷻ، ولن يستنكف أن يكون عبدًا له، وأن الله ﷻ عاصمه في رسالته من الناس.<sup>(1)</sup>

ثم جاء التحدي القاطع لهم متضمنًا كل معاني التهكم والتعجيز، فقال ﷺ: ﴿..فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ..﴾، وفي هاء «مثله» قولان:  
أحدهما: أنها تعود على القرآن المنزل.

الثاني: أنها تعود على النبي ﷺ، فيكون التقدير: فأتوا بسورة من مثل هذا العبد الأمي.

لكن القول الذي رجحه الإمام الطبري أن الله جلّ ذكره قال لمن حاجه في نبيه محمد ﷺ من الكفار: فأتوا بسورة من مثل هذا القرآن من كلامكم أيتها العرب، كما أتى به محمد بلغاتكم ومعاني منطقتكم<sup>(2)</sup>، وبهذا التحدي نتلمس الإعجاز القرآني المتمثل في مطلع سورة البقرة حيث افتتحها الباري ﷻ بقوله: ﴿الْم (1) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (2)﴾ وهذا الافتتاح إنما هو إعلان واضح جليّ للتحدي الإلهي للناس أجمعين بهذا الكتاب المبين وأبرز لهم معجزة القرآن بأنصع بيان وأوضح برهان ليقنع من القلوب جذور الشك والارتياب<sup>(3)</sup>، ومهما كان القول في معنى هذه الأحرف القرآنية إلا أنّ لها مغزىً عظيمًا أكدّ عليه الإمام ابن كثير بقوله: "كل سورة افتتحت بالحروف فلا بد أن يُذكر فيها الانتصار للقرآن، وبيان إعجازه وعظمتها، وهذا معلوم بالاستقراء في تسع وعشرين سورة."<sup>(4)</sup>

ثم أتبع المولى ﷻ هذا الأمر بأمر آخر، يفتح مجال التحدي على مصراعيه بأن يفجروا كل طاقاتهم وقدراتهم، ويستنفروا جميع أعوانهم، ليثبتوا صدق دعواهم، وذلك في

(1) انظر: زهرة التفاسير، أبو زهرة، ج1/164.

(2) انظر: جامع البيان، الطبري، ج1/374.

(3) انظر: أيسر التفاسير، الجزائري، ج1/34. صفوة التفاسير، الصابوني، ج1/34.

(4) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج1/27.

قوله ﷺ: ﴿..وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (23)﴾ وقوله (ادعوا) إما بمعنى: استعينوا أو: استغيثوا، وقوله (شهداءكم) فيه ثلاثة أقوال:

- أحدها: أنهم آلهتهم، وسُموا شهداء، لأنهم يشهدونهم ويحضرونهم.
- الثاني: أنهم أعوانهم.
- الثالث: أن معناه: فأتوا بناس يشهدون أن ما تأتون به مثل القرآن.

وقوله ﷺ: ﴿..إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (23)﴾ أي في قولكم: إن القرآن ليس من عند الله. (1)

ثم أكد ﷺ على عجزهم وقصورهم عن المعارضة فقال: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (24)﴾، أما قوله ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا..﴾ أي: فإن لم تقدرُوا على الإتيان بمثل سورة من سوره، وعجزتم في الماضي عن الإتيان بما يساويه أو يدانيه، مع استعانتكم بالفصحاء والبلغاء ﴿..وَلَنْ تَفْعَلُوا..﴾ أي: ولن تقدرُوا في المستقبل أيضاً على الإتيان بمثله و﴿..لَنْ..﴾ لنفي التأييد في المستقبل أي: ولن تفعلوا ذلك أبداً لا في الماضي ولا الحاضر ولا المستقبل (2)، وإذا ظهر عجزهم عن المعارضة صح صدق رسول الله ﷺ، وإذا كان الأمر كذلك وجب ترك العناد، فقال الله ﷻ: ﴿..فَاتَّقُوا النَّارَ..﴾ أي: فأمنوا واتقوا بالإيمان النار ﴿..الَّتِي وَقُودُهَا..﴾ أي: حطبها الناس والحجارة. (3)

وهذا التذييل في آخر الآية الكريمة فيه إحساس مرعب فظيع يلفتنا إلى صورة أخرى من عجز هؤلاء الكفار، فهم بحثوا عن أعداء، ليبرزوا بها عدم إيمانهم وتظاهروا بأنهم يشكون في القرآن الكريم، فيقول لهم: لو كانت لكم قدرة وذاتية فعلاً فامنعوا أنفسكم من دخول النار يوم القيامة كما منعتم أنفسكم من الإيمان في الدنيا، لكنهم أعرضوا باختيارهم، فحقت لهم النار التي ﴿..أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ فالله ﷻ يخبرهم وهم في الدنيا، أن النار أعدت للكافرين، وقوله هذا تطمين غاية الاطمئنان للمؤمن، وإرهاب غاية الإرهاب للكافر، وقوله تعالى ﴿..أُعِدَّتْ..﴾ معناها أنها موجودة فعلاً وإن لم تكن نراها، وأنها مخلوقة وإن كانت محجوبة عنا. (4)

(1) انظر: زاد المسير، ابن الجوزي، ج 1/44.

(2) انظر: صفوة التفاسير، الصابوني، ج 1/35-36.

(3) انظر: لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، ج 1/31.

(4) انظر: الخواطر، الشعراوي، ج 1/201-202.

وأشار الإمام الزحيلي في تفسيره الجليل إلى أن هاتين الآيتين دلتا على صحة نبوة نبيِّنا ﷺ من عدة وجوه، أذكرها على النحو الآتي<sup>(1)</sup>:

**الوجه الأول:** أنه تحداهم بالإتيان بمثل القرآن، وقزعهم بالعجز عنه، مع ما هم عليه من الأنفة والحمية، وأنه كلام موصوف بلغتهم، فلو قدروا على معارضته لكانت معارضته أبلغ الأشياء في إبطال دعواه وتقريق أصحابه عنه، فلما ظهر عجزهم عن معارضته دلَّ ذلك على أن القرآن من عند الله الذي لا يعجزه شيء، وأنه ليس في مقدور العباد مثله. وهذه معجزة باقية لنبيِّنا ﷺ بعده إلى قيام الساعة، فكانت عليهم الحجة بأقوى مما قامت به المعجزات المادية السابقة مثل عصا موسى وغيرها.

**الوجه الثاني:** كان معلوماً عند الناس قاطبة: المؤمنين والجاهدين لنبوة النبي ﷺ أنه كان من أتم الناس عقلاً، وأكملهم خلقاً، وأفضلهم رأياً، فما طعن عليه أحد في كمال عقله، ووفور حلمه، وصحة فهمه، وجودة رأيه، فلا يجوز على من كان هذا وصفه أن يدعي النبوة، ويجعل علامة نبوته كلاماً يقدر كل واحد من العرب على مثله، فيظهر حينئذ كذبه، وبطلان دعواه، فدلَّ ذلك على أنه تحداهم بكلام هو من عند الله لا يقدر العباد على مثله.

**الوجه الثالث:** أخبر الله ﷻ في قوله: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَكِنْ تَفْعَلُوا..﴾ أنهم لا يعارضونه، وذلك إخبار بالغيب، وتحقق الخبر مع مضي الزمان فظهر فشلهم!

والخلاصة: أن التحدي كان متنوعاً، مرة بالنظم والمعنى، ومرة بالنظم دون المعنى، بافتراء شيء لا معنى له، وفي كل الأحوال ظهر فشلهم.

وفي هذا الموضع تشير الباحثة إلى مراحل تحدي الله ﷻ للمشركين الشاكين في صحة القرآن الكريم ونبوة رسول الله ﷺ، والتي هي:

- تحدى الله ﷻ الخلق كلهم من الجن والإنس بالعجز عن الإتيان بمثل القرآن في لفظه ونظمه ومعناه بقوله ﷻ: ﴿قُلْ لَيْنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ لَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ [الإسراء: 88].
- فلما ظهر عجزهم تحداهم بأن يأتوا بعشر سور مثله فقال ﷻ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَاذْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [هود: 13].

(1) انظر: التفسير المنير، الزحيلي، ج1/102-103.

- فلما عجزوا استمرّ في تحديهم بأن يأتوا بسورة واحدة مثله فقال ﷺ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [يونس: 38].
- ولما استمر فشلهم تحدّاهم بالإتيان بسورة تشبه سورة منه فقال ﷺ: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (23)، فلما ظهر عجزهم عن ذلك كله، وأعرضوا عن طريق المحااجة، وصمموا على القتال والمغالبة، قامت عليهم الحجة، فأمر الله ﷺ نبيه ﷺ بقتالهم.<sup>(1)</sup>

هكذا بلغ عجز الكافرين منتهاه، وتقاظمت همهم عن مجابهة كتاب الله الكريم، وخرست أفواههم عن الإتيان بمثله، رغم كل ما شهدوه في هذا الكتاب العظيم من آلاء مبهرة، ورغم كل ما لمسوه في أنفسهم من ضعف وخور، فحقّ عليهم عذاب الله، ووجبت لهم نار وقودها الناس والحجارة.

### المطلب الثالث

#### بشارة المؤمنين بالجنة

بعد أن أشار الله ﷺ إلى ما أعدّه للكافرين من نار وقودها الناس والحجارة، ذكر ما أعدّه لعباده المؤمنين الذين يعملون الصالحات، وهكذا يُتبع الله ﷻ تربيته بترغييه، فهو يُرهب أهل الجحود بالإنذار الشديد ليقرع الحق أسماعهم، بعد أن سلك بهم طريق الحجة والبرهان، وبيان الصراط المستقيم<sup>(2)</sup>، ثم يُرغب المؤمنين الثابتين على الحق رغم توالي الفتن، فقال جلّ ثناؤه مبشراً عباده المتقين: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأْتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (25)، أما قوله ﷺ: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا..﴾ أي: بأنه منزل من عند الله ﷺ، وهو معطوف على الجملة السابقة، حيث عطفت قصة المؤمنين بالقرآن ووصف ثوابهم على قصة الكافرين به وكيفية عقابهم جرياً على السنة الإلهية من شفع الترغيب بالترهيب والوعد بالوعيد، وكأنّ تغيير السبك لتخييل كمال التباين بين حال الفريقين<sup>(3)</sup>، والخطاب هنا

(1) انظر: التفسير المنير، الزحيلي، ج1/103.

(2) انظر: زهرة التفاسير، أبو زهرة، ج1/167.

(3) انظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود، ج1/68.

لرسول الله ﷺ ولكل من قام مقامه من أمة الإسلام، فبشّر ﴿.. الَّذِينَ آمَنُوا..﴾ بقلوبهم ﴿..وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ..﴾ بجوارحهم، فصدّقوا إيمانهم بأعمالهم الصالحة، فبشّرهم ﴿..أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ..﴾ أي: بساتين جامعة من الأشجار العجيبة، والثمار الأنيقة، والظل المديد، وهذه الجنات ﴿..تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ..﴾ أي: أنهار الماء، واللبن، والعسل، والخمر، يفجّرونها كيف شاءوا، ويصرفونها أين أرادوا، وتشرب منها تلك الأشجار فتبتت أصناف الثمار<sup>(1)</sup>، ومعنى قوله ﷺ: ﴿..مَنْ تَحْتِهَا..﴾ أي: "من تحت أشجارها وغرفها."<sup>(2)</sup>

أما قوله ﷺ: ﴿..كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ..﴾ ففيه ثلاثة أقوال:

**الأول:** أنّ معناه: هذا الذي طعمنا من قبل، فرزق الغداة كرزق العشي.

**والثاني:** هذا الذي رزقنا من قبل في الدنيا.

**والثالث:** أن ثمر الجنة إذا جُنِيَ خَلَفَهُ مِثْلُهُ، فإذا رأوا ما خلف الجنى، اشتبه عليهم، فقالوا: هذا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ.

وقوله ﷺ: ﴿..وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا..﴾ ففيه ثلاثة أقوال أيضًا:

**الأول:** أنّه متشابه في المنظر واللون، مختلف في الطعم.

**الثاني:** أنّه متشابه في جودته، لا رديء فيه.

**الثالث:** أنّه يشبه ثمار الدنيا في الخلقة والاسم، غير أنّه أحسن في المنظر والطعم.<sup>(3)</sup>

ثم أتبع هذا النعيم بقوله ﷺ: ﴿..وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ..﴾ "أي مهذّبة في الخلق، ويُقال: مطهرة في الخلق والخلق، فأما الخلق فإنهن لا يحضن، ولا يبطن، ولا يتمخطن، ولا يأتين الخلاء، وأما الخلق فهنّ لا يحسدن، ولا يغرن، ولا ينظرن إلى غير أزواجهن، وقوله ﷺ: ﴿..وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (25)﴾ أي دائمون لا يموتون ولا يخرجون منها أبدًا."<sup>(4)</sup>

(1) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص46.

(2) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج1/204.

(3) انظر: زاد المسير، ابن الجوزي، ج1/45.

(4) بحر العلوم، السمرقندي، ج1/36.

ومن بديع هذه الآية الكريمة أنه جلَّ شأنه "ذكر المبشِّر والمبشَّر، والمبشَّرُ به، والسبب الموصل لهذه البشارة، فالمبشَّر: هو الرسول ﷺ ومن قام مقامه من أمته، والمبشَّر: هم المؤمنون العاملون الصالحات، والمبشَّر به: هي الجنات الموصوفات بتلك الصفات، والسبب الموصل لذلك: هو الإيمان والعمل الصالح، فلا سبيل إلى الوصول إلى هذه البشارة إلا بهما، وهذه أعظم بشارة حاصلة، على يد أفضل الخلق، بأفضل الأسباب!"(1)

وهذا المشهد المُفعم بالجمال والنعيم والبشرى بعد المشهد المُفزع السابق لأهل الكفر وما أُعدَّ لهم من عذاب، مشهدٌ تتلألاً فيه ألوانٌ من النعيم لا حصر لها، فانظر إلى تلك الجنات الوارفة، والأنهار العذبة الرقراقة، وتلك الثمار المتشابهة، التي يُخيل إليهم أنهم رزقوها من قبل، واستشعر كيف لهذا التشابه الظاهري والتنوع الداخليّ مزية المفاجأة في كل مرة! وهي ترسم جواً من الدعابة الحلوة، والرضى السابغ، والتفكّه الجميل، بتقديم المفاجأة بعد المفاجأة، وفي كل مرة ينكشف التشابه الظاهري عن شيء جديد!

فمن ذا الذي لا يعبد الله وحده، وهذه آثار صنعته، وآيات قدرته؟ ومن ذا الذي يجعل لله أنداداً، ويُدُّ الإعجاز واضحة الآثار، فيما تراه الأبصار، وفيما لا تدركه الأبصار؟(2)

#### • علاقة المبحث بوحدة موضوع السورة:

وبعد الانتهاء من هذا المبحث والذي هو دعوة الله للناس كافة إلى تحقيق الاستخلاف في الأرض وتحديّ الشاكّين وبشارة المؤمنين، لاحظنا الارتباط الوثيق بين عنوان المبحث من جهة وعناوين مطالبه الثلاثة من جهة أخرى بالوحدة الموضوعية للسورة كلها، وهو موضوع الاستخلاف والعبودية لله.

فالمطلب الأول من هذا المبحث كان دعوة عامة للناس كافة إلى عبودية الله وتحقيق الاستخلاف في الأرض خاصة وأنّ القرآن رسالة عالمية خالدة موجّهة للعالمين جميعاً، وأما المطلبان الثاني والثالث فيمثّلان صنفين من أصناف البشر، صنف شكّ فيما أنزل الله ﷻ من الحق وأنّ الرسول ﷺ حق، فتحديّ الله الشاكّين وتوعدهم بالنار مصيراً لهم وجزاءً على عدم تحقيقهم لعبودية الله والاستخلاف في الأرض رغم وضوح الطريق، وأما الصنف الثاني فهم صنف المؤمنين الذين عملوا الصالحات فبشّرهم الله بالجنة جزاءً لهم على تحقيق العبودية لله

(1) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص46.

(2) انظر: في ظلال القرآن، قطب، ج1/48-49.

والاستخلاف في الأرض، وبهذا يتبين لنا مدى العلاقة بين عنوان المبحث ومطالبه والوحدة الموضوعية في السورة كلها والتي تدور حول الاستخلاف في الأرض وتحقيق العبودية.

ويتبين لنا الدور السامي الذي اختص الله ﷻ به عباده، وأنّ الدعوة إلى الاستخلاف في الأرض هي دعوة أزلية باقية حتى يلقي العبد ربه، والمتأمل في واقعنا المعاصر من تفريط بهذا التكليف وتضييع لتلك الأمانة يعلم يقيناً أن القيام بواجب الاستخلاف في جميع جوانب الحياة هو السبيل الأمثل للحياة الكريمة الهانئة التي يتمناها المرء، فإن اتقى وأصلح فاز وغنم، وإن تولى وأعرض خاب وخسر.

## المبحث الثاني

### دعوة بني إسرائيل خاصة إلى تحقيق الاستخلاف في الأرض

#### وعلاقتها بوحدة موضوع السورة

وهذا هو المقصد الثاني من مقاصد السورة الكريمة، فبعد أن دعا الله ﷻ الناس أجمعين إلى عبادته وتحقيق الاستخلاف في الأرض في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (21)﴾ وقرن دعوته هذه بإثبات تفرده بالربوبية والألوهية، خصَّ ﷻ بني إسرائيل دون غيرهم من الأقسام بدعوتهم لعبادته جلَّ شأنه، وقد اشتمل حيز كبير من سورة البقرة على الحديث عن بني إسرائيل وعن سوابقهم وجرائمهم مع أنبيائهم، فقد تضمنت هذه السورة - التي اشتقَّ اسمها من قصة بقرة بني إسرائيل - على أكثر من مائة وخمس عشرة آية تحدثت عن اليهود، وهو ما يمثل نسبة أربعين في المائة تقريباً من مجموع آيات هذه السورة المدنية التي يبلغ عددها مائتين وستاً وثمانين آية.

ورغم أن سورة الإسراء الكريمة قد توسَّعت في الحديث عن بني إسرائيل إلا أن ما ورد في سورة البقرة عن بني إسرائيل أكبر وأكثر محورية ممَّا ورد في السور الأخرى بل إنَّ كل ما ورد في القرآن الكريم عن اليهود إنما هو تفصيل وتفرُّع عمَّا ورد عنهم في هذه السورة<sup>(1)</sup>، ورغم أن الخطاب في مطلع سورة البقرة اشتمل ضمناً الحديث عن بعض أحوال بني إسرائيل وإعراضهم عن الهدايا الربانية، إلا أنَّ الله ﷻ تحدَّث عنهم في العديد من الآيات الكريمة خلال السورة، وقد رأى علماء التفسير أن هذا الاختصاص يعود لعدة أسباب، منها:

1. يرى الإمام الطبري أنَّ اختصاصهم هذا لأن الذي احتج به ﷻ من الحجج والآيات التي فيها أنباء أسلافهم، وأخبار أوائلهم، وقصص الأمور التي هم بعلمها مخصوصون دون غيرهم من سائر الأمم، ليس عند غيرهم من العلم بصحته وحقيقته مثل الذي لهم من العلم به، إلا لمن اقتبس علم ذلك منهم، فعرفهم باطلاع محمد ﷺ على علمها أنَّ محمداً ﷺ لم يصل إلى علم ذلك إلا بوحي من الله وتنزيل منه إليه.<sup>(2)</sup>

(1) انظر: القضية اليهودية في سورة البقرة، موقع إسلام ويب، الرابط

<https://www.islamweb.net/ar/article/190939>، تاريخ الاطلاع 20/12/2019.

(2) انظر: جامع البيان، الطبري، ج1/554-555.

2. اعتبر الإمام الزحيلي أن الله ﷻ قد بدأ بمخاطبة الشعوب التي ظهرت فيها النبوة، فبدأ باليهود، لأنهم أقدم الشعوب ذات الكتب السماوية، ولأنهم كانوا أشدّ الناس عداوة للمؤمنين بالقرآن، مع أنهم أولى الناس بالإيمان بخاتم الرسل ﷺ. (1)

3. قال أبو زهرة: "وبنو يعقوب ذرية إبراهيم من إسحاق جعلهم الله ﷻ صوراً للإنسانية التي يختبرها ﷻ بالنعم، فمنهم من يشكرها، ومنهم من يكفرها وهم الأكثرون، واختبرهم سبحانه بالنقم تنزل بهم بكفرهم، واستيلاء الشر عليهم، فكانوا بهذا مثلاً واضحاً للإنسان الذي يتسلط عليه إبليس في النعم والنقم، فإن اختبرهم بالنعم لم يشكروها وطغوا واستكبروا كما فعل إبليس، وإن اختبرهم بالنقم ذلوا واستكانوا؛ ولذلك كانوا مثلاً للخاضعين لإبليس وهم في نعمهم ونقمهم يحسدون الناس على ما أتاهم من فضله." (2)

4. أوزع الإمام الصابوني السبب في إسهاب القرآن الكريم في الحديث عن اليهود فيما يقرب من جزء كامل من السورة إلى عناية القرآن بكشف حقائق اليهود، وإظهار ما انطوت عليه نفوسهم الشريرة من خبيث وكيد وتدمير، حتى يحذرهم المسلمون. (3)

5. أشار الشيخ محمد عبد الله دراز إلى سبب هذه العناية الإلهية بقضايا بني إسرائيل بقوله: "بحسبك أن تعلم أن هذه السورة هي غرة السور المدنية، وأن المدينة كان يسكنها أشدّ الناس عداوة للذين آمنوا، وأكثرهم جدالاً في دينهم بما أوتوه من العلم قبلهم، بحسبك أن تعلم هذا وذلك لتعرف سرّ تلك العناية الموفورة بهذا الجانب من الدعوة، نعني دعوة بني إسرائيل خاصّة بعد دعوة الناس عامّة، ولتعلم حكمة ذلك التبسط في الحديث معهم تارة، والحديث عنهم تارة أخرى، بألوان تختلف هجوماً، ودفاعاً، واستمالة، واستطالة، إلى ما بعد نصف السورة! وسترى حين تنتقل في هذه الأحاديث مرحلة مرحلة ما يملك قلبك من جمال نظامها ودقة تقسيمها وتقلها بين الإجمال تارة والتفصيل تارة أخرى." (4)

وقد تنوع أسلوب القرآن الكريم في خطاب بني إسرائيل، تارة بالملاينة والملاطفة، وتارة بالتخويف والشدّة، وأحياناً بالتذكير بالنعم، وطوراً بتعداد جرائمهم وقبائحهم وتوبيخهم على أعمالهم وإقامة الحجة عليهم (5)، وستتناول الباحثة في هذا المبحث دعوة بني إسرائيل إلى عبادة

(1) انظر: التفسير المنير، الزحيلي، ج1/149.

(2) زهرة التفاسير، أبو زهرة، ج1/206.

(3) انظر: صفوة التفاسير، الصابوني، ج1/45.

(4) النبأ العظيم، دراز، ص221.

(5) انظر: التفسير المنير، الزحيلي، ج1/149.

الله ﷻ وتحقيق الاستخلاف في الأرض، والتي جاءت ضمن عدة توجيهات كريمة أمرهم الله ﷻ بها لينضموا إلى سرب الطائعين العابدين، وقد تتبعت الباحثة هذه التوجيهات، وحصرتها في النقاط الآتية:

### أولاً: تذكير بني إسرائيل بنعم الله ﷻ عليهم وأمرهم بالإيفاء بعهده

استأنف المولى ﷺ خطابه إلى بني إسرائيل بعد خطابه لبني آدم قاطبة مستخدماً أسلوب التلوين بالخطاب منادياً: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ (40)﴾، فناداهم ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ..﴾ وتقديره: يا بني العبد الصالح المطيع لله كونوا مثل أبيكم في متابعة الحق<sup>(1)</sup>، "واتفق المفسرون على أن إسرائيل هو يعقوب بن إسحق بن إبراهيم، ويقولون إن معنى إسرائيل عبد الله، لأن «إسرا» في لغتهم هو العبد و «إيل» هو الله."<sup>(2)</sup>

وابتداً توجيهاتهم بأمرهم بذكر نعمة الله ﷻ عليهم فقال: ﴿..اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ..﴾، وفي المراد بهذه النعمة ثلاثة أقوال:

**أحدها:** أنها ما استودعهم الله ﷻ من التوراة التي فيها صفة رسول الله ﷺ.

**الثاني:** أنها ما أنعم به الله ﷻ على آبائهم وأجدادهم إذ أنجاهم من آل فرعون، وأهلك عدوهم، وأعطاهم التوراة، ونحو ذلك، وإنما منّ عليهم بما أعطى آباءهم، لأنّ فخر الآباء فخر للأبناء، وعار الآباء عار على الأبناء.

**الثالث:** أنها جمع نعمة على تصريف الأحوال.<sup>(3)</sup>

وذكر النعمة إنما يكون "بالتفكر فيها والقيام بشكرها وفيه إشعار بأنهم قد نسوها بالكلية ولم يُخطروها بالبال لا أنهم أهملوا شكرها فقط، وإضافة النعمة إلى ضمير الجلالة لتشريفها وإيجاب تخصيص شكرها به ﷻ، وتقيد النعمة بهم لما أنّ الإنسان مجبولٌ على حب النعمة فإذا نظرَ إلى ما فاض عليه من النعم حملَه ذلك على الرضا والشكر."<sup>(4)</sup>

وقد أشار الإمام الرازي إلى "أنه ﷻ إنما ذكرهم بهذه النعم لعدة وجوه وحكم:

(1) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج1/241.

(2) مفاتيح الغيب، الرازي، ج3/474.

(3) انظر: زاد المسير، ابن الجوزي، ج1/59.

(4) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، ج1/94.

أحدها: أن في جملة النعم ما يشهد بصدق محمد ﷺ وهو التوراة والإنجيل والزيور.  
ثانيها: أن كثرة النعم توجب عظم المعصية فذكّرهم تلك النعم لكي يحذروا مخالفة ما دُعوا إليه  
من الإيمان بمحمد ﷺ وبالقرآن.

ثالثها: أن تذكير النعم الكثيرة يُوجب الحياء عن إظهار المخالفة.

رابعها: أن تذكير النعم الكثيرة يفيد أن المنعم خصّهم من بين سائر الناس بها ومن خصّ أحدًا  
بنعم كثيرة فالظاهر أنه لا يزيلها عنهم لما قيل: إتمام المعروف خير من ابتدائه فكأنّ تذكير  
النعم السالفة يُطمع في النعم الآتية، وذلك الطمع مانع من إظهار المخالفة والمخاصمة.<sup>(1)</sup>

ثم عطف على أمرهم بذكر النعم أمرهم بالوفاء بعهدہ ﷺ، حيث قال: ﴿وَأَوْفُوا  
بِعَهْدِي﴾، وفي المراد بعهدہ: أربعة أقوال:

الأول: أنه ما عهده إليهم في التوراة من صفة محمد ﷺ.

الثاني: أنه امتثال الأوامر، واجتناب النواهي.

الثالث: أنه الإسلام.

الرابع: أنه العهد المذكور في قوله ﷺ: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ  
عَشَرَ نَقِيبًا﴾ [المائدة: 13].<sup>(2)</sup>

وقوله ﷺ: ﴿..أَوْفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ أي: أنجز لكم ما وعدتكم بوضع ما كان عليكم من  
الإصر والأغلال التي كانت في أعناقكم بذنوبكم التي كانت من إحداثكم.<sup>(3)</sup>

ثم انتقل من الترغيب إلى الترهيب بقوله ﷺ: ﴿..وَأَيَّاءَ فَارِهِبُونَ﴾، فدعاهم إليه بالرغبة  
والرهبة، لعلهم يرجعون إلى الحق، واتباع الرسول، والاعتناظ بالقرآن وزواجه، وامتثال أوامره،  
وتصديق أخباره<sup>(4)</sup>، والرهبة خوف معه تحرز، والآية متضمنة للوعد والوعيد، ودالة على وجوب  
الشكر والوفاء بالعهد، وأن المؤمن ينبغي أن لا يخاف إلا الله ﷻ، والكلام فيه تخصيص كأنه  
قيل: إن كنتم راهبين شيئًا فارهبوني.<sup>(5)</sup>

(1) مفاتيح الغيب، الرازي، ج3/477.

(2) انظر: زاد المسير، ابن الجوزي، ج1/60.

(3) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج1/242.

(4) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي، ج1/242.

(5) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، ج1/95.

ثانياً: دعوتهم إلى الإيمان بما أنزل الله ﷻ وعدم الاشتراء بآياته ثمناً قليلاً

شرح المولى ﷻ في دعوة بني إسرائيل إلى الإيمان بما أنزل من القرآن بعد أن هياً نفوسهم إلى قبوله بتذكيرهم بنعمه عليهم فأتبع هذا التذكير بقوله: ﴿وَأْمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أُولَٰ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّاي فَاتَّقُون (41)﴾، والإيمان بالكتاب المنزل من عند الله أو بكتب الله وإن كان من جملة ما شمله العهد المشار إليه في قول الحق ﷻ: ﴿..وَأَوْفُوا بِعَهْدِي..﴾ [البقرة: 40] إلا أنه عطفه على ما سبقه من قبيل عطف الخاص على العام في المعنى.<sup>(1)</sup>

وقوله ﷻ: ﴿وَأْمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ..﴾ يعني القرآن، ﴿..مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ..﴾ يعني التوراة أو الإنجيل، فإن القرآن يصدقهما أنهما من عند الله ﷻ، ويوافقهما في صفة النبي ﷺ<sup>(2)</sup>، ولم يذكر الرسول ﷺ ابتداءً بل ذكر ما أنزل على ذلك الرسول، وإن الإيمان به يتضمن الإيمان بصدق محمد ﷺ وذلك لأن ذات المنزل هو الحجة الدامغة، وهو فيما يدلّ عليه من علم حجة عليهم، لأنه مصدق لما عندهم فهو يحمل في نفسه دليل صدقه، وذكره أخذ للحجة عليهم ابتداءً وإذا آمنوا بالكتاب فقد آمنوا لا محالة برسالة من نزل عليه الكتاب الحكيم، وقوله ﷻ: ﴿..مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ..﴾ يدلّ على أنهم إذا آمنوا بهذا الكتاب المنزل من عند الله ﷻ يؤمنون بما عندهم، وأنهم إن كفروا به يكفرون بما عندهم.<sup>(3)</sup>

وقد توقّف العلماء عند قول الحق ﷻ: ﴿..وَلَا تَكُونُوا أُولَٰ كَافِرٍ بِهِ..﴾ كيف يقول ﴿..أُولَٰ كَافِرٍ..﴾ والخطاب للجميع؟ وقد أجاب الحافظ ابن كثير على هذا التساؤل بإيراد عدة أقوال:

1. أي: لا تكونوا أول فريق كافر به ونحو ذلك.
2. المراد: لا تكونوا أول من كفر بمحمد ﷺ يعني من جنسكم -أهل الكتاب- بعد سماعهم بمحمد ﷺ وبمبعثه.
3. يعني به: أول من كفر به من بني إسرائيل؛ لأنه قد تقدّمهم من كفار قريش وغيرهم من العرب بشرّ كثير، وإنما المراد أول من كفر به من بني إسرائيل مباشرة، فإن يهود المدينة

(1) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج1/458.

(2) انظر: زاد المسير، ابن الجوزي، ج1/60.

(3) انظر: زهرة التفاسير، أبو زهرة، ج1/209.

أول بني إسرائيل الذين خوطبوا بالقرآن، فكفرهم به يستلزم أنهم أول من كفر به من جنسهم. (1)

وأضاف أبو الفرج الجوزي أنه قال: «..أَوَّلُ كَافِرٍ..» "لأن التقدم إلى الكفر أعظم من الكفر بعد ذلك، إذ المبادر لم يتأمل الحجّة، وإنما بادر بالعناد، فحالته أشد. (2)، والهاء في «به» إما: عائدة على القرآن الذي تقدم ذكره في قوله: «..بِمَا أَنْزَلْتُمْ..» وإما على محمد ﷺ، وكلا القولين صحيح؛ لأنهما متلازمان، لأن من كفر بالقرآن فقد كفر بمحمد ﷺ، ومن كفر بمحمد ﷺ فقد كفر بالقرآن. (3)

وقوله ﷺ: «..وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا..» أي: لا تستبدلوا ثمنًا قليلًا، "ولا تتبعوا آيات الله الدالة على صدق محمد ﷺ في نبوته ودعوته بثمن دنيوي حقير، من رئاسة أو زعامة أو مال أو موروثة وعادات قديمة، فإنه ثمن قليل بخس، وتجارة خاسرة غير رابحة. (4)

أما ختامه للآية الكريمة بقوله ﷺ: «..وَأَيَّاءَ فَاتَّقُونَ (41)» أي: بالإيمان واتباع الحق والإعراض عن الدنيا، فيحار المتأمل لم ختم الحق ﷺ الآية السابقة بقوله تعالى: «..وَأَيَّاءَ فَارْهَبُونَ (40)» وختم هذه الآية بقوله ﷺ: «..وَأَيَّاءَ فَاتَّقُونَ (41)» فقد أجاب عن هذا التساؤل الإمام البيضاوي بقوله: "لما كانت الآية السابقة مشتملة على ما هو كالمبادي لما في الآية الثانية، فصلت بالرهبة التي هي مقدمة التقوى، ولأن الخطاب بها عمّ العالم والمقلّد أمرهم بالرهبة التي هي مبدأ السلوك، والخطاب بالثانية لما خصّ أهل العلم أمرهم بالتقوى التي هي منتهاه (5)، وأضاف ابن عطية قوله: "بين «اتقون» و«ارهبون» فرق، أن الرهبة مقرون بها وعيد بالغ. (6)

### ثالثًا: عدم لبس الحق بالباطل وكنم الحق

عطف الله ﷻ على الأوامر السابقة نهيهم عن لبس الحق بالباطل وكنمان الحق فقال ﷺ: «وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (42)»، "واللبس: الخلط وقد يلزمه جعل الشيء مشتبهًا بغيره، والمعنى لا تخلطوا الحق بالمنزل عليكم بالباطل الذي تخترعونه

(1) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج1/243.

(2) زاد المسير، ابن الجوزي، ج1/60.

(3) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج1/243.

(4) التفسير المنير، الزحيلي، ج1/150.

(5) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، ج1/76.

(6) المحرر الوجيز، ابن عطية، ج1/135.

وتكتمونه حتى لا يميّز بينهما، أو ولا تجعلوا الحق ملتبسًا بسبب خلط الباطل الذي تكتبونه في خلاله، أو تذكرونه في تأويله<sup>(1)</sup>، والمراد بتخليطهم: أنهم قالوا: إن الله عهد إلينا أن نؤمن بالنبى الأمي، ولم يذكر أنه من العرب، والمراد بالحق أنه أمر النبى ﷺ أو أنه الإسلام.<sup>(2)</sup>

وقوله ﷺ: **«..وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (42)»** جملة حالية، إذ المقصود: وأنتم من ذوي العلم، فلا يناسب من كان عالمًا أن يكتم الحق ويلبسه بالباطل، وإنما فائدتها: أن الإقدام على الأشياء القبيحة مع العلم بها أفحش من الإقدام عليها مع الجهل بها<sup>(3)</sup>، ويجوز أن يكون المعنى: وأنتم تعلمون ما في ذلك من الضرر العظيم على الناس من إضلالهم عن الهدى المفضي بهم إلى النار إذا اتبعوا ما تدونه لهم من الباطل المشوب بنوع من الحق لتروجه عليهم.<sup>(4)</sup>

### رابعًا: أمرهم بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والركوع مع الراكعين

ثم ذكر المولى ﷺ لزوم الشرائع عليهم بعد الإيمان، فأمرهم بفروع الإسلام بعدما أمرهم بأصوله فقال أمرًا لهم: **«وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين (43)»**، ويعني بذلك صلاة المسلمين وزكاتهم، فقيل: هي الصلاة المفروضة، وقيل: جنس الصلاة، والزكاة قيل: أراد المفروضة، وقيل: صدقة الفطر، وهو خطاب لليهود، فدّل ذلك على أن الكفار مخاطبون بفروع الشريعة.

وقوله ﷺ: **«... واركعوا مع الراكعين (43)»** ففيه أقوال:

1. يحتمل أن يُراد بالركوع: الانقياد والخضوع.
  2. ويحتمل أن يُراد به: الركوع المعروف في الصلاة، وأُمرُوا بذلك وإن كان الركوع مندرجًا في الصلاة التي أمرُوا بإقامتها، احترازًا عن صلاة اليهود لأنه لا ركوع في صلاتهم.
  3. وقيل: كُتِيَ بالركوع عن الصلاة: أي وصلّوا مع المصلّين، ويكون في قوله (مع) دلالة على إيقاعها في جماعة، لأن الأمر بإقامة الصلاة أولًا لم يكن فيها إيقاعها في جماعة.<sup>(5)</sup>
- وإنما خص هاتين العبادتين إشارةً إلى العبادات البدنية والمالية، ولأن من شأنهما استتجار سائر العبادات واستتباعها.<sup>(6)</sup>

(1) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، ج1/76.

(2) انظر: زاد المسير، ابن الجوزي، ج1/60.

(3) انظر: البحر المحيط، أبو حيان، ج1/291-292.

(4) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج1/245.

(5) انظر: البحر المحيط، أبو حيان، ج1/292.

(6) انظر: نظم الدرر، البقاعي، ج1/333.

## خامساً: نهيم عن أمرهم الناس بالبر ونسيانهم أنفسهم

استنكر الحق ﷺ على اليهود أمرهم للناس بالبر ونسيانهم أنفسهم بأسلوب الاستفهام الإنكاري فخطبهم قائلاً: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَثْلَوْنَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (44)﴾ فقد كان اليهود يبشرون بمجيء رسول جديد، ويعلنون أنهم سيؤمنون به، فلما جاء رسول الله ﷺ ولم يكن من قومهم كفروا به، لأنهم كانوا يريدون أن تكون السطوة لهم بأن يأتي الرسول الجديد منهم، فلما جاء من العرب عرفوا أن سطوتهم ستزول، وأن سيادتهم الاقتصادية ستنتهي، فكفروا بالرسول وبرسالته.<sup>(1)</sup>

وقد اختلف أهل التأويل في معنى البر الذي كان المخاطبون يأمرون الناس به وينسون أنفسهم في قوله ﷺ: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ..﴾، واعتبر الإمام الطبري أنّ جميع الذي قيل في تأويل هذه الآية متقارب المعنى، لأنهم وإن اختلفوا في صفة "البر" الذي كان القوم يأمرون به غيرهم، فهم متفقون في أنهم كانوا يأمرون الناس بما الله فيه رضا من القول أو العمل، ويخالفون ما أمرهم به من ذلك إلى غيره بأفعالهم، فالتأويل إذاً: أأمرهم الناس بطاعة الله وتركوا أنفسهم تعصيه؟ فهلا تأمرونها بما تأمرون به الناس من طاعة ربكم؟ معيهم بذلك، ومقبلاً إليهم ما أتوا به.<sup>(2)</sup>

وبعد أن استنكر الحق ﷺ عليهم أمرهم للناس بالبر مع نسيان أنفسهم في ذلك الأمر الذي قاموا به في المجامع ونادوا به في المجالس، وهم أترك الناس لذلك، وأبعدهم من نفعه وأزهدهم فيه، جاء بجملة أخرى جعلها مبيّنة لحالهم، وكاشفة لعوارهم، وهاتكة لأستارهم، فقال ﷺ: ﴿..وَأَنْتُمْ تَثْلَوْنَ الْكِتَابَ..﴾ ومقصوده أنهم فعلوا هذه الفعلة الشنيعة والخصلة الفظيعة على علم منهم ومعرفة بالكتاب الذي أنزل عليهم وملازمتهم لتلاوته، وهذه الجملة الحالية مشتملة على أعظم تقرير وأشد توبيخ وأبلغ تكييت: أي كيف تتركون البر الذي تأمرون الناس به، وأنتم من أهل العلم العارفين بقبح هذا الفعل وشدة الوعيد عليه، كما ترونه في الكتاب الذي تتلونه والآيات التي تقرؤونها من التوراة، ثم ختم هذا التقرير بتقرير أشد من الأول فقال ﷺ: ﴿..أَفَلَا تَعْقِلُونَ (44)﴾ وهذا الاستفهام للإنكار عليهم والتقرير لهم.<sup>(3)</sup>

(1) الخواطر، الشعراوي، ج1/303.

(2) انظر: جامع البيان، الطبري، ج1/9.

(3) انظر: فتح القدير، الشوكاني، ج1/92.

وهذه الآية الكريمة فيها إشارة واضحة إلى منهج راقى من مناهج الدعوة، ألا وهو القدوة، فبالقدوة الحسنة يصلح حال الأمم والشعوب.

### سادسًا: الاستعانة بالصبر والصلاة

أمر الله ﷻ بني إسرائيل في سياق التوجيهات السابقة بالاستعانة بالصبر والصلاة فقال ﷻ لهم: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ (45) الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (46)﴾، وقوله ﷻ: ﴿وَأَسْتَعِينُوا..﴾ أي: على إظهار الحق والانقياد له وهو معنى ما مضى من الأوامر والنواهي ﴿..بِالصَّبْرِ..﴾ أي: على مخالفة الهوى، والصبر: حبس النفس عن حاجتها وعاداتها وترويضها لإصلاحها وتزكيتها، وهو عام في كل صبر<sup>(1)</sup>، ثم عطف عليها بقوله: ﴿..وَالصَّلَاةِ..﴾ لأنها ميزان الإيمان، وتنتهي عن الفحشاء والمنكر، ويستعان بها على كل أمر من الأمور.<sup>(2)</sup>

أما قوله: ﴿..إِنَّهَا..﴾ إما أن يُراد (وإن الاستعانة بهما)، أو عائد على الصلاة وتخصيصها بردّ الضمير إليها، لعظم شأنها واستجماعها ضروريًا من الصبر، أو عائد على جملة ما أمروا به ونهوا عنه، وقوله ﷻ: ﴿..لَكَبِيرَةٌ..﴾ لثقل شاقته، وقوله: ﴿..إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ (45)﴾ أي: المخبتين، والخشوع الإخبات.<sup>(3)</sup>

ثم بين من هم على هذا الوصف الرائع وعلى هذه المرتبة العظيمة فقال ﷻ: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (46)﴾ "وهذا من تمام الكلام الذي قبله، أي أن الصلاة لثقلها إلا على الخاشعين الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم، أي يعلمون أنهم محشورون إليه يوم القيامة، معروضون عليه وأنهم إليه راجعون أي: أمورهم راجعة إلى مشيئته، يحكم فيها ما يشاء بعدله، فلهذا لما أيقنوا بالمعاد والجزاء، سهل عليهم فعل الطاعات وترك المنكرات."<sup>(4)</sup>

"وعبر بالظن في قوله: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ..﴾ للإشارة إلى أن من ظنّ اللقاء لا يشقّ عليه الصلاة، فكيف بمن يتيقنه؟! فهذا سبب آخر بعد نسيان أنفسهم وتلاوة الكتاب للتفريع والتوبيخ."<sup>(5)</sup>

(1) انظر: نظم الدرر، البقاعي، ج1/339.

(2) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص51.

(3) انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، ج1/78.

(4) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج1/254.

(5) التفسير المنير، الزحيلي، ج1/156.

وهاتان الآيتان الكريمتان إشارة إلى أنّ "من لم تنته صلواته عن ركوب الباطل والتمادي فيه وتأمّره بلزوم الحق والرجوع إليه فليس بمصلٍّ، فكأن المراد بالصبر تخليص النفس من أشراك الهوى وقسرها على الإخلاص، فمن صلّى على هذه الصفة كان لا محالة من الناجين؛ وثنى بالصلاة لأنها استرزاق يغنيهم عن اشتراء ثمن كانوا يأخذونه من أتباعهم في اللبس والكتمان".<sup>(1)</sup>

وهذا الخطاب وإن كان خطاباً مباشراً لبني إسرائيل خاصة، إلا أنه يمثل توجيهاً عاماً للمسلمين كافة بأن يستعينوا بالصبر والصلاة في جميع شؤون حياتهم فهما -الصبر والصلاة- زادا الطريق ومثونتا رحلة الاستخلاف المباركة.

### سابعاً: تذكيرهم بنعمة تفضيلهم على العالمين

وبعد جملة الأوامر والنواهي التي وجهها المولى ﷺ لبني إسرائيل كرّر ﷺ تذكيرهم بنعمه عليهم بقوله: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ 47﴾، وقد تعددت الآراء حول الحكمة من هذا التكرار نذكره على النحو الآتي:

1. اعتبر الإمام ابن عطية أن تكرار هذا النداء والتذكير بالنعمة لأن الخطاب الأول يصحّ أن يكون للمؤمنين، ويصحّ أن يكون للكافرين منهم، وهذا المتكرر إنما هو للكافرين، بدلالة ما بعده، وأيضاً فإنّ فيه تأكيد الحضّ على ذكر أيادي الله ﷻ لهم.<sup>(2)</sup>

2. أما الفخر الرازي فيقول: "اعلم أنه ﷺ إنما أعاد هذا الكلام مرة أخرى توكيداً للحجة عليهم، وتحذيراً من ترك اتباع محمد ﷺ، ثم قرنه بالوعيد، وهو قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا.. (48)﴾ كأنه قال: إن لم تطيعوني لأجل سوائف نعمتي عليكم، فأطيعوني للخوف من عقابي في المستقبل".<sup>(3)</sup>

3. يرى الشيخ محمد رشيد رضا أن النعمة في الآية الأولى مجملة والإجمال ينبّه الفكر إلى الذكر في الجملة، فإذا تلاه التفصيل والبيان كان على استعداد تام لكمال الفهم، فقوله ﷺ: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ... (47)﴾ مؤكّد لمثله في الآية: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾

(1) نظم الدرر، البقاعي، ج1/340.

(2) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، ج1/138.

(3) مفاتيح الغيب، الرازي، ج3/492.



الْعَجَلِ فَتَوَبُوا إِلَىٰ بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ  
إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (54)﴾.

6. إحيائهم بعد الموت الحقيقي، ليستوفوا آجالهم المقدرة لهم، وهو ما ذكر في قول الحق  
ﷺ: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ  
تَنْظُرُونَ (55) ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (56)﴾.

7. تظليلهم بالغمام، فقال ﷺ: ﴿وَوَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ.. (57)﴾.

8. إنزال أنواع من الطعام والشراب، وبيان ذلك في قوله ﷺ: ﴿..وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ  
وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (57)﴾.

9. الإذن لهم بدخول القرية بعد خروجهم من التيه، وذلك في قوله ﷺ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ  
الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرَ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ  
وَسَتَرِيزُ الْمُحْسِنِينَ (58) فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا  
رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (59)﴾.

10. استسقاء موسى ﷺ لهم، وذلك في قوله ﷺ: ﴿وَإِذْ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ  
بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ  
رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (60)﴾.

وقد حرصت الباحثة على جمع الآيات التي تحدثت عن نعم الله ﷻ على بني إسرائيل  
دون الرجوع إلى تفسيرها من باب عدم الإطالة والإطناب والتفصيل مكثفياً في هذا المقام  
بحصر النعم إظهاراً لها، وبيان كفر وتقصير بني إسرائيل تجاه شكرها رغم كثرتها وتنوعها  
وتفضل الله ﷻ عليهم بها.

### ثامناً: اتقاء عذاب يوم القيامة

لما ذكر الله ﷻ بني إسرائيل بنعمه أولاً عطف على ذلك تحذيرهم وأمرهم باتقاء عذاب  
ذلك اليوم فقال متوعداً لهم: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ  
وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ (48)﴾، وقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا..﴾ فيه إضمار تقديره:  
وانتقوا عذاب يوم أو: ما في يوم، والمراد باليوم: يوم القيامة<sup>(1)</sup>، وقوله ﷺ: ﴿..لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ  
نَفْسٍ شَيْئًا..﴾ أي: لا تغني نفس مؤمنة عن نفس مؤمنة ولا نفس كافرة عن نفس كافرة، وقوله

(1) انظر: زاد المسير، ابن الجوزي، ج 1/62.

﴿..وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ..﴾ أي: من نفس كافرة يعني لا ينفع فيها شافع ولا ملك ولا رسول لغير أهل القبلة، ثم قال الحق ﷻ: ﴿..وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ..﴾ أي: لا يُقبل الفداء من نفس كافرة، وقوله: ﴿..وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ (48)﴾ أي: ولا هم يُمنعون من العذاب، وهذه الآية إنما نزلت فيهم لأنهم كانوا يقولون: نحن من أولاد إبراهيم خليل الله، ومن أولاد إسحاق والله تعالى يقبل شفاعتهما فينا، فنزلت هذه الآية. (1)

وهكذا ختم الله ﷻ مجموعة التكاليف التي أمر بها بني إسرائيل بالحث على اتقاء عذاب يوم القيامة، وكأن الله ﷻ يخبرنا أن التقوى هي مؤثر الصلاح والانقياد لأوامر المولى ﷻ، وأن كل هذه التكاليف لا تصدر إلا من قلوب نقية طاهرة وجلة من لقاء الله عامرة بخشيته.

وهذا الخطاب الإلهي لبني إسرائيل بديع من حيث الفصاحة وبناء الكلام بعضه على بعض، فكان افتتاح هذه الآيات بذكر النعم واختتامها بالانقياد للمُنعم، وما بينهما تكاليف اعتقادية وأفعال بدنية ومالية، وبنحو ما تضمنته هذه الآيات من الافتتاح والإرداف والاختتام يظهر فضل كلام الله ﷻ على سائر الكلام، وهذه الأوامر والنواهي وإن كانت خاصة في السورة ببني إسرائيل لأنهم هم المخاطبون بها، فهي عامة في المعنى، فيجب على كل مكلف ذكر نعمة الله، والإيفاء بالعهد وسائر التكاليف المذكورة بعد هذا. (2)

#### • علاقة المبحث بوحدة موضوع السورة:

فمن خلال ما تقدّم تبين لنا أن الله ﷻ قد دعا بني إسرائيل إلى عبادته وتحقيق الاستخلاف في الأرض وذلك من خلال توجيهات عديدة وبأساليب متنوعة ليقوم الحجة عليهم، لكنهم فشلوا في اختبار شكر النعم، فصفتهم الخسيسة وأخلاقهم المشينة منعهم من الاستجابة لدعوة الله وتحقيق هذا الاستخلاف تكبراً وتعنتاً، فهم أصحاب المزاجات الغربية والطبيعة الجدلية والشخصية المعقدة التي حار معها الأنبياء مع اختلاف الأزمنة والأجيال.

هكذا أبان الله ﷻ لعباده نموذجاً مفصلاً لفئة من فئات المكلفين الذين لم يحظوا بشرف الاستخلاف على هذه الأرض، لتكون سيرتهم وحكايتهم موعظة للمتقين، وحجة على من عداهم، ممن بلغتهم هذه الدعوة المباركة، وعلموا بالدور المنوط بهم، إلا أنهم عموا وسموا، وظلّ كتاب الله الكريم وآياته شاهداً ودليلاً على كل من ادّعى جهله بالحق، وعدم علمه بالتكليف، فبرّر لنفسه ضياعه وتقرّيطه.

(1) انظر: بحر العلوم، السمرقندي، ج1/50.

(2) انظر: البحر المحيط، أبو حيان، ج1/293.

## الفصل الرابع

بيان صفات بني إسرائيل خاصة وأهل  
الكتاب عامة في سورة البقرة وعلاقتها  
بوحدة موضوعها

## الفصل الرابع

### بيان صفات بني إسرائيل خاصة وأهل الكتاب عامة في سورة البقرة

#### وعلاقتها بوحدة موضوعها

تتحدث سورة البقرة عن صفات بني إسرائيل خاصة وأهل الكتاب عامة والتي منعهم من الاستجابة لنداء الحق وتحقيق الاستخلاف في الأرض، وقد كشفت السورة من خلال هذه الصفات عن نواياهم السيئة وخبايا نفوسهم الخبيثة وأفعالهم المشينة في كثير من المواقف، والتي أظهرها المولى ﷺ لفضح حقيقتهم الجادة وتبكيئاً لهم لسوء صنيعهم، وستتناول الباحثة هذا الفصل في مبحثين على النحو الآتي:

#### المبحث الأول

##### بيان صفات بني إسرائيل خاصة في سورة البقرة

لقد فصل الله ﷻ صفات بني إسرائيل القبيحة وفند حججهم وكشف زيف ادعاءاتهم التي منعهم من الاستجابة لأوامر الله ونواهيه وتحقيق الاستخلاف في الأرض، وقد تتبعت الباحثة هذه الصفات، وقسمتها إلى صفات حسية وصفات معنوية، وحصرتها فيما يأتي:

#### المطلب الأول

##### صفات بني إسرائيل الحسية

تنوعت الصفات الحسية التي صبغت شخصية بني إسرائيل وطغت على سلوكهم، ورسمت الصورة الواضحة لحقيقتهم ودينتهم في التعامل مع الله ﷻ وأنبيائه -عليهم الصلاة والسلام- والمؤمنين، وقد تتبعت الباحثة هذه الصفات المذكورة في ثنايا السورة الكريمة وحصرتها فيما يأتي:

##### الصفة الأولى: استبدالهم الذي هو أدنى بالذي هو خير

من الصفات الحسية السيئة التي وصف الله ﷻ بها بني إسرائيل هي استبدالهم الذي هو أدنى بالذي هو خير، وتظهر لنا هذه الصفة من خلال حوار نقله إلينا القرآن الكريم بين بني إسرائيل ونبیهم موسى ﷺ والذي يدل على كفرهم لنعم الله وجودهم بها، وذلك في قوله ﷻ: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِيهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ.. (61)﴾ ومعنى الآية: واذكروا إذ قلتم -يا معشر بني إسرائيل-: لن نطيق

حبس أنفسنا على طعام واحد، وذلك "الطعام الواحد" هو ما أخبر الله ﷺ أنه أطعمهموه في تيههم، وهو "المنّ والسلوى"، وكان سبب مسألتهم موسى ﷺ ذلك ما ورد عن قتادة في نزول قول الحق ﷻ: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ..﴾ قال: كان القوم في البرية قد ظلّ عليهم الغمام، وأنزل عليهم المنّ والسلوى، فملّوا ذلك، وذكروا عيشاً كان لهم بمصر، فسألوه موسى ﷺ، فقال الله ﷻ: ﴿.. اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ..(61)﴾.(1)

هكذا هم بنو إسرائيل بينما هم عالقون بين جذب الصحراء وظلام السماء، فأنبع الكريم ﷺ لهم من الحجر الماء، وأنزل لهم من السماء منّا وسلوى تفرح له النفوس، إلا أنهم أبوا إلا أن يُظهروا جحودهم الذي جُبلوا عليه، فطلبوا أصنافاً من الأطعمة متوافرة في أي مصر من الأمصار، على عكس المنّ والسلوى الذي اختصّوا به دون غيرهم من الأقوام!(2) أما كونهم كُتوا عن المنّ والسلوى بطعام واحد وهما اثنان فذلك لأنهم كانوا يأكلون أحدهما بالآخر، فلذلك قالوا: طعام واحد، وقيل: لتكرارهما في كل يوم غذاء.(3)

وقوله ﷻ: ﴿..فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِيهَا وَبَصَلِهَا..(61)﴾ أي: اطلب لنا من ربك أن يُطعمنا مما تنبت الأرض من ﴿..بَقْلِهَا..﴾ أي: أطايب البقول التي يأكلها الناس كالنعناع والكرفس والكراث وأشباهها، و﴿..وقِثَّائِهَا..﴾ وهو الخيار(4)، وأما ﴿..فُومِهَا..﴾ فإن أهل التأويل اختلفوا فيه فقال بعضهم: هو الحنطة والخبز، وقال آخرون: هو الثوم.(5)

فقال موسى ﷺ متعجباً ومويخاً ومستكراً: ﴿..أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ..(61)﴾، أي: أتأخذون الذي هو أخس قيمةً وقدراً من العيش، بدلاً بالذي هو خير منه قيمةً وقدراً؟ وذلك كان استبدالهم، وأصل "الاستبدال": هو ترك شيء لآخر غيره مكان المتروك، ومعنى قوله: ﴿..أَدْنَىٰ..﴾ أخس وأوضع وأصغر قدراً(6)، فاستجاب لهم الحق ﷻ فقال:

(1) انظر: جامع البيان، الطبري، ج2/124-125.

(2) انظر: في ظلال القرآن، قطب، ج1/74.

(3) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج1/422.

(4) انظر: التفسير المنير، الزحيلي، ج1/173.

(5) انظر: جامع البيان، الطبري، ج2/127 وما بعدها.

(6) انظر: المرجع السابق، ج2/130.

﴿.. اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ .. (61)﴾، ولا يقال لهم ذلك إلا لأنهم أصرروا على الطلب برغم أن الحق ﷻ بين لهم أن ما يُنزلهُ إليهم خيرٌ مما يطلبونه.<sup>(1)</sup>

وقول المولى ﷻ: ﴿..اهْبِطُوا مِصْرًا..﴾ فيه قولان:

**أحدهما:** أنه اسم لمصر من الأمصار غير معيّن، وإنما أمرُوا بالمصر، الذي طلبوه في الأمصار.

**والثاني:** أنه أراد البلد المسمى بمصر<sup>(2)</sup>، وأياً كانت المصر التي هبطوا فيها، نستشعر في لغة الخطاب غضب المولى ﷻ عليهم، وطردهم من رحاب كرمه إلى الحياة الخائفة الذليلة التي ألفوها، فما أحقر هؤلاء القوم!

وتأمل مقالاتهم وما يظهر فيها من سوء أخلاقهم، من تعنت ورعونة، وهذا ظاهر في قولهم ﴿..يَا مُوسَى..﴾ بدل (يا نبي الله أو رسول الله لن نصبر على طعام واحد)، وقولهم: ﴿..فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ..﴾ بدل (ادع الله ﷻ لنا أو ادع لنا ربنا ﷻ)، ومن عدم صبر، وجهالة بالخير، وسوء تدبير في مللهم اللحم والعسل، وطلبهم القوم والبصل بدلاً عنهما.<sup>(3)</sup>

#### الصفة الثانية: قتل النبيين بغير الحق

ذكر الله ﷻ صفة حسية أخرى لبيان إمعان القوم في الضلال والزيغ عن الحق، وهو قتل النبيين بغير الحق، وذلك في قوله ﷻ: ﴿..وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (61)﴾ حيث دأبوا على قتل النبيين الصديقين الذين أرسلهم الله ﷻ لهدايتهم ودعوتهم إلى الحق كما قتلوا يحيى بن زكريا عليه السلام، والتعبير بالمضارع دالٌّ على التكرار، وكأن قتل النبيين كان عادة لهم وشأنًا من شئونهم، لتغلغل الكفر والعصيان في نفوسهم، واستمرائهم الباطل والعصيان، ولذلك علل ﷻ تكرار كفرهم للآيات وقتلهم للأنبياء بقوله: ﴿..ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (61)﴾.<sup>(4)</sup>

وقد أشار الله ﷻ إلى أن قتلهم للأنبياء هو دأبهم وديدنهم في موضع آخر من السورة الكريمة، وذلك في قوله ﷻ: ﴿... قُلْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (91)﴾.

(1) انظر: الخواطر، الشعراوي، ج1/365.

(2) انظر: زاد المسير، ابن الجوزي، ج1/71.

(3) انظر: أيسر التفاسير، الجزائري، ج1/63.

(4) انظر: زهرة التفاسير، أبو زهرة، ج1/252.

وقد قرن الله ﷻ صنيعهم هذا بقوله: ﴿..بِغَيْرِ الْحَقِّ..﴾ أي: بدون وجه معتبر في شريعتهم، فهذا القيد من الاحتجاج على اليهود بأصول دينهم لتخليد مذمتهم، وإلا فإن قتل الأنبياء لا يكون بحق في حال من الأحوال<sup>(1)</sup>، كذلك لبيان أنّ فعلهم إثم وليس له مبرر، وأن كونه بغير الحق للتشنيع على فعلهم، وقبح تصرفاتهم.

وبين الطاهر بن عاشور أن اسم الإشارة في قوله: ﴿..ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ (61) يُحتمل أن تكون الإشارة فيه إلى:

1. نفس المشار إليه بـ ﴿..ذَلِكَ..﴾ الأولى في قوله ﷻ: ﴿..ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ ..﴾ (61) فيكون العصيان والاعتداء سببين آخرين لضرب الذلة والمسكنة ولغضب الله ﷻ عليهم.

2. يجوز أن يكون المشار إليه بـ ﴿..ذَلِكَ..﴾ الثانية هو الكفر بآيات الله وقتلهم النبيين، فتكون ﴿..ذَلِكَ..﴾ الأولى إشارة إلى سبب ضرب الذلة، وما بعد كلمة ﴿..ذَلِكَ..﴾ الثانية هو سبب السبب تنبيهاً على أنّ إدمان المعاصي يُفضي إلى التغلغل فيها والتثقل من أصغرها إلى أكبرها.<sup>(2)</sup>

وهذا الختام للآية يفضي إلى طبيعة اليهود العدوانية ونفوسهم المريضة التي استمرت العصيان، وأظلمت بالمعاصي، فهم أحقر الأقوم وأشدهم كفراً منذ الأزل.

#### الصفة الثالثة: التولي بعد رفع الطور فوقهم

من الصفات الحسيّة الذميمة التي تدلّ على خسة بني إسرائيل وتعنتهم وتوليهم عمّا أنزل الله ﷻ، وذلك بعد رؤية آية من آيات الله وهي رفع الطور فوقهم وفي ذلك يقول ﷻ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (63) ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (64) أي: واذكروا ﴿إِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ..﴾ وهو العهد الثقيل المؤكّد بالتخويف لهم، ﴿..وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ..﴾ برفع الطور فوقكم وقيل لهم: ﴿..خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ..﴾ من التوراة ﴿..بِقُوَّةٍ..﴾ أي: بجد واجتهادٍ وصبرٍ على أوامر الله، ﴿..وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ..﴾ أي: ما في كتابكم بأن تتلوه وتتعلموه، ﴿..لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (63) عذاب الله وسخطه، أو لتكونوا من أهل التقوى، فبعد هذا التأكيد

(1) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج1/530.

(2) انظر: المرجع السابق، ج1/530.

البلغ (**..تَوَلَّيْتُمْ..**) وأعرضتم، وكان ذلك موجبا لأن يحلّ بكم أعظم العقوبات، ولكن **﴿..لَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ (64)﴾**.<sup>(1)</sup>

فتأمل كيف يصف المولى ﷺ حكايتهم وسلوكهم بكل دقة، فيذكرهم أنه أخذ العهد على أسلافهم بالعمل بما في التوراة وقبلهم ذلك، ثم دعمهم بذلك برفع الطور فوقهم لأن رؤية ذلك يقوّ الإيمان ويحرّك الشعور والوجدان، والطور هو الجبل الذي ناجي عليه موسى ﷺ الله ﷻ، ثمّ بيّن لهم الميثاق وشروطه وهي أن يأخذوا التوراة بجدّ وعزيمة ومواظبة على العمل بما فيها، وأن يتدارسوها ولا ينسوا تدبر معانيها والعمل بما فيها من أحكام، كل ذلك لكي يعدّ نفوسهم لتقوى الله ﷻ فتصير نفوسهم تقية نقية من أدران الرذائل راضية مرضية عند ربه، لكنكم بتوليكم استحققتم العقاب، ولكن فضل الله عليكم ورحمته أبعد عنكم، ولولا ذلك لخسرتم سعادتي الدنيا والآخرة.<sup>(2)</sup>

وفي هذه الآية بيان لحال التارك للشريعة المضيق لأحكامها في أي عصر من العصور، وبيان للمقصد الرباني من الكتب الإلهية الذي لا يتأتى إلا بالعمل بما فيها لا تلاوتها باللسان وترتيلها بالأنغام، فإن ذلك نذب لها، بل لا بدّ من أخذ أحكام الشرع بحزم وعزم، فالتقوى لا تتم لعبد إلا إذا أخذ أحكام الشرع على محمل الجد.

#### الصفة الرابعة: الاعتداء في السبب ومسخهم قرده خاسئين

يذكر الله ﷻ بني إسرائيل بصفة حسية قبيحة وسلوك مُشين صدر من أسلافهم وهو اعتداؤهم يوم السبب ومسخهم إلى قرده وخنازير عقوبة لهم، وفي ذلك يقول ﷻ: **﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ (65) فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ (66)﴾** فافتتح الله ﷻ القصة بقولٍ يُقيم الحجة عليهم فقال: **﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ..﴾** أي: لقد عرفتم يا معشر اليهود، ما حلّ من البأس بأهل القرية التي عصت أمر الله وخالفوا عهده وميثاقه فيما أخذه عليهم من تعظيم السبب والقيام بأمره<sup>(3)</sup>، وفي صفة اعتدائهم في السبب قولان:

(1) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص54.

(2) انظر: تفسير المراغي، المراغي، 136/1-137.

(3) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج1/288.

أحدهما: أنهم أخذوا الحيتان يوم السبت.

**الثاني:** أنهم حبسوها يوم السبت وأخذوها يوم الأحد، وذلك أن الرجل كان يحفر الحفرة ويجعل لها نهراً إلى البحر، فإذا كان يوم السبت فتح النهر، وقد حرم الله ﷻ عليه العمل يوم السبت، فيقبل الموج بالحيتان حتى يُلقِيها في الحفيرة، فيريد الحوت الخروج فلا يطيق، فيأخذها يوم الأحد. (1)

فأعقب الله ﷻ عصيانهم هذا واجترأهم على حدوده بالعقوبة القاسية الشديدة التي تناسب جرمهم وشناعة فعلتهم فقال لهم: ﴿..كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ (65)﴾، وفي مسخهم قردة عدة أقوال للعلماء، منها:

1. قول ابن عباس ؓ: لم يَحْيُوا على الأرض إلا ثلاثة أيام، ولم يحي مسخ في الأرض فوق ثلاثة أيام، ولم يأكل ولم يشرب ولم ينسل.
2. قول قتادة ؓ: صار الشبان قردة، والشيوخ خنازير، وما نجا إلا الذين نهوهم عن فعلتهم، وهلك سائرهم.
3. قول مجاهد ؓ: أنه مُسخت قلوبهم ولم تمسح أبدانهم.
4. قول مقاتل: أنهم عاشوا سبعة أيام، وماتوا في اليوم الثامن، وهذا كان في زمان داود عليه السلام. (2)

أما قوله ﷻ: ﴿فَجَعَلْنَاهَا ..﴾ أي: المسخة، أو العقوبة، ﴿..نَكَالًا..﴾ أي: عبرة تتكل المعتر بها، أي تمنعه، وقوله ﷻ: ﴿..لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا..﴾ ففيه أقوال:

1. لما قبلها وما بعدها من الأمم إذ ذُكرت حالهم في زير الأولين، واشتهرت قصتهم في الآخرين.
2. أو لمعاصريهم ومن بعدهم.
3. أو لما بحضرتها من القرى وما تباعد عنها.
4. أو لأهل تلك القرية وما حواليتها.
5. أو لأجل ما تقدّم عليها من ذنوبهم وما تأخر منها.

(1) انظر: زاد المسير، ابن الجوزي، ج1/74.

(2) انظر: المرجع السابق، ج1/74-75.

ثم ختم هذا التخويف بقوله: ﴿..وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ (66)﴾ من قومهم، أو لكل متقٍ سمعها<sup>(1)</sup>، فكان هذا العقاب وهذا الوعيد لبيان أن أمر السبت ليس أمراً هيناً، لأنه تعدٍ صارخ على حرمة الله، وتعطيل لحدوده، وبيان نتيجة اتباع الهوى والانجرار وراء الشهوات.

### الصفة الخامسة: الجدل والمراوغة وقصة ذبح البقرة أنموذجاً

تسرد آيات السورة قصة البقرة التي تقصّ طرفاً من مواقف بني إسرائيل مع نبي الله موسى ﷺ وتظهر طبيعتهم الجدلية وتتطعمهم في الدين ومخالفتهم للأوامر الإلهية، فقال الحق ﷺ: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (67) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِصٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فافعلوا ما تؤمرون (68) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْهَاهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءٌ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّظِيرِينَ (69) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ (70) قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ (71) وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (72) فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِنَعِصِهَا كَذَلِكَ يُعِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (73)﴾، وقصة البقرة ولا شك من القصص العظيمة التي قصها علينا ربنا ﷺ في القرآن الكريم عن بني إسرائيل، لناخذ منها العبرة والعظة، وهذه القصة لا شك قد اكتتفتها إسرائيليات، فقد تعددت في كتب التفسير الروايات التي ذكرت سبب نزولها وتفاصيل أحداثها<sup>(2)</sup>، مما لم يُذكر في كتاب ربنا، فهذه القصص بالنسبة لنا غيب لأننا لم نشهدها، ولم نعاصرها من قبل، ولذلك لا يجوز أن نأتي على الغيب بشواهد من الإسرائيليات الموجودة عند الكفار في كتبهم من أهل الكتاب إلا ما وافق شرعنا، ونأى بأنفسنا عما عداه، فإن الله ﷻ قد أغنانا عنها، ولو كان فيها خيراً لنا وفائدة لذكرها ربنا.

وخلاصة الأمر أنه وجد قنيل في بني إسرائيل ولم يدروا قاتله، فسألوا موسى ﷺ أن يدعو الله ﷻ ليبيّن لهم ذلك، فسأل موسى ﷺ ربه فأمرهم بذبح بقرة<sup>(3)</sup>، فدار الحوار الآتي بينهم وبين نبيهم، ليؤكد المولى ﷻ أنهم أسفه الناس وأكثرهم جدلاً، فقال مذكراً إياهم: واذكروا -

(1) انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، ج1/86.

(2) انظر: جامع البيان، الطبري، ج2/184 وما بعدها. تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج1/294 وما بعدها.

(3) انظر: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، الواحدي، ص111.

يا بني إسرائيل - جنابة أسلافكم، وكثرة تعنتهم وجدالهم لموسى ﷺ حين قال لهم: ﴿.. إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً..﴾، فقالوا - مستكبرين-: ﴿..أَتَتَّخِذُنَا هُزُؤًا..﴾ أي: أتجعلنا موضعاً للسخرية والاستخفاف؟<sup>(1)</sup> وهذا الاستنكار إنما كان لأنهم رأوا الأمر بالذبح غاية في الغرابة، وبعيد كل البعد عما يريدونه، وكأنهم يقولون: نسألك عن أمر القتل فتأمرنا بذبح بقرة؟! هذا وقد كان الواجب عليهم أن يتمثلوا أمر الله ﷻ ويقابلوه بالتجلة والاحترام، ثم ينظروا ما يحدث بعد، فهذا القول منهم دليل على السفه وخفة الأحلام، وجفاء الطبع والجهل بقدرة الله ﷻ.<sup>(2)</sup>

فردَّ عليهم موسى ﷺ بقوله: ﴿.. أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (67)﴾ أي: أستجير بالله أن أكون من المستهزئين<sup>(3)</sup>، وذلك لأن الهُزء في أثناء تبليغ أمر الله ﷻ جهلاً وسفاهة نفاه موسى ﷺ عن نفسه بالاستعانة منه استفظاعاً له واستعظاماً لاتهمهم به.<sup>(4)</sup>

فلما رأوه جاداً سألوه عن صفاتها المميّزة لها، وأكثروا من الأسئلة، فسألوه عن سنّها بقولهم: ﴿.. ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ..﴾ فقال لهم: ﴿..إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ (68)﴾ أي: إنها ليست صغيرة ولا كبيرة، بل وسط بين الأمرين، فامتثلوا الأمر، ولا تشددوا فيشدد الله عليكم، ولكنهم تعنتوا فسألوه عن لونها بقولهم: ﴿..ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا..﴾، فقال: ﴿..إِنَّهَا بَقْرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاطِرِينَ (69)﴾ أي: إنها صفراء شديدة الصفرة تسر الناظر إليها، فلم يكتفوا بذلك، بل طالבוه بأوصاف مميزة أخرى، وقالوا معتردين: ﴿.. ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقْرَ نَشَابَهُ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ (70)﴾ أي: إن البقر كثيرٌ متشابه علينا، وإن شاء الله لمهتدون إلى المطلوب، فقال لهم موسى ﷺ: إن الله يقول: ﴿.. إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ..﴾ أي: إنها بقرة لم تذلل بالعمل في الحراثة والسقي، ﴿..مُسْلَمَةٌ..﴾ وهي سالمة من العيوب، ﴿..لَا شِيَةَ فِيهَا..﴾ ولا لون فيها غير الصفرة الفاقعة.<sup>(5)</sup>

لكنهم بعد طول مراوغة وجدال استسلموا لأمر الله ﷻ رغماً عنهم فقالوا مدعينين: ﴿..الآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ..﴾ أي: بحقيقة وصف البقرة وحققنا لنا، ﴿..فَذَبِّحُوهَا..﴾ والتقدير:

(1) انظر: التفسير الميسر، نخبة من أساتذة علماء التفسير، ج 10/1.

(2) انظر: تفسير المراغي، المراغي، ج 143/1.

(3) انظر: التفسير الميسر، نخبة من أساتذة علماء التفسير، ج 11/1.

(4) انظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود، ج 110/1-111.

(5) انظر: التفسير المنير، الزحيلي، ج 189/1.

فحصلوا البقرة المنعوتة فذبحوها، ﴿..وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ (71)﴾ لتطويلهم وكثرة مراجعاتهم، أو لخوف الفضيحة في ظهور القاتل، أو لغلاء ثمنها.<sup>(1)</sup>

أما قوله ﷺ: ﴿وَأِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا..﴾ فهذه الآية مؤخّرة في التلاوة، مقدّمة في المعنى، لأن السبب في الأمر بذبح البقرة قتل النفس، فتقدير الكلام: ﴿وَأِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا..﴾ فسألتم موسى فقال: ﴿..إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً..﴾، وقوله: ﴿.. فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا..﴾ بمعنى: تدارأتم، أي: تدافعتم، وألقى بعضكم الذنب على بعض، فقال تعالى ﴿..وَاللَّهُ مُخْرِجُ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (72)﴾ فأما الذي كتّموه فهو أمر القتل.<sup>(2)</sup>

ثم جاء الأمر الإلهي لبيان العلة من طلبه ذبح البقرة فأمرهم قائلاً: ﴿..اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا..﴾ أي: "بعض من أعضائها ويقال بذنبها ويقال بلسانها"<sup>(3)</sup>، فكانت هذه آية معجزة من الله ﷻ على يدي موسى ﷺ أن أمرهم أن يضربوا ببعض البقرة القتل فيحیی ويخبر بقاتله، إذ في الكلام حذف تقديره: فضربوه فحيي، ثم ختم هذه القصة بخلاصة مفادها ﴿..كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (73)﴾ فالآية إشارة إلى آية من آيات الله الظاهرة الدالة على قدرته ﷻ على الإحياء والإماتة والبعث والنشور<sup>(4)</sup>، ولكنّ القوم لما زادوا نبيهم موسى ﷺ أذی وتعنتاً، زادهم الله عقوبة وتشديداً، ولولا أن القوم استثنوا فقالوا: ﴿.. إِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ (70)﴾ لما هُودوا إليها أبداً.<sup>(5)</sup>

والسؤال الذي يستوقف المرء ما الحكمة من الأمر بذبح البقرة تحديداً؟! وبيان ذلك من

وجهين:

الأول: أجاب على هذا التساؤل الإمام الماوردي حيث قال: "وإنما أمر -والله أعلم- بذبح البقرة دون غيرها لأنها من جنس ما عبده من العجل، ليهون عندهم ما كانوا يرونه من تعظيمه، وليعلم بإجابتهم زوال ما كان في نفوسهم من عبادته"<sup>(6)</sup>، فالمعنى المقصود من ذبحها هو ذبح قداستها من نفوسهم فيعلموا أنها حيوان لا يضُر ولا ينفع، وهذا الأمر يُفهم من قوله ﷺ: ﴿.. وَمَا

(1) انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، ج1/87.

(2) انظر: زاد المسير، ابن الجوزي، ج1/78-79.

(3) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، ابن عباس، ص11.

(4) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، ج1/165.

(5) انظر: جامع البيان، الطبري، ج3/206.

(6) النكت والعيون، الماوردي، ج1/137.

كَادُوا يَفْعَلُونَ (71)»، وكذلك تلوّهم في الامتثال لأمر ذبحها بشئى الحجج الواهية أي أن الأمر كان بصعوبة بالغة على نفوسهم.<sup>(1)</sup>

**الثاني:** أمرهم بذبح البقرة لأنهم قوم مادّيون بطبيعتهم، لا يعترفون إلا بالمادة ولا تخضع عقولهم إلا لما تراه عيونهم فأراهم الله ﷻ آية واضحة ملموسة مشاهدة على إحياء الموتى لعلهم يؤمنوا بالله.<sup>(2)</sup>

والحوار الذي بين موسى ﷺ وقومه كما ورد في قصة البقرة إنما يكشف طبيعة نفوس القوم الجدلية وصفاتهم الشنيعة، وقد أجملتها الباحثة فيما يلي:

1. اللجاجة والمراوغة والتعنّت والتشددّ وسوء الفهم والتكلف في الاستجابة للأوامر الإلهية، فتعنّتهم هذا انتقل إلى عدة مراحل:

**الأولى:** كانت بردهم على قول موسى ﷺ: ﴿.. إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً ..﴾ فالله ﷻ كفاهم أي مشقة فأمرهم بذبح أية بقرة من البقر، لكنهم لجفاء أخلاقهم وغلظ طبائعهم، وسوء أفهامهم، تكلفوا في تنفيذ الأمر الإلهي فسألوا عن سنّها: ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ .. (68)﴾ فشددّ الله عليهم.

**أما الثانية:** عندما سألوا عن لون البقرة رغم أنهم كفوه فقالوا: ﴿.. ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا .. (69)﴾.

**والثالثة:** ما أخبر الله ﷻ عنها عند ذكر سؤالهم عن طبيعتها فقالوا: ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقْرَ نَشَابَةٌ عَلَيْنَا .. (70)﴾.<sup>(3)</sup>

2. سوء أدبهم مع الله ﷻ: حيث كانت طريقة سؤالهم تبين نقص درجة الإيمان عندهم، وسوء أدبهم مع الله ﷻ، فلم يقولوا ادع لنا ربنا، بل قالوا ﴿.. ادْعُ لَنَا رَبَّكَ ..﴾ وكأنه ربّ موسى وحده، ولقد تكرّرت هذه الطريقة في كلام بني إسرائيل عدة مرات ومنها ما جاء على لسانهم في قوله ﷻ: ﴿.. فَاهْبِ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [المائدة: 24].<sup>(4)</sup>

(1) انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، مسلم وآخرون، ص 95-96.

(2) انظر: المرجع السابق، ص 97.

(3) انظر: جامع البيان، الطبري، ج 2/203.

(4) انظر: الخواطر، الشعراوي، ج 1/392.

3. سوء الظن: بنبي الله موسى ﷺ فيما أخبرهم عن أمر الله ﷻ لهم بذبح البقرة، والذي ظهر في قولهم: ﴿..أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا..﴾.

هكذا جاء ذكر بني إسرائيل ومجادلتهم في قصة البقرة؛ ليكشف عن كثير من طبائع اليهود وأخلاقهم الرديئة التي استحقوا بها أن يسلبوا القمامة، وشرف الاستخلاف في الأرض.

### الصفة السادسة: وتشمل بعض صفات اليهود القبيحة في زمن النبوة

في سياق الحديث عن صفات أسلاف اليهود القبيحة عرّج القرآن الكريم على ذكر بعض صفات أحفادهم وهم يهود المدينة والتي جاءت امتدادًا لصفات أسلافهم، وذلك من باب المواساة لرسول الله ﷺ، وتحذيرًا للمؤمنين منهم، وكشفًا لهم عن بعض صفاتهم، والتي تتبعتها الباحثة وحصرتها فيما يلي:

### أولاً: تحريفهم لكلام الله بعد سماعه

وهذا خطاب موجّه إلى النبي ﷺ وأصحابه وسط الخطاب الموجّه إلى اليهود في سياق بيان سوءاتهم، فيقول الحق ﷻ: ﴿أَفَتَتَّظَمُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (75)﴾ ففي الآيات الكريمات ينكر ﷻ على المؤمنين طمعهم في إيمان اليهود بنبيهم ودينهم بقوله: ﴿أَفَتَتَّظَمُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ..﴾ ويذكر وجه استبعاده لإيمانهم بقوله ﷻ: ﴿..وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (75)﴾ أي: بما عُرِفَ به اليهود سلفًا وخلفًا من الغش والاحتتيال بتحريف الكلام وتبديله، تعميةً وتضليلًا حتى لا يُهتدى إلى وجه الحق فيه.<sup>(1)</sup>

ومعنى ﴿..عَقَلُوهُ..﴾: سمعوه ووعوه، وقوله ﷻ: ﴿..وَهُمْ يَعْلَمُونَ (75)﴾ إما بمعنى:

وهم يعلمون أنهم حرّفوه، أو: وهم يعلمون عقاب تحريفه.<sup>(2)</sup>

فلا طمع ولا رجاء في إيمان مثل هؤلاء، لأن إعراضهم هذا ليس عن جهل، ولكن عن تعمدٍ للتحريف، وعلم بهذا التحريف، يدفعهم الهوى وتقودهم المصلحة، فمن باب أولى أن ينحرفوا عن الحق الذي جاء به محمد ﷺ وقد انحرفوا عن الحق الذي جاء به نبيهم موسى ﷻ، فلا نصيب لهم في دعوة القرآن وحمل راية الإسلام.<sup>(3)</sup>

(1) انظر: أيسر التفاسير، الجزائري، ج1/73.

(2) انظر: زاد المسير، ابن الجوزي، ج1/80.

(3) انظر: في ظلال القرآن، قطب، ج1/84.

ثانيًا: نفاقهم للمؤمنين وتحذير بعضهم بعضًا منهم في خلوتهم

ومن كان هذا حاله من التحريف والإعراض يبعد جدًا تخلّصه من النفاق والكذب وكتمان الحق فهم الذين قال فيهم المولى ﷺ: ﴿..وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بِبَعْضِهِمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (76)﴾ "فهم أنكروا على أنفسهم ما فاه به بعضهم للمسلمين من صدق نبوة الرسول وصحة دينه، متعللين بأن مثل هذا الاعتراف يؤدي إلى احتجاج المسلمين به عليهم وغلبهم في الحجة، وسبحان الله كيف فسد ذوق القوم وساء فهمهم حتى ظنوا أن ما يخفونه يمكن إخفاؤه على الله ﷻ، فقال الله ﷻ في التنديد بهذا الموقف الشائن: ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ (77)﴾؟" (1)

وفي سبب نزول قوله ﷻ: ﴿..أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (76)﴾ يقول مجاهد ﷺ: "قام النبي ﷺ يوم قريظة تحت حصونهم فقال: "يا إخوان القردة، ويا إخوان الخنازير، ويا عبدة الطاغوت. فقالوا: من أخبر هذا محمدًا؟ ما خرج هذا إلا منكم! ﴿..أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ..﴾! بما حكم الله للفتح، ليكون لهم حجة عليكم." (2)

هؤلاء هم بنو يهود أهل المراوغة والنفاق والتلون والتكبر للوصول إلى مصالحهم الشخصية ومراميمهم الخسيسة، قوم متسلقون لا تعرف لهم حقيقة ولا صدقًا!

ثالثًا: جهل بعضهم بما في التوراة وعدم العلم بما فيها من الحق والهدى والنور

بعد أن تحدّثت الآيات عن علماء بني إسرائيل تحدّثت عن طائفة أخرى منهم وهم الجهال الأميون، فقال ﷻ: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيًّا وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ (78)﴾، فهؤلاء القوم من الجهلة العوام قلّدوا علماءهم، فهم لا يعرفون القراءة والكتابة، ليطالعوا على ما في التوراة بأنفسهم، ويتحقّقوا بما فيها ﴿..إِلَّا أَمَانِيًّا..﴾ أي: إلا ما هم عليه من الأمانى التي منّاها بها أحبارهم، من أن الله يعفو عنهم ويرحمهم، وأن النار لن تمسهم إلا أيامًا معدودة، إلى غير ما هنالك من الأمانى الفارغة ﴿..وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ (78)﴾ أي: ما هم على يقين من أمرهم، بل هم مقلّدون للآباء تقليد أهل العمى والغباء. (3)

(1) أيسر التفاسير، الجزائري، ج1/74.

(2) جامع البيان، الطبري، ج2/252-253.

(3) انظر: صفوة التفاسير، الصابوني، ج1/63.

ثم أتبع أحوالهم هذه بتهديد عظيم ووعد شديد لأحبار السوء من اليهود الذين يكتبون الكتاب بأيديهم حيث قال ﷺ: «فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ... (79)» أي: هلاك عظيم لأولئك العلماء الذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون لعوامهم هذا المحرّف في التوراة من عند الله، وهو مخالف لما أنزل الله ﷻ على نبيّه موسى ﷺ، ﴿.. لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا..﴾ أي: ليأخذوا في مقابل هذا عرض الدنيا، فلهم عقوبة مهلكة بسبب كتابتهم هذا الباطل بأيديهم، ولهم عقوبة مهلكة بسبب ما يأخذونه في المقابل من المال الحرام، كالرشوة وغيرها. (1)

ووصف الثمن بالقلّة وقد يكون كثيرًا، لأن كل ما يباع به الحق ويترك لأجله فهو قليل، لأن الحق أثمن الأشياء وأغلاها، لهذا كرر الله ﷻ الوعد فقال: ﴿... فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ (79)﴾ أي: فلهم عقوبة عظيمة من أجل كتابتهم هذا المحرّف، وويل لهم من أخذهم الرشوة وفعلهم للمعاصي (2)، فاجتمعت عليهم ثلاث ويلات تبيكتهم لهم.

فالآيات الكريمة أظهرت خطورة العلم والجهل في آن واحد، فالعلم الذي يكون سببًا لإضلال الناس وخداعهم بالفناوى الباطلة سواءً في الجرم والفضاعة مع الجهل والغباء والتقليد الأعمى، وهذان الأمران تحققًا في بني إسرائيل، فاستحقوا أقسى ألوان العذاب.

#### رابعًا: ادعائهم عدم مسّ النار لهم إلا أيامًا معدودات

يأتي الخطاب القرآني بذكر ضرب من ضروب غرورهم وتحريفهم لكتاب الله ﷻ تمثّل في قولهم ﴿.. لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً..﴾ وهم: اليهود، وفي مقصودهم بهذه الأيام قولان: **القول الأول:** أنهم أرادوا أربعين يومًا، وتقديرها بأربعين يومًا فيه ثلاثة أقوال:

1. أنهم قالوا: بين طرفي جهنم مسيرة أربعين سنة، ونحن نقطع مسيرة كل سنة في يوم، ثم ينقضي العذاب وتهلك النار.
2. أنهم قالوا: عتب علينا ربنا في أمر، فأقسم ليعذبنا أربعين ليلة، ثم يدخلنا الجنة، فلن تمسنا النار إلا أربعين يومًا تحلّة القسم.
3. أنها عدد الأيام التي عبدوا فيها العجل.

(1) انظر: التفسير الميسر، نخبة من أساتذة التفسير، ج1/12.

(2) انظر: تفسير المراغي، المراغي، ج1/151.

**القول الثاني:** أنّ الأيام المعدودة سبعة أيام، وذلك لأنّ عندهم أنّ الدنيا سبعة آلاف سنة، والناس يُعذّبون لكل ألف سنة يوماً من أيام الدنيا، ثم ينقطع العذاب.<sup>(1)</sup>

ثم ينكر المولى ﷺ عليهم تبجّحهم الفارغ بأنهم لا يُعذّبون بالنار فقال: ﴿.. قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (80)﴾ أي: قل لهم -أيها الرسول مبطلاً دعواهم-: أعندكم عهد من الله بهذا، فإن الله لا يُخلف عهده؟ بل إنكم تقولون على الله ما لا تعلمون بافتراءكم الكذب.<sup>(2)</sup>

ثم يقضي الله ﷻ ويقول قوله الفصل في مصير الإنسان بدخول النار أو الجنة، مؤكداً على هذا الحكم القائم على العدل والرحمة البعيد عن التأثير بالأنساب والأحساب، فيقول: ﴿بَلَى..﴾ أي: ليس الأمر كما تدعون، وإنما هي الخطايا والحسنات فـ ﴿..مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ..﴾ فخبئت نفسه ولوثتها فهذا لا يلائم خُبت نفسه إلا النار ﴿..فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (81)﴾، وأما الذين ﴿..آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ..﴾ فزكوا أنفسهم بالإيمان والعمل الصالح فإنّه لا يلائم طهارة أرواحهم إلا الجنة دار النعيم فـ ﴿..أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (82)﴾، أما الحسب والنسب والادعاءات الكاذبة فلا تأثير لها البتة.<sup>(3)</sup>

هذا هو المشهد الذي صوّره الخطاب القرآني، مشهداً كاشفٌ فاضحٌ لبني إسرائيل، يبصر بأساليبهم ووسائلهم في الكيد والفتنة، ويحذّر الجماعة المسلمة من كيدهم ومكرهم على ضوء تاريخهم وجبلتهم، فلا تتخدع بأقوالهم ودعاويهم ووسائلهم الماكرة في الفتنة والتضليل، ويدل طول هذا الحديث، وتنوع أساليبه على ضخامة ما كانت تلقاه الجماعة المسلمة من الكيد المنصوب لها والمرصود لدينها من أولئك اليهود!<sup>(4)</sup>

### الصفة السابعة: نبذ العهود ونقض المواثيق

من أحسن صفات بني إسرائيل وأخطرها والتي وردت في سورة البقرة نبذهم للعهود ونقضهم المواثيق، وقد جاء في سياق السورة نقضهم لثلاثة أنواع من المواثيق وهي:

(1) انظر: زاد المسير، ابن الجوزي، ج1/82-83.

(2) التفسير الميسر، نخبة من أساتذة التفسير، ج1/12.

(3) انظر: أيسر التفاسير، الجزائري، ج1/76.

(4) انظر: في ظلال القرآن، قطب، ج1/83.

الميثاق الأول: وهو الذي ورد في قوله ﷺ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ (83)﴾ وقد اختلف لمن وجّه الخطاب في قوله ﷺ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا..﴾ على قولين:

**القول الأول:** "الخطاب لبني إسرائيل وهم اليهود المعاصرون للنبي ﷺ بما وقع من أسلافهم توبيخًا لهم بسوء صنيع أسلافهم أي: اذكروا إذ أخذنا ميثاقهم.

**القول الثاني:** قيل الخطاب للنبي ﷺ والمؤمنين، والأول أولى لأنّ المقام مقام تذكيرهم. (1)

والحكمة من أخذ المواثيق من بني إسرائيل على وجه الخصوص أنهم استعصوا كل أمر أمروا به؛ فلا يقبلونه إلا بالأيمان الغليظة والعهد الموثقة لقسوة قلوبهم وخبث سرائرهم. (2)

والأمور التي ذكر الله ﷻ بها بني إسرائيل في هذه الآية والتي تضمنها الميثاق أمر بها جميع الخلق، ولذلك خلقهم، فقد اشتملت على القواعد الثابتة لهذا الدين والتي تكوّن النظام الديني والأخلاقي والاجتماعي، وجاء الترتيب في الآية الكريمة بتقديم الأهم فالمهم، وهذا بيانها بالترتيب: (3)

1. عبادة الله وحده لا شريك له: فقال ﷺ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ..﴾ فهي برهان الاعتقاد الصحيح ودليل الإيمان، وهذا هو أعلى الحقوق وأعظمها، وهو حق الله ﷻ، أن يُعبد وحده لا شريك له، فقدّم حقه ﷻ على حق العباد لأنه المنعم في الحقيقة.

2. الإحسان إلى الوالدين: فقال ﷺ: ﴿.. وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا..﴾ وهذا يأتي بعد حق الله ﷻ، وهو أولى حقوق المخلوقين، ولهذا يقرن الله ﷻ بين حقه بالتوحيد وحق الوالدين، لأنّ النشأة الأولى من عند الله، والنشأة الثاني- وهو التربية- من جهة الوالدين، وقوله: ﴿.. إِحْسَانًا..﴾ أي: برًا بهما، وعطفًا عليهما، ونزولًا عند أمرهما فيما لا يخالف أمر الله ﷻ.

(1) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق خان، ج 212/1.

(2) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص 57.

(3) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج 316/1. التفسير المنير، الزحيلي، ج 210/1-212. فتح البيان

في مقاصد القرآن، صديق خان، ج 213/1.

3. الإحسان إلى ذي القربى: أي القرابة، فقد عطف ذي القربى على الوالدين بقوله: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ﴾ وذلك لأنَّ حقَّها تابع لحقَّهما، والإحسان إليهم إنّما هو بواسطة الوالدين، وهو يدل على أنّ الله ﷻ أمر بالإحسان إلى القربات بصلة الأرحام، لأنَّ الإحسان إليهم يقوي الروابط بينهم، فما الأمة إلا مجموعة الأسر، فصالحها بصالحها، وفسادها بفسادها.

4. الإحسان إلى اليتامى: حيث قال الحق ﷻ: ﴿وَالْيَتَامَىٰ﴾ وهم الصغار الذين لا كاسب لهم من الآباء، فوصّى بهم لقصورهم، والإحسان إلى اليتيم واجب لثلاثة أمور لصغره ويطمه ولخلوّه عمّن يقوم بمصلحته إذ لا يقدر هو أن ينتفع بنفسه ولا يقوم بحوائجه فأمر بحسن تربيته وحفظ حقوقه من الضياع.

5. الإحسان إلى المساكين: فعطفهم على اليتامى بقوله ﷻ: ﴿وَالْمَسَاكِينَ﴾ وهم الذين لا يجدون ما ينفقون على أنفسهم، وقد أمر الله ﷻ بالإحسان إليهم، وهم الذين أسكنتهم الحاجة وأذلّتهم، وذلك يكون بالصدقة عليهم، ومواساتهم حين البأساء والضراء.

6. الالتزام بالحسن من القول: فبعدما أمرهم ﷻ بالإحسان إلى من سبق ذكرهم بالفعل، جمع بين طرفي الإحسان الفعلي والقولي فقال ﷻ: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ أي قولاً حسناً سمّاه ﴿حُسْنًا﴾ مبالغة، والحسن في القول هو: الكلام الطيب، ولين الجانب، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونحو ذلك ممّا هو نافع في الدين والدنيا كالحلم والصفح والعفو والبشاشة، وهو كلّ خلقٍ حسن رضيه الله ﷻ، وذلك لأنَّ إحسان القول له تأثير فعّال في النفوس، وبه يتمّ التكافل الأدبيّ أو الأخلاقيّ بين الناس.

7. إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة: ثم أكد الحق ﷻ على الأمر بعبادته والإحسان إلى الناس بالمتعّين من ذلك، وهو الصلاة والزكاة فقال ﷻ: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾، فالصلاة عماد الدين، وطريق التقوى، ولكن بشرط الإخلاص والخشوع التام لعظمة الله وسلطانه، وأما إيتاء الزكاة فضروري لإصلاح شؤون المجتمع، لكنّ كلّاً من الصلاة والزكاة لم يثبت فيهما عن أهل الكتاب نقل صحيح يدل على كيفيتهما ونوعهما.

ثم عطف ﷻ على ما بيّنه من بنود ميثاقهم بيان موقف أسلافهم منه فقال ﷻ: ﴿.. ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ (83)﴾ وجاء الخطاب على طريقة الالتفات، ولعل الخطاب مع الموجودين منهم في عهد رسول الله ﷺ ومن قبلهم على التغليب، والمعنى: أي عرضتم عن الميثاق ورفضتموه ﴿.. إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ﴾ يريد به من أقام اليهودية على وجهها

قبل النسخ ومن أسلم منهم، ثم أكد على توليهم هذا بقوله: ﴿وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ (83)﴾ أي: عادتكم الإعراض عن الوفاء والطاعة.<sup>(1)</sup>

**الميثاق الثاني:** وهو ما جاء في قوله ﷺ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ (84) ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (85) أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يَخَفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ (86)﴾.

ولا يزال القرآن الكريم يسجل على اليهود مخالفات خطيرة ومنكرات شنيعة، فهذا ميثاق آخر أخذه الله ﷻ على بنى إسرائيل: أن يحترموا حرّات الدماء والأموال، فلا يسفك بعضهم دم بعض، ولا يعتدى بعضهم على ما بيد بعض من أموال وديار، فقال جلّ شأنه: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ...﴾ وإذ كان هذا الميثاق عاملاً مادياً يحرس أمنهم وسلامتهم، فقد أقرّوا به فقال ﷻ: ﴿...ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ (84)﴾ فالأمر يقتضي تسليماً ورضىً به من كل إنسان، إذ فيه أمنه وسلامته، لكن حظّ القوم من هذا وذاك قليل، فلا يهشّون لمثل هذه الدعوة، التي لا تضع بين أيديهم كسباً عاجلاً، وثمراً ناصحاً!! مع أن القوم أقرّوا بهذا الميثاق الذي يضمن لهم صيانة دمائهم وأموالهم، وشهدوا آثاره الطيبة العاجلة فيهم.

"وفي تعبير القرآن الكريم بقول المولى ﷻ: ﴿...لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ...﴾ إشارة إلى أنّ دم كل فرد من أفراد الأمة كأنه دم الآخر بعينه، حتى إذا سفكه كان كأنه قتل نفساً أو انتحر بيده"<sup>(2)</sup>، هكذا يقوّي القرآن الكريم دعائم المجتمع وروابطه ويحفظ الحقوق والنفوس.

مع هذا فإنهم سرعان ما تغلب عليهم شقوتهم، ونقهرهم نزواتهم الشريرة الكامنة فيهم، فينقضون هذا الميثاق<sup>(3)</sup> فقال ﷻ فيهم: ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ

(1) انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، ج 1/91.

(2) التفسير الواضح، الحجازي، ج 1/53.

(3) انظر: التفسير القرآني للقرآن الكريم، الخطيب، ج 1/105-106.

عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ..»، وقد اختلف أهل التأويل فيمن عني بهذه الآية، ونذكر هنا ما أورده الإمام الطبري في بيان فيمن نزلت حيث جاء في جامع البيان: "عن ابن عباس رضي الله عنه قال: ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ..﴾ إلى أهل الشرك، حتى تسفكوا دماءهم معهم، وتخرجوهم من ديارهم معهم. قال: أنبهم الله على ذلك من فعلهم، وقد حرم عليهم في التوراة سفك دمائهم، وافترض عليهم فيها فداء أسراهم، فكانوا فريقين: طائفة منهم من بني قينقاع حلفاء الخزرج، والنضير وقريظة حلفاء الأوس، فكانوا إذا كانت بين الأوس والخزرج حرب خرجت بنو قينقاع مع الخزرج، وخرجت النضير وقريظة مع الأوس، يظهر كل من الفريقين حلفاءه على إخوانه، حتى يتسافكوا دماءهم بينهم، وبأيديهم التوراة، يعرفون منها ما عليهم وما لهم، والأوس والخزرج أهل شرك يعبدون الأوثان، لا يعرفون جنة ولا نارا، ولا بعثا ولا قيامة، ولا كتابا، ولا حراما ولا حلالا فإذا وضعت الحرب أوزارها، افتدوا أسراهم، تصديقا لما في التوراة، وأخذوا به، بعضهم من بعض، يفتدي بنو قينقاع ما كان من أسراهم في أيدي الأوس، وتفتدي النضير وقريظة ما كان في أيدي الخزرج منهم، ويطلبون ما أصابوا من الدماء، وقتلوا من قتلوا منهم فيما بينهم، مظاهرة لأهل الشرك عليهم، فيقول الله جل جلاله ذكره حين أنبهم بذلك: ﴿..أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ..﴾ أي تقادونه بحكم التوراة وتقتلونهم - وفي حكم التوراة ألا يقتل، ولا يخرج من داره، ولا يظهر عليه من يشرك بالله ويعبد الأوثان من دونه ابتغاء عرض من عرض الدنيا.<sup>(1)</sup>

فهؤلاء القوم استحقوا أشد العذاب لما تمادوا فيه من الظلم والادعاء والتحريف فقال جل جلاله متوعداً: ﴿..فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا..﴾ والمراد بالخزي إما: إخراج بني النضير إلى الشام وقتل بني قريظة، وقتل مقاتليهم وسبي ذراريهم، ويقال: الخزي في الدنيا الجزية، ثم أخبر جل جلاله بأن الذي أصابهم في الدنيا من الخزي والعقوبة لم يكن كفارة لذنوبهم ولكنهم: ﴿.. يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ..﴾، ثم جاء بالتأكيد للوعيد فقال: ﴿..وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (85)﴾ أي: لا يخفى على الله جل جلاله من أعمالهم شيء فيجازون بأعمالهم.<sup>(2)</sup>

### الميثاق الثالث: أخذ ما أوتوا بقوة والسمع والطاعة

والميثاق الثالث هو ما ذكرهم به الحق جل جلاله في قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ

(1) جامع البيان، الطبري، ج2/305-306. انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج1/319.

(2) انظر: بحر العلوم، السمرقندي، ج1/71.

بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنَّ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ (93) والمعنى: أن ذكّرهم يا محمد وقت أن أخذنا عليهم الميثاق المؤكّد بأن يعملوا بما في التوراة، ورفعنا فوقهم الطور إرهاباً لهم، وأمر الله لهم أن يأخذوا الكتاب بعزم وجد وأن يسمعوا ما فيه سماع قبول، فما كان من آباتكم إلا أن قالوا: سمعنا وعصينا، وقد عبدوا العجل، وخالط حبه قلوبهم، فقل لهم يا محمد: إن كان إيمانكم بالتوراة يدعوكم إلى هذا فبئس هذا الإيمان!<sup>(1)</sup>

ونقف هنا لحظة أمام التعبيرين المصورّين العجيبين: ﴿..قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا..﴾ وقوله: ﴿..وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ..﴾، إنهم قالوا: سمعنا ولم يقولوا عصينا، لقد قالوا بأفواههم: سمعنا، وقالوا بأعمالهم وقلوبهم: عصينا، فأشار إلى أن الواقع العملي أقوى من القول المنطوق، وهذا التصوير الحيّ للواقع يومئ إلى مبدأ كليّ من مبادئ الإسلام: أنه لا قيمة لقول بلا عمل!

فأما الصورة الأخرى الغليظة التي يرسمها قوله ﷺ: ﴿..وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ..﴾ فهي صورة فريدة، يسرح الخيال فيها، فقد أشربوا العجل في قلوبهم! فيالها من صورة ساخرة هازئة تجسّد حبهم الشديد لعبادة العجل حتى لكانهم أشربوه إشراباً في القلوب!<sup>(2)</sup>

"وهاتان الآيتان ردّ على اليهود الذين لم يؤمنوا بالنبي محمد ﷺ، وزعموا أنهم مؤمنون بالتوراة دون غيرها، فهم في الواقع لم يؤمنوا بشيء، لا بالتوراة ولا بالقرآن، فاستحقوا التوبيخ والتفريع."<sup>(3)</sup>

### الصفة الثامنة: الاستكبار وتكذيب فريق من الرسل وقتل فريق آخر

لما وصف المولى ﷺ حال اليهود من قبل بما سبق من الصفات، زاد في تبيكيتهم ببيان صفات أخرى تُظهر حقيقة أمرهم وسواد تاريخهم كالكبر والتكذيب وقتل الأنبياء والأفعال القبيحة بسبب غُلف قلوبهم عن الحق، وفي ذلك يقول الحق ﷻ: ﴿.. أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ (87) وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ (88)﴾، فقلوه ﷻ: ﴿.. أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ﴾ من الحق: أي لا تحبه ﴿..اسْتَكْبَرْتُمْ..﴾ عن الاتباع له والإيمان بما جاء به من

(1) انظر: التفسير الواضح، حجازي، ج 57/1.

(2) انظر: في ظلال القرآن، قطب، ج 91/1.

(3) التفسير المنير، الزحيلي، ج 228/1.

عند الله ﷻ ﴿..فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ (87)﴾ أي: ففريقاً منهم كذبتم إذ لم تتل أيديكم مضرته، وفريقاً آخر منهم تقتلون غير مكتفين بتكذيبهم<sup>(1)</sup>، وما كان اجترأؤهم على أنبيائهم إلا لأنهم كانوا يأتونهم بالأمور المخالفة لأهوائهم وآرائهم وبالزامهم بأحكام التوراة التي قد تصرفوا في مخالفتها، فلهذا كان يشق ذلك عليهم، فيكذبونهم، وربما قتلوا بعضهم.<sup>(2)</sup>

فلما بين القرآن الكريم مخازيهم وجرائمهم في حق أنبيائهم أرشد المقام إلى ما تعللوا به لأنبيائهم من عدم استجابتهم لآياتهم الظاهرة فقالوا: ﴿..قُلُوبُنَا غُلْفٌ..﴾ وغلف: جمع أغلف مستعار من الأغلف الذي لم يُخْتَنَ أي: مُغشاة بأغشية جبليّة لا يكاد يصل إليها ما جاء به محمد ﷺ ولا تفقهه، وتأمل انتقال الخطاب على طريق الالتفات إلى الغيبة إشعاراً بإبعادهم عن رتبة الخطاب لما فصل من مخازيهم الموجبة للإعراض عنهم.<sup>(3)</sup>

فرد الله ﷻ عليهم بقوله: ﴿..بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ..﴾ و﴿..بَلْ..﴾ في هذه الآية نقض للأول وإضراب عنه، ثم أبطل حجتهم هذه ببيان أن السبب في نفورهم عن الإيمان أنهم لعنوا بما تقدم من كفرهم واجترامهم، فكان اللعن والإبعاد والطرده هو الجزاء على كفرهم.<sup>(4)</sup>

ثم أكد ﷻ على خسارتهم وحيلولة كفرهم بينهم وبين الهدى والإيمان بقوله ﷻ: ﴿..فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ (88)﴾، و"﴿..مَا..﴾" مزيدة للمبالغة أي: فإيماناً قليلاً يؤمنون وهو إيمانهم ببعض الكتاب، وقيل: فزماناً قليلاً يؤمنون وهو ما قالوا آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره وكلاهما ليس بإيمان حقيقةً وقيل: أريد بالقلة العدم والفاء لسببية اللعن لعدم الإيمان.<sup>(5)</sup>

### الصفة التاسعة: اتخاذهم العجل وظلمهم بعد مجيء موسى ﷺ بالبينات

ما زال التبكيت الإلهي لهم بفضح مواقفهم التي تتنافى مع إدعائهم الإيمان، فذكّرهم بموقفهم من موسى ﷻ وكفرهم بالآيات الواضحات والدلائل القاطعات التي جاء بها، والتي تدل على أنه رسول الله، وأنه لا إله إلا الله، والتي لم تزدهم إلا توغلاً في الشرك والوثنية، واتخاذ العجل إلهًا يعبدونه من دون الله كما في قوله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ

(1) انظر: محاسن التأويل، القاسمي، ج1/347-348.

(2) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج1/321.

(3) انظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود، ج1/127.

(4) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، ج1/177.

(5) إرشاد العقل السليم، أبو السعود، ج1/128.

العَجَلِ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ (92)﴾<sup>(1)</sup>، أي: خالفتم تلك الحجج والبراهين، وعصيتم أمر نبيكم ﷺ وعبدتم عجل السامري من بعد ذلك، فهذا ظلم ووضع للشيء في غير موضعه اللائق به، وأيُّ ظلم أعظم من الإِشْرَاقِ بالله بعبادة مَنْ لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضررًا؟!<sup>(2)</sup>

وقد عطف الحق ﷻ بين الفعلين بـ ﴿..ثُمَّ..﴾ لبيان المفارقة الواجبة بين ما تقتضيه الآيات الحسيّة الظاهرة من إيمان وتسليم واتخاذهم العجل معبودًا، وهو لا يضر ولا ينفع، ولا عذر ولا مبرر إلا تقليدهم لفرعون وقومه الذين عبدوا العجل، ثم ختم ﷻ ذلك بقوله: ﴿..وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ (92)﴾ ولم يقل ﷻ: وأنتم كافرون؛ لأن كفرهم يتضمّن أشدّ الظلم وأفحشه، فقد ظلموا أنفسهم بأن أعطوا قوة الحق، فأبوا إلا أن يُستضعفوا ويذلّوا لمن أدلّوهم، وظلموا من أجرى الله ﷻ على يده إنقاذهم، فهو كفر يتضمن ظلمًا، هكذا وصف الله ﷻ حالهم مع موسى ﷻ الذي دفعه الله ﷻ لإنقاذهم مع ما جاءهم من البينات، إنهم اليهود الذين لا يؤمنون بشيء مهما تكن قوة أدلته ومهما تكن قوة الدعوة إليه.<sup>(3)</sup>

#### الصفة العاشرة: حرصهم على أي حياة

من الصفات الذميمة التي وصف الله ﷻ بها بني إسرائيل حرصهم على أي حياة، وقد جاء ذلك في قوله ﷻ: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُرْحَرَجِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (96)﴾، فقد وصف الله جلّ ثناؤه اليهود بأنهم "أحرص الناس على الحياة، لعلمهم بما قد أعدّ لهم في الآخرة على كفرهم بما لا يقرب به أهل الشرك، فهم للموت أكره من أهل الشرك الذين لا يؤمنون بالبعث، لأنهم يؤمنون بالبعث، ويعلمون ما لهم هنالك من العذاب، والمشركون لا يصدّقون بالبعث ولا العقاب، فاليهود أحرص منهم على الحياة وأكره للموت."<sup>(4)</sup>

وإنما قال ﷻ: ﴿..عَلَى حَيَاةٍ..﴾ بالتنكير "لأنها حياة مخصوصة وهي الحياة المتطاولّة"<sup>(5)</sup>، وفي ﴿..الَّذِينَ أَشْرَكُوا..﴾ قولان:

الأول: أنهم: المجوس، قاله ابن عباس، وابن قتيبة والزجاج.

(1) انظر: التفسير المنير، الزحيلي، ج1/227.

(2) انظر: تفسير المراغي، المراغي، ج1/171.

(3) انظر: زهرة التفاسير، أبو زهرة، ج1/317-318.

(4) جامع البيان، الطبري، ج2/370.

(5) مفاتيح الغيب، الرازي، ج3/609.

والثاني: مشركو العرب، قاله مقاتل.

أما في قوله ﷺ: ﴿..يُودُّ أَحَدَهُمْ..﴾ فالهاء والميم من «أحدهم» إما أنها تعود على الذين أشركوا أو ترجع إلى اليهود.<sup>(1)</sup>

ثم بين مثلاً من هذا الحرص مستأنفاً بقوله: ﴿..يُودُّ أَحَدَهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ..﴾ أي: يتمنى لو يعمره الله ويبقيه ألف سنة أو أكثر، وعبر بالآلف مبالغة في الكثرة؛ لأنه يعرف من نفسه أنه مخالف لكتابه، ويتوقع سخط الله وعقابه، فيرى أن الدنيا على ما فيها من المنغصات خير له من الآخرة وما يتوقعه فيها، لكن هيهات أن يتم مراده، وأن يتمكن من الفرار من عذاب الله فقال ﷺ: ﴿..وَمَا هُوَ بِمُزْحَجِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (96)﴾ أي: وما تعميره الطويل بمزحجه، أي منجيه ومبعده عن العذاب المعد له ولأمثاله، فإنه ميّت مهما طال عمره، وكل ما له حدّ فهو منته إليه، فهو الذي لا تخفى عليه خافية من أمرهم، ولو عرفوه حق معرفته لعلموا أن طول العمر لا يخرجهم من قبضته ولا ينجيهم من عقوبته؛ فإنّ المرجع إليه والأمر كله بيديه.<sup>(2)</sup>

#### الصفة الحادية عشر: عداوتهم لجبريل ﷺ

بعد أن كشفت الآيات السابقة عداوة بني إسرائيل لصفوة البشر من الأنبياء انتقل الخطاب لكشف عداوتهم لصفوة الملائكة وهو جبريل ﷺ، فكان هذا اتصالاً بما سبق من ذكر تغلات اليهود وحججهم الواهية عن عدم الإيمان بالنبي ﷺ، وبما جاء به من البينات والهدى، فما هم يزعمون أن جبريل ﷺ الذي ينزل بالوحي على النبي ﷺ عدوّهم فلا يؤمنون بوحي يجيء هو به<sup>(3)</sup>، وقد فند الحق ﷻ ادعاءهم هذا بقوله: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (97) مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ (98)﴾، وهذه المقالة جاءت في سياق الرد على ما تضمنته قولهم ﴿.. نُوْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا.. (91)﴾ لأنهم أظهروا به عذراً عن الإعراض عن الدعوة المحمدية وهو عذر كاذب ستروا به السبب في الواقع وهو الحسد على نزول القرآن على

(1) انظر: زاد المسير، ابن الجوزي، ج1/89.

(2) انظر: تفسير المنار، رضا، ج1/323.

(3) انظر: المرجع السابق، ج1/323-324.

رجل من غيرهم فجاءت هذه المجادلات المصدرة بـ ﴿قُلْ..﴾ لإبطال معذرتهم وفضح مقصدهم. (1)

ونقل شيخ المفسرين الطبري إجماع أهل العلم بالتأويل جميعاً على أنّ هذه الآية نزلت جواباً لليهود من بني إسرائيل، إذ زعموا أن جبريل عليه السلام عدوّ لهم، وأن ميكائيل وليّ لهم، ثم اختلفوا في السبب الذي من أجله قالوا ذلك، فقال بعضهم: إنما كان سبب قيلهم ذلك، من أجل مناظرة جرت بينهم وبين رسول الله ﷺ في أمر نبوته، وقال آخرون: بل كان سبب قيلهم ذلك، من أجل مناظرة جرت بين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وبينهم، في أمر النبي ﷺ. (2)

ومما جاء في سبب نزول الآية الكريمة ما ذكره الواحدي "عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أقبلت اليهود إلى النبي ﷺ فقالوا: يا أبا القاسم نسألك عن أشياء فإن أجبتنا فيها اتبعتناك، أخبرنا من الذي يأتيك من الملائكة؟ فإنه ليس من نبي إلا يأتيه ملك من عند ربه ﷻ بالرسالة بالوحي فمن صاحبك؟ قال: "جبريل" قالوا: ذلك الذي ينزل بالحرب وبالقتال، ذلك عدونا لو قلت ميكائيل الذي ينزل بالمطر والرحمة اتبعتناك، فأنزل الله ﷻ: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ..﴾ إلى قوله: ﴿..فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ (98)﴾ (3)

ثم أكد الله ﷻ حكمه المبرم بمعاداة الكافرين بقوله: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ (98)﴾، وحكمه يتمثل في أنه "من كان عدوّاً لله بمخالفة أوامره، وعدم إطاعته، والكفر بما أنزله لهداية للناس، وعدوّاً للملائكة بكراهة العمل بما ينزلون به من وحي ورسالة يبلغونها للناس، وعدوّاً لرسول الله بتكذيبهم في دعوى الرسالة، مع وجود الأدلة على صدقهم، أو بقتل بعضهم كقتل زكريا ويحيى، وعدوّاً لجبريل وميكائيل بادّعاء أن الأول يأتي بالندى، فإن الله عدوّ له ومجازيه على ذلك، لأنه كافر به ومعادٍ له، وظالم لنفسه، وتلك العداوة كفر صريح. (4)

وقد يسأل سائل لماذا أعاد ذكر جبريل وميكائيل مع اندراجهما في الملائكة؟ وذلك لوجهين:

الأول: أفردهما بالذكر لفضلهما كأنهما لكمال فضلهما صارا جنساً آخر سوى جنس الملائكة.

(1) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج1/619.

(2) للوقوف على الروايات المتعددة لأسباب نزول الآية انظر: جامع البيان، الطبري، ج2/377 وما بعدها.

(3) أسباب النزول، الواحدي، ص29.

(4) التفسير المنير، الزحيلي، ج1/236.

الثاني: أن الذي جرى بين الرسول ﷺ واليهود هو ذكرهما والآية إنما نزلت بسببهما، فلا جرم نص على اسميهما.(1)

وختم الآية الكريمة بقوله ﷺ: «..فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ (98)» ولم يقل: لهم، ليدل على أنهم كافرون بهذه العداوة التي صدرت منهم(2)، وهنا تظهر النظرة الكلية لهذا الدين الذي لا تتجزأ أركانه ولا تتفصل عن بعضها، فمن أسقط ركناً أو أغفل أساساً فقد عادى المولى ﷺ وانضم إلى زمرة الكافرين المضلين.

الصفة الثانية عشر: اشتغالهم بكتب السحر وترك كتاب الله وراء ظهورهم

ما زال السياق الكريم في بيان ما كان عليه اليهود من الشر والفساد، فلما أخبر الله ﷺ أن اليهود نبذوا التوراة لتقريرها نبوة محمد ﷺ، أشار إلى اتباعهم الأباطيل والترهات التي جمعها شياطين الإنس والجن، فوصفهم الحق ﷺ بقوله: «وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (102) وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (103)» وقد اختلف أهل التأويل في المقصودين بقوله ﷺ: «وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ..» على النحو الآتي:

1. قال بعضهم: عنى الله ﷺ بذلك اليهود الذين كانوا بين ظهرائي مهاجر رسول الله ﷺ لأنهم خاصموه بالتوراة، فوجدوا التوراة للقرآن موافقة، تأمر باتباع محمد ﷺ وتصديقه، بمثل الذي يأمر به القرآن، فخاصموه بالكتب التي كان الناس اكتتبوها من الكهنة على عهد سليمان.
2. وقال آخرون: بل عنى الله ﷺ بذلك اليهود الذين كانوا على عهد سليمان ﷺ.

وقد رجح الإمام الطبري القول الأول فالآية الكريمة توبيخ من الله ﷺ لأخبار اليهود الذين أدركوا رسول الله ﷺ فجدوا نبوته، وهم يعلمون أنه الله رسول مرسل، وتأنيب منه لهم في رفضهم تنزيله، وهجرهم العمل به، وهو في أيديهم يعلمونه، وذلك لأن المتبعين ما تلتته الشياطين

(1) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي، 613/3.

(2) انظر: زاد المسير، ابن الجوزي، ج1/91.

في عهد سليمان وبعده إلى أن بعث الله ﷺ نبيه ﷺ بالحق، وأمر السحر لم يزل في اليهود، ولا دلالة في الآية أن الله ﷻ أراد بقوله: ﴿وَاتَّبِعُوا..﴾ بعضاً منهم دون بعض، ولم يكن بخصوص ذلك عن رسول الله ﷺ أثر منقول، ولا حجة تدلّ عليه، فكان الواجب من القول في ذلك أن يُقال: كلّ متّبع ما تلتته الشياطين على عهد سليمان ﷺ من اليهود داخل في معنى الآية.<sup>(1)</sup>

وقد روى الإمام الطبري<sup>(2)</sup> عن أهل التأويل في نزول الآية الأولى روايات عديدة طويلة، وليس شيء من هذه الروايات وارداً في كتب الصحاح، ومن الملحوظ أنّ الآية الأولى لم تقتصر على نسبة السحر إلى سليمان وأن الآية الثانية منسجمة مع الأولى وأن الآيتين أتتا في سياق التنديد باليهود، لأنهم اتّبعوا ما تلتوه الشياطين من السحر، ونسبوه إلى سليمان ﷺ، واتبعوا كذلك أعمال السحر التي يعلّمها الملكان هاروت وماروت<sup>(3)</sup>، فهؤلاء اليهود نبذوا العهد ونقضوا المواثيق وأنكروا الحق واشتغلوا بصناعات وأعمال صادة عن الأديان من صنع شياطين الإنس والجن، فاشتغلوا بالسحر والشعوذة التي نسبوها إلى سليمان ﷺ وزعموا أن ملكه كان قائماً عليها، وهذه أباطيل منهم وسوسوا بها إلى بعض المسلمين فصدّقوهم فيما زعموا منها، ولا يزال هذا حال الدجالين من المسلمين إلى اليوم، وإنما قصّ القرآن علينا هذا القصص للذكرى، وليبيّن لنا ما افتراه أهل الأهواء على سليمان ﷺ من أمر السحر فكان صادداً عن العمل بالدين وأحكامه لدى اليهود، ومن ثمّ لم يهتدوا بالنبي الذي بشرّ به كتابهم.<sup>(4)</sup>

"وأخيراً يقبّح الله ﷻ ما باع به اليهود أنفسهم، ويسجّل عليهم الجهل بنفي العلم إذ قال ﷻ: ﴿..وَلَيْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾، ثمّ يفتح ﷻ باب التوبة فيعرض عليهم الإيمان والتقوى فيقول: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (103)".<sup>(5)</sup>

وقد تناولت الباحثة قصة هاروت وماروت على وجه الخصوص في سياق إيرادها القصص القرآني المذكور في السورة الكريمة ولم تتعرض لها في هذه الصفة دفعاً للتكرار والإطالة.<sup>(6)</sup>

(1) جامع البيان، الطبري، ج2/405-409 بتصرّف شديد.

(2) انظر: المرجع السابق، ج2/405 وما بعدها.

(3) انظر: التفسير الحديث، دروزة، ج6/207-208.

(4) انظر: تفسير المراغي، المراغي، ج1/179.

(5) أيسر التفاسير، الجزائري، ج1/92.

(6) انظر: ص294 وما بعدها من هذا البحث.

## المطلب الثاني

### صفات بني إسرائيل المعنوية

كشَف القرآن الكريم عن بعض صفات بني إسرائيل المعنوية التي أخفتها صدورهم وأعمت بصائرهم، وكانت صبغة قبيحة فضحتهم بين سائر الأمم، وقد حصرت الباحثة هذه الصفات بما يأتي:

#### الصفة الأولى: الذلة والمسكنة والبوء بغضب الله

عَقَّب المولى ﷺ على سوء صنيع بني إسرائيل واستبدالهم الأدنى بالذي هو خير بعظيم عقابه فقال ﷺ: ﴿..وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ..﴾، وقوله: ﴿..وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ﴾ أي: جُعِلت ووُضعت عليهم، و﴿..الذِّلَّةُ..﴾ هي: الذل والهوان، و﴿..المَسْكَنَةُ..﴾ هي: الفقر والحاجة، وقوله: ﴿..وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ..﴾ أي: رجعوا متلبسين به، والمعنى: أن الله ﷻ عاقبهم على كفران تلك النعم، وكانت عقوبتهم إلحاق الذل والهوان بهم في الدنيا، ذلاً وهواناً ملازماً لهم ومحيطاً بهم، ثم استحقاق غضب الله وبلائه ونقمته في الدنيا وعذابه الأليم في الآخرة.<sup>(1)</sup>

وهذا الخبر الذي أخبر الله ﷻ به هو معلوم في جميع الأزمنة، فإن اليهود أدلَّ الفرق، وأشدَّهم مسكنة، وأكثرهم تصاغراً، لم ينتظم لهم جمع، ولا خفقت على رؤوسهم راية، ولا ثبتت لهم ولاية، بل ما زالوا عبيد العصى في كل زمن، فكما توارثوا الكفر والعصيان عن أسلافهم توارثوا الحقارة والوضاعة إلى يومنا هذا.<sup>(2)</sup>

#### الصفة الثانية: الكفر بآيات الله

بعد أن أظهر المولى ﷻ ما استحقَّه بنو إسرائيل من عذاب وغضب إلهي، جاء بحكاية كفرهم واجترائهم على المولى ﷻ، وبيان السبب الذي استحقَّوا به الذلة والمسكنة وغضب الله، فقال ﷻ: ﴿.. ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ..﴾، أي: أن سبب ما استحقَّوه من عذاب هو كفرهم بآيات الله المعجزات الدالة على رسالة موسى ﷺ، وهي في ذاتها نفع لهم، ومنها كل ما سبق تعداداه من نعم خصَّهم الله بها، والتعبير منه ﷻ بقوله تعالى: ﴿..ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ..(61)﴾ بيان لاستمرار كفرهم وتكرَّره بتكرَّر آياته، فإن (كانوا) دالة على الاستمرار،

(1) انظر: التفسير المنير، الزحيلي، ج1/173-174.

(2) انظر: محاسن التأويل، القاسمي، ج1/315.

والتعبير بالمضارع للدلالة على تكرر الكفر بتكرار الآيات، فما جاءتهم آية إلا كفروا بها، وهي باهرة تتضمن نعمه التي أنعم بها ﷺ عليهم، فاجتمع فيهم كفر الإيمان بالكفر بدلائله، وكفر النعمة بعدم شكرها. (1)

### الصفة الثالثة: قسوة قلوبهم

وصف الله ﷻ قلوب بني إسرائيل بالفاسية، وهو وصف دقيق يكشف عن سوء خلقهم وجذب نفوسهم فقال: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشْقُقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (74)﴾، وقوله ﷻ: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ..﴾ كله ﴿.. فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ..﴾ التي لا تلين أبداً أي: فصارت قلوب بني إسرائيل مع طول الأمد قاسية بعيدة عن الموعدة بعد ما شاهدوه من الآيات والمعجزات، فهي في قسوتها كالحجارة التي لا علاج للينها أو أشد قسوة من الحجارة، فإن من الحجارة ما تتفجر منها العيون الجارية بالأنهار، ومنها ما يشقق فيخرج منه الماء، وإن لم يكن جاريًا، ومنها ما يهبط من رأس الجبل من خشية الله. (2)

ثم اشتد وعيده ﷻ وتهديده لهم بقوله: ﴿.. وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (74)﴾، أي: "إن الله لكم بالمرصاد، فهو حافظ لأعمالكم ومُحصيها عليكم ثم يجازيكم بها، وهو يرببكم بصنوف النقم إذا لم تُجد فيكم ضروب النعم." (3)

ووصفهم بقساوة القلوب إشارة إلى ضعف الوازع الديني فيها، فالقلب محل الإيمان واليقين، وقد قست قلوبهم بحيث لا يؤثر فيها عبرة ولا عظة، فقد فقدت التأثير والانفعال، وكأن أصحابها هبطوا من درجة الحيوان إلى دركات الجماد كالحجارة، بل نزلوا إلى ما دونها، ولم تستطع تلك النذر أن تشققها، وتنفذ إلى أعماق الوجدان فيها، وصارت لا تهزها الآيات الكونية الرهيبة التي أظهرها الله ﷻ على يد نبيه ﷺ، فقد كانوا مع كل ما يرونه لا يزدادون إلا عنادًا، وعتوًا في الأرض وفسادًا. (4)

(1) انظر: زهرة التفاسير، أبو زهرة، ج1/252.

(2) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج1/304.

(3) تفسير المراغي، المراغي، ج1/147.

(4) انظر: المرجع السابق، ج1/146.

ولن يستطيع المرء أن يتجاوز هذه الآية الكريمة دون أن يستشعر جمال الخطاب القرآني، فالله ﷻ خاطبهم بأمر حسيّ شاهده بأمّ أعينهم حينما ضرب موسى ﷺ الحجر بالعصا فانفجرت منه العيون، فهنا يذكرهم الله ﷻ بما رآه من الرحمة الموجودة في الحجارة فينفجر منها الأنهار ويخرج منها الماء، ولكن قلوبكم إذا قست لا يصيبها لين ولا رحمة فلا تلين أبداً ولا تخشع أبداً! والله ﷻ نزل عليكم التوراة وأعطاكم من فضله ورحمته وستره ومغفرته الكثير فكان المفروض أن تلين قلوبكم لذكر الله، لكنكم غلبتم الحجارة في قسوتها، فمن الحجارة ما يتفجر منها الأنهار فيأتي ماؤها إلينا ونحن في أماكننا، فما أعظم نفعه؟! ومن الحجارة ما هو أقل نفعاً فيشقق منه العيون فنذهب نحن إلى مكان الماء لنأخذ حاجتنا، ويؤن شاسع بين عطاء تذهب إليه وعطاء يأتي إليك وبين ما لا فائدة منه ولا عطاء!<sup>(1)</sup>، فاللهم أحيي قلوبنا بطاعتك وألن جوارحنا بخشيتك ولا تجعل قلوبنا قاسية كقلوب بني إسرائيل.

#### الصفة الرابعة: اشتراء الحياة الدنيا بالآخرة

يؤكد الحق ﷻ على السبب الكامن وراء استحقاق بني إسرائيل العذاب وعدم تخفيفه عنهم بقوله ﷻ: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ..﴾ يعني آثروا الدنيا على الآخرة ﴿..فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ..﴾ بنقض الجزية في الدنيا، والتعذيب في الآخرة، ﴿..وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ (86)﴾ بدفعهما عنهم، أي: ليس لهم مانع يمنعهم من عذاب الله في الآخرة.<sup>(2)</sup>

أما قوله ﷻ: ﴿.. وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ (86)﴾ ففيه وجهان:

الأول: الأكثرون حملوه على نفي النصر في الآخرة يعني أن أحداً لا يدفع هذا العذاب عنهم، ولا هم ينصرون على من يريد عذابهم.

الثاني: منهم من حمله على نفي النصر في الدنيا، وقد رجّح الفخر الرازي الأول لأنه ﷻ جعل ذلك جزاء على صنيعهم، ولذلك قال: ﴿..فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ..﴾ وهذه الصفة لا تليق إلا بالآخرة، لأن عذاب الدنيا وإن حصل فيصير كالحذود التي تقام على المقصر ولأن الكفار قد يصيرون غالبين للمؤمنين في بعض الأوقات.<sup>(3)</sup>

(1) انظر: الخواطر، الشعراوي، ج1/403

(2) انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، ج1/92.

(3) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي، ج3/594.

فهذه الصفة تنبّه من صفا صدره من أدران الدنيا أن الجمع بين تحصيل لذات الدنيا ولذات الآخرة ممتنع غير ممكن، والله سبحانه مكنّ المكلف من تحصيل أيهما شاء وأراد، فإذا اشتغل بتحصيل أحدهما فقد فوّت الآخر على نفسه، فجعل الله ﷻ ما أعرض اليهود عنه من الإيمان بما في كتبهم، وما حصل في أيديهم من الكفر ولذات الدنيا كالبيع والشراء والذي استحقّ الذم الشديد من الله ﷻ. (1)

### الصفة الخامسة: الكفر بما أنزل الله ﷻ وبعثه رسوله ﷺ

كُفّر بني إسرائيل بما عرفوا من كتبهم، وهو مصدّق لما معهم من الصفات المعنوية التي ذُكرت في سورة البقرة، فقد قال المولى ﷻ محدثاً عن حالهم: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ (89) بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يَنْزِلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِعَضْبٍ عَلَى غَضْبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ (90) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا تُوْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (91)﴾، ويتضح معنى الآية الكريمة في سبب نزولها، فقد "روي عن ابن عباس ؓ أنه قال: كانت يهود خيبر تقاثل غطفان، فكلموا التقوا هزمت يهود خيبر، فعادت اليهود بهذا الدعاء وقالت: اللهم إنا نسألك بحق النبي الأمي الذي وعدتنا أن تخرجه لنا في آخر الزمان إلا نصرتنا عليهم، قال: فكانوا إذا التقوا دعوا بهذا الدعاء، فهزموا غطفان، فلما بُعث النبي ﷺ كفروا به، فأنزل الله ﷻ: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا..﴾ أي: بك يا محمد، إلى قوله: ﴿..فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ (89)﴾. (2)

ثم عقّب المولى ﷻ على جريمتهم هذه بتوعدهم بقوله: ﴿.. فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ "أي: عليهم، وذلك وضعاً للظاهر موضع المضمّر للدلالة على أن اللعنة لحقتهم لكفرهم واستعلت عليهم وشملتهم، واللام للعهد أو للجنس ودخلوا فيه دخولاً أولياً. (3)

(1) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي، ج3/594.

(2) أسباب النزول، الواحدي، ص28.

(3) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق خان، ج1/221.

ثم جاء قوله ﷺ: ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يَنْزِلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ (90)﴾ استثنافاً لذمهم وتسفيهاً لرأيهم إذ رضوا لأنفسهم الكفر بالقرآن وبمحمد ﷺ، فقوله ﷺ: ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ..﴾ أي: بئس الشيء الذي باعوا به أنفسهم، أي إنهم اختاروا الكفر على الإيمان وبذلوا أنفسهم فيه، وكأنهم فقدوها كما يفقد البائع المبيع، ثم بين علة ذلك فقال ﷺ: ﴿.. بَغْيًا أَنْ يَنْزِلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ..﴾ أي: إنهم كفروا لمحض العناد الذي هو نتيجة الحسد، وكرهة أن ينزل الله ﷻ الوحي من فضله على من يختاره من عباده، ولا بغى أقبح من بغى من يريد الحجر على الله، فلا يرضى أن يجعل الوحي في آل إسماعيل كما جعله من قبل في آل إسحاق. (1)

ثم ذكر مقدار ما نالهم من غضبه فقال ﷺ: ﴿.. فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ..﴾، "وأما الغضب الأول فهو الغضب الذي استوجبه حديثاً بالكفر بالنبي ﷺ فوق ذلك الغضب الذي لحقهم من قبل بإعنات موسى ﷺ والكفر به" (2)، ولم يكتف الحق ﷻ بهذا الغضب وإنما زاد عليهم بقوله: ﴿..وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ (90)﴾، قال الإمام الطبري: "والمعنى وللجاحدين نبوة محمد ﷺ من الناس كلهم عذاب من الله، إما في الآخرة وإما في الدنيا والآخرة، ﴿..مُهِينٌ﴾ هو المذل صاحبه، المخزي، الملبسه هواناً وذلة." (3)

ثم تعددت شبههم وأعدارهم فكما اعتذروا من قبل عن عدم الإيمان بأن قلوبهم غلف لم تفهم الدعوة ولم تعقل الخطاب، أتوا بعدها باعتذار آخر لهم مقروناً بالرد والإبطال، وإقامة الحجة عليهم به فقال ﷺ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا تُوْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (91)﴾ (4)، فاستمر التقرير الإلهي لهم على سوء أفعالهم، فيخبر الله ﷻ "أن اليهود إذا دُعوا إلى الإيمان بالقرآن يدعون أنهم في غير حاجة إلى إيمان جديد بحجة أنهم مؤمنون من قبل بما أنزل الله ﷻ في التوراة وبهذا يكفرون بغير التوراة وهو القرآن، مع أن القرآن حق، والدليل أنه مصدق لما معهم من حق في التوراة، ثم أمر الله ﷻ رسوله ﷺ أن يبطل دعواهم

(1) انظر: تفسير المراغي، المراغي، ج1/168.

(2) تفسير المنار، رضا، ج1/316.

(3) جامع البيان، الطبري، ج2/347.

(4) انظر: تفسير المنار، رضا، ج1/316-317.

موبخًا إياهم بقوله: ﴿.. قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (91)﴾ إذ قتل الأنبياء يتنافى مع الإيمان تمام المنافاة.<sup>(1)</sup>

• علاقة المبحث بوحدة موضوع السورة:

هذه حكاية القوم، مكتملة المشاهد، مشاهد علنيّة حسيّة صدرت منهم وغلبت على سلوكهم وصبغت طباعهم، ومشاهد معنوية جسدها الخطاب القرآني أيما تجسيد، بل كشف عنها وأزال ستار نفاقهم ومواراتهم لها، فاكتملت الصورة البغيضة لهؤلاء القوم الأراذل الذين جمعوا كل ألوان الخسة والندالة والكيد والنفاق، ففضح القوم وأقيمت الحجة، وثبت بالأدلة القاطعة خبث بني إسرائيل المتوارث على مر العصور، وأنهم خانوا العهد وضيعوا الأمانة، فما استحقّوا شرف الاستخلاف ولا كرامته، بل أفسدوا بما كسبوا فلهم في الدنيا خزي و لهم في الآخرة عذاب أليم!

ولا يخفى بحال من الأحوال أن هذه الصورة البغيضة باقية متجذرة في اليهود المعاصرين، والتي تتماثل مع حكاية أسلافهم، وتؤكد أنهم انبتقوا من مستنقع واحد، فتوارثوا الكيد والبغض، وتناقلوا المكائد والحيل، فلا زال اليهود أعدى أعداء الإسلام إلى عهدنا هذا، بل وأكثرهم شراسة وندالة، فلم يكن التفصيل في ذكر مذماتهم وصفاتهم البغيضة إلا ليتعرّى وجه العدو الأزلي، فيتمكن أشبال الإسلام وأسوده من مجابهة هذا الطاعون البائس.

(1) أيسر التفاسير، الجزائري، ج1/84.

## المبحث الثاني

### صفات أهل الكتاب عامّة كما عرضتها سورة البقرة وعلاقتها بوحدة موضوعها

بعد أن تناولت آيات السورة الكريمة أحوال بني إسرائيل وصفاتهم على وجه الخصوص قصّ علينا القرآن الكريم كيد أهل الكتاب (اليهود والنصارى) لهذا الدين ولِحَمَلَتِهِ، وكشف دسائسهم وكيدهم للإسلام والمسلمين، فهم شركاء في الغي والضلال، والشّر والعداء، والحقد والحسد! وهذا البيان جاء في سياق تحذير الجماعة المسلمة من ألعابهم وحيلهم، ونهيها عن التشبه بهؤلاء الذين كفروا من أهل الكتاب في قول أو فعل، ويكشف للمسلمين عن الأسباب الحقيقية الدفينة التي تكمن وراء مؤامراتهم، وقد تتبعت الباحثة صفات أهل الكتاب الواردة في السورة الكريمة وقسمتها إلى صفات حسية ومعنوية في مطلبين وذلك على النحو الآتي:

### المطلب الأول

#### صفات أهل الكتاب الحسية

كشفت القرآن الكريم عن صفات أهل الكتاب الحسية التي تصبغ سلوكهم، وتكشف عن أنانيتهم وسوء أخلاقهم، فأظهر غيضا من مقالاتهم وأفعالهم ليردّ على شبهاتهم وبقيم الحجة عليهم، وقد تتبعت الباحثة هذه الصفات المذكورة في سورة البقرة وحصرتها فيما يأتي:

#### الصفة الأولى: ادّعاؤهم وأمنيّتهم بدخول الجنة وحدهم

هذه صفة من صفات أهل الكتاب الحسية والتي أظهرت أنانيتهم وحبهم لذاتهم وكراهيتهم الخير للآخرين فادّعوا أن الجنة لهم وحدهم وأن الذي سيدخلها اليهود أو النصارى لا غيرهم، فأمنيّتهم هذه وادّعاؤهم هذا أظهره الله ﷻ في قوله: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (111)﴾، وقوله: ﴿وَقَالُوا..﴾ أي: أهل الكتاب من اليهود والنصارى ﴿..لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى..﴾ ويجوز أن يكون هودًا بمعنى يهوديًا وأن يكون جمع هائد، والنصارى جمع نصران أو نصرى، والمراد يهود المدينة ونصارى نجران، وقدّمت اليهود على النصارى لفظًا لتقدمهم زمانًا<sup>(1)</sup>، والكلام مُجمل لا بدّ فيه من تفصيل، فكأنه قال: وقالت اليهود: لن يدخل الجنة إلا من كان هودًا، وقالت النصارى: لن يدخل الجنة إلا من كان نصارى، ولا يصحّ في الكلام سواه، مع علمنا بأنّ كل واحد من الفريقين يكفر الآخر.<sup>(2)</sup>

(1) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق خان، ج1/253.

(2) مفاتيح الغيب، الرازي، ج4/5.

وهذا الاستهلال اختصار بديع غير مخل ينبئ بعقيدة الفريقين إلى اليوم، ولا ينافي انسحاب حكمها على الآخرين أن نفرًا من الأولين قالوا ذلك بين يدي النبي ﷺ كما يُروى، "وقد بيّن لنا الحق ﷻ أن هذا القول لا حجة له في كتبهم المنزلة فقال: ﴿.. تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (111)﴾، والأمانى: جمع أمنية، وهي ما يتمناه المرء ولا يدركه، وهذا القول ناطق بأمنية واحدة ولكنها تتضمن أمانى متعددة هي لوازم لها، كنجاتهم من العذاب وكوقوع أعدائهم فيه وحرمانهم من النعيم، ولهذا ذكر الأمانى بالجمع ولم يقل: تلك أمنيته. (1)

فيأتي الإعلان الرباني لقاعدة من قواعد التصور الإسلامي في ترتيب الجزاء على العمل بلا محاباة لأمة ولا لطائفة ولا لفرد، إنما هو الإسلام والإحسان، لا الاسم والعنوان، فيعلن الحق ﷻ ذلك بقوله: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (112)﴾ أي: "كل من انقاد لله وأخلص في عمله، فله الجزاء على ذلك عند ربه الذي لا يضيع أجر من أحسن عملاً، والآية ترشد إلى أن الإيمان الخالص لا يكفي وحده للنجاة، بل لا بد أن يقرن بإحسان العمل، وقد جرت سنة القرآن إذا ذكر الإيمان أرففه عمل الصالحات، فهؤلاء الذين أسلموا وجوههم لله وأحسنوا العمل ﴿.. لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (112)﴾ فهؤلاء لا تُساور نفوسهم مخاوف ولا أحزان، كما تختلج صدور الذين أُشرب قلوبهم حبّ الوثنية، وأعرضوا عن الهداية، إذ من طبيعة المؤمن أنه إذا أصابه مكروه بحث عن سببه واجتهد في تلافيه، فإن لم يمكنه دفعه فوّض أمره إلى ربه، ولم يضطرب ولم تهن له عزيمة، علمًا منه بأنه قد ركن إلى القوة القادرة على دفع كل مكروه، وتوكل على من بيده دفع كل محذور. (2)

ولقد عبّر عن النفس بالوجه "لأنه أشرف الأعضاء، ومجمع المشاعر، وموضع السجود، ومظهر آثار الخضوع" (3)، وإسلام الوجه إشارة إلى الاستسلام والتسليم، الاستسلام المعنوي والتسليم العملي، فقرن الخطاب بالدليل الظاهر على هذا الاستسلام: ﴿.. وَهُوَ مُحْسِنٌ..﴾ فسمّة الإسلام هي الوحدة بين الشعور والسلوك، بين العقيدة والعمل، بين الإيمان القلبي والإحسان العملي، بذلك تسمو العقيدة منهجًا للحياة كلها، وبذلك تتوحد الشخصية الإنسانية بكل نشاطها واتجاهاتها، وبذلك يستحق المؤمن هذا العطاء كله: ﴿.. فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ

(1) تفسير المنار، رضا، ج1/350.

(2) تفسير المراغي، المراغي، ج1/195.

(3) محاسن التأويل، القاسمي، ج1/376.

عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (112)﴾<sup>(1)</sup>، ومما أكد على ضرورة التسليم العملي تعبيره عن دخول الجنة بالأجر في قوله ﷺ: ﴿.. فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ..﴾ للإيدان بقوة ارتباطه بالعمل.<sup>(2)</sup>

الصفة الثانية: اتهام اليهود والنصارى لبعضهم بعدم الالتزام بشيء من تعاليم دينهم

بعد أن بين الخبير ﷺ ما يجمع اليهود والنصارى من ادعائهم أنهم المهتدون وحدهم والمؤهلون لدخول الجنة، أشار ﷺ إلى ما يفرقهم وهو التناكر والتكذيب والتضليل، فذكر أنهم كل فريق للآخر بأنه ليس على شيء من أمور الدين، وذلك في قوله ﷺ: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتْ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتْ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (113)﴾ وهذه الآية الكريمة "نزلت في يهود أهل المدينة ونصارى أهل نجران، وذلك أن وفد نجران لما قدموا على رسول الله ﷺ أتاهم أحناب اليهود فتناظروا حتى ارتفعت أصواتهم، فقالت اليهود: ما أنتم على شيء من الدين وكفروا بعبسى والإنجيل، وقالت لهم النصارى: ما أنتم على شيء من الدين، فكفروا بموسى والتوراة، فأنزل الله ﷻ هذه الآية."<sup>(3)</sup>

ومعنى قوله ﷺ: ﴿.. عَلَى شَيْءٍ..﴾ أي: على شيء من العلم، ولا من الحق، ولا من الهداية، والتكثير لبيان عموم نفي الخير والأشياء الحسنة الطيبة التي ترفع صاحبها إلى مقام عالٍ من الإنسانية الكاملة، فاختلّفوا ذلك الاختلاف المفرق الذي يجعل كل فريق منهم في جانب، مع أنهم ﴿.. يَتْلُونَ الْكِتَابَ..﴾ أي: علماء بالكتب السماوية، ويعلمون ما فيها إن أرادوا ولم يحرفوه، وفيها الميزان بين الحق والباطل، وما فيه رضا الله، وما فيه غضبه، ولكن أهواءهم هي التي تحكمهم.

وهذا النوع من التفكير الخاضع للأهواء الخبيثة الذي يُسرف فيه صاحبه لا يفرق فيه من أوتي علم الكتاب عمّن لم يوت علمًا بكتاب، ولذلك كان المشركون يقولون مثل قولهم، فكلّ منهم يسعى خلف هواه وشهوته، ولذا قال ﷺ: ﴿.. كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ..﴾ أي: قالوا ليس غيرهم على شيء من الحق والخير، بل الحق عندهم دون غيرهم وزينت لهم أفعالهم،

(1) انظر: في ظلال القرآن، قطب، ج1/104.

(2) انظر: محاسن التأويل، القاسمي، ج1/376.

(3) أسباب النزول، الواحدي، ص36. انظر: العجائب في بيان الأسباب، ابن حجر، ج1/358.

فلم يروا غيرهم يستوجب الجنة فهي لهم وحدهم دون غيرهم! ولعل عذرهم في عدم العلم، أما الذين يتلون الكتاب من يهود ونصارى فما عذرهم؟! (1)

فجاء القول الفصل من الحق ﷺ بقوله: ﴿..فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (113)﴾، "وقد جاء بالفاء لأن التوعد بالحكم بينهم يوم القيامة وإظهار ما أكتته ضمائرهم من الهوى والحسد متفرع عن هذه المقالات ومسبب عنها وهو خبر مراد به التوبيخ والوعيد والضمير المجرور بإضافة (بين) راجع إلى الفرق الثلاث و ﴿..ما كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (113)﴾ يعم ما ذكر وغيره. (2)

وقد قال الإمام الشعراوي في مقالته هذه كلاماً نفيساً فقال: "إن أصدق ما قاله اليهود والنصارى هو أن كل طائفة منهم اتهمت الأخرى بأنها ليست على شيء، فقال اليهود ليست النصارى على شيء، وقالت النصارى ليست اليهود على شيء، والعجيب إن الطائفتين أهل كتاب، اليهود أهل كتاب والنصارى أهل كتاب، ومع ذلك كل منهما يتهم الآخر بأنه لا إيمان له وبذلك تساوا مع المشركين!" (3)

فهذا الكشف لادعاءاتهم لبيان دأبهم في رمي المخالف لهم بأنه ضال، وهذا ديدنهم منذ الأزل، فهم يرمون المخالفين بالضلال لمجرد المخالفة، فقديمًا ما رمت اليهود النصارى بالضلال ورمت النصارى اليهود بمثله فلا عجب من حكم كل فريق منهم بأن المسلمين لا يدخلون الجنة! (4)

### الصفة الثالثة: السعي في خراب مساجد الله

من أقبح الصفات الحسية لأهل الكتاب سعيهم في خراب مساجد الله، وفي ذلك يقول الحق ﷻ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (114)﴾، وقد تعددت الروايات وأقوال المفسرين في بيان من الذين منعوا مساجد الله على قولين:

(1) انظر: زهرة التفاسير، أبو زهرة، ج1/368-369.

(2) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج1/678.

(3) الخواطر، الشعراوي، ج1/535.

(4) انظر: المرجع السابق، ج1/675.

**القول الأول:** نزلت في النصارى الذين كانوا ظاهروا بختنصر أو ططوس الرومي على خراب بيت المقدس حتى خربه، وأمر به أن تطرح فيه الجيف، وإنما أعانه الروم على خرابه من أجل أن بني إسرائيل قتلوا يحيى بن زكريا عليه السلام.

**القول الثاني:** نزلت في المشركين الذين حالوا بين رسول الله ﷺ يوم الحديبية، وبين أن يدخلوا مكة حتى نحر هديه بذى طوى وهادنهم، وقال لهم: ما كان أحد يصدّ عن هذا البيت، وقد كان الرجل يلقي قاتل أبيه وأخيه فلا يصدّه. فقالوا: لا يدخل علينا من قتل آباءنا يوم بدر وفينا باق. (1)

**القول الثالث:** وهو القول الذي رجّحه الأستاذ سيد قطب حيث اعتبر أن الآية تتعلق بمسألة تحويل القبلة وسعي اليهود لصدّ المسلمين عن التوجه إلى الكعبة أوّل بيت وضع للناس، وما يؤيد هذا الرأي الآية التي تلتها ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (115)﴾ فهي توحى بأنها جاءت ردّاً على تضليل اليهود في ادعائهم أن صلاة المسلمين إلى بيت المقدس كانت باطلة، وضائعة ولا حساب لها عند الله! (2)

وتؤيد الباحثة هذا القول لأنّ السياق ينبيء بالحديث عن قضية تحويل القبلة وسرد ما واجهته الجماعة المسلمة من تحدّيات وافتراءات واعتداءات من أهل الكتاب والمشركين.

وقوله ﷻ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ﴾ إنكار واستبعاد لأن يكون أحد أظلم ممّن فعل ذلك أو مساوياً له، وهذا الحكم عام لكل من فعل ذلك في أي مسجد كان وإن كان سبب النزول فعل طائفة معينة في مسجد مخصوص، وقوله ﷻ: ﴿..وَسَعَى فِي خَرَابِهَا..﴾ أي: بالهدم أو التعطيل بانقطاع الذكر، ف ﴿..أُولَئِكَ..﴾ المانعون الظالمون الساعون في خرابها ﴿..مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ..﴾ وهذا القول يحتمل عدة معان، وهي:

1. أي: ما كان ينبغي لهم أن يدخلوها إلا بخشية وخضوع فضلاً عن الاجترار على تخريبها أو تعطيلها.
2. أو: ما كان الحق أن يدخلوها إلا على حال التهيب وارتعاد الفرائض من جهة المؤمنين أن يبيطشوا بهم فضلاً عن أن يستولوا عليها ويمنعوهم منها.

(1) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج1/387-388. أسباب النزول، الواحدي، ص36.

(2) انظر: في ظلال القرآن، قطب، ج1/105.

3. أو: ما كان لهم في علم الله تعالى وقضائه بالآخرة إلا ذلك فيكون وعدًا للمؤمنين بالنصرة واستخلاص ما استولوا عليه منهم.<sup>(1)</sup>

وهذه الأقوال ترسل رسالة مفزعة أنه في حال اجتراء الكافرون على دخول المساجد غير خائفين أو متهيبين فإن هذا يومئ بضعف إيمان الجماعة المؤمنة وانكسار شوكتها، وللأسف هذا ما آل إليه حال الأمة الإسلامية في وقتنا الراهن من اجتراء اليهود على مقدساتنا الإسلامية، والهجمات الغادرة التي تتوالى على مساجد المسلمين في أنحاء العالم قاطبة.

ثم يختم الحق ﷻ الآية الكريمة بقوله: ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (114)﴾ أي: لن يتركهم الله في الدنيا ولا في الآخرة، بل يصيبهم في الدنيا خزي، والخزي هو الشيء القبيح الذي تكره أن يراك عليه الناس، وهذا العقاب مظهر من مظاهر غيرة الله على بيوته، فانظر إلى ما أذاقهم الله في الدنيا بالنسبة لليهود المدينة الذين كانوا يسعون في خراب مساجد الله، لقد أخذت أموالهم وطردوا من ديارهم، هل من خزي أعظم من هذا؟! أما في الآخرة فإن أعداء الله سيحاسبون حسابًا عسيرًا لتناولهم على مساجد الله، ولكن في الوقت نفسه فإن المؤمنين الذين سكتوا على هذا وتخاذلوا عن نصرته دين الله والدفاع عن بيوت الله سيكون لهم أيضًا عذاب أليم.<sup>(2)</sup>

#### الصفة الرابعة: اشتراكهم في الجهل بالله ونسبة الولد إليه

ذمَّ الله ﷻ أحد أفحش وأقبح الصفات الحسية التي اتَّصف بها اليهود والنصارى، وذلك بذكر مقالتهم الشنيعة التي جاءت في قوله ﷻ: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَانُثُونَ (116) بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (117)﴾، وقد اختلف العلماء فيمن نزلت الآية على أربعة أقوال:

الأول: أنها نزلت في اليهود إذ جعلوا عزيزًا ابن الله.

الثاني: أنها نزلت في نصارى نجران حيث قالوا: عيسى ابن الله.

الثالث: أنها في النصارى ومشركي العرب، لأن النصارى قالت: عيسى ابن الله، والمشركين قالوا: الملائكة بنات الله.

(1) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، ج1/149.

(2) انظر: الخواطر، الشعراوي، ج1/540-541.

الرابع: أنها في اليهود والنصارى ومشركي العرب.(1)

ففي هذه الآيات الكريمة ذكر الله ﷻ قولهم: ﴿..اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا..﴾، ثم نزه نفسه عن هذا القول الباطل والفرية الممقوتة، وذكر الأدلة العقلية على بطلان هذه الدعوى كالتالي:

1. أَقَرَّ مُلْكِيَتَهُ ﷻ لَمَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿..بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَانِتُونَ﴾، وخضوع كل من فيهما لحكمه وتصريفه وتدبيره يتنافى عقلاً مع اتخاذه ولد منهم.

2. احتج الحق ﷻ بقدرته العظيمة المتجلية في إبداعه السموات والأرض، فقال في ذلك: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (117)﴾، وقوله ﷻ للشيء كن فيكون يتنافى مع احتياجه إلى الولد كما ادّعوا، فهو مالك كل شيء ورب كل شيء(2)، فبذلك يقرّر الله ﷻ أنه السيد العظيم، الذي لا نظير له ولا شبيه له، وأن جميع الأشياء غيره مربوبة مخلوقة له، فكيف يكون له منها ولد!(3)

وقد جاء في البخاري ما يؤكد شناعة افتراءهم هذا، فعن ابن عباس ؓ، عن النبي ﷺ قال: قال الله ﷻ: «كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَرَعَمَ أَنِّي لَا أَقْدِرُ أَنْ أُعِيدَهُ كَمَا كَانَ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ، فَقَوْلُهُ لِي وَلَدٌ، فَسُبْحَانِي أَنْ أَتَّخِذَ صَاحِبَةً أَوْ وَلَدًا».(4)

وقد قال الفراء أن المراد من قوله ﷻ: ﴿..كُلُّ لُهُ قَانِتُونَ﴾ أي: "مطيعون، وهذه خاصة لأهل الطاعة ليست بعامة"(5)، لكنّ الزجاج يرى خلاف ذلك لأنّ (كل) تفيد الإحاطة، وإنما تأويله: كل ما خلق الله ﷻ في السموات والأرض فيه أثر الصنعة فهو قانت لله، فالمعنى كل له قانت مقرّ بأنه خالقه.(6)

(1) انظر: زاد المسير، ابن الجوزي، ج1/104.

(2) انظر: أيسر التفاسير، الجزائري، ج1/105.

(3) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج1/396.

(4) صحيح البخاري، البخاري، كتاب تفسير القرآن/ باب {وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَ}، ج6/19، رقم الحديث 4482.

(5) معاني القرآن، الفراء، ج1/74.

(6) انظر: معاني القرآن، الزجاج، ج1/198.

أما قوله ﷺ: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ..﴾ فمعناه: "أنشأهما على غير حِذَاءٍ ولا مِثَالٍ"<sup>(1)</sup>، وقوله ﷺ: ﴿.. وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا..﴾ أي: إذا أراد شيئاً، وأصل القضاء الإحكام وقد أُطلق على الإرادة الإلهية المتعلقة بوجود الشيء لإيجابها إياه، وقوله ﷺ: ﴿..فَأَيُّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ليس المراد به حقيقة الأمر والامتثال، وإنما هو تمثيل لسهولة وقوع المقدورات بحسب تعلق مشيئته ﷺ، وتصوير لسرعة حدوثها، وفيه تقرير لمعنى الإبداع وتلويح لحجة أخرى لإبطال ما زعموه بأن اتخاذ الولد شأن من يفنق في تحصيل مراده إلى أمور يستدعي ترتيبها مرور زمان وتبدل أطوار، وفعله ﷺ متعالٍ عن ذلك<sup>(2)</sup>، والإيجاد والتكوين من أسرار الألوهية فعبر عنهما بما يقربهما من الفهم وهو أن يقول للشيء كن فيكون<sup>(3)</sup>، بهذه البراهين الساطعة أبطل الله ﷺ مقالاتهم الفاسدة، وأقام الحجة عليهم.

#### الصفة الخامسة: اشتراكهم في عدم الإيمان بالرسول حتى يكلمهم الله ﷻ

ما زال السياق الكريم بصدد ذكر أباطيل الكافرين من أهل الكتاب والمشركين والردّ عليها بما يُظهر زيفها ويبطلها نهائياً، فقد ذكر الله ﷻ مقالة من مقالاتهم البالية، وذلك في قوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (118)﴾، فأما من صدر عنهم ذلك القول فقبل أنهم اليهود، وقيل: النصارى، وقيل: مشركو العرب، وأما من قبلهم فقبل: أنهم اليهود، وقيل: اليهود والنصارى، وقيل: اليهود والنصارى وغيرهم من الكفار.<sup>(4)</sup>

وعلى كلّ الأحوال فهذه المقالة خرجت من الجهلة من أهل الكتاب أو المشركين فقالوا: هلاً يكلمنا الله بأنك رسوله حقاً، أو يرسل إلينا ملكاً فيخبرنا بذلك، كما يرسله إليك، أو تأتينا ببرهان على صدقك في دعواك النبوة، وليس مرادهم من هذه المطالب إلا الاستكبار والعتو والعناد، والاستخفاف بالآيات البيّنات، والجحود بالقرآن، ومثل هذه الأسئلة التي يراد منها التعنت، قد قالها من قبلهم من أهل الكتاب في مواقف كثيرة ذكرناها آنفاً، وقد تماثلت قلوبهم وأرواحهم، وأشبعت قلوب مشركي العرب قلوب من تقدّمهم في العمى والقسوة والعناد والكفر، والأسنة ترجمان القلوب، فما في القلب يعبر عنه اللسان، والحقّ واحد، ومخالفته هي الضلال

(1) معاني القرآن، الزجاج، ج1/199.

(2) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، ج1/151.

(3) انظر: تفسير المراغي، المراغي، ج1/200.

(4) انظر: زاد المسير، ابن الجوزي، ج1/105.

وهو واحد، وإن تعددت طرقه، واختلفت وجوهه، وتتشابه آثاره، حتى كأنهم متواصون به فيما بينهم.<sup>(1)</sup>

أما رؤية الله وتكليمه إياهم فمُحال وقوعها في الحياة؛ لأنها حياة الامتحان والتكليف، لذا لم يُجب إليه أحدًا من قبلهم ولا من بعدهم، وأما الآيات التي طلبوها فما أنزل الله ﷻ وبينه في كتابه من الآيات الدالة على الإيمان بالله ووجوب عبادته وتوحيده فيها، وعلى صدق نبيه ﷺ في رسالته ووجوب الإيمان به واتباعه كافٍ ومغني عن أية آية مادية يريدونها، ولكن القوم لكفرهم وعنادهم لم يروا في آيات القرآن ما يهديهم وذلك لعدم إيقانهم، والآيات يراها وينتفع بها الموقنون لا الشاكّون المكذّبون<sup>(2)</sup>، ولما علم المولى ﷺ شفقة رسول الله ﷺ بحالهم وتمنييه إيمانهم واسى قلبه بقوله ﷺ: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ (119)﴾ والمعنى: إنا أرسلناك بالحق أي مبشرًا لأولياي، وأهل طاعتي بالثواب العظيم، ومنذرًا ومخوفًا لأعدائي وأهل معصيتي بالعذاب الأليم، فإنما عليك البلاغ ولست مسؤولًا عمّن كفر من أهل النار.<sup>(3)</sup>

#### الصفة السادسة: عدم رضاهم عن الرسول ﷺ حتى يتبع ملتهم

بعد أن عدّد الله ﷻ جملة من مقالات أهل الكتاب وأفعالهم البغيضة أتى الخطاب لبيّن أنّ ليس غرضهم ومبلغ الرضا منهم ما يقترحونه عليك يا محمد من الآيات، ويوردونه من التعتّات، فإنك لو جئتهم بكل ما يقترحون وأجبتهم عن كل تعنت لم يرضوا عنك حتى تدخل في دينهم وتتبع ملتهم<sup>(4)</sup>، وهذا البيان جاء في قول الحق ﷻ: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنَّ آتَّبَعْتَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (120)﴾، فقد سلّى الله ﷻ نبيه عمّا كان يجده من عنادهم وإيدائهم بآيات كثيرة عرّفه فيها حقيقة حالهم، منها هذه الآية الناطقة بأن كلاً من اليهود والنصارى على اتّحادهم في أصل الدين قد تعصّب لتقاليده، ولا يُرضي أحدًا منهم شيء إلا

(1) انظر: التفسير المنير، الزحيلي، ج1/288.

(2) انظر: أيسر التفاسير، الجزائري، ج1/105.

(3) انظر: لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، ج1/74.

(4) انظر: فتح البيان، صديق خان، ج1/267.

الدخول فيها، فقد فتك التقليد بعقول أهل الكتاب وأفسدت الأهواء قلوبهم فغيروا بها وجه الدين الواحد حتى صار بعضهم يحكم بكفر بعض كما تقدّم في الآيات السابقة.<sup>(1)</sup>

وتعتنّهم هذا إنما لأنهم يريدون أن يكونوا متبوعين على الإطلاق، وفيه مبالغة في الإقنات من إسلامهم، وتنبيه على أنه لا يرضيهم إلا ما لا يجوز وقوعه منه ﷺ، فلا يتبع رسولاً إلا الهدى، الذي هو الإسلام الذي ليس وراءه هدى، وما يدعون إليه ليس بهدى، بل هو هوى.

ثم خاطب الله ﷻ نبيه الكريم ﷺ في قوله ﷺ: ﴿..وَلَيْنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (120)﴾ ليدخل دخولاً أولياً من اتبع أهواء هؤلاء المتعتنين بعد الإسلام من المنافقين تمسكاً بولايته، وطمعاً في نصرته، فهؤلاء المتبعون لهذا الضلال بعد أن جاءهم الدين المعلوم صحته بالبراهين الواضحة ليس لهم ولي يلي أمرهم ولا نصير يدفع عنهم عقابه<sup>(2)</sup>، والولي: هو من صار قيماً بالمرء أي قائماً على أمره، وأما النصير فهو المؤيد والمقوي.<sup>(3)</sup>

ثم أعقب ذلك العرض لصفات القوم الضالين بآية توجز حال أهل الحق والباطل، وفي ذلك يقول الحق ﷻ: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (121)﴾ في إشارة تنويهية إلى أن الذين يتلون كتاب الله حق تلاوته ممن آتاهم الله الكتاب فهؤلاء هم الذين يعرفون الحق الذي فيه، ويسيروا على هدايته، ولا يمارون فيه، أما الذين يكفرون بالحق والهدى منهم فإِنَّهُمْ هُمُ الْخَاسِرُونَ.<sup>(4)</sup>

وقد اختلفوا فيمن نزلت هذه الآية على قولين:

الأول: أنها نزلت في الذين آمنوا من اليهود، وعليه يكون الكتاب التوراة.

الثاني: في المؤمنين من أصحاب النبي ﷺ، وعليه فالكتاب هو القرآن.<sup>(5)</sup>

(1) انظر: تفسير المنار، رضا، ج1/365-366.

(2) انظر: محاسن التأويل، القاسمي، ج1/387.

(3) انظر: جامع البيان، الطبري، ج2/489.

(4) انظر: التفسير الحديث، دروزة، ج6/233.

(5) انظر: زاد المسير، ابن الجوزي، ج1/107.

## المطلب الثاني صفات أهل الكتاب المعنوية

تعددت الصفات المعنوية لأهل الكتاب في سورة البقرة، وقد تتبعت الباحثة هذه الصفات وحصرتها فيما يأتي:

### الصفة الأولى: كراهية الخير للمؤمنين

كشف الحق ﷻ للمؤمنين ما تكته نفوس أهل الكتاب من يهود ونصارى نحوهم، فهم وإن كانوا في الظاهر يُظهرون المودة للمؤمنين إلا أنهم في الباطن يكرهون الخير لهم، وفي ذلك يقول الحق ﷻ: ﴿مَا يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (105)﴾، قال الواحدي في سبب نزول هذه الآية: "قال المفسرون: إن المسلمين كانوا إذا قالوا لحلفائهم من اليهود: آمنوا بمحمد ﷺ قالوا: هذا الذي تدعوننا إليه ليس بخير مما نحن عليه، ولوددنا لو كان خيراً فأنزل الله تعالى تكذيباً لهم هذه الآية." (1)

والمعنى: ما يحب الكافرون ﴿.. مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ..﴾ وهم: يهود المدينة، ونصارى نجران، ﴿.. وَلَا الْمُشْرِكِينَ ..﴾ وهم: مشركو أهل مكة ﴿.. أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ ..﴾ أي: على رسولكم ﴿.. مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ ..﴾ وأراد بالخير: النبوة والإسلام، وقيل: العلم والفقه والحكمة، ﴿.. وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ ..﴾ وفي هذه الرحمة قولان: إما أنها النبوة أو الإسلام. (2)

ثم ختم الآية بقوله ﷻ: ﴿.. وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (105)﴾ "وهذا إشعار بأن النبوة من الفضل، وأن حرمان بعض عباده ليس لضيق فضله، بل لمشيئته وما عرف فيه من حكمته." (3) وهذه الآية الكريمة تستجيش في نفوس المؤمنين مشاعر عديدة، منها:

1. الحذر والحرص الشديد من الركون إلى أعدائهم من أهل الكتاب والمشركين، والاستماع إلى قولهم، وقبول شيء مما يأتونهم به على وجه النصيحة لهم منهم، باطلاعه جل ثناؤه إياهم على ما يبطنه لهم أهل الكتاب والمشركون من الضغن والحسد، وإن أظهروا بألسنتهم خلاف ما هم مبطنون. (4)

(1) أسباب النزول، الواحدي، ص34.

(2) انظر: زاد المسير، ابن الجوزي، ج1/98.

(3) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، ج1/99.

(4) انظر: جامع البيان، الطبري، ج2/470.

2. الامتتان للمولى ﷺ على ضخامة العطاء وجزالة الفضل، فليس أعظم من نعمة النبوة والرسالة، وليس أعظم من نعمة الإيمان والدعوة إليه.

وهذا الشعور وذاك ضروريان للوقوف في وجه حملة التشكيك التي قادها ويقودها اليهود، لتوهين العقيدة في نفوس المؤمنين، وكراهية الخير لهم منذ الأزل وحتى يومنا هذا.<sup>(1)</sup>

**الصفة الثانية: حسد أهل الكتاب للمؤمنين والرغبة في كفرهم**

من الصفات المعنوية لأهل الكتاب والتي كشف عنها القرآن الكريم ودَّهم ورغبتهم بعودة المؤمنين للكفر بعد الإيمان، وذلك حسداً من عند أنفسهم، وفي ذلك يقول الحق ﷻ: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿109﴾، وقد تعددت الروايات في سبب نزول الآية الكريمة، وذلك على النحو الآتي:

1. "قال ابن عباس ؓ: نزلت في نفر من اليهود قالوا للمسلمين بعد وقعة أحد ألم تروا إلى ما أصابكم ولو كنتم على الحق ما هُزمتم، فارجعوا إلى ديننا فهو خير لكم."<sup>(2)</sup>

2. "ما روى عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك ؓ عن أبيه ؓ أن كعب بن الأشرف اليهودي، كان شاعراً وكان يهجو النبي ﷺ ويحرّض عليه كفار قريش في شعره، وكان المشركون واليهود من أهل المدينة حين قدمها رسول الله ﷺ يؤذون النبي ﷺ وأصحابه أشدَّ الأذى، فأمر الله ﷻ نبيه بالصبر على ذلك والعفو عنهم وفيهم أنزلت: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ..﴾ إلى قوله: ﴿..فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا..﴾."<sup>(3)</sup>

3. وأضاف الإمام السيوطي في سبب نزولها قوله: "كان حيي بن أخطب وأبو ياسر بن أخطب من أشدَّ يهود حسداً للعرب إذ خصَّهم الله برسوله، وكانا جاهدين في ردِّ الناس عن الإسلام ما استطاعا، فأنزل الله ﷻ فيهما الآية."<sup>(4)</sup>

4. ما ذكره الحافظ ابن حجر العسقلاني من أنها "نزلت في نفر من اليهود منهم فنحاص ابن عازورا وزيد بن قيس قالوا لحذيفة وعمار بعد وقعة أحد انظروا ما أصابكم ولو كنتم على

(1) انظر: في ظلال القرآن، قطب، ج1/101.

(2) أسباب النزول، الواحدي، ص35.

(3) المرجع السابق، ص35-36.

(4) لباب النقول في أسباب النزول، السيوطي، ص15.

الحق ما هُزمت فارجعوا إلى ديننا فهو خير لكم وأفضل ونحن أهدى منكم سبيلاً. فقال لهم عمار: كيف نقض العهد عندكم؟ قالوا: هو شديد قال: فإني عاهدتُ ألا أكفر بمحمد ما عشت. فقالت اليهود: أما هذا فقد خيبتنا. فقال حذيفة: وأما أنا فقد رضيتُ بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً وبالقرآن إماماً وبالكعبة قبلَةً وبالمؤمنين إخواناً، ثم أتيا رسول الله ﷺ فأخبراه بذلك فقال: «أصبتما الخير وأفلحتما» فأنزل الله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ..﴾ يا معشر المؤمنين ﴿..مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا..﴾. (1)

فإن الله ﷻ "يحدّر عباده المؤمنين من سلوك طرائق الكفار من أهل الكتاب، ويُعلمهم بعداوتهم لهم في الباطن والظاهر، وما هم مشتملون عليه من الحسد للمؤمنين، مع علمهم بفضلهم وفضل نبيهم ويأمر عباده المؤمنين بالصفح والعفو والاحتمال، حتى يأتي أمر الله من النصر والفتح" (2)، وقوله ﷻ: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ..﴾ يعني أبحارهم، وقوله: ﴿..لَوْ يَرُدُّونَكُمْ..﴾: أن يردوكم، ﴿..مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا..﴾ مرتدين، ﴿..مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ..﴾ أي: من قبل أنفسهم وشهواتها، لا من قبل التدين والميل مع الحق، ﴿..مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ..﴾ بالمعجزات والنعوت المذكورة في التوراة، ثم جاء أمر الله ﷻ لنبيه ومن معه من المؤمنين بقوله: ﴿..فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا..﴾ والعفو ترك عقوبة المذنب، والصفح ترك تثريبه، وهذا الأمر مقيد بقوله ﷻ: ﴿..حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهَ بِأَمْرِهِ..﴾ الذي هو الإذن في قتالهم وضرب الجزية عليهم، أو قتل بني قريظة وإجلاء بني النضير. (3)

لكن أمر العفو والصفح هذا نسخه الله جلّ ثناؤه بفرض قتالهم على المؤمنين، حتى تصير كلمتهم وكلمة المؤمنين واحدة، أو يؤدوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون، فأتى الله ﷻ بأمره، فقال للنبي ﷺ وللمؤمنين به: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة: 29]. (4)

(1) العجائب في بيان الأسباب، ابن حجر، ج1/357.

(2) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج1/382.

(3) انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، ج1/100.

(4) انظر: جامع البيان، الطبري، ج2/503. تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج1/383.

"وأبى هذا القول جماعة من المفسرين والفقهاء، واحتجوا بأن الله ﷻ لم يأمر بالصفح والعفو مطلقاً، وإنما أمر به إلى غاية، وما بعد الغاية يخالف حكم ما قبلها، وما هذا سبيله لا يكون من باب المنسوخ، بل يكون الأول قد انقضت مدته بغايته، والآخر يحتاج إلى حكم آخر." (1)

#### • علاقة المبحث بوحدة موضوع السورة:

هكذا بيّن المولى ﷻ صفات أهل الكتاب من يهود ونصارى وكشف فساد عقيدتهم وخبث سرائرهم، وفضح مؤامراتهم للكيد بالمسلمين، وما انطوت عليه نفوسهم من حقد دفين وحسد بغيض، كل هذا لم يكن ليؤهلهم لحمل راية القوامة والاستخلاف على هذه الأرض كما ادّعوا من قبل، بل استحقوا به أسوأ الذّكر في الدنيا وأشدّ العذاب في الآخرة.

وبهذا يُوقظ السياق القرآني وعي الجماعة المسلمة وينبّهها إلى مصدر الخطر وممكن الدسيسة ويعبئ مشاعر المسلمين تجاه النوايا السيئة والكيد اللئيم والحسد الذميمة، ثم يأخذهم بهذه الطاقة المشحونة إلى جناب الله ينتظرون أمره، ويعلقون تصرفهم بإذنه، وإلى أن يحين هذا الأمر يدعوهم إلى العفو والصفح، لينقذ قلوبهم من نتن الحقد والضغينة ويدعها طيبة في انتظار الأمر من صاحب الأمر والمشية. (2)

(1) زاد المسير، ابن الجوزي، ج1/101.

(2) انظر: في ظلال القرآن، قطب، ج1/103.

## الفصل الخامس

شمولية العبودية ووسائل تحقيقها وعلاقتها  
بوحدة موضوع السورة

## الفصل الخامس

### شمولية العبودية ووسائل تحقيقها وعلاقتها بوحدة موضوع السورة

لما دعا الله ﷻ الناس كافة وبنى إسرائيل خاصة لعبادته والاستجابة لأمره بالاستخلاف في الأرض أتبع ذلك بالتأكيد على أن هذه العبودية ليست قاصرة على أمر دون الآخر وإنما هي سلسلة عظيمة جمعت في باطنها كل نواحي الحياة، فهي تبدأ من عقيدة الإنسان، وتنقل إلى تفاصيل حياته العملية، فتتظّمها وفق أحكام تشريعية دقيقة، تتسجم مع حاجات الفرد والمجتمع، وستتناول الباحثة هذه المحاور في المباحث الآتية:

### المبحث الأول

#### عرض بعض الشرائع العقديّة الواردة في السورة وعلاقتها بوحدة موضوعها

لم تغفل سورة البقرة عن الجانب العقدي، فأكدت على الأصول العقديّة التي قرّرتها السور المكية، ولما كانت العقيدة الإسلامية هي: "الإيمان الجازم بربوبية الله ﷻ وألوهيته وأسمائه وصفاته، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وسائر ما ثبت من أمور الغيب، وأصول الدّين، وما أجمع عليه السلف الصّالح، والتسليم التام لله تعالى في الأمر، والحكم، والطاعة، والاتباع لرسوله ﷺ"<sup>(1)</sup>، فإن سورة البقرة قد تناولت كل هذه الجوانب العقديّة في مختلف آياتها، وستتناول الباحثة بعض الأمثلة على هذه الجوانب نظراً لكثرة المواضع التي تحدّثت عن هذه الأصول ودفعاً للإطالة، مع ضرورة التنبيه على أن بعض هذه الآيات قد تناولت أكثر من أصل من أصول العقيدة في الآية الواحدة، وستتناولها الباحثة على النحو الآتي:

### المطلب الأول

#### التأكيد على وحدانية الله ﷻ

التوحيد أول دعوة الرسل، وأول منازل الطريق، وأول مقام يقوم فيه السالك إلى الله ﷻ لذا جاءت السورة الكريمة لتؤكد على الأساس الأعظم لهذا الدين<sup>(2)</sup>، حيث تناولت ألوانه الثلاثة جميعها من توحيد ربوبية وألوهية وأسماء وصفات، وعرضتها في كثير من المواضع، وستعرض الباحثة بعضاً منها لأن المقام لا يتسع لحصر جميعها، وذلك على النحو الآتي:

(1) الوجيز في عقيدة السلف الصالح، ابن عبد الحميد، ج 24/1. انظر: مختصر تسهيل العقيدة الإسلامية، الجبرين، ص 3.

(2) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز، ص 26.

## أولاً: التأكيد على توحيد الربوبية

حكى الله ﷻ عن المشركين في أكثر من موضع في كتابه الكريم أنهم مُفَرِّون بتوحيد الربوبية، فهم يعترفون بأن الله ﷻ ربُّ كل شيء ومالكة وخالقه ورازقه، وأنه المحيي المميت النافع، ومثال ذلك ما جاء في قوله ﷻ: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس: 31]، فهم كانوا يؤمنون بأن هذا كله بيده ﷻ مع إشراك غيره معه في العبادة<sup>(1)</sup>، وقد تعددت الآيات التي أكدت على مظاهر توحيد الله في ربوبيته في ثنايا السورة الكريمة، أذكر منها:

1. الله هو الخالق المدبّر لهذا الكون، وفي هذا يقول الحق ﷻ: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (29).
2. الله هو وليّ النعمة وصاحب الفضل على العباد، حيث قال الله ﷻ: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (47).
3. الله هو الرزاق الكريم، وبيان ذلك في قوله ﷻ: ﴿وَوَهَبْنَا لَكُمْ الْأَنْعَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمُنَّ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ...﴾ (57).
4. الله واسع الرحمة ذو الفضل العظيم، فالله ﷻ يقول في محكم كتابه: ﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (105).
5. ملكية الله ﷻ لما في السماوات والأرض فهو ذو المُلْك الذي لا ينفذ وهو الولي والنصير فكل من في الكون يخضع لحكمه وتصرفه، وفي ذلك قال ﷻ: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ (107).
6. قدرة الله ﷻ المتجلية في إبداعه السماوات والأرض وفي قوله للشيء كن فيكون فهو الأمر الناهي الذي له الأمر من قبل ومن بعد، فهو القائل في كتابه العزيز: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (117) فالله ﷻ هو الذي أبدع السماوات والأرض وما فيهن، وإذا أراد أمراً كان وتحقق من غير امتناع، فمن له كل ما في السماوات والأرض خلقاً ومُلْكاً، ومن له كل ما في الكون كائناً ومنقاداً، ومن أبدع السماء

(1) انظر: تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، ابن عبد الله، ص 17-18.

والأرض والوجود كله، ومن إذا أراد أمرًا فلا رادّ لقضائه، فمن اجتمعت لديه كل هذه الأوصاف المعجزة استحق أن يُعبد.

واعلم أن الآيات الواردة في السورة الكريمة على توحيد الربوبية كثيرة جدًا أكثر من أن تُحصر وأشهر من أن تُذكر.

### ثانيًا: التأكيد على توحيد الألوهية

لما كان توحيد الربوبية لا يكفي العبد في حصول الإسلام، كان لا بدّ أن يأتي مع ذلك ما يلزمه من توحيد الألوهية، وهذا النوع من التوحيد هو الفارق بين الكفر والإسلام<sup>(1)</sup>، وهو الذي "وقع فيه النزاع في قديم الدهر وحديثه وهو توحيد الله تعالى بأفعال العباد كالإيمان والندم والنحر والرجاء والخوف والتوكل والرغبة والرغبة والإجابة"<sup>(2)</sup>، من أجل ذلك أكد الحق ﷺ على ألوهيته في مواضع عدة في السورة الكريمة لا سبيل لحصرها، منها ما جاء في قوله ﷺ: ﴿وَالْهَكْمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (163)﴾، والإله في كلام العرب هو المعبود ولذلك تعددت الآلهة عندهم، وأطلق لفظ الإله على كل صنم عبده، وهو إطلاق ناشئ عن الضلال في حقيقة الإله لأن عبادة من لا يغني عن نفسه ولا عن عابده شيئًا عبثًا وغلطًا، فوصف الإله هنا بالواحد لأنه وحده المعبود بحق، ولذلك لم يطلق في القرآن الإله بالإفراد على المعبود بغير حق<sup>(3)</sup>، ومما يؤكد ذلك ما جاء في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»<sup>(4)</sup>.

فالله ﷻ يخبر أنه ﴿..إِلَهٌ وَاحِدٌ..﴾ أي: متوحد منفرد في ذاته، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، فليس له شريك في ذاته، ولا مثل، ولا نظير، ولا خالق، ولا مدبر غيره، فإذا كان كذلك، فهو المستحق لأن يُؤله ويُعبد بجميع أنواع العبادة، ولا يُشرك به أحد من خلقه، لأنه ﴿..الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ..﴾ المتصف بالرحمة العظيمة، التي لا يماثلها رحمة أحد، فقد وسعت كل شيء وعمت كل حي<sup>(5)</sup>.

(1) انظر: الجواهر المضية، ابن عبد الوهاب، ص37.

(2) الرسالة المفيدة، عبد الوهاب، ص41.

(3) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج74/2. الجواهر المضية، ابن عبد الوهاب، ص39.

(4) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الصلاة/ باب فضل استقبال القبلة، ج87/1، رقم الحديث 392. صحيح مسلم، مسلم، كتاب الإيمان/ باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله محمد رسول الله، ج52/1، رقم الحديث 21.

(5) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص77.

وتوحيد الألوهية والعبودية يستلزم لوني التوحيد الآخرين -توحيد الربوبية والأسماء والصفات- ويتضمنهما؛ "لأن الألوهية التي هي صفة تعم أوصاف الكمال وجميع أوصاف الربوبية والعظمة، فإنه المألوه المعبود، لما له من أوصاف العظمة والجلال، ولما أسداه إلى خلقه من الفواضل والأفضال، فتوحده ﷻ بصفات الكمال وتفرد به بالربوبية يلزم منه أن لا يستحق العبادة أحد سواه"<sup>(1)</sup>، لذا نجد الحق ﷻ يذم ويوبخ من اتخذوا من دونه أندادا في أكثر من موضع في السورة الكريمة ومثاله قوله ﷻ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ (165)﴾ فالله ﷻ يذكر في الآية الكريمة الجاحدين الضالين معجبا من سوء ضلالهم بالرغم من كل الدلائل الواضحة على استحقاقه ﷻ للعبودية لكن بعض الناس ممن ضلّت عقولهم اتخذوا أربابا غير الله يطيعونهم ويعبدونهم كعبادة الله ويجعلونهم مثل الله، والمؤمن يسلم الأمر لله وحده، أما هم فإن ولاءهم لآلهتهم يتزلزل عند النوائب فيلجؤون إلى الله ﷻ، وهؤلاء الذين ظلموا أنفسهم لو عاينوا ما سينالهم من العذاب يوم الجزاء حين يكشف ملك الله وتكون الطاعة له وحده، لانتهوا عن جرمهم وأقلعوا عن إثمهم.<sup>(2)</sup>

وقد تنوّعت الآيات الدالة على توحيد الألوهية بين جنابات السورة الكريمة، أذكر منها:

1. الله ﷻ هو المستحق للإيمان الخالص وهو الأحق بالتقوى والإنابة، وفي ذلك يقول الله ﷻ: ﴿وَأْمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّاي فَاتَّقُونِ (41)﴾ .
2. الله ﷻ المستحق للشكر على النعم التي غمر بها عباده، فالله ﷻ يقول في محكم تنزيله: ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (52)﴾ .
3. العبادة الحقة هي العهد الذي بين العبد وخالقه، فلا معبود غيره وحده لا شريك له، وبيان هذا في قوله ﷻ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ ... (83)﴾ .
4. الألوهية لا تكون إلا لله وحده لا شريك له، ولا والد ولا ولد، وفي ذلك قال الحق ﷻ: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَانُونٍ (116)﴾ .

(1) القول السديد شرح كتاب التوحيد، ابن ناصر، ص 19.

(2) انظر: المنتخب في تفسير القرآن الكريم، لجنة من علماء الأزهر، ص 36.

5. الملة الحنيفية الابراهيمية الواضحة هي ملة الإسلام القائمة على التوحيد والإخلاص والإتابة والتضرع والرجاء والتوكل والاستعانة، وهي الملة التي حثَّ الله ﷻ عباده على الاقتداء بها واتباعها، وقد جاء بيانها في قوله ﷻ: ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنِ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (130)﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (131)﴾ .

6. لا تكون الرغبة والرغبة إلا لله، فلا يُخَافُ إِلَّا مِنْهُ سبحانه، ولا يُسْتَعَانُ وَلَا يُسْتَعَاثُ إِلَّا بِهِ وحده، فهو القائل في كتابه العزيز: ﴿..فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي .. (150)﴾ .

وليس بالغريب أن تكون الآيات الدالة على توحيد الله في ألوهيته وعبوديته لا حصر لها، فلا إله إلا الله كلمة قامت بها الأرضُ والسماوات، وخُلقت لأجلها جميع المخلوقات، فالله ﷻ هو القائل في كتابه العزيز: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: 56] ومن أجلها خُلقت الدنيا والآخرة، وبها أرسل الله رسلَهُ، وأنزل كتبه، وشرَّع شرائعه؛ ولأجلها نُصبت الموازين، ووضعت الدواوين، وقام سوق الجنة والنار، وبها انقسمت الخليقة إلى المؤمنين والكفار، والأبرار والفجار، وفي شأنها تكون الشقاوة والسعادة، وبها تؤخذ الكتب باليمين أو الشمال، ويثقل أو يخف الميزان، وهي الحقُّ الذي خُلقت له الخليقة، وبها أخذ الله ﷻ الميثاق، وعنَّا وعن حقوقها السؤال والحساب يوم التلاق. (1)

### • دلائل الوحدانية في سورة البقرة

تنوّعت دلائل الوحدانية الواردة في سورة البقرة، والتي توزّعت بين آياتها للتأكيد على هذا اللون من التوحيد، وإقامة الحجة والبرهان على أحقية الله ﷻ في توحيدِه بألوهيته وأنه الله الذي لا إله إلا هو ولا معبود بحق إلا هو، وستذكر الباحثة بعض هذه الدلائل كما يأتي:

### 1. دلائل الوحدانية من خلال آيات الربوبية

عندما خاطب الله ﷻ الناس أجمعين في أول نداء في سورة البقرة بأن يعبدوه وحده لا شريك له قرن هذا الأمر بإثبات أحقيته بالربوبية من خلال بيان مظاهر وحدانيته في ربوبيته، فناداهم الله ﷻ ممتناً عليهم بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (21)﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (22)﴾، وقد جاء عن ابن

(1) انظر: عقيدة المسلم في ضوء الكتاب والسنة، القحطاني، ج1/6.

عباس ؑ أن مراده ﷺ من قوله: «..اعْبُدُوا..» أي: وحّدوا، وكل ما ورد في القرآن الكريم من العبادة معناه التوحيد، وأصل العبادة غاية التذلل، فلما أراد الحق ﷻ أن يمتنّ على عباده امتنّ عليهم بما يعترفون به فلا ينكرونه<sup>(1)</sup>، وأول ما امتنّ به عليهم نعمة الخلق، لأن جميع النعم مترتبة عليها، وهي أصلها الذي لا يوجد شيء منها بدونها، ولأن جميع البشر أقروا بها مسلمهم وكافرهم كما جاء في قوله ﷺ: «وَلَيْنُ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ..» [الزخرف: 87]<sup>(2)</sup>، فالله ﷻ كثيراً ما يحتج على المشركين بما أقروا به وعلموه من توحيد الربوبية على ما جحدوه وأنكروه من توحيد الألوهية، فإنه تعالى كثيراً ما يقرر في كتابه توحيد ألوهيته بتوحيد ربوبيته، فإن توحيد الربوبية هو الدليل الأوضح والبرهان الأعظم على توحيد الألوهية.<sup>(3)</sup>

وأضاف شيخ الإسلام ابن تيمية أن الله ﷻ قد جمع في هذا الخطاب بين دليلي الاختراع والعناية<sup>(4)</sup> اللذين استدل الله ﷻ بهما على وحدانيته وأن هناك مُوجد واحد لهذا الكون ومتصرّف واحد بجميع شؤون العباد<sup>(5)</sup>، فالله ﷻ قد دعا الناس إلى دين التوحيد الحق وهو عبادة الله وحده عبادة خشوع وإخلاص، فعَدّد بعض نعمه الظاهرة عليهم الموجبة للعبادة والشكر، "فجعل منها خَلَقَهُمْ أحياء قادرين على العمل والكسب، ثم خلق الأرض مستقرّاً ومهادّاً لينتفعوا بخيراتها ويستخرجوا معادنها ونباتها، ثم بنى لهم السماء التي زينها بالكواكب، وجعل فيها مصابيح يهتدى بها الساري في الليل المظلم، وأنزل منها الماء فأخرج به ثمرات مختلفاً ألوانها وأشكالها"<sup>(6)</sup>، فمن تفرّد بهذه الأفعال الجليلة والآيات البديعة لا يليق به أن تجعلوا له شركاء في العبادة وأنتم تعلمون ما بينه وبينها من التفاوت، وأنها لا تفعل مثل أفعاله، وأنه لا ندّ له ولا نظير.<sup>(7)</sup>

(1) انظر: فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق خان، ج1/103.

(2) انظر: فتح القدير، الشوكاني، ج1/59.

(3) انظر: حاشية (الأصول الثلاثة لمحمد بن عبد الوهاب)، القحطاني، ص52.

(4) دليل الاختراع: هو ما يظهر من اختراع جواهر الأشياء الموجودات، مثل اختراع الحياة في الجماد، والإدراكات الخمسة والعقل، ودليل العناية: هو الدليل على عناية الله ﷻ بالإنسان وخلق جميع الموجودات

من أجله. انظر: درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، ج9/321-322.

(5) انظر: المرجع السابق، نفس الجزء والصفحة.

(6) تفسير المراغي، المراغي، ج1/62-63.

(7) انظر: محاسن التأويل، القاسمي، ج1/267.

فيا للعجب كيف تدرّج الله ﷻ باستدلاله على وحدانيته وإثبات استحقاقه للعبادة من خلق الأنفس إلى الآفاق، ومن آياته في العالم السفلي والعالم العلوي لتعنو الوجوه للحي القيوم الخالق البارئ.<sup>(1)</sup>

## 2. دلائل الوحدانية من خلال آية الكرسي

لا يجدر بنا أن نتحدّث عن وحدانية الله ﷻ في السورة الكريمة دون أن نُلقي الضوء على سيدة آي القرآن الكريم وأعظمها والتي جاء ذكرها في سورة البقرة ألا وهي آية الكرسي التي جاءت لتقرر أصل التوحيد وأساس العبادة، ولتحصّر الاتجاه بأي عمل نحو الله ﷻ، وليستشعر العبد عظمة الله وسلطانه<sup>(2)</sup>، وذلك لما اشتملت عليه من مظاهر وحدانية الله ﷻ، فلهذا كثرت الأحاديث في الترغيب في قراءتها وجعلها وردًا للإنسان في أوقاته صباحًا ومساءً وعند نومه وأدبار الصلوات المكتوبات<sup>(3)</sup>، وقد ورد في فضلها أن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟» قَالَ: قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «يَا أَبَا الْمُنْذِرِ أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟» قَالَ: قُلْتُ: «اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ (255)». قَالَ: فَضْرَبَ فِي صَدْرِي، وَقَالَ: «وَاللَّهِ لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ». <sup>(4)</sup>

ويشير الإمام أبو زهرة إلى أن هذه الآية الكريمة تذكر صفات الله ﷻ وسلطانه وكمال وجوده، كما أنها تشتمل على حقيقتين مقررّتين تؤكدان معنى الوحدانية، وتريّبان المهابة الإلهية في قلب كل مؤمن صافي السريرة قد خلا قلبه من كل شرك ومن مظاهر العبودية لغير الله ﷻ، أما الحقيقة الأولى: فهي أنها تشتمل على عشر جمل، كل جملة منها تشتمل على وصف أو وصفين فيه بيان كمال الله، وسلطانه الشامل، وألوهيته الحقّة، أما الحقيقة الثانية: فهي أنها أكثر أي الكتاب الكريم ذكرًا لله رب العالمين، فقد ذكر بعض العلماء أن الله العليّ العليم قد ذكر فيها بالاسم الظاهر أو الضمير أكثر من سبع عشرة مرة.<sup>(5)</sup>

وبيان جملة الجمل التي تضمنتها الآية الكريمة تبينه الباحثة على النحو الآتي:

- (1) انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، مسلم وآخرون، ص53.
- (2) انظر: التفسير المنير، الزحيلي، ج3/15.
- (3) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص110.
- (4) صحيح مسلم، مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها/ باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي، ج1/556، رقم الحديث 810.
- (5) انظر: زهرة التفاسير، أبو زهرة، ج2/930.

الجملة الأولى والثانية: فتمثل في قول الحق ﷻ: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾، أما قوله: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ..﴾ أي "الإله الحق الذي يستحق أن يعبد هو الله الواحد الصمد"<sup>(1)</sup>، وقوله: ﴿الْحَيُّ﴾ فهو "الذي جمع معاني الحياة الكاملة، من السمع والبصر، والقدرة والإرادة وغيرها، والصفات الذاتية"، وأما اسمه ﴿الْقَيُّومُ﴾، فهو الذي "تدخل فيه جميع صفات الأفعال؛ لأنه القيوم الذي قام بنفسه واستغنى عن جميع مخلوقاته، وقام بجميع الموجودات، فأوجدتها وأبقاها، وأمدها بجميع ما تحتاج إليه في وجودها وبقائها"<sup>(2)</sup>، ومعنى الآية: أن الله ﷻ هو الإله الحق المنفرد بالألوهية لا شريك له، وهو المعبود بحق وكل معبود سواه فهو باطل، وهو ذو الحياة الكاملة، وهو الدائم القيام بتدبير شؤون الخلق ورعايتهم.<sup>(3)</sup>

الجملة الثالثة: وهي قوله ﷻ: ﴿..لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ..﴾ قال الإمام الطبري: يعني تعالى ذكره بقوله: "لا تأخذه سنة" أي: لا يأخذه نعاس فينعس، ولا نوم فيستقل نومًا<sup>(4)</sup>، وأشار الواحدي إلى أن السنة هي أول النعاس، والنوم هو الغشية الثقيلة<sup>(5)</sup>، ومراده تعالى أنه لا يغفل عن تدبير أمر الخلق<sup>(6)</sup>، وهذه الجملة "مؤكددة لقوله ﷻ: الْحَيُّ الْقَيُّومُ، مقررة لمعنى الحياة والقيومية التي تفرد بها الله ﷻ على أتم وجه، إذ من تأخذه السنة والنوم يكون ضعيف الحياة، ضعيف القيام بشئون نفسه، وبشئون غيره."<sup>(7)</sup>

الجملة الرابعة: وهي قوله ﷻ: ﴿..لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ..﴾ ومعناه أنه ﷻ مالك السموات والأرض وما فيهما بغير شريك ولا منازع وهو خالقهم، وهم عبيده وخلقهم، وهم في ملكه، وفيه ردّ على المشركين العابدين لبعض الكواكب التي في السماء، والأصنام التي في الأرض، فهي لا تصلح أن تُعبد لأنها مملوكة مخلوقة له.<sup>(8)</sup>

الجملة الخامسة: وهي قول الله ﷻ: ﴿..مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ..﴾ أي: لا يشفع شافع عنده إلا بما أمر به من دعاء بعض المسلمين لبعض ومن تعظيم المسلمين أمر الأنبياء والدعاء

(1) تفسير المراغي، المراغي، ج3/12.

(2) تفسير غريب القرآن، الكواري، ج2/255.

(3) انظر: التفسير الوسيط، طنطاوي، ج1/584.

(4) انظر: جامع البيان، الطبري، ج5/389.

(5) انظر: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، الواحدي، ص182.

(6) انظر: محاسن التأويل، القاسمي، ج2/190.

(7) تفسير المراغي، المراغي، ج3/12.

(8) انظر: فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق خان، ج2/91.

لهم، وما علمنا من شفاعة النبي ﷺ<sup>(1)</sup>، و"الغرض أنه سبحانه عالمٌ بأحوال الشافع والمشفوع له فيما يتعلق باستحقاق الثواب والعقاب، لأنه عالم بجميع المعلومات لا يخفى عليه خافية، والشفعاء لا يعلمون من أنفسهم أنّ لهم من الطاعة ما يستحقون به هذه المنزلة العظيمة عند الله ولا يعلمون أن الله ﷻ أذن لهم في تلك الشفاعة أم لا، فإنهم لا يحيطون بشيء من علمه."<sup>(2)</sup>

**الجملة السادسة:** وهي قول الحق ﷻ: ﴿..يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ..﴾ أي: يعلم أمور الدنيا التي خلفوها، وأمور الآخرة التي يستقبلونها<sup>(3)</sup>، وقيل أن الضميران في قوله: ﴿.. أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ..﴾ عائدان على كل من يعقل ممن تضمّنه قوله: ﴿..لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ..﴾، وقيل: ﴿.. مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ..﴾ الدنيا ﴿.. وَمَا خَلْفَهُمْ..﴾ الآخرة، وكل ما تقدّم صحيح في نفسه عند موت الإنسان، لأن ما بين اليد هو كل ما تقدّم الإنسان، وما خلفه هو كل ما يأتي بعده.<sup>(4)</sup>

**الجملة السابعة:** وهي قوله ﷻ: ﴿..وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ..﴾ ومعناه أنهم لا يعلمون شيئاً من معلوماته ﷻ إلا بما أراد أن يعلمهم به منها على السنة الرسل لتكون دليلاً على نبوتهم.<sup>(5)</sup>

**الجملة الثامنة:** وهي ما جاء في قوله ﷻ: ﴿..وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ..﴾ . أي: "أحاط كرسيه بالسموات والأرض لبسطته وسعته، والسموات السبع والأرضون بالنسبة للكرسي كحلقةٍ ملقاةٍ في فلاة"<sup>(6)</sup>، ومذهب السلف من الصحابة والتابعين ومن سار على نهجهم واقتدى بسنتهم أن الكرسيّ جسم عظيم مخلوق بين يدي العرش، والعرش أعظم منه، وهو موضع القدمين للبارئ ﷻ، وهذا هو ما دلّ عليه القرآن والسنة والإجماع ولغة العرب التي نزل القرآن بها.<sup>(7)</sup>

(1) انظر: معاني القرآن، الزجاج، ج1/337.

(2) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، النيسابوري، ج2/15.

(3) انظر: تفسير المراغي، المراغي، ج3/13.

(4) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، ج1/341.

(5) انظر: محاسن التأويل، القاسمي، ج2/191.

(6) صفوة التفاسير، الصابوني، ج1/147.

(7) انظر: العرش، الذهبي، ج1/351.

الجملة التاسعة: وهي قوله ﷺ: «..وَلَا يُؤَدُّه حِفْظُهُمَا..» أي: لا يتقله ولا يشقّ عليه حفظ السموات والأرض ولم يتعرّض لذكر ما فيهما لأن حفظه مستتبع لحفظهما.<sup>(1)</sup>

الجملة العاشرة: وهي التي ختم بها الله ﷻ الآية الكريمة فقال: «..وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ»، فهو "العلي بذاته فوق عرشه، العلي بقهره لجميع المخلوقات، العليّ بقدره لكمال صفاته، وهو العظيم الذي تتضاءل عند عظمته جبروت الجبابرة، وتصغر في جانب جلاله أنوف الملوك القاهرة."<sup>(2)</sup>

ها هي ذا آية الكرسي الجامعة الدالة على وحدانية الله ﷻ بكل شعبها؛ ذلك بأن الوجدانية لها شعب ثلاث: وحدانية الألوهية، وقد دلت عليها بقوله ﷻ: «اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ»، ووجدانية الخلق والتكوين، فلا خالق مع الله ﷻ، ولا إرادة تمنع إرادته، وقد دل على ذلك بأكثر ما في الآية الكريمة كقوله ﷻ: «..الْحَيُّ الْقَيُّومُ..» وقوله ﷻ: «..لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ..»، والشعبة الثالثة: وحدانية الذات والصفات، بمعنى أنه لا يشبهه شيء أو أحد من خلقه، وقد أشار سبحانه إلى ذلك بقوله ﷻ: «..لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ..» ويقول ﷻ: «..وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ» تعالى الله رب العالمين علواً كبيراً.<sup>(3)</sup>

وهذا الجمل العشر تلاحمت لتنظم آية كريمة جليلة تملأ القلب مهابة من الله وعظمته وجلاله وكماله، فهي تدلّ على أنّ الله ﷻ متفرد بالألوهية والسلطان والقدرة، قائم على تدبير الكائنات في كل لحظة، لا يغفل عن شيء من أمور خلقه، وهو مالك كل شيء في السموات والأرض، لا يجرأ أحد على الشفاعة لأحد إلا بإذنه، ويعلم كل شيء في الوجود، ويحيط علمه بكل الأمور وأوضاع الخلائق دقيقها وعظيمها، ويظلّ بالرغم من التدبير للخلائق والعلم المحيط بالأشياء هو العليّ الشأن، القاهر الذي لا يغلب، العظيم المُلْك والقدرة على كل شيء سواه، فلا موضع للغرور، ولا محل لعظمة أمام عظمة الله تعالى.<sup>(4)</sup>

### 3. دلائل الوجدانية من خلال الآيات الكونية

استعمل المولى ﷻ كل الدلالات والبراهين لإثبات وحدانيته فما هو يعرض آياته العجيبة وآلائه الظاهرة في هذا الكون لينبّه الحواس والمشاعر إلى عجائب هذا الكون، وفي ذلك دعوة للإنسان أن يرتاد هذا الكون كالذي يراه أول مرة مفتوح العين، متأهب الحس، حيّ

(1) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، ج1/248.

(2) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص110.

(3) انظر: زهرة التفاسير، أبو زهرة، ج2/942.

(4) التفسير المنير، الزحيلي، ج3/18.

القلب<sup>(1)</sup>، فنراه في غير موضع يستنفر كل طاقات النفس البشرية ومشاعرها للتأمل في بدائع صنعه وغرائب خلقه، ومن هذه المشاهد الماتعة المبهرة ما جاء في قوله ﷺ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَع النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (164)﴾، فالمولى ﷺ يخبر عباده "أنّ في خلق السماوات بارتفاعها واتساعها، والأرض بجمالها وسهولها وبحارها، وفي اختلاف الليل والنهار من الطول والقصر، والظلمة والنور، وتعاقبهما بأن يخلف كل منهما الآخر، وفي السفن الجارية في البحار، التي تحمل ما ينفع الناس، وما أنزل الله من السماء من ماء المطر، فأحيا به الأرض، فصارت مخضرة ذات بهجة بعد أن كانت يابسة لا نبات فيها، وما نشره الله ﷺ فيها من كل ما دبّ على وجه الأرض، وما أنعم به عليكم من تقليب الرياح وتوجيهها، والسحاب المسير بين السماء والأرض، إنّ في كل الدلائل السابقة لآياتٍ على وحدانية الله، وجليل نعمه، لقومٍ يعقلون مواضع الحجج، ويفهمون أدلته سبحانه على وحدانيته، واستحقاقه وحده للعبادة."<sup>(2)</sup>

وتأمل كيف جاء هذا العرض الكوني بترتيب متناسق ممتع جمع ما هو عجيب وغريب وكأنك تحار هل تتأمل في صنيع الخالق البارئ في أرض وسماء، أو ليل ونهار، أو يابسة وماء، أو قطر ومطر، أو نبات وشجر، "كلها جاءت ليستدلّ العاقل بالأثر على وجود المؤثر، وبالصنعة على عظمة الخالق المدبّر الحكيم."<sup>(3)</sup>

وهذا المشهد لم يكن الوحيد في السورة الكريمة وإنما كررت هذه المشاهد مع تنوع أساليبها في جنباتها، فكل هذه الدلائل والمشاهدات إنما عرضت لتعرّف أصحاب الاستدلال وأرباب العقول بدلالات قدرته ﷻ، وأمارات وجوده، وسمات ربوبيته التي هي أقسام أفعاله فما من شيء منها إلا وهو على الوجدانية دليل، ولمن يقصد وجوده سبيل.<sup>(4)</sup>

ولا عجب أن يُعيد الحق ﷻ ذكراً حقيقة وحدانيته التي تكرر ذكرها مرات ومرات في القرآن المكي، والتي ظلّ القرآن الكريم يعمّق جذورها ويمدّ في آفاقها حتى تشمل كل جوانب

(1) انظر: في ظلال القرآن، قطب، ج1/152.

(2) التفسير الميسر، نخبة من أساتذة التفسير، ج1/25.

(3) صفوة التفاسير، الصابوني، ج1/97-98.

(4) انظر: لطائف الإشارات، القشيري، ج1/144.

الحس والعقل، وكل جوانب الحياة والوجود، يعيد ذكرها ليقوم على أساسها سائر التشريعات والتكاليف، كيف لا والسياق هنا يستهدف إعداد الأمة المسلمة لدورها العظيم في الأرض، وأن تكون الأمة المستخلفة وفق منهج الواحد الأحد الخالق المصور ذي الأوصاف الجليلة والأسماء الحسنى.<sup>(1)</sup>

### ثالثاً: التأكيد على توحيد الأسماء والصفات

لن يكتمل إيمان المسلم إلا باعتقاده انفراد الله ﷻ بالكمال المطلق من جميع الوجوه واتصافه بنعوت العظمة والجلال، وذلك بإثبات ما أثبتته ﷻ لنفسه، أو أثبتته له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات بغير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل، بل نعتقد أن الله ﷻ (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) [الشورى:11]<sup>(2)</sup>، ولأن سورة البقرة تهدف إلى إعداد شخصية الفرد المسلم بإرساء أصول العقيدة في قلبه ووجدانه كان للحديث فيها عن أسماء الله وصفاته نصيب وافر، وقد أشار النبي ﷺ إلى هذه الأسماء وإلى ثمرة الوقوف عليها والإيمان بها واتباع ما تضمنته من مقاصد ومعان، وذلك فيما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»<sup>(3)</sup>، وأسماء الله ﷻ كثيرة، وهي أسماء وأوصاف، فهي أسماء باعتبار دلالتها على ذاته سبحانه، وأوصاف باعتبار ما دلّت عليه من صفات كماله<sup>(4)</sup>، وتتبع آيات سورة البقرة وقفت الباحثة على عدد كبير من الأسماء والصفات التي عرضتها، أذكر بعضها على النحو الآتي:

#### 1. عرض بعض أسماء الله ﷻ الواردة في السورة الكريمة

- اسم الله العليم، وذلك في قوله ﷻ: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (29).

(1) انظر: في ظلال القرآن، قطب، ج1/152.

(2) انظر: التوحيد وبيان العقيدة السلفية النقية، حميد، ص42. سد الذرائع في مسائل العقيدة على ضوء الكتاب والسنة الصحيحة، الجندي، ص229.

(3) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الشروط/ باب ما يجوز من الاشتراط والثنيا في الإقرار، والشروط التي يتعارفها الناس بينهم، وإذا قال: مائة إلا واحدة أو ثنتين، ج3/198، رقم الحديث 2736. صحيح مسلم، مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار/ باب في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها، ج4/2063، رقم الحديث 2677.

(4) رسالة في أسس العقيدة، ابن عودة، ص43.

- اسم الله الحكيم، وقد أثبتته الله ﷻ لنفسه في كتابه العزيز حيث قال: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (32)﴾ .
- الله التواب الرحيم، فقد قال الله ﷻ: ﴿فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (37)﴾ .
- الله البصير، وفي ذلك قال الله ﷻ: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاتِهِ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُرْضَخِيهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (96)﴾ .
- اسم الله القدير، فالله ﷻ يقول في محكم تنزيله: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْتَصُوا وَأَصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (109)﴾ .
- اسم الله العزيز، حيث أثبتته الله ﷻ لنفسه في قوله: ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (129)﴾ .

## 2. عرض بعض صفات الله ﷻ الواردة في السورة الكريمة

- قسم العلماء صفات الله التي وصف بها نفسه في كتابه العزيز أو أثبتتها له نبيه الكريم ﷺ إلى ثلاثة أقسام<sup>(1)</sup>، ذكرت في آيات سورة البقرة كما يأتي:
- أولاً: الصفات الذاتية: ومنها صفة الوجه والتي أثبتتها الله ﷻ لنفسه في قوله: ﴿وَاللَّهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَجْهَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (115)﴾ .
- ثانياً: الصفات المعنوية: ومنها صفتا الإرادة والعلم اللتان وصف الله ﷻ بها نفسه في قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (30)﴾ .
- ثالثاً: الصفات الفعلية: ومنها صفتا الخلق والاستواء اللتان أثبتتهما الله ﷻ لنفسه في قوله: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (29)﴾ .

(1) انظر: معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات، التميمي، ص31.

## المطلب الثاني

### التأكيد على أركان الإيمان

بعد الإيمان بالله وأركانه مقصدًا عقديًا بارزًا من مقاصد السورة الكريمة، فلم يقتصر القرآن المكي عليه وإنما امتدّ تأصيله في القرآن المدني عامّة وفي سورة البقرة خاصّة، فأنت بعض آياتها مؤكّدة على ضرورة الإيمان بالله ﷻ وملائكته المكرّمين وكتبه السماوية ورسله المطهّرين واليوم الآخر والقدر خيره وشره، وقد أشارت الآيات إلى هذه الأركان في مواضع عديدة، أذكر منها:

1. التأكيد على الإيمان بالله: وذلك في قوله ﷻ: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (256)﴾ .
2. الإيمان بالملائكة الكرام: حيث قال الحق ﷻ: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ (98)﴾ .
3. الإيمان بالكتب السماوية: وفي ذلك يقول الحق ﷻ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُوْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (91)﴾ .
4. الإيمان بالرسل: وذلك في قوله ﷻ: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (136)﴾ .
5. الإيمان باليوم الآخر: وجاء ذلك في قوله ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّارِئِينَ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (62)﴾ .
6. الإيمان بالقدر خيره وشره: فقد بين ذلك في قوله ﷻ: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (216)﴾ .

ومن الآيات التي جمعت أغلب أركان الإيمان ما جاء في آية البر حيث قال الحق ﷻ:  
﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ  
وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ ... أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (177)﴾ فيقول الله  
ﷻ مخاطباً أمته المسلمة: إن صفة البر لا تحصل بمجرد استقبال المشرق والمغرب، بل البر  
لا يحصل إلا عند مجموع أمور:

**أحدها:** الإيمان بالله ﷻ وبما له من صفات الكمال وتنزيهه عن صفات النقصان، وأهل الكتاب  
قد أخلوا بذلك، أما اليهود فقالوا بأن عزيزاً ابن الله، وأما النصارى فقالوا بأن المسيح ابن الله.  
**ثانيها:** الإيمان باليوم الآخر، واليهود أخلوا بهذا الإيمان حيث قالوا: ﴿لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ  
كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى ..(111)﴾، وقالوا: ﴿لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً..(80)﴾، والنصارى  
أنكروا المعاد الجسماني، وكل ذلك تكذيب باليوم الآخر.

**ثالثها:** الإيمان بالملائكة، واليهود أخلوا بذلك، حيث أظهروا عداوة جبريل ﷻ.

**رابعها:** الإيمان بكتب الله، واليهود والنصارى قد أخلوا بذلك أيضاً، لأنه مع قيام الدلالة على أن  
القرآن كتاب الله رده، ولم يقبلوه، حيث قال الله ﷻ: ﴿...وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أَسَارَى نَفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ  
عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفْتُوْمُونَ بَعْضُ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ..(85)﴾.

**خامسها:** الإيمان بالنبیین -عليهم السلام-، واليهود أخلوا بذلك حيث قتلوا الأنبياء، وفي ذلك  
قال ﷻ: ﴿...وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ..(61)﴾ وكذلك طعنهم في نبوة محمد ﷺ. (1)

فأولئك الذين اتصفوا بتلك النعوت الجميلة هم من صدقوا في الدين واتباع الحق وتحزروا  
البر، حيث لم تغيرهم الأحوال، ولم تزلزلهم الأهوال، وهم المتقون حقاً بالإيمان والعمل  
الصالح. (2)

بهذا الخطاب تجسدت تلك الوحدة الكبرى بين الرسالات جميعاً، وبين الرسل جميعاً،  
وبرزت قاعدة التصور الإسلامي وهي التي تجعل من الأمة المسلمة، الأمة الوارثة لتراث العقيدة  
القائمة على دين الله في الأرض، الموصولة بهذا الأصل العريق. (3)

(1) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي، ج5/213. محاسن التأويل، القاسمي، ج1/481.

(2) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، ج1/194.

(3) انظر: في ظلال القرآن، قطب، ج1/118.

## المطلب الثالث

### قضايا عقديّة متنوعة في سورة البقرة

لم تقتصر سورة البقرة على إبراز ألوان التوحيد ودلائله الكونية وأركان الإيمان وحسب، وإنما تناولت قضايا عقديّة متنوعة من إيمان بالغيب، وإحياء وإماتة، وثواب وعقاب، وهدى وضلال، وغيرها من الأمور العقديّة التي كانت بذورًا طيبة عُرسّت في حقول الإيمان لتنتبت أشجارًا شامخة وأزهارًا يانعة من السلوك الإنساني الإيجابي، وقد تناولت الباحثة في هذا المبحث جُملة من هذه القضايا العقديّة وعرضت بعض آياتها على النحو الآتي:

#### أولاً: الإيمان بالغيب

قضية الإيمان بالغيب من أولى القضايا العقديّة التي تناولتها سورة البقرة، وهذا الاهتمام العظيم له دلالاته القويّة، فالله ﷻ يقول في مستهلّ السورة الكريمة: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (2) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (3)﴾ ، فالإيمان بالغيب أولى الصفات التي اتصف بها عباد الله المتقين، يقول الزجاج: "ومعنى قوله: ﴿..بِالْغَيْبِ..﴾ ما غاب عنهم مما أخبرهم به النبي ﷺ من أمر الغيب والنشور والقيامة، وكل ما غاب عنهم مما أنبأهم به فهو غيب." (1)

وقد ذكر الإمام ابن عطية الأقوال في معنى قوله: ﴿..بِالْغَيْبِ..﴾ كالآتي:

1. قالت طائفة: معناه يصدّقون إذا غابوا وخلّوا، لا كالمنافقين الذين يؤمنون إذا حضروا ويكفرون إذا غابوا.
2. قال آخرون: معناه يُصدّقون بما غاب عنهم ممّا أخبرت به الشرائع.
3. قالت فرقة من المفسرين: الغيب في هذه الآية هو الله ﷻ.
4. قال آخرون: هو القضاء والقدر.
5. قال آخرون: هو القرآن وما فيه من الغيوب.
6. قال آخرون: هو الحشر والصرط والميزان والجنة والنار.

(1) معاني القرآن، الزجاج، ج1/72.

ويرى القاضي ابن عطية أن هذه الأقوال لا تتعارض، بل يقع الغيب على جميعها<sup>(1)</sup>،  
والباحثة تؤيد هذا الرأي وتوافقه.

ووجه الاهتمام بقضية الإيمان بالغيب أنها باب للتصديق والتسليم بكل ما جاء به رسول  
الله ﷺ، فمن اعتقد بهذا سهّل عليه التصديق بوجود خالقٍ للسّموات والأرض منزّه عن المادّة  
وتوابعها، وإذا وصف له الرسول ﷺ العوالم التي استأثر الله ﷻ بعلمها كعالم الملائكة، أو  
وصف له اليوم الآخر لم يصعب عليه التصديق به بعد أن يستيقن صدق النبي الذي جاء  
به<sup>(2)</sup>، فمن آمن بالغيب وسلّم بما لم تُدرکه حواسه من الماديات حصل له اليقين التام بوحدانِيّة  
الله ﷻ وارتقى إلى مرتبة التسليم والإذعان لأوامر باريه ﷻ وعلى رأسها تكليفه إياه بأن يكون  
مستخلفاً له في أرضه.

### ثانياً: قضية البعث والإحياء والإماتة

من المعلوم لكل متدبر في كتاب الله أن الله ﷻ قد احتجّ على وجوده وقدرته بشتى  
الأساليب والوسائل، فكانت قضية البعث والإحياء والإماتة من أهم القضايا التي برهن الله ﷻ بها  
على أنه وحده الخالق الموجد القادر المتصرف في شؤون عباده، بل كانت هذه القضية حاضرةً  
في كثير من المواطن والقصص المذكورة في سياق السورة الكريمة مما دفع بعض العلماء  
لاعتبارها المحور الرئيس لها، فها هو البقاعي يعتبر مقصود السورة الكريمة إقامة الدليل على أن  
الكتاب هدى لِيُتبع في كل ما قال، وأعظم ما يَهدي إليه الإيمان بالغيب، ومجمعه الإيمان بالآخرة،  
فمداره الإيمان بالبعث الذي أعربت عنه قصة البقرة فلذلك سُميت بها السورة<sup>(3)</sup>، ومن الآيات التي  
تحدثت عن قضية البعث ما جاء في قول الحق ﷻ: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا  
فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (28)﴾ ، فالله ﷻ يتعجب ممن يكفرون به  
وقد عاينوا عظيم قدرته حيث كانوا نطفاً ميتة في أصلاب آبائهم، فأحياهم في الأرحام، ثم أماتهم  
مرة أخرى عند انقضاء آجالهم ثم أحياهم تارة أخرى بالبعث من قبورهم فيُصَيَّرُونَ للجزاء  
والحساب، ولقد جاء العطف الأول بـ(الفاء) والبواقي بـ(ثم) لأن الإحياء الأول قد تعقّب الموت بلا  
تراخٍ، وأما الموت الثاني فقد تراخى عن الحياة الأولى، والحياة الثانية كذلك تتراخى عن الموت إن  
أريد النشور وإن أريد إحياء القبر، والرجوع إلى الجزء أيضاً متراخٍ عن النشور، وقد أنكر الله ﷻ

(1) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، ج1/84. بحر العلوم، السمرقندي، ج1/22-23.

(2) انظر: تفسير المراغي، المراغي، ج1/41.

(3) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج1/55.

اجتماع الكفر مع قصة الإحياء والإماتة لأنها مشتملة على آيات بينات تصرفهم عن الكفر ولأنها تشتمل على نعمٍ جسام حقها أن تُشكر ولا تُكفر. (1)

وكان الله ﷻ في آية واحدة قصيرة يعرض سجل الحياة كلها من مبدئها إلى منتهاها، فيعرض في ومضة صورة البشرية جمعاء في قبضة البارئ ﷻ، ينشلها من الميتة الأولى فيبث فيها الحياة الأولى، ثم يقبضها بيد الموت ويسكنها القبر، ثم يحييها كرة أخرى وإليه مرجعها في الآخرة، فيرتسم بهذا الاستعراض العجيب السريع ظل القدرة القادرة، ويلقي في الحس إحياءاته المؤثرة العميقة. (2)

وقد أشار الحافظ ابن كثير إلى المواضع التي ورد فيها إحياءه ﷻ للموتى في هذه السورة وهي خمسة مواضع (3) كالتالي:

1. في سياق ذكره ﷻ لنعمه التي أنعم بها على بني إسرائيل حيث قال: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (56)﴾.

2. ما جاء في قصة البقرة في قوله ﷻ: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (73)﴾.

3. في قصة الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت حيث قال الحق ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ .. (243)﴾.

4. في قصة الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها وفيها قال الله ﷻ: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ .. (259)﴾.

5. في قصة إبراهيم الخليل ﷺ والطير الأربعة حيث قال الحق ﷻ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى .. (260)﴾.

أضف إلى ذلك أيضاً قصة إبراهيم الخليل ﷻ مع الملك وتحديده في من يحيي ويميت وذلك في قول الله ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي

(1) انظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، ج1/76.

(2) انظر: في ظلال القرآن، قطب، ج1/53.

(3) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج1/303.

وَبِمِثِّ قَالِ أَنَا أُخِي وَأُمِيثُّ..(258)»، وهناك صور أخرى من الإحياء داخلة في المعنى العام من الإحياء مثل: قصة خلق آدم ﷺ وإحيائه من العدم وفي ذلك جاء قول الحق ﷻ: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً..(30)﴾، وكذلك إنجاء بني إسرائيل من الذبح وهو إحياء لهم ولمن بعدهم حيث قال الله ﷻ: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ..(49)﴾، وما جاء من استجابة الله ﷻ لإبراهيم وإسماعيل ﷺ بإحياء مكة وجعلها بلدًا آمنًا حيث قال المولى ﷻ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ..(126)﴾، وكذلك الإشارة إلى الإحياء المعنوي ببعثة محمد ﷺ بالرسالة التي هي إحياء للعالمين من بعد موات قلوبهم بأمراض الجاهلية وذلك في قوله ﷺ: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ (151)﴾.<sup>(1)</sup>

إن ففضية الإحياء والإماتة من آلاء الله الواضحة وآياته الدامغة على أنه وحده المحيي والمميت القادر المقدر، وليس هذا وحسب، وإنما الإيمان بها والتسليم بمقتضياتها يدفع العبد للعمل بعد الإيمان، ويحفز بني آدم على الإعداد لليوم المشهود وعلى حمل أمانة التكليف والاستخلاف على وجه يتباهى به العبد يوم الحساب، فيكون قد أدى الأمانة وبلغ الرسالة وكان خير خليفة وأعظم وارث، فكما أورثه الله الدنيا ووكَّله إدارة شئونها أورثه الجنة خالدًا فيها خلودًا لا يعقبه موت!

### ثالثًا: قضية الثواب والعقاب

كلف الله ﷻ بني آدم بالخلافة في الأرض، ودعاهم لطاعته في أوامره واجتناب نواهيه، ولما كان الله ﷻ أعلم بصنعتة وبمكنون النفس البشرية فقد جعل للمحسنين ثوابًا وللعاصيين عقابًا، فكان الثواب والعقاب من الجزاء المتعلق بأفعال العباد لا بتقدير وجبر من الله ﷻ فهو القائل في كتابه الكريم: ﴿..وَلَا تُجْرُونَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [يس: 54]<sup>(2)</sup>، ولأن سورة البقرة الكريمة أعلنت التكليف الإلهي لبني البشر بالاستخلاف في الأرض واشتملت على دستور التشريع الإسلامي وما يحتويه من توجيهات، فإنها استخدمت أساليب متنوعة من الترغيب والترهيب والثواب والعقاب بالتوازي مع الأوامر والنواهي الإلهية، وهذه المواضع في السورة الكريمة كثيرة مما لا مجال لحصرها، أذكر منها ما يلي:

(1) انظر: محور الوحدة الموضوعية لسورة البقرة، الزومي، ص10.

(2) انظر: أصول الدين، الغزنوي الحنفي، ص174.

1. التحذير من عقاب الله ﷻ والبشارة بجنته: فقد حذر الله ﷻ الشاكين فيما أنزل وذلك في قوله ﷻ: ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (24)﴾ ، وبشر المؤمنين به ﷻ بجنات تجري من تحتها الأنهار وذلك في قوله ﷻ: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَنُوتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (25)﴾ .
2. التوعد بالذلة والمسكنة والخزي في الدنيا والعذاب في الآخرة: فقد توعد الله ﷻ بني إسرائيل بالذلة والمسكنة والغضب الإلهي جراء تجاوزاتهم المتتالية، وذلك في قوله ﷻ: ﴿...وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (61)﴾ ، كما توعد الله ﷻ من آمن ببعض الكتاب وكفر ببعض بالخزي في الدنيا والعذاب في الآخرة، حيث قال الحق ﷻ متوعدًا بني إسرائيل: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (85)﴾ .
3. التهديد بالويل والهلاك للكافرين: فقد هدّد الله ﷻ من يفترون عليه الكذب، وذلك في قوله ﷻ: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَيْسَتْ بِهَا نَمَاتٌ قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ (79)﴾ .
4. الخلود في النار للعاصيين وفي الجنة للمؤمنين: فقد عاقب الله ﷻ العاصيين بالخلود في النار، ووعد المؤمنين بالخلود في الجنة، وذلك في قول المولى ﷻ: ﴿بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (81)﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (82)﴾ .
5. الأجر العظيم والطمأنينة والسعادة: وعدّ الله ﷻ الأمم التي انقادت لأمر الله وآمن وعملت صالحًا بالأجر العظيم والطمأنينة والسعادة، وفي ذلك قال الحق ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِغِينَ وَالصَّارِيَّ وَالصَّابِغِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (62)﴾ ويمثل ذلك وعد من أسلم وانقاد لأمر الله، حيث قال الحق ﷻ: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (112)﴾ .

وبالاستقراء لما تقدّم من الآيات القرآنية التي عرضت ألواناً فاتنة من الثواب وصوراً مرعبة من العقاب الذي أعدّه الله ﷻ لبني البشر يتبين الآتي:

- أن الثواب والعقاب مترتبان على الشرع فعلاً وتركاً لا على القدر<sup>(1)</sup>، فمن عمل صالحاً لا يجزى إلا به، ومن عمل سوءاً لا يجزى إلا به.
- الثواب الإلهي للصالحين لم يكن محصوراً بالجنة ونعيمها، فالله ﷻ يُعِدُّ على عباده المؤمنين بسيل من العطايا في الدنيا قبل الآخرة، فلهم في الدنيا طمأنينة بلا خوف، وسعادة بلا حزن، ولهم في الآخرة أجرٌ عظيم، ومنزلةٌ رفيعة، ونعيمٌ خالدٌ لا ينفذ.
- العقاب الرباني للعاصين لم يقتصر على النار وجحيمها، فهم قد استحقوا بذنوبهم وابلًا من الغضب الإلهي والذلة والمسكنة والخزي والخوف، ينهال عليهم في الدنيا قبل الخلود في النار حيث لا مفرّ.

وقول الله ﷻ: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلكُمْ مَا كَسَبْتُمْ.. (134)﴾ بروي

الرواية ويختصر الحكاية في إشارة مباشرة إلى أن من اهتدى بهدي الله واقتبس من نوره ﷻ من الأمم السابقة الفاضلة له ما كسب من خير فيكون عند الله جزاؤه، وفي اليوم الآخر حسابه، وأنتم يا عباد الله إن عملتم مثل عملهم، واتبعتم هديهم وأخذتم بوصيتهم وكانت لكم شعاراً ودثاراً تتحلون به فلکم أجرکم، أما إن تجانفتم لإثم وخالفتم الوصية فعليكم إثم ما تفعلون.<sup>(2)</sup>

فقضية الثواب والعقاب من مقتضيات عدل الله وحكمته، فأعطاء الله ﷻ لكل ذي حق حقه، وتقريبه بين الخبيث والطيب، والمحسن والمسيء إنما شرعه حتى لا يكون من كفر بالله وعصاه كمن عبده وأطاعه، لهذا فإنّ الله ﷻ جعل يوم القيامة لينال فيه كل إنسان جزاء عمله من الثواب والعقاب، ف ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِيْنَةٌ﴾ [المدثر: 38]<sup>(3)</sup>، فشمّر يا عبد الله فعلى قدر أهل العزم تأتي العزائم، ولترنو نفسك لما أعدّ الله لك من جميل ثوابه إن كنت خليفته بحق، واحذر أن تتولّى وتتوانى، فالخياران مفتوحان ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ [المدثر: 37].

(1) انظر: معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، الحكمي، ج3/953.

(2) انظر: زهرة التفاسير، أبو زهرة، ج1/420.

(3) انظر: منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام، الرحيلي، ج2/578.

## رابعًا: قضية الهدى والضلال

لا يكتمل إيمان المؤمن إلا باعتقاده أن الهدى والضلال بيد الله وحده، فبيده ﷻ الهداية والإضلال والإشقاء والإسعاد، فهدايته العبد وإسعاده فضل ورحمة، وإضلاله وإبعاده عدل منه وحكمة، وهو أعلم بمواقع فضله وعدله، وهو أعلم بمن هو محل الهداية فيهديه، ومن هو محل الإضلال فيضله، فجميع أفعاله ﷻ من هدايته من يشاء وإضلاله من يشاء إنما هو مقتضى حكمته وموجب ربوبيته<sup>(1)</sup>، وقد ورد في سورة البقرة جملة من المواضع التي تتسبب الهداية والإضلال إلى الله ﷻ فدلّ جميع ذلك على قدرة الله ﷻ على هداية الخلق أجمعين، وأنه سبحانه إنما لم يَهْدِ الأشقياء لحكمةٍ بالغةٍ وإن لم تتركها العقول<sup>(2)</sup>، ومن هذه الآيات ما جاء في قول الحق ﷻ:

1. ﴿أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًىٰ مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (5)﴾ .
2. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةٌ فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ (26)﴾ .
3. ﴿قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (142)﴾ .
4. ﴿.. فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (213)﴾ .
5. ﴿.. قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (258)﴾ .
6. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (264)﴾ .
7. ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ.. (272)﴾ .

(1) انظر: معارج القبول بشرح سلم الوصول، الحكمي، ج1/224-225.

(2) انظر: العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، القاسمي، ج5/276.

ومما جاء عن رسول الله ﷺ مؤيداً لهذه الآيات ما رُوي عن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ، يُصْرِفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ»<sup>(1)</sup>، لكن كل ما تقدّم لا ينفي حرية الإنسان، ولا يعني أنّ الإنسان مجبر على الأفعال<sup>(2)</sup>، فالله ﷻ إنما يهدي من كان أهلاً للهداية، ويضل من كان أهلاً للضلالة، وهذا المعنى واضح في جميع الآيات السابقة، فمثلاً قول الله ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ (26)﴾ يؤكد أن الناس من حيث الأفعال انقسموا إلى فريقين، فريق المؤمنين الذين أقبلوا على تدبر الأمثال التي ضربها الله ﷻ لعباده وتلقوها بقلب سليم حقاً لأنها وحي الله الذي لا يمكن أن يصدر عنه إلا الحق والحكمة، وفريق الكافرين الذين أعرضوا عن فهم الأمثال الإلهية وضلّوا عن الاستجابة للهدايات الربانية فتمحلّوا وتساءلوا وجحدوا، وإن الله ﷻ ليهدى بالأمثال القرآنية كثيرين ويضل كثيرين، غير أن الذين يضلّون بها هم الفاسقون المتمردون سيئو النية خبثاء الطويّة<sup>(3)</sup>، وهذا يبين أن إضلال الله ﷻ لمن ضلّ إنما هو بسبب من العبد نفسه، فلا يصحّ أن يتخذ العبد هذه الآيات ذريعة للتمادي في الغي والضللال معلاً ذلك بنسبته لله ﷻ فالهدى كالرزق كلاهما مقرونان بالعباد، فكما يسعى العبد لتحصيل أسباب الرزق بشئى السبيل، وجب عليه اتخاذ جميع الأسباب ليسلك سبيل الهداية ويتجنّب سبيل الضلال<sup>(4)</sup>، وبذلك كُلف بنو البشر وقامت به الحجة عليهم لعدة أسباب منها:

أولاً: كون الله ﷻ قد أعطى المكلفين عقولاً يميزون فيها بين الخير والشر، وبين الهدى والضللال، وبين الحسن والقبيح.

ثانياً: أن الله ﷻ أقام الحجّة على العباد بإرسال الرسل، وإنزال الكتب، وتبيين الشرائع التي فيها الأوامر والنواهي والحلال والحرام، وبيّن فيها كيف يُعبد الله، وفيها الوعد والوعيد، ثم بعد ذلك أقدر الله ﷻ الإنسان على فعل الخير وأمره به، ووعده عليه وعداً حسناً، وأقدره على فعل الشر، ونهاه عنه، وتوعّده عليه.

(1) صحيح مسلم، مسلم، كتاب القدر/ باب تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء، ج4/2045، رقم الحديث 2654.

(2) انظر: القضايا العقدية في سورة البقرة، الملفوح، ص254.

(3) انظر: التفسير الحديث، دروزة، ج6/148.

(4) انظر: رسالة في القضاء والقدر، ابن عثيمين، ص15-16.

ثالثاً: أن كل عاقل يُدرك هذه الأمور ويعرف أنه يستطيع أن يفعل الخير، ويستطيع أن يفعل الشر، فلذلك قال الله ﷻ: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان:3]، وأما المشيئة المقصودة من قوله ﷻ: ﴿..فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ..﴾ [الكهف:29] إنما هي المشيئة التي تتعلق بأفعال العباد، لا المشيئة التي تتعدى إلى أفعال الله ﷻ. (1)

"إن الهدى والضلال هما لب أبواب القدر، وما يتعلّق به من المسائل، فإن أعظم نعمة يقدرها الله ﷻ للعبد هي نعمة الهداية، وأعظم مصيبة يُصاب بها الإنسان هي مصيبة الضلال، وكل ما بالإنسان من نعمة هي دون نعمة الهداية، وكل مصيبة مهما كَبُرَتْ وَعَظُمَتْ فهي دون مصيبة الضلال" (2)، ولو لم يكن للإنسان إرادة في الهدى والضلال لما كان لمهمة استخلافه في الأرض منطلق أو ضرورة، ولما حرص العباد على أن يكون لهم للجنة سبق ولا من النار مفر، ولما كان لشرائع الله وأوامره ونواهيه فائدة، ولما كانت الاستجابة للعبودية هي المقصد والمراد من خلق الإنسان واستخلافه على هذه البسيطة.

#### • علاقة المبحث بوحدة موضوع السورة:

جاءت سورة البقرة الكريمة مشتملة على دستور متكامل، ومهمة واضحة كلف الله ﷻ بها عباده، فأعلنت تكليفهم بالاستخلاف في الأرض، لكنها أيضاً وضعت لهم قواعد وأسس لا بدّ من التأكيد عليها قبل الانطلاق في مهمة الاستخلاف.

فأنت أيها الإنسان المكلف وإن كُرمت بهذه المهمة إلا أنك عبد فقير، كنت ولا زلت بحاجة لربّ كريم معبود، ربّ واحد جلّ في علاه، فهنا كان التأكيد على العقيدة، التي تمثل الأرض الصلبة التي يجب أن ينطلق منها العبد، فالعقيدة الراسخة والتوحيد الخالص والإيمان الكامل بالله وبربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته كلّ هذا هو الأساس الذي تبنى عليه مهمة الاستخلاف في الأرض.

فتجد السورة الكريمة تؤكد بين الفينة والأخرى على توحيد الله وتعرض دلائل ألوهيته وربوبيته، وأسمائه وصفاته، لأن هذا التوحيد هو السبيل الأمثل لأداء مهمة الاستخلاف، وكذلك العديد من القضايا العقدية التي عرضتها السورة الكريمة كالإيمان بالغيب، وقضية البعث، والثواب والعقاب، والهدى والضلال، وغيرها من أمور العقيدة التي تبني الفكر، وترسي المبادئ، وتضبط حدود التكليف، فلا يغتر العبد المكلف بنفسه، ولا يتسلّط أو يتكبّر، ولا يفرط أو يضيع، بل يعلم يقيناً أنه مؤقت، مؤقت لحين تخرج الروح لباريها فينقضي زمان تكليفه، ليلقى ربه وباريه فيحاسبه ويجازيه.

(1) انظر: شرح لمعة الاعتقاد، العقل، ج4/17.

(2) مباحث العقيدة في سورة الزمر، الشيخ، ص530.

## المبحث الثاني

### عرض بعض الشرائع التعبدية في السورة وعلاقتها بوحدة موضوعها

بعد أن غرس الخطاب القرآني بذور العقيدة في نفوس المؤمنين كما بيّناه في المبحث السابق، أتى ليسقيها بغيث الشريعة، وبعد الحرث يأتي الزرع، وبعد إرساء الأساس، تكون إقامة البنيان؛ نعم، لقد تم "إصلاح العقيدة" التي هي روح الدين وجوهره؛ فبدأ بـ "تفصيل الشريعة" التي هي مظهر الدين وهيكله<sup>(1)</sup>، ولا عجب في ذلك فمن المعلوم أن من سمات القرآن المدني بيان جزئيات التشريع وتفاصيل الأحكام العملية في العبادات كأحكام الصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، وغيرها.<sup>(2)</sup>

وهذا التفصيل لشرائع الإسلام قد احتلّ مساحة واسعة من الجزء الثاني من السورة الكريمة، وإن كان له إشارات موجزة في الجزء الأول من السورة، وإنما جاء هذا التفصيل والبيان للتأكيد على أنّ مَنْ سِيُتَخَلَّفَ على الأرض لا بدّ له من منهج ليسيّر عليه، فأتى بيانه على هيئة مجموعة من الأوامر والنواهي الشاملة لكل نواحي الإصلاح في الفرد والمجتمع، وبالتأمل في هذه التفصيلات يتبيّن أن أركان الإسلام الخمسة لم تأت مفصلة ومجموعة في أي سورة من سور القرآن الكريم كما في سورة البقرة، فأحكام الصيام لم ترد إلا في سورة البقرة، وأحكام الحج لم تفصل إلا في سورة البقرة وكذلك أحكام الإنفاق، ولهذا دلالة واضحة على مقصد السورة الكريمة وهو عرض دستور الأمة المستخلفة وبيان مناهجها القويم.

وستتبع الباحثة في هذا المبحث مواطن ذكر الشرائع التعبدية التي بسطتها السورة الكريمة، محاولة الوقوف على مناسباتها وارتباطها بمحور السورة، دون التوسع في الأحكام الفقهية الخاصة بها مراعاةً لموضوع البحث ودفعاً للإطالة، وهذا التفصيل على النحو الآتي:

(1) انظر: النبأ العظيم، دراز، ص 258.

(2) انظر: علوم القرآن الكريم، عتر، ص 65. الواضح في علوم القرآن، البغا، مستو، ص 66.

## المطلب الأول

### عرض بعض أحكام الصلاة وتحويل القبلة

لا تزال الصلاة باعتبارها ركن من أركان الإسلام حاضرة في جنبات السورة الكريمة من مبدئها إلى منتهاها، وإن كان الحديث عنها قد تنوّع ما بين الإشارة الصريحة للصلاة كفريضة، والحديث عن أماكن العبادة وفضل بيت الله الحرام وحرمة السعي في خراب مساجد الله والحديث المطول عن تحويل قبلة المسلمين.

#### أولاً: عرض بعض أحكام الصلاة

حصرت الباحثة المواضيع التي تناولت بعض أحكام الصلاة وتعرضت لها بالتفسير الإجمالي مع التركيز على علاقتها بوحدة موضوع السورة، وذلك كما يأتي<sup>(1)</sup>:

1. بعد أن استهل المولى ﷺ السورة الكريمة ببيان فائق صدق الكتاب، وأنه لا ريب فيه هدى، وأعقب هذا الاستهلال ببيان أشد الناس انتفاعاً منه وهم المتقون وصفهم بمجامع الأعمال تعريفاً لهم، وذكر صلّتهم بخالقهم في قوله ﷻ: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ..﴾ أي: التي هي حضرة المراقبة وأفضل أعمال البدن بالمحافظة عليها وبحفظها في ذاتها وجميع أحوالها<sup>(2)</sup>، وأغلب مواضع ذكر الصلاة جاءت مقرونة بـ "الإقامة" تنبيهاً على أنه لم يرد إيقاعها فقط، بل أراد توفية حدودها وإدامتها، ولهذا لم يأمر بالصلاة ولم يمدح بها إلا بلفظ الإقامة<sup>(3)</sup>.

وقد جاءت الإشارة إلى إقامة الصلاة في مستهل السورة الكريمة لأن الصلاة على النحو الذي شرعه الإسلام من أفضل ما يعبر عن الشعور بعظمة المعبود وشديد الحاجة إليه لو أقيمت على وجهها، ولما لها من أثر في تهذيب النفوس والسمو بها إلى الملكوت الأعلى لذلك كانت من أولى صفات المتقين المنتفعين بهدي القرآن<sup>(4)</sup>.

2. بعد قرابة أربعين آية جاء ذكر الصلاة في سياق الخطاب القرآني لبني إسرائيل حيث أمرهم الحق ﷻ بها في قوله: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ..(43)﴾، أي: صلاة المسلمين المفروضة، وأكد

(1) انظر: الصلاة في القرآن الكريم، ظافر، ص 446 وما بعدها.

(2) انظر: نظم الدرر، البقاعي، ج 1/82.

(3) انظر: تفسير الراغب الأصفهاني، الأصفهاني، ج 1/81.

(4) انظر: تفسير المراغي، المراغي، ج 1/42.

على الأمر بها في نفس الآية الكريمة بقوله ﷺ: ﴿وَأَرْكَعُوا مَعَ الرَّائِعِينَ (43)﴾ أي: في جماعتهم فإن صلاة الجماعة تفضل على صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة لما فيها من تظاهر النفوس في المناجاة، وعبر عن الصلاة بالركوع احترازاً عن صلاة اليهود، وقيل المراد: الخضوع والانقياد لما يلزمهم الشارع<sup>(1)</sup>، وعلى المعنيين فهو توجيه خاص لبني إسرائيل بالإذعان لله ﷻ بقبول الإسلام والدخول فيه كسائر المسلمين.<sup>(2)</sup>

3. في نفس السياق أكد الحق ﷻ على أهمية الصلاة، وذلك في قوله ﷻ: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ (45)﴾، وقد قيل إن المخاطبين بهذا هم المؤمنون، وقيل: اليهود لما عاقبهم الشره وحب الرياسة عن الإيمان فأمروا بالصلاة لأنها تورث الخشوع وتنفي الكبر<sup>(3)</sup>، والمراد هنا: "استعينوا بحبس أنفسكم عن الشهوات وقصرها على الطاعات على دفع ما يرد عليكم من المكروهات."<sup>(4)</sup>

4. تكرر الأمر بإقامة الصلاة في سياق التوجيهات القرآنية لبني إسرائيل، وذلك في معرض تذكيرهم بما أمرهم الله ﷻ به من الأوامر، وأخذ ميثاقهم على ذلك، وأنهم تولوا عن ذلك كله، وأعرضوا قصداً وعمداً، وهم يعرفونه ويذكرونه، وذلك في قوله ﷻ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهََ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ .. (83)﴾، حيث أكد على أمرهم بعبادته ﷻ بالأمر بإقامة الصلاة لأنها أعظم ما يعبد به الخالق ﷻ.<sup>(5)</sup>

5. جاء الأمر التالي بإقامة الصلاة في سياق تحذير المؤمنين من أن يستمعوا إلى ما يلقاهم به اليهود عند وقوع أمر تحويل القبلة إلى المسجد الحرام من تلبيسات وتلفيقات وأكاذيب، وفي ذلك يقول المولى ﷻ: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ .. (109)﴾ فأرشد المسلمين إلى وسائل تحقيق النصر والثبات على الحق في قوله ﷻ: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهََ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (110)﴾ فهو تنبيه للمسلمين

(1) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، ج1/97.

(2) انظر: أيسر التفاسير، الجزائري، ج1/49.

(3) انظر: فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق خان، ج1/158.

(4) فتح القدير، الشوكاني، ج1/92.

(5) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج1/316-317.

أن يمضوا إلى ما أمرهم الله ﷻ به، وأن يستقيموا على قبلتهم التي وجههم الله إليها، غير ملتفتين إلى تخرّصات المتخرّصين وضلالات الضالّين، مستعينين على ذلك بإقامة الصلاة التي فيها غذاء الروح ونقاء الصدر.<sup>(1)</sup>

6. استطرد الحق ﷻ في خضم ذكره مساوئ اليهود والنصارى والمشرّكين ببيان شناعة فعلهم بانتهاكهم حرّات مساجد الله، وذلك في قوله ﷻ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (114)﴾ "فلا أحد أظلم ممن حال بين المساجد وبين أن يُعبد فيها الله، وعمل في خرابها بالهدم كما فعل الرومان وغيرهم ببيت المقدس، أو بتعطيلها عن العبادة كما فعل كفار قريش، فهو مفرط في الظلم بالغ فيه أقصى غاية."<sup>(2)</sup>

7. بعد أن حدّر المولى ﷻ من جرم وشناعة فعل من سعى في خراب مساجد الله من المشركين وغيرهم، ذكرهم بعظيم شأن بيته الحرام ومكانته السامية، وذلك في قوله ﷻ: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (125)﴾ فامتّن عليهم بجعل البيت مثابة للناس وأمنًا بأن جعله مرجعًا للناس يقصدونه، ومآبًا يثوبون إليه للعبادة وقت الحج وغيره، وفي ذلك تنشيط لحركة التجارة والاقتصاد وجلب الخير، ومنها جعله مأمّنًا يطمئن إليه الأفراد من المخاوف، فمن دخله كان آمنًا، ثم أمر الله ﷻ المسلمين أن يتخذوا من مقام إبراهيم مصلى، بأن يفضّلوه على غيره في الصلاة، لشرفه بقيام إبراهيم عليه السلام فيه<sup>(3)</sup>، وإنما جاء هذا الحديث للردّ على ادّعاءات اليهود والنصارى والمشرّكين جميعًا حول النسب الذي يدعون انتسابهم إليه وهو ملة إبراهيم عليه السلام ونسبه إلى عقيدة المسلمين.<sup>(4)</sup>

8. ثم جاء الجزء الثاني بعد الحديث الموسّع عن المسجد الحرام وبنائه وعمارته، وما أحاط به من ملابسات والجدل مع أهل الكتاب والمشرّكين حول إبراهيم عليه السلام وبنيه ودينه وقبلته وعهده ووصيته، فكان هذا الحديث الذي سلف في هذه السورة خير تمهيد للحديث عن تحويل قبلة المسلمين من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام بعد هذه الفترة، وهذا الحديث

(1) انظر: التفسير القرآني للقرآن، الخطيب، ج1/130.

(2) التفسير الوسيط، طنطاوي، ج1/254.

(3) انظر: التفسير المنير، الزحيلي، ج1/304.

(4) انظر: تيسير التفسير، القطان، ج1/67.

جاء فيما يزيد عن عشر آيات<sup>(1)</sup>، فالأمة المسلمة هي الوارثة لعهد الله مع إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ولفضل الله عليهما فطبيعي إذن ومنطقي أن تراث بيت الله في مكة، وأن تتخذ منه قبلة<sup>(2)</sup>، وستتناول الباحثة هذا الحدث البالغ الأهمية بشيء من التفصيل بعد نتيج باقي مواطن ذكر الصلاة في السورة الكريمة.

9. أراد الله جل جلاله أن يبين للناس كافة أن مجرد التوجه نحو قبلة معينة ليس من جوهر الدين، وليس هو البر المقصود، وذلك في قوله صلى الله عليه وسلم: ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (177)﴾ والبر اسم جامع لكل ألوان الخير، فليس البر في الاتجاه جهة المشرق والمغرب، إنما هو إيمان بالله ورسوله مقرون بالعمل الصالح، وعلى رأس الأعمال الصالحة ما يدل على علاقة العبد بربه كإقامة الصلاة تامة الأركان والشروط مع الخشوع واستحضار القلب، فهؤلاء الموصوفون بمجامع الخير هم الصادقون في إيمانهم، المتقون عذاب الله، الفائزون بثوابه وجنته ورضوانه.<sup>(3)</sup>

10. وأنت تنتسم عقب التشريع الإسلامي في عرضه للأحكام التي تنظم حياة الفرد والأسرة في السورة الكريمة يستوقفك قوله صلى الله عليه وسلم: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ (238) فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ (239)﴾ حيث سبقت هاتين الآيتين آيات في الأحكام بعضها في العبادات وبعضها في المعاملات وكان آخرها ما بينه من السبيل القويم في معاملة الأزواج في قوله صلى الله عليه وسلم: ﴿وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (237)﴾، وقد جرت سنة القرآن الكريم أن يأتي عقب الأحكام التشريعية الأمر بتقوى الله، والتذكير بعلمه بحال عباده، وما أعد لهم من جزاء على العمل، حتى يقوى الوازع الديني في النفوس ويحقرها على الإخلاص فيه، لكن

(1) انظر: الآيات من (142-153).

(2) انظر: في ظلال القرآن، قطب، ج1/127.

(3) انظر: التفسير الوسيط، الزحيلي، ج1/82-83.

النفوس قد تغفل عن هذا التذكير بانهماكها في مشاغل الحياة وملذاتها، فتعيد عن جادة الهدى، وتتفرق بها السبل، ومن ثم كانت في حاجة إلى مذكّر يرقى بها إلى العالم الروحي، ويوجّهها إلى مراقبة من برأها وفطرها، ذلك المذكّر هو الصلاة التي تنهى عن الفحشاء والمنكر، وتتفى الجزع والهلع عند المصائب، وتعلم البخيل الكرم والجود، لهذا أردف هذه الأحكام بطلب الصلاة والمحافظة عليها وأدائها على وجهها بإخبات وقنوت لتحدث في النفس آثارها.(1)

11. لم تنته رحلة التذكير القرآني بالصلاة والحث عليها، ففي ثنايا الوصف الرباني لأحوال الذين يأكلون الربا في الدنيا والآخرة، جاء التذكير بصفوة الله من عباده وذلك في قوله ﷺ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (277)﴾ فذكر سبحانه ذلك الصنف الفاضل فوصفه بأربع صفات، هي: الإيمان والعمل الصالح وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة. والوصف الثالث: إقامة الصلاة، هو الإتيان بها مقومة غير معوجة بحيث يستذكر فيها المصلّي ربه، ولا يسهو فيها عن ذكره ﷻ، وما ذكرت الصلاة في مقام المدح للمصلين إلا ذكرت بالإقامة، لأن إقامتها هي التي تُهدّب النفس، وتُبْعِدُها عن الفواحش والمنكرات، وكذلك ذكر الصلاة بجوار العمل الصالح فيه إشارة إلى أن الإسلام يلتقى فيه وصفان جليان: التهذيب الروحي، والنزاهة النفسية التي تكون بالصلاة والمداومة على الطاعة.(2)

وبعد هذه الرحلة الروحانية في آيات الصلاة التي ورد ذكرها في سورة البقرة يبدو لنا جلياً العلاقة بين هذه العبادة ووحدة موضوع السورة، فالصلاة من أعظم العبادات في الإسلام حيث تتجسد فيها كل معاني التذلل والخضوع لله رب العالمين، فهي التطبيق العملي للإيمان حيث برهنت على الإيمان بالجنان والوجدان بالاتباع بالجوارح والأركان، وهذا يُظهر الاستجابة لعبودية الله في أجمل صورها وأبهى حُلّها.

### تحويل القبلة "اختبار الطاعة"

عرضت الآيات الكريمة قضية تحويل القبلة وفصلت القول فيها لما لها من أهمية بارزة في تحديد مسار الجماعة المسلمة، وقد احتلت قرابة ربع الحزب الثالث من السورة الكريمة، وفي ذلك قال الحق ﷻ: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ

(1) انظر: تفسير المراغي، المراغي، ج1/200-201.

(2) انظر: زهرة التفاسير، أبو زهرة، ج2/1052-1053.

الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (142) وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُءُوفٌ رَحِيمٌ (143) قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ (144) وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنْ ائْتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ (145) الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (146) الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (147) وَلِكُلِّ وُجْهَةٍ هُوَ مُوَلِّيَهَا فَاسْتَبَيِّقُوا الْخَيْرَاتِ آيِنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ 148 وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (149) وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلَا تَمِ نِعْمِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (150)﴾.

أما ما جاء في سبب نزول هذه الآيات فهو ما ورد في الصحيحين عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى نحو بيت المقدس، سنة عشر أو سبعة عشر شهرا، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب أن يوجه إلى الكعبة، فأنزل الله: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ..(144)﴾ فتوجه نحو الكعبة"، وقال السفهاء من الناس وهم اليهود: ﴿..مَا وَلَاهُمْ عَنْ قِبَلَتِهِمْ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا..(142)﴾، حيث فقال الله صلى الله عليه وسلم: ﴿..قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (142)﴾، فصلّى مع النبي صلى الله عليه وسلم رجل، ثم خرج بعد ما صلى، فمرّ على قوم من الأنصار في صلاة العصر نحو بيت المقدس، فقال: هو يشهد: أنه صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه توجه نحو الكعبة، فتحزّف القوم حتى توجهوا نحو الكعبة.<sup>(1)</sup>

وقد تناولت الآيات الكريمة الحكمة من تحويل القبلة وبيان مقصد التشريع الرباني منها، فقد كان صرّف المسلمين إلى الكعبة ممّا حصلت فيه فتنة كبيرة، أشاعها أعداء الإسلام وأكثروا

(1) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الصلاة/ باب التوجه نحو القبلة حيث كان، ج/1/88، رقم الحديث 399. وصحيح مسلم، مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة/ باب تحويل القبلة من القدس إلى الكعبة، ج/1/375، رقم الحديث 527. أسباب النزول، الواحدي، ص42.

فيها من الكلام والشبه، فلهذا بسطها الله ﷻ وبينها أكمل بيان، وأكدها بأنواع من التأكيدات، التي تضمنتها هذه الآيات<sup>(1)</sup> وتجسدت الحكمة الإلهية من هذا التحويل فيما يلي:

أولاً: تمييز الأمة الإسلامية عن غيرها: وفي ذلك يقول الحق ﷻ: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا..(143)﴾، ففي هذه الآية الكريمة جاء الأمر بتحويل القبلة للتمييز عن الآخرين في اتجاه القبلة، أي: كما هديناكم إلى الصراط المستقيم وهو دين الإسلام، وحولناكم إلى قبلة إبراهيم ﷺ واخترناها لكم، جعلنا المسلمين خيارًا عدولاً، فهم خيار الأمم والوسط في الأمور كلها بلا إفراط ولا تفريط، ولا غلو ولا تقصير، فهم ليسوا بالماديين كاليهود والمشركين، ولا بالروحانيين كالنصارى، وإنما جمعوا بين الحقيين: حقّ الجسد وحقّ الروح، ولم يهملوا أي جانب منهما، تمشياً مع الفطرة الإنسانية القائمة على أن الإنسان جسدٌ وروح، فبرزت وسطية تميّزهم بأسمى أشكالها<sup>(2)</sup>، ثم أكد على هذا التمييز بأمره نبيه ﷺ: ﴿قَوْلَ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ..(144)﴾.

ثانياً: تمحيص واختبار الأمة الإسلامية: وذلك في قوله ﷻ: ﴿..وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَعُوفٌ رَحِيمٌ (143)﴾ فقد كان العرب يعظمون البيت الحرام في جاهليتهم، ويعدونه عنوان مجدهم القومي، ولما كان الإسلام يريد استخلاص القلوب لله وتجريدها من التعلق بغيره، وتخليصها من كل نعمة وكل عصبية لغير المنهج الإسلامي المرتبط بالله مباشرة، نزعهم نزاعاً من الاتجاه إلى البيت الحرام، واختار لهم الاتجاه - فترة - إلى المسجد الأقصى، ليخلص نفوسهم من رواسب الجاهلية، ومن كل ما كانت تتعلق به، وليظهر من يتبع الرسول اتباعاً مجرداً خالصاً من كل هوى نفسٍ أو شهوة سُلطة، ممن ينقلب على عقبيه اعتزازاً بنعمة جاهلية أو عصبية مجد موروث، حتى إذا استسلم المسلمون إلى أمر الله ونجحوا في اختبار الطاعة وخلّصت نفوسهم لله أتى أمره ﷻ إلى نبيه الكريم ﷺ بتحويل القبلة إلى المسجد الحرام الذي تهوي إليه أفئدتهم.<sup>(3)</sup>

ثالثاً: استجابة لرغبة الرسول الكريم ﷺ: وذلك أن النبي ﷺ قال لجبريل ﷺ: "وددت أن الله صرفني عن قبلة اليهود إلى غيرها - وكان يريد الكعبة- لأنها قبلة إبراهيم ﷻ، فقال له جبريل

(1) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص73.

(2) انظر: التفسير المنير، الزحيلي، ج2/8-9.

(3) انظر: في ظلال القرآن، قطب، ج1/126.

ﷺ: إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ مِثْلَكَ لَا أَمْلِكُ شَيْئًا فَسَلْ رَبَّكَ أَنْ يَحْوِلَكَ عَنْهَا إِلَى قِبْلَةِ إِبْرَاهِيمَ، ثُمَّ ارْتَفَعَ جَبْرِيلُ ﷺ، وَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدِيمَ النَّظَرِ إِلَى السَّمَاءِ رَجَاءً أَنْ يَأْتِيَهُ جَبْرِيلُ ﷺ بِمَا سَأَلَهُ فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ..(144)﴾. (1)

وفي سبب محبته ﷺ التوجه إلى المسجد الحرام وترك التوجه إلى بيت المقدس وجوه:

1- "مخالفة لليهود حيث كانوا يقولون: يخالفنا محمد ثم يتبع قبلتنا ولولا نحن لم يدر أين يستقبل.

2- أن الكعبة المشرفة كانت قبله أبيه إبراهيم خليل الرحمن ﷺ.

3- أنه ﷺ كان يرغب في تحويل القبلة استمالةً للعرب لدخولهم في الإسلام.

4- منشأ الرسول ﷺ في البلد الأمين وفيه المسجد الحرام الذي هو قبله المساجد فأحب أن يكون هذا الشرف للمسجد الذي في بلده ومنشئه. (2)

رابعًا: التنصل من بدع اليهود وضلالاتهم: فالله ﷻ يحذر رسوله ﷺ أن يتبع أهواء اليهود فيوافقهم على بدعهم وضلالاتهم بعد الذي أعطاه من العلم وهداه إليه من الحق في أمر القبلة وغيره، وفي ذلك يقول الحق ﷻ: ﴿وَلَمَّا آتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَمَّا اتَّبَعْتُمْ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ (145)﴾، فيخبره ﷻ بحقيقة ثابتة وهي أنه ﷺ لو أتى اليهود والنصارى بكل آية تدل على صدقه أو حقيقة القبلة إلى الكعبة ما كانوا ليتابعوه على ذلك، كما أن النصارى لم يكونوا ليصلوا إلى بيت المقدس قبله اليهود، ولا اليهود ليصلوا إلى مطلع الشمس قبله النصارى، كما أن النبي ﷺ والمؤمنين لم يكونوا أبدًا ليتابعوا أهل الكتاب على قبلتهم بعد أن هداهم الله ﷻ إلى أفضل قبله وأحبها إليهم، وحاشاه ﷺ أن يفعل، ولو فعل لكان من الظالمين (3)، فالمراد "أنه لا ينبغي لأحد من أتباعك المؤمنين أن يفكر في اتباع أهواء القوم استمالةً لهم، فإن الحق قوي بذاته، فمن عدل عنه وجارى أهل الأهواء، رجاء منفعة أو انتقاء مضرة فهو ظالم لنفسه. (4)

(1) أسباب النزول، الواحدي، ص43.

(2) روائع البيان في تفسير آيات الأحكام، ج1/122-123.

(3) انظر: أيسر التفاسير، الجزائري، ج1/128.

(4) تفسير المراغي، المراغي، ج1/12.

**خامسًا: التأكيد على صدق الوحي النبوة:** فالمولى جلّ وعلا أخبر عمّا سيقوله السفهاء من اليهود قبل تحويل القبلة، والإخبار فيه معجزة لرسول الله ﷺ تدلّ على صدق ما جاء به، لأنه إخبار عن أمرٍ مَغيب، كما فيه الجواب القاطع لحجّة الخصم العنيد<sup>(1)</sup>، ولو كان الأمر يعود إليه لولّى وجهه شطر البيت الذي يحبه ويهواه، لكنه نبيّ كريم يتّبّع ما أوحى إليه من ربه وإن خالف هواه ورغبته عليه صلوات ربي وسلامه.

**سادسًا: الرد على شبهات اليهود وادعاءاتهم:** فواقعة تحويل القبلة أولى الوقائع التي ظهر النسخ فيها في شرعنا، فكثرت حولها ادعاءات أعداء الإسلام، وقد قيل أن المراد بالناس في قوله ﷺ: ﴿لَقَلَّ يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ..(150)﴾ أهل الكتاب، وقيل: هو على العموم، وقيل: هم قريش واليهود، فأما قريش فقالوا: رجع محمد إلى الكعبة لأنه علم أنها الحق وأنها قبلة أبيه وسيرجع إلى ديننا كما رجع إلى قبلتنا، وقالت اليهود: لم ينصرف محمد عن بيت المقدس مع علمه أنه حق إلا أنه يعمل برأيه<sup>(2)</sup>، "وعلى أية حال فقد كان التوجه إلى بيت المقدس - وهو قبلة أهل الكتاب من اليهود والنصارى - سببًا في اتخاذ اليهود إياه ذريعة للاستكبار عن الدخول في الإسلام، إذ أطلقوا في المدينة ألسنتهم بالقول بأن اتجاه محمد ومن معه إلى قبلتهم في الصلاة دليل على أن دينهم هو الدين، وقبلتهم هي القبلة وأنهم هم الأصل، فأولى بمحمد ومن معه أن يفيئوا إلى دينهم لا أن يدعوهم إلى الدخول في الإسلام!"<sup>(3)</sup>، لهذا جاء الأمر بتحويل القبلة ليقدم كل شبهاتهم وادعاءاتهم ولإثبات تفرد هذا الدين بالقبلة والوجهة وتمييزه عن سائر الأمم.

**سابعًا: إتمام النعمة على أمة الإسلام:** فقد أكّدت الآيات على أن الحكمة الإلهية لتحويل القبلة هي إظهار تمام نعمة الله على أمة الإسلام، وفي ذلك يقول الحق ﷻ: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِقَلَّ يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَحْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلَا تَمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ..(150)﴾ فتحويل القبلة نعمة تامة باختيار أكمل الشرائع لكم واتباعكم ملة إبراهيم ﷺ، فقد أتمّ الله ﷻ نعمته عليكم بجعل بيته الحرام قبلة لكم، وإرساله رسول منكم يتلو عليكم القرآن الكريم بلسان عربي مبين.<sup>(4)</sup>

(1) انظر: روائع البيان في تفسير آيات الأحكام، الصابوني، ج1/118.

(2) انظر: لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، ج1/91.

(3) في ظلال القرآن، قطب، ج1/126.

(4) انظر: التفسير الواضح، حجازي، ج1/87.

ثامناً: الهداية والثبات على الحق: فمن رحمة الله ﷻ بالعباد أن يسرّ لهم أسباب الهداية غاية التيسير، ونبّههم على سلوك طرقها، وبينها لهم أتم تبيين فتحويل القبلة إلى البيت الحرام من أهم السبل للهداية والتوفيق لذلك قال الحق ﷻ: ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (150)﴾ أي: تعلمون الحق، وتعملون به.<sup>(1)</sup>

هكذا جرت أحداث تحويل قبلة المسلمين لتؤكد على أن الاختصاص والتميز ضروريان للجماعة المسلمة: الاختصاص والتميز في التصور والاعتقاد، والاختصاص والتميز في القبلة والعبادة<sup>(2)</sup>، وكأن الرسالة هنا: كيف تُستخلف أمة على هذه الأرض وهي ليست متميزة عن غيرها؟ كيف يكون التابع والمقلد مسئولاً عن الأرض؟ فجاء الأمر بتحويل القبلة لاختبار الطاعة والتسليم، ولتطهير نفوس المسلمين من التبعية والتقليد الأعمى، فوجهتهم إلى وجهة واضحة جلية ساطعة مفادها: أنّ الصلاة هي المفرد والركن الشديد المعين لابن آدم على أداء تكاليف الدور العظيم، وبهذا يتبين لنا كيف كان تحويل القبلة مظهرًا من مظاهر الطاعة والعبودية وتحقيق الاستخلاف في الأرض والذي هو محور السورة.

## المطلب الثاني

### عرض بعض أحكام الزكاة والإنفاق

احتلّ الحثّ على الإنفاق حيزًا واسعًا من توجيهات سورة البقرة، سواء كان أمرًا بأداء الزكاة المفروضة شرعًا أو ترغيبًا في النفقات المستحبة والمحمودة تطوعًا ابتغاء رضوان الله، وذلك لأن الأمة التي يكثر فيها المنفقون لأموالهم في وجوه الخير، لا بدّ أن تعرّ كلمتها، وتسلم من كوارث شتّى، كالجهل، والفقر، والمرض وغيرها، وبذلك يتجلّى التصوّر الكلي للمجتمع المسلم الذي يعاضد بعضه بعضًا.<sup>(3)</sup>

وقد تتبعت الباحثة هذه الأوامر والتوجيهات وحصرتها فيما يأتي:

### أولاً: عرض بعض أحكام الزكاة

تتبعّت الباحثة مواضع ذكر الزكاة في آيات السورة الكريمة، فوجدت أنها ذُكرت في ستة مواضع سواء باللفظ الصريح "الزكاة" أو باللفظ المعنوي "الإنفاق" والذي أُريد به الزكاة

(1) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص73.

(2) انظر: في ظلال القرآن، قطب، ج1/127.

(3) انظر: التفسير الوسيط، طنطاوي، ج1/44.

المفروضة بحسب قول العلماء، وهذه المواضع الست جميعها قرنت فيها الزكاة بالصلاة، وكانت هذه المواضع كالاتي:

1. في مستهل السورة الكريمة أبان المولى ﷺ صفات الفئة المستجيبة لهداية القرآن، فكان الإنفاق من رزق الله هو الصفة الثالثة للمتقين وذلك في قوله ﷺ: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (3)﴾، وقد استدلل العلماء من فحوى الخطاب أن المراد بقوله ﷺ: ﴿..وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (3)﴾ هو المفروض من النفقة وهي الحقوق الواجبة لله ﷻ من الزكاة، والذي يدل على أن المراد المفروض منها أنه قرنها إلى الصلاة المفروضة وإلى الإيمان بالله ﷻ وكتابه ﷻ وجعل هذا الإنفاق من شرائط التقوى ومن أوصافها<sup>(1)</sup>، وقد قيل أن هذه الآية جامعة لكل أنواع النفقات المحمودة.<sup>(2)</sup>

2. في سياق جملة الأوامر التي أمر الله ﷻ بها بني إسرائيل جاء الأمر بالزكاة في قوله ﷻ: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ (43)﴾.

3. كان الأمر بإيتاء الزكاة من جملة البنود التي أخذها الله ﷻ على بني إسرائيل في ميثاقهم والتي واجهوها بالتولي والإعراض، وفي ذلك قال الله ﷻ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ (83)﴾.

4. أرشد الحق ﷻ إلى الزكاة كوسيلة من وسائل الثبات على الحق والنصر والتمكين في قوله ﷻ: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (110)﴾.

5. أكد المولى ﷻ على أن الزكاة لونٌ عظيم من ألوان البر العملي التي عددها ﷻ في آية البر الجامعة في قوله ﷻ: ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (177)﴾.

(1) انظر: أحكام القرآن، الجصاص، ج1/28-29.

(2) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، ج1/85.

6. عدّ الله ﷻ الزكاة صفة أساسية من صفات صفوة عباده الذين امتدحهم وأحسن أجرهم في قوله ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (277).

مما سبق من الآيات الكريمة تلحظ أن الله ﷻ قد كرّر الأمر بركنّي الإسلام وشعبتيه وهما تهذيب الروح بالصلاة، والثاني قيام بناء اجتماعي متعاون فأمر بالزكاة، وبقيّة العبادات بل التكاليفات كلها لا تخرج عن هاتين الشعبتين: تهذيب الروح، وربط المجتمع بالتعاون الوثيق<sup>(1)</sup>، "فيكتمل البناء المنشود شرعاً: بناء الفرد بالصلاة التي هي عماد الدين، وبناء المجتمع بالزكاة وتوابعها التي هي أساس التقدم ورفي الحياة وسعادة الأمة"<sup>(2)</sup>، وبذلك يتكشّف لديك المقصد العظيم لهذه السورة الكريمة، وهو إصلاح الفرد والمجتمع باتباع شرع الله وأحكامه، فنتكامل الصورة المرجوة للمجتمع الإسلامي المستخلف وفق منهج الله.

### ثانياً: عرض بعض أحكام الإنفاق

رغب القرآن الكريم في مواضع عديدة من سورة البقرة بالإنفاق لأنه وسيلة إغناء وتحقيق رفاه للجميع، وهو السبيل لصون عزّة الأمة وكرامتها ودحر عدوان المعتدين عليها<sup>(3)</sup>، فنجده تحدّث عن فضيلة الإنفاق بأساليب شتى، ما بين ترغيب في الإنفاق وبيان ثوابه، وبين التنفير من آفاته والإرشاد إلى آدابه، وما إلى ذلك من أمور وأحكام، وقد تتبعت الباحثة مواضع ذكر الإنفاق في السورة الكريمة، منبّهة أن هذه الآيات تناولت موضوع الإنفاق بعمومه ولم تختص بالنفقة المفروضة \_ الزكاة \_ بحسب رأي أغلب العلماء، وقد حصرت الباحثة المحاور التي تناولتها آيات الإنفاق على النحو الآتي:

1. **الحث على الإنفاق في سبيل الله والتحذير من التولي عنه:** وقد جاء هذا الأمر الإلهي عقب تفصيل أحكام القتال والجهاد في سبيل الله، وفي ذلك يقول الحق ﷻ: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (195) وقد جاء في الآية الكريمة الأمر بالإنفاق في سبيل الله وهو الجهاد، واللفظ يتناول غيره مما يصدق عليه أنه في سبيل الله، والأمر بالإحسان في الإنفاق في الطاعة، وإحسان الظن بالله في إخلافه على المنفقين.<sup>(4)</sup>

(1) انظر: زهرة التفاسير، أبو زهرة، ج1/214.

(2) التفسير المنير، الزحيلي، ج1/75.

(3) انظر: التفسير المنير، الزحيلي، ج3/43.

(4) انظر: نيل المرام من تفسير آيات الأحكام، صديق خان، ص45.

فمن حذيفة رضي الله عنه أنه قال في الآية الكريمة: «نزلت في النفقة»<sup>(1)</sup>، وقد اختلف الصحابة فيما بينهم في المراد من قوله رضي الله عنه: «وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ..» فقام أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه فقال: يا أيها الناس إنكم لتتأولون هذه الآية، وإنما أنزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار لما أعز الله الإسلام وكثر ناصروه، فقال بعضنا لبعض سرًا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن أموالنا قد ضاعت، وإن الله قد أعز الإسلام وكثر ناصروه، فلو أقمنا في أموالنا، فأصلحنا ما ضاع منها. فأنزل الله صلى الله عليه وسلم على نبيه صلى الله عليه وسلم يرد علينا ما قلنا: «وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ..» فكانت التهلكة الإقامة على الأموال وإصلاحها، وتركنا الغزو.<sup>(2)</sup>

وقد قال الفخر الرازي: "كل ما أمر الله صلى الله عليه وسلم به في دينه من الإنفاق فهو داخل في الآية سواء كان إنفاقًا في حج أو عمرة أو كان جهادًا بالنفس، أو تجهيزًا للغير، أو كان إنفاقًا في صلة الرحم أو في الصدقات أو على العيال، أو في الزكوات والكفارات، أو عمارة السبيل وغير ذلك، إلا أن الأقرب في هذه الآية وقد تقدم ذكر الجهاد أنه يراد به الإنفاق في الجهاد."<sup>(3)</sup>

2. بيان مقدار نفقة التطوع ومصرفها: وقد تميّزت سورة البقرة بظاهرة بارزة هي ظاهرة الأسئلة عن الأحكام، وهذه الظاهرة توحى بيقظة العقيدة واستيلائها على نفوس الجماعة المسلمة إذ ذلك، ورجبة المؤمنين في معرفة حكم العقيدة في كل شأن من شؤون حياتهم اليومية<sup>(4)</sup>، وقد سأل جماعة من المؤمنين النبي صلى الله عليه وسلم عن مقدار ما ينفقون من أموالهم في الصدقة؟ وعلى من يُنفقون؟ فقد سأل الصحابي الجليل عمرو بن الجموح الأنصاري رضي الله عنه وكان شيخًا كبيرًا ذا مال كثير، فقال: يا رسول الله بماذا نتصدق؟ وعلى من ننفق؟ فنزل قول الله صلى الله عليه وسلم: «يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِللَّهِ وَاللَّذِينَ الْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (215)».<sup>(5)</sup>

(1) صحيح البخاري، البخاري، كتاب تفسير القرآن/ باب قوله {وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} [البقرة: 195]، ج 27/6، رقم الحديث 4515.

(2) انظر: سنن الترمذي، باب ومن سورة البقرة، ج 5/62، رقم الحديث 2972. سنن أبي داود، كتاب الجهاد/ باب في قوله تعالى: {وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ} [البقرة: 195]، ج 3/12، رقم الحديث 2512. قال الألباني: "حديث صحيح". انظر: صحيح وضعيف سنن الترمذي، الألباني، ج 6/472. وفي صحيح وضعيف سنن أبي داود، الألباني، ج 1/2.

(3) مفاتيح الغيب، الرازي، ج 5/294.

(4) انظر: في ظلال القرآن، قطب، ج 1/220.

(5) انظر: أسباب النزول، الواحدي، ص 67-68. العجائب في بيان الأسباب، ابن حجر، ج 1/534.

فها هم صحابة رسول الله ﷺ يتحرّون مصارف الصدقات لعلمهم أنّ هذا الكسب هو أمانة عند صاحبه، فلا يجوز له أن ينفقه إلا في موضع مشروع يفيد المالك والمجتمع، والعاقل الرشيد الذي ينفق ماله فيما يجب عقلاً وعرفاً وشرعاً، ويختار الأفضل، ويراعي الأزم والأوجب لمن يحتاج للنفقة<sup>(1)</sup>، فأجابهم المولى ﷺ: "أنّ ما أنفقتُم من أموالكم فاجعلوه لأبائكم، وأمّهاتكم وأقربائكم واليتامى منكم، الذين مات كافلهم، والمساكين الذين عجزوا عن الكسب والمسافرين الذين انقطعت بهم السبل، وما تأتوا من خير فإنّ الله به عليم، فيجازيكم عليه، وقد اختلف في هذه الآية:

1- فقيل: إنها منسوخة بآية الزكاة ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ...﴾ [التوبة: 60].

2- وقيل: إنها غير منسوخة، وهو الأولى وهي لبيان صدقة التطوع، فإنّه متى أمكن الجمع فلا نسخ، وقد بينت الآية أنّ صدقة التطوع في الوالدين والأقربين أفضل.<sup>(2)</sup>

ولما كان السؤال في الآية المتقدمة في قوله ﷺ: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ... (215)﴾ سؤالاً عن النفقة إلى من تُصرف، وخرج الجواب على وفق السؤال، كان السؤال الثاني في هذه الآية عن قدر الإنفاق، وهو في شأن عمرو بن الجموح ﷺ - كما تقدم - فإنه لما نزل قوله ﷺ: ﴿..قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ..﴾ قال: كم أنفق؟ فنزل قوله ﷺ: ﴿..وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوُ.. (219)﴾، والعفو: ما سهل وتيسر وفضل، ولم يشقّ على القلب إخراجها، فالمعنى: أنفقوا ما فضل عن حوائجكم، ولم تؤذوا فيه أنفسكم فتكونوا عالة.<sup>(3)</sup>

غير أن الله ﷻ قد فصل في مواضع أخرى مصارف الصدقة ومستحقيها فقد بين أنه لا ينبغي التخرج من إعطاء الفقير غير المسلم الصدقة لكفره وذلك في قوله ﷺ: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ (272)﴾ فعن سعيد بن جبيرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا تَصَدَّقُوا إِلَّا عَلَى أَهْلِ دِينِكُمْ» فأنزل الله ﷻ قوله: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ.. (272)﴾ فقال رسول الله ﷺ: «تَصَدَّقُوا عَلَى أَهْلِ الْأَدْيَانِ».<sup>(4)</sup>

(1) انظر: التفسير الوسيط، الزحيلي، ج1/108.

(2) تفسير آيات الأحكام، السائس، ص125.

(3) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج3/61.

(4) مصنف ابن أبي شيبة، ابن أبي شيبة، ج2/401. الجامع الصحيح للسنن المسانيد، عبد الجبار، ج18/107. وأسباب النزول، الواحدي، ص89. قال الألباني: "إسناده حسن". سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، الألباني، ج6/628.

وإنما ذلك لأن الصدقة لسد حاجته، ولا دخل لها بإيمانه، إذ من شأن المؤمن أن يكون خيره عامًا، وأن يسبق سائر الناس بالفضل والجود.<sup>(1)</sup>

ثم ذكر الله ﷻ صفات أولى الناس بالصدقات فوصفهم بستّ صفات كالتالي:

- في قوله ﷻ: ﴿لِلْفُقَرَاءِ﴾ (273) وهم المحتاجون إلى النفقة.
- في قوله ﷻ: ﴿..الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: قصرها على طاعة الله من جهاد وغيره، فهم مستعدون لذلك محبوسون له.
- في قوله ﷻ: ﴿.. لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: عجزهم عن الأسفار لطلب الرزق والكسب والضرب في الأرض للتجارة ونحوها بسبب المرض أو الخوف من العدو.
- في قوله ﷻ: ﴿..يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾ فإذا رآهم الجاهل بحقيقة حالهم ظنهم أغنياء، وهذا بيان لصدق صبرهم وحسن تعففهم.
- في قوله ﷻ: ﴿..تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾ أي: أن لهم سمات خاصة تُترك معرفتها إلى فراسة المؤمن الذي يتحرى بالإففاق أهل الاستحقاق إذ صاحب الحاجة لا يخفى على المتفرس مهما تسنّر وتعقّف.
- في قوله ﷻ: ﴿..لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِحْقَاقًا﴾ أي: لا يسألونهم سؤال إلحاف، أي: إلحاح، بل إن صدر منهم سؤال إذا احتاجوا لذلك لم يلحوا على من سألوا.

فهؤلاء أولى الناس وأحقهم بالصدقات لما وصفهم به من جميل الصفات، وأما النفقة من حيث هي على أي شخص كان، فهي خير وإحسان وبرٌّ يُثاب عليها صاحبها ويؤجر، فلهذا قال: ﴿..وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ (273).<sup>(2)</sup>

3. الحثّ على الإففاق والترغيب في ثوابه: فقد حثّت آيات سورة البقرة على الإففاق في سبيل الله مخاطبة في ذلك المؤمنين الذين هم أجدر بالاستجابة لأوامر الله ﷻ حيث يقول ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةَ وَلَا شَفَاعَةَ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (254)<sup>(3)</sup>، والنداء هنا موجّه للمؤمنين لأنهم المستجيبون للأوامر

(1) انظر: تفسير المراغي، المراغي، ج47/3.

(2) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص116. تفسير المراغي، المراغي، ج49/3-50.

(3) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج21/4-22.

الإلهية، فأمرهم الله ﷻ بأن ينفقوا في سبيل الله مما رزقهم، فما ينفقونه في الدنيا يكون رصيدهم من الخير يوم القيامة، يوم لا يلقى الإنسان شيئاً إلا ما أعدّه من قبل لهذا اليوم، حيث انقطع الإنسان من كل شيء، وانقطع عنه كل شيء، فلا بيع ولا شراء، ولا ربح ولا خسارة، وليس هناك من صديق أو مُعين، وليس لأحد شفاعة من أحد أو في أحد، فقد صار الأمر كله لله رب العالمين.<sup>(1)</sup>

كما بين الله ﷻ ثواب الإنفاق وضرب عليه الأمثلة المحفزة لكل الطاقات الإيجابية، وفي ذلك يقول الحق ﷻ: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (261)﴾ فضرب الله ﷻ مثلاً للذين يُنفقون المال بينغون به الله وحسن ثوابه "كمثل من يزرع زرعاً طيباً فتنبت الحبة الواحدة منه سبع سنابل في كل سنبل منها مائة حبة، وهذا تصوير جميل لكثرة ما يعطيه الله من الأجر على الإنفاق في الدنيا، والله يضاعف عطاءه لمن يشاء ويزيد"<sup>(2)</sup>.

وقد قيل "أنه أراد به "سبيل الله": الجهاد، وقيل: جميع أبواب الخير."<sup>(3)</sup>

4. بيان آداب الإنفاق: استأنف الخطاب القرآني في بيان كيفية الإنفاق الذي يحبه الله ﷻ، ويجازي عليه المنفقين بالجزاء العظيم، وفي ذلك يقول الحق ﷻ: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَتًّا وَلَا أَدَى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ 262 قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَدَى وَاللَّهُ عَنِّي حَلِيمٌ (263)﴾، فالله جلّ ثناؤه يحذر عباده المتصدقين من صفتين ذميتين مبطلتين لثواب الصدقة، وهما: المنّ والأذى، والمنّ معناه: أن يتناول المحسن بإحسانه على من أحسن إليه، ويتفاخر عليه بسبب ما أعطاه من عطايا، والمراد بالأذى في الآية: أن يقول المعطي لمن أعطاه قولاً يؤذيه، أو يفعل معه فعلاً يسيء به إليه، وهو أعمّ من المنّ، إذ المنّ نوع من الأذى لكنه نصّ عليه لكثرة وقوعه، ولقد جاء العطف به ﴿..ثُمَّ..﴾ في الآية الكريمة لإظهار التفاوت الشديد في الرتبة بين الإنفاق الذي يحبه الله، وبين الإنفاق الذي يصاحبه المن والأذى، وللاشعار بأن المن والأذى بغيضان عند الله ﷻ.<sup>(4)</sup>

(1) انظر: التفسير القرآني للقرآن، الخطيب، ج2/315.

(2) تيسير التفسير، القطان، ج1/155.

(3) معالم التنزيل، البغوي، ج1/359.

(4) انظر: التفسير الوسيط، طنطاوي، ج1/604.

وقال الإمام الطبري: "وإنما شرط ذلك في المنفق في سبيل الله، وأوجب الأجر لمن كان غير مانٍّ ولا مؤذٍ من أنفق عليه في سبيل الله، لأن النفقة التي هي في سبيل الله: ما ابتغي به وجه الله وطلب به ما عنده، فإذا كان معنى النفقة في سبيل الله هو ما وصفنا، فلا وجه لمن المنفق على من أنفق عليه، لأنه لا يد له قبله ولا صنيعه يستحق بها." (1)

ثم أكد على تلك الآداب بقوله ﷺ: «قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أذى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ (263)»، والمعنى: أن كلاماً جميلاً تهدأ به نفس السائل وترد به، ومغفرة لإساءته في الإلحاف والإلحاح، خير للسائل والمسئول من صدقة يتبعها أذى وضرر، إذ الصدقة شرعت لتقريب الناس بعضهم من بعض وتخفيف حدة الحسد والحقد بين الطبقات، والمن والأذى يخرجها عن وضعها الصحيح، لذلك جعل العدول عن الصدقة التي يتبعها أذى إلى قول معروف خير من تلك الصدقة. (2)

وقد حذر الله ﷻ من إبطال الصدقات بالمن والأذى وذلك من خلال ضرب المثل الذي يصور المعنوي في صورة محسوسة وفي ذلك يقول الله ﷻ: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (264)»، فنهى الله ﷻ عباده المنفقين عن إحباط أجر صدقاتهم بالمن والأذى، فيكونون كالمرائي الذي يبطل إنفاقه بالرياء ولا يصدق بقاء الله ليرجو ثواباً أو يخشى عقاباً، فذاك المرائي مثله بإنفاقه كمثل الحجر الأملس الذي عليه شيء من التراب يظنه الظان أرضاً طيبةً منبتةً فإذا أصابه مطر شديد أذهب عنه التراب فيبقى صلداً أملس ليس عليه شيء من الغبار! كذلك هذا المنفق المرائي يظن أن له أعمالاً صالحة فإذا كان يوم القيامة اضمحلت وذهبت. (3)

5. وصف حال المنفقين ابتغاء مرضات الله: فقد وصف الله ﷻ حال المنفق لله وفي سبيل الله ويقصد تثبيت نفسه على الخير بقوله ﷻ: «وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَنْبِيئًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلَّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (265)»، فهذا المنفق المخلص مثله "كمثل كالجنة الجيدة

(1) جامع البيان، الطبري، ج5/517.

(2) انظر: التفسير الواضح، حجازي، ج1/179.

(3) انظر: صفوة التفاسير، الصابوني، ج1/153.

التربة، العظيمة الخصب، فهو يوجد بقدر سعته وما في يده، فإن أصابه خيرٌ كثيرٌ أنفق كثيراً، وإن أصابه قليل، أنفق على قدر سعته، فخيره دائم وبرّه لا ينقطع، كالبستان الذي يُثمر بصفة دائمة، سواء نزل عليه مطر كثير أو قليل.<sup>(1)</sup>

6. **وصف حال المنفقين في سبيل الشيطان:** فبعد أن وصف الله ﷻ من خلال المثل القرآني حال المنفق ابتغاء مرضات الله أتبع ذلك بوصف حال المنفق في سبيل الشيطان فبضدّها تتميز الأشياء، وهذا الأسلوب من أساليب فصاحة القرآن الكريم حيث أنه يأتي فيه بيان نقيض ما تقدّم ذكره، لتستبين حال التضاد بعرضها على الذهن، فلما ذكر الله ﷻ مثل الذين ينفقون أموالهم بقصد مرضاة الله، ذكر مثلاً آخر لنفقة الرياء<sup>(2)</sup> وذلك في قوله ﷻ: ﴿أَيُّودٌ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ (266)﴾، فيسأل الله ﷻ المنفقين في سبيل الشيطان: "أيرغب الواحد منكم أن يكون له بستان فيه النخيل والأعناب، تجري من تحت أشجاره المياه العذبة، وله فيه من كل ألوان الثمرات، وقد بلغ الكبر، ولا يستطيع أن يغرس مثل هذا الغرس، وله أولاد صغار في حاجة إلى هذا البستان، وفي هذه الحالة هبت عليه ريح شديدة، فيها نار محرقة فأحرقته، وهكذا حال غير المخلصين في نفقاتهم، يأتون يوم القيامة ولا حسنة لهم."<sup>(3)</sup>

7. **الحث على إنفاق الطيب من الأموال لا الخبيث:** فقد استأنف الخطاب القرآني بيان آداب الإنفاق المحمود وذلك في قوله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (267)﴾، حيث دعا الله ﷻ عباده المؤمنين إلى الإنفاق من جيد ما يحصلونه بعملهم، ومما يتيسر لهم إخراجها من الأرض من زروع ومعادن وغيرها، ونهاهم عن أن يتعمدوا الإنفاق من ردى المال وخبيثه، مؤكداً لهم أنهم لن يقبلوا هذا الخبيث لو قدّم إليهم إلا على إغماض وتساهل صارفين النظر عما فيه من خبث ورداءة، والله غنى عن هذه الصدقات، فأنفقوها على الوجه الذي يرضاه لكم<sup>(4)</sup>، وقد حثهم على مراقبته ﷻ في كل ما ينفقونه وينذرونه بقوله ﷻ: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا

(1) التفسير الواضح، حجازي، ج1/181.

(2) انظر: التفسير الوسيط، الزحيلي، ج1/154-155.

(3) التفسير الميسر، نخبة من علماء التفسير، ج1/45.

(4) انظر: المنتخب في تفسير القرآن الكريم، نخبة من علماء الأزهر، ص64.

لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (270)﴾ فالله ﷻ يعلم بكل نفقة ينفقها الناس ويكل نذرٍ يُقَيِّدون به أنفسهم في سبيل الخير والبرِّ والقرى فدعاهم إلى إحسان نياتهم وصدقاتهم.<sup>(1)</sup>

8. بيان أنواع الصدقات وأوقاتها: فقد بينَّ المولى ﷺ أن الصدقات نوعان، صدقة السر وصدقة العلن، وذلك في قوله ﷺ: ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (271)﴾ فقد أعلم ﷻ عباده المؤمنين أن ما ينفقونه لوجهه الكريم ومن طيب أموالهم علناً وجهراً هو مالٌ رابح، ونفقةٌ مقبولة يُثاب عليها صاحبها، إلا أن أكثرها خيراً لصاحبه هو ما يكون من تلك النفقات سرّاً لبعده من شائبة الرياء، ولإكرام الفقراء، وعدم تعريضهم لمذلة التصدق عليهم، فالله ﷻ يُكفِّر عن المنفقين سيئاتهم بصدقاتهم، فهو عليمٌ بأعمالهم الصالحة ولن يُنقصهم أجرها<sup>(2)</sup>، وتؤدِّن هذه الآية بأنه إذا صلحت النية قبل العمل فمتى خلُصت النية في العبادة فإظهارها وإخفاؤها سواء لا يحطّ من قيمتها.<sup>(3)</sup>

وأخيراً يختم الخالق ﷻ دستور الصدقة بنص عام يشمل كل طرائق الإنفاق، وكل أوقاته، وجميع حالاته، وبحكم عام يشمل كل منفق لوجه الله ﷻ فقال الحق ﷻ: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (274)﴾ نعم إنه الدستور القويم الذي يحث على فعل الخير بشتى ألوانه وسبله، ويرى أن للفرد المسلم مسئولية خاصة تجاه مجتمعه وأمته، والزكاة والإنفاق لوان من ألوان العطاء وتحمل المسئولية، فتارة يعالج هذا الدستور احتياجات المجتمع المادية على صورة فريضة تجبها الدولة المسلمة المنفذة لشريعة الله، ومرة في صورة تطوع غير محدود يؤديه القادرون للمحتاجين رأساً، مع مراعاة الآداب التي أرشد إليها الخطاب القرآني كما سبق بيانه، هؤلاء المتبعون استحقوا الأجر العظيم من ربهم ف ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (274)﴾.<sup>(4)</sup>

هكذا جاء الأمر بالإنفاق في سورة البقرة ليؤكد على أنّ استقرار المجتمع المسلم إنّما يكون بتكاتف أفراده وتعاونهم جنباً إلى جنب، فأمة الإسلام أمة واحدة والمؤمنون إخوة، والإنفاق والعطاء لونٌ من ألوان هذا التراحم الجميل، فلن يمتطي العبد ركب الهدى وسلّم الخلافة وحده، بل هو جزء من بنيانٍ مرصوص يشدُّ بعضه بعضاً.

(1) انظر: التفسير الحديث، عزت، ج6/484.

(2) انظر: أيسر التفاسير، الجزائري، ج1/264.

(3) انظر: بيان المعاني، العاني، ج5/245.

(4) في ظلال القرآن، قطب، ج1/316، بتصرف.

## المطلب الثالث

### عرض بعض أحكام الصيام

عرضت السورة الكريمة بعض أحكام الصيام التي لم ترد إلا فيها، وما عداها من تفاصيل فقد جاءت السنة النبوية شارحة لها، فالصيام "حكمٌ عظيمٌ من الأحكام التي شرعها الله ﷻ للأمة، وهو من العبادات الرامية إلى تزكية النفس ورياضتها، وفي ذلك صلاح حال الأفراد فردًا فردًا إذ منها يتكوّن المجتمع"<sup>(1)</sup>، وقد تناولت السورة الكريمة أحكام الصيام على النحو الآتي<sup>(2)</sup>:

1. **بيان حكم الصيام وفرضيته:** فقد فُرض الصيام في السنة الثانية من الهجرة، وهو الركن الرابع من أركان الإسلام، وقد ثبتت فرضيته في الكتاب، والسنة، والإجماع، والمعقول، أما الكتاب فهو ما جاء في قوله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ..(183)﴾<sup>(3)</sup>، والمعنى: أيها المؤمنون كُتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم على الأنبياء والأمم من لدن آدم إلى عهدكم هذا، أي أن الصوم عبادة قديمة أصلية ما أخلق الله ﷻ أمة من افتراضها عليهم، لم يفرضها عليكم وحدكم.<sup>(4)</sup>
2. **الحكمة من مشروعيته:** وتمثّلت هذه الحكمة في قوله ﷻ: ﴿..لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (183)﴾، فالنقوى هي الغاية المرجوة من ركن الصيام، وقد شرعه المولى ﷻ لنتجسد التقوى في نفوس المؤمنين، وقوله تعالى: ﴿..لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾، فيه ثلاثة أقوال:  
"الأول: لعلكم تتقون ما حرّم عليكم فعله.  
الثاني: لعلكم تضعفون فتتقون؛ فإنه كلما قلّ الأكل ضعفت الشهوة، وكلما ضعفت الشهوة قلّت المعاصي.

الثالث: لعلكم تتقون ما فعل من كان قبلكم."<sup>(5)</sup>

(1) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج2/154.

(2) انظر: أصول الفقه - آيات وأحاديث الأحكام، ابن باديس، ص71-72.

(3) انظر: الفقه الميسر، الطيار وآخرين، ج3/13.

(4) انظر: الكشاف، الزمخشري، ج1/225.

(5) أحكام القرآن، ابن العربي، ج1/108.

وليس أدلّ على تلك الغاية المرجوة من الصيام أن الله ﷻ ختم بها آيات تشريع الصيام في قوله: ﴿.. تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (187)﴾.

3. بيان زمانه: وفي ذلك يقول ﷻ: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ .. (185)﴾ أي أن الصوم المفروض عليكم هو شهر رمضان، الشهر العظيم، الذي قد حصل لكم فيه من الله الفضل العظيم، وهو القرآن الكريم، المشتمل على الهداية لمصالحكم الدينية والدنيوية.<sup>(1)</sup>

4. بيان رخص الصيام ومباحاته: فالمولى ﷻ لما فرض الصيام على عباده فرضه ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ .. (184)﴾ ولم يفرضه ﷻ الدهر كله، تخفيفاً ورحمة بهم، ومع هذه الرحمة في الصيام فقد شرع الرحمن ﷻ رخصاً نبيها على النحو الآتي:

أولاً: إباحة الإفطار للمريض والمسافر: فقد رخص الله ﷻ للمريض الذي يضربه الصوم، والمسافر الذي يشقّ عليه أن يفطرا ويقضيا أياماً بقدر الأيام التي أفطرا فيها وذلك من التيسير على العباد والرحمة بهم، وهذا ما جاء في قوله ﷻ: ﴿..فَمَنْ كَانَ مِنْكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ .. (184)﴾<sup>(2)</sup>

ثانياً: إباحة الرفث إلى النساء ليلة الصيام: فقد أباح الله ﷻ الجماع في أثناء الليل، وحرّمته كالأكل والشرب أثناء النهار، وفي ذلك يقول الحق ﷻ: ﴿أَجَلٌ لَّكُمْ لَيْلَةُ الصِّيَامِ الرَّقْتُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِيَّاسٌ لَّكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَّاسٌ .. (187)﴾.

ثالثاً: إباحة الأكل والشرب حتى طلوع الفجر: حيث أباح الشارع الحكيم الأكل والشرب حتى طلوع الفجر، مع وجوب الإمساك عن المفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، بشرط النية قبل الفجر في رأي الجمهور غير الحنفية، وهذا الركن ظاهر في قوله ﷻ: ﴿..وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ .. (187)﴾ حيث بينت الآية الكريمة أن محظورات الصيام هي الأكل والشرب والجماع.<sup>(3)</sup>

5. بيان الهدايا الإلهية في تشريع الصيام: فللصيام فوائد دينية واجتماعية عظيمة فهو باب

(1) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص86.

(2) انظر: روائع البيان في تفسير آيات الأحكام، الصابوني، ج1/192.

(3) انظر: التفسير المنير، الزحيلي، ج2/156.

خيرٍ وفيرٍ أُشير إليه بقوله ﷺ: ﴿..وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (184)﴾، ولا يسعنا الوقوف على جميع فوائد الصيام التي لا حصر لها بل نكتفي بذكر ما أُشير إليه في الآيات الكريمة، وهي كما يأتي:

أ- الصوم وسيلة إلى حصول التقوى لأنه إذا انقادت النفس بالامتناع عن المباح، انقادت للامتناع عن الحرام، وإليه أشار الله بقوله ﷺ: ﴿..لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (183)﴾.<sup>(1)</sup>

ب- الصوم برهان على يُسر الشريعة الإسلامية وخلوها من العسر والحرج، وهذا ما أشار إليه قول المولى ﷺ: ﴿.. يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ .. (185)﴾.<sup>(2)</sup>

ت- طريق الصبر والشوك نهايته فرح وورد، فمن أتمّ الصوم وأكمل العدة استحقّ التمتع بفرحة عيد الفطر، وفي ذلك يقول ﷺ: ﴿..وَلِكُمِ الْعِدَّةُ وَلِكُمِ الْفُرْقَانُ وَالْحَدِيثُ وَاللَّهُ عَلَى مَا هَدَاكُمْ.. (185)﴾.

ث- الصوم سبب لشكر النعمة "ذلك أنّ كف النفس عن الأكل والشرب والجماع زماناً معيناً يعرف به المسلم قدر النعم التي يتمتع بها في كل وقت فيحمله ذلك إلى شكر المنعم ﷻ"<sup>(3)</sup>، وفي ذلك يقول الحق ﷻ: ﴿..وَلِكُمِ الْعِدَّةُ وَلِكُمِ الْفُرْقَانُ وَالْحَدِيثُ وَاللَّهُ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (185)﴾.

ج- الصوم صفاءً ونقاءً، وجهاداً ومصابرةً، يتبعها زلفى وفُرى، وحبٌ وود، فالإنسان في شهر الصوم مهياً للقرب من الله ﷻ، مستيقظ المشاعر والأحاسيس لمناجاته، لذلك أتت الآية الكريمة: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (186)﴾ جاءت لتلفت الصائمين إلى ما هم عليه في تلك الحال من صفاء روعي يندبهم من الله ﷻ ويجعلهم أكثر استعداداً للاتصال به، فيسلکوا سبيل الرشاد.<sup>(4)</sup>

إن فريضة الصيام جمعت حصون الإيمان المتينة التي إن استعصم بها العبد كان خليفةً لله ﷻ بحق، فما يستوجبه الصيام من جهد ومصابرة، وجهاد ومراقبة، وانقياد واستجابة لهو بحق عصب العبودية وقلبها النابض.

(1) انظر: الفقه الميسر، الطيار وآخرون، ج3/15.

(2) انظر: أيسر التفاسير، الجزائري، ج1/164.

(3) الفقه الميسر، الطيار وآخرون، ج3/15.

(4) انظر: التفسير القرآني للقرآن، الخطيب، ج1/202-203.

## المطلب الرابع

### عرض بعض أحكام الحج والعمرة والأهلة والحكمة منها

كما فصلت آيات سنام القرآن الحديث عن أركان الإسلام العظيم من صلاة وزكاة، تناولت كذلك أحكام الحج بصورة مباشرة وعرضت بعض الأحكام التي لم تُعرض في أي سورة أخرى، وقد تناولت السورة الكريمة فريضة الحج في عدة مواضع، وقرنت بينها وبين العمرة في مواضع أخرى، ووطأت لها ولأحكامها بالحديث عن الأهلة، وهذا الحديث له ارتباط قوي مع سياق الآيات ومع تسلسل موضوعات السورة، وقد تتبعت الباحثة هذه المواضع على النحو الآتي:

1. بعد أن اجتاز المؤمنون اختبار الطاعة والتميز في استجابتهم لأمر الحق ﷻ بتحويل القبلة الذي جعلهم مستقلين عن التبعية لغيرهم<sup>(1)</sup> تكلم القرآن الكريم عن معاندة أهل الكتاب والمشركين في تحويل القبلة وما ترتب على ذلك من ذكر القتال والصبر وجزائه، فكان من الحكمة توجيه أنظار المسلمين إلى مكة قلب الجزيرة وقبلة المسلمين الجديدة، فناسب هنا ذكر بعض شعائر الحج وهي السعي بين الصفا والمروة إلهاباً لهم وتذكيراً بمكة<sup>(2)</sup>، وفي ذلك قال المولى ﷻ: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ (158)﴾ وقد جاء في الصحيحين أن عروة ؓ قال: "سألت عائشة ؓ فقلت لها: رأيت قول الله ﷻ: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا.. (158)﴾ فوالله ما على أحد جناح أن لا يطوف بالصفا والمروة، قالت: بئس ما قلت يا ابن أختي، إن هذه لو كانت كما أولتها عليه، كانت: لا جناح عليه أن لا يتطوف بهما، ولكنها أنزلت في الأنصار، كانوا قبل أن يُسلموا يهلّون لمناة الطاغية، التي كانوا يعبدونها عند المشلل، فكان من أهلّ يتحرّج أن يطوّف بالصفا والمروة، فلما أسلموا، سألو رسول الله ﷺ عن ذلك، قالوا: يا رسول الله، إنا كنا نتحرّج أن نطوف بين الصفا والمروة، فأنزل الله ﷻ: ﴿إِنَّ الصَّفَا

(1) انظر: التفسير المنير، الزحيلي، ج2/49.

(2) انظر: التفسير الواضح، حجازي، ج1/90.

وَالْمَرَّةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ.. (158) قالت عائشة ؓ: «وقد سنّ رسول الله ﷺ الطواف بينهما، فليس لأحد أن يترك الطواف بينهما».(1)

وبالتأمل في سبب نزول الآية الكريمة يتجلّى التشريع الإلهي العجيب، الذي يوجّه النفوس إلى الطريق القويم، ويقوم السلوك، ويحدّد البوصلة، فليست العبرة بالتميّز عن غيركم يا أمة الإسلام، إنما هذا التميّز لا بدّ أن يكون متوازنًا مبنياً على التوجيهات الإلهية، فلا تأسركم خشيتكم من التبعية، ولا تطغى عليكم شهوة الاختلاف والتميّز، فكل شيء بقدر إلهيّ وحكمة معينة.

2. جاء السياق القرآني بالتمهيد لبيان المواقيت الزمانية لفريضة الحج، وهذا التمهيد جاء في معرض تساؤل الصحابة الكرام عن الأهلة وحكمة اختلافها، وفي ذلك يقول الحق ﷻ: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلَةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ.. (189)﴾ فقد روي عن معاذ بن جبل ؓ قوله: "يا رسول الله إن اليهود تغشانا ويكثرون مسألتنا عن الأهلة فأَنْزَلَ اللهُ ﷻ هذه الآية"<sup>(2)</sup>، والأهلة جمع هلال: وهو اسم لما يبدو في أول الشهر وفي آخره، وفيه بيان وجه الحكمة في زيادة الهلال ونقصانه وأن ذلك لأجل بيان المواقيت التي يوقّت الناس عباداتهم ومعاملاتهم بها كالصوم والفطر والحج وغير ذلك، ومثله قوله تعالى: ﴿لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابِ..﴾ [يونس: 5]<sup>(3)</sup>، وقد خصّص الحجّ مع كونه داخلياً في عموم اللفظ الأول "لأن العرب كانت تحجّ بالعدد وتبدّل الشهور؛ فأبطل الله ﷻ فعلهم وقولهم، وجعله مقروناً بالرؤية"<sup>(4)</sup>.

وقد أخرج الشيخان عن البراء ؓ أنه قال: نزلت هذه الآية فينا، كانت الأنصار إذا حجّوا فجاؤوا، لم يدخلوا من قبل أبواب بيوتهم، ولكن من ظهورها، فجاء رجل من الأنصار فدخل من قبل بابه، فكأنه غير بذلك، فنزلت: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (189)﴾، فالآية نزلت بسبب ما كان الأنصار يفعلونه عند إحرامهم بحج أو عمرة حيث كانوا لا يدخلون

(1) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الحج/ باب وجوب الصفا والمروة، وجعل من شعائر الله، ج2/157، رقم الحديث 1643.

(2) أسباب النزول، الواحدي، ص53.

(3) انظر: نيل المرام من تفسير آيات الأحكام، صديق خان، ص39.

(4) أحكام القرآن، ابن العربي، ج1/140.

البيوت من أبوابها بل من ظهورها ظناً منهم أنّ هذا من البرّ والنسك فبيّن الله ﷻ أنّ هذا ليس من البرّ وأن البرّ في تقواه.<sup>(1)</sup>

وهنا يتكرر المقصد الإلهي من التشريع الإسلامي وهو إلغاء التبعية والانقياد الأعمى وطمس البدع جميعها، وتوجيه العقل والقلب لاتباع أوامر الله ونواهيه خالصة من جميع شوائب الجاهلية وعاداتها البائسة.

3. حوت آيات الحج مع قلتها مقاصد الحج الكبرى وأشارت إلى بعض أسسه وسننه، وهذا المقطع من الآيات (196-203) قد اشتمل على عدة أمور تختص بفريضة الحج، "حيث ذكرت أحكام الحج بعد ذكر أحكام الصيام، لأن شهوره تأتي مباشرة بعد شهر الصيام، وأما آيات القتال السابقة فقد نزلت في بيان أحكام الأشهر الحرم، والإحرام، والمسجد الحرام، ولما كان ﷺ قد أراد العمرة وصدّه المشركون أول مرة بالحديبية، وأراد القضاء في العام القابل، وخاف أصحابه غدر المشركين بهم أنزل الله أحكام القتال، ثم عاد الكلام إلى إتمام أحكام الحجّ فهذا هو وجه الارتباط والله تعالى أعلم."<sup>(2)</sup>

وهذه المقاصد والأحكام والتوجيهات جاءت على النحو الآتي:

1. الأمر بإتمام الحج والعمرة والإخلاص فيهما لله تعالى: وذلك في قوله تعالى ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ..(196)﴾ وقد ذكر الإمام السعدي أن الآية الكريمة يُستدل بها على أمور:

أحدها: وجوب الحج والعمرة، وفرضيتهما.

الثاني: وجوب إتمامهما بأركانهما، وواجباتهما، التي قد دلّ عليها فعل النبي ﷺ.

الثالث: أن فيه حجة لمن قال بوجوب العمرة.

الرابع: أن الحج والعمرة يجب إتمامهما بالشرع فيهما، ولو كانا نفلًا.

الخامس: الأمر بإتقانها وإحسانهما، وهذا قدر زائد على فعل ما يلزم لهما.

السادس: وفيه الأمر بإخلاصهما لله تعالى.

(1) انظر: المحرر في أسباب نزول القرآن، المزيبي، ج1/244-245.

(2) روائع البيان في آيات الأحكام، الصابوني، ج1/242.

السابع: أنه لا يخرج المحرم بهما بشيء من الأشياء حتى يكملهما، إلا بما استثناه الله، وهو الحصر، فلهذا قال: ﴿..فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ..﴾.(1)

2. الإحصار: وقد أشار إليه الحق ﷺ في قوله: ﴿..فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ..(196)﴾ وهو في اصطلاح الفقهاء: "المنع من إتمام أركان الحج أو العمرة"(2)، وفي سببه قولان: أحدهما: مُنْعَمٌ بأي عذر كان.

الثاني: مُنْعَمٌ بالعدو خاصة؛ وقد اتفق علماء الإسلام على أن الآية نزلت سنة ست في عمرة الحديبية حين صد المشركون رسول الله ﷺ عن مكة.(3)

3. الإشارة إلى بعض مناسك التحلل: فقد نهى الله ﷻ عن الحلق والتحلل قبل بلوغ الهدى المكان الذي يحلّ ذبحه فيه(4) وذلك في قوله ﷺ: ﴿وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ ..(196)﴾.

4. فدية المحظورات لعذر: وذلك في حال أن يفعل الحاج المحظور عالمًا ذاكراً مختارًا ولكن فعله لعذر فهذا ليس عليه إثم ولكن عليه الفدية مثل أن يحلق رأسه لأذى أو شبهه، وقد جاء بيان ذلك في قوله ﷺ: ﴿..فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ..(196)﴾ فعليه أن يفدي إما بذبح شاة أو إطعام ستة مساكين أو صيام ثلاثة أيام وهي على التخيير باتفاق العلماء.(5)

5. أحكام حج التمتع: أشارت سورة البقرة في آيات الحج إلى نوع من أنواع الحج وهو الحج المتمتع وأبانت بعض أحكامه، وذلك في قوله ﷺ: ﴿..فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلَهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ..(196)﴾ والتمتع: هو أن يُحرم الحاج بالعمرة فقط في أشهر الحج فإذا فرغ منها تمتع فيما كان محرماً عليه في حال إحرامه ثم يحرم بالحج في عامه، وهذا النوع هو ما أقرته الآية الكريمة.(6)

(1) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص39.

(2) نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، الرملي، ج3/362.

(3) انظر: أحكام القرآن، ابن العربي، ج1/170-171.

(4) انظر: التفسير الوسيط، طنطاوي، ج1/421.

(5) انظر: الفقه الميسر، الطيار وآخرون، ج4/41.

(6) انظر: المرجع السابق، ج4/19.

6. المواقيت الزمانية للحج: وذلك في قوله ﷺ: «الحجُّ أشهرُ معلومَاتٍ..(197)» فبيّن زمانه وأشهره وهي على الراجح: شوال وذو القعدة وصدر ذي الحجة.<sup>(1)</sup>
7. بعض آداب وأخلاقيات الحج: فالحج عبادة روحية وجسدية ومالية في آن واحد، ومدرسة تربوية لذلك دعا الله ﷻ إلى جملة من الآداب لا بد من الالتزام بها وذلك في قوله ﷻ: «..فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ..(197)» فمن محظورات الحج الرفث وهو الجماع ودواعيه، والفسوق وهو المعاصي، والجدال وهو المماراة والخصام مع الرفقة والمنازعة والسباب<sup>(2)</sup>.
8. الإشارة إلى ركن الحج الأكبر: وهو الوقوف بعرفة، والإفاضة منه وفي ذلك قال ﷻ: «..فَإِذَا أَفْضَيْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ (198)» وعرفة موضع معلوم الحدود، مشهورٌ عظيمُ القدر، وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «الحجُّ عرفة»<sup>(3)</sup>.<sup>(4)</sup>
9. الإشارة إلى الإقامة بمنى وأيام التشريق: وفي ذلك قال الحق ﷻ: «وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (23)» ففي الآية الكريمة يأمر الله ﷻ عباده الحجاج المؤمنين بذكره في أيام التشريق عند رمي الجمار وبعد الصلوات الخمس قائلين: الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله، الله أكبر الله أكبر والله الحمد ثلاث مرات إلى عصر اليوم الثالث في أيام التشريق، ثم بيّن لهم أنه لا حرج على من تعجّل السفر إلى أهله بعد رمي اليوم الثاني، كما لا حرج على من تأخر فرمى اليوم الثالث فالأمر على التخيير.<sup>(5)</sup>
10. الإشارة إلى جملة من التوجيهات الربانية للحاج: فهذه التوجيهات بمثابة وسائل معينة للحاج من بداية مسيره إلى نهايته، وهي على النحو الآتي:

(1) انظر: الموسوعة الفقهية الميسرة، العوايشة، ج4/273.

(2) انظر: الفقه الميسر، الطيار وآخرون، ج4/39.

(3) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، كتاب المناسك/ باب من أتى عرفة، قبل الفجر، ليلة جمع، ج2/1003، رقم الحديث 3015. قال الألباني: "حديث صحيح". انظر: إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، الألباني، ج4/256.

(4) انظر: أحكام القرآن، ابن العربي، ج1/192.

(5) انظر: أيسر التفاسير، الجزائري، ج1/183.

أ- لا منافاة بين الحج وبين ابتغاء الرزق في الحج فقد أكد الحق ﷺ على ذلك بقوله: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَأذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ (198)﴾ .

ب- الحث على الاستغفار في نهاية كل عمل وهذا ما يفهم من قوله ﷺ: ﴿..ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (199)﴾ .

ت- الأمر بذكر الله في كل مكان وزمان وقد جاء هذا الأمر في قوله ﷺ: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَأذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ (200) وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (201) أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (202) وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (203)﴾ .

ث- نبه الحق ﷺ إلى أن مطالب الناس في الدنيا تنفق، لكن مقاصدهم تختلف، وهذا البيان جاء في قوله ﷺ: ﴿..فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ 200 وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (201) أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (202)﴾ "فمن الناس من يدعو الله بأن يحقق له رغائبه في الدنيا وحسب، ومثل هؤلاء لن يكون لهم نصيب من رحمة الله في الآخرة، ومنهم من يدعو بأن ييسر لهم ما فيه الحسنی والخير في الدنيا والآخرة وبقية عذاب النار، وهؤلاء هم الذين ينتفعون بما يفعلون من الأعمال الصالحة في الدنيا ويستوفون أجرهم من الله الذي هو سريع الحساب، يعطي كل امرئ حقه وجزاءه وبدون تأخير." (1)

(1) التفسير الحديث، عزت، ج 351/6.

## المطلب الخامس

### عرض بعض أحكام القتال والجهاد في سبيل الله

جاء الإسلام لتحقيق السعادة والأمن والسلام للبشرية جمعاء، وليحرّره من عبودية العباد إلى عبودية رب العباد، لذلك أمر الله ﷻ عباده المؤمنين بالجهاد والقتال في سبيله، لإعلاء كلمة الله التي غايتها تحقيق المصالح الدنيوية والأخروية لبني البشر، فلم يكن القتال غاية في حد ذاته وإنما هو وسيلة لإقامة العدل والحق المنزل من عند الله بين البشرية، ودفع الظلم عن جميع البشر.

ولأن سورة البقرة هي ذروة سنام القرآن كان لا بد أن نتحدّث عن ذروة سنام الإسلام وقُبَّته ألا وهو (الجهاد)، فقد أمر الله ﷻ نبيه الكريم ﷺ بالجهاد من لحظة بعثه، إلا أن نوعيته اختلفت ما بين العصر المكي والمدني، فقد تدرّج الأمر بجهاد الكفار في القرآن المكي من الجهاد بالحجة والبيان وتبليغ القرآن، إلى الأمر بجهادهم وقتالهم ومحاربة منافقيهم في القرآن المدني<sup>(1)</sup>، وسورة البقرة اشتملت على دعوات واضحة وصريحة لقتال أعداء الإسلام تنوعت وتباينت وفق المواقف والأحداث الجارية آنذاك، وقد تتبعت الباحثة هذه الدعوات وحصرتها على النحو الآتي:

#### 1. القتال في سبيل الله ابتلاءً وتمحيص

لقد بيّنت سورة البقرة أنّ القتل في سبيل الله من جملة الابتلاءات العظيمة في سبيل نصرة الدين، ووعده الله ﷻ الصابرين برحمته وهدايته، فحينما كان المؤمنون حديثي عهد بالهجرة ومع تزايد الحركات الحربية التي أخذت تتشب بين المؤمنين وقريش تضمنت الآيات الكريمة تلقينات جليلة مكثفة لتطمين المؤمنين من جهة بمعية الله ﷻ لهم، وليوطّدوا النفس دائماً على أنهم سيتعرضون لمصاعب ومشاق وخسائر في المال والنفس وحرمان وخوف وجوع في سبيل الله<sup>(2)</sup>، وهذه الرسائل الرقيقة المؤثرة جاءت في قوله ﷻ: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أحيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ (154) وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (155) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (156) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (157)﴾ وقد أشار الواحدي إلى أن هذه الآيات "نزلت في قتلى بدر من المسلمين، وكانوا بضعة عشر رجلاً،

(1) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم، ج3/5 بتصرف شديد.

(2) انظر: التفسير الحديث، دروزة، ج6/265.

ثمانية من الأنصار وستة من المهاجرين، وذلك أن الناس كانوا يقولون للرجل يُقتل في سبيل الله مات فلان وذهب عنه نعيم الدنيا ولذاتها، فأنزل الله ﷻ هذه الآية<sup>(1)</sup>، وهذا الشحن للهمم إنما جاء بعد أن كشف الله ﷻ للمؤمنين حال الطاعنين في دينهم، فأتبعه بما دلّ على أن الأمر قد يصل إلى القتل وما دانه ليأخذوا لذلك أهبتة ويعدّوا له عدّته<sup>(2)</sup>، فالله ﷻ يقسم لعباده المؤمنين أنه يبتليهم بشيء من الخوف عندما يشن الكفار الحروب عليهم، وبالجموع لحصار العدو ولغيره من الأسباب، وينقص الأموال بفعل الحرب والقحط، وهلاك الأنفس كموت الرجال، وفساد الثمار كذلك، كل ذلك لإظهار من يصبر على إيمانه وطاعة ربه بامتنال أمره واجتناب نهيه، ومن لا يصبر فيحرم ولاية الله وأجره<sup>(3)</sup>، أما صفة هؤلاء الصابرين أنهم إذا أصابهم شيء يكرهونه قالوا: إنا عبيد مملوكون لله، يفعل بنا ما يشاء، وإنا إليه راجعون بالموت، ثم بالبعث للحساب والجزاء، أولئك الصابرون لهم ثناء من ربهم ورحمة عظيمة منه سبحانه، وأولئك هم المهتدون إلى الرشاد<sup>(4)</sup>، هذا الانقياد والصبر والتسليم هو عنوان التربية التي هدّب الله ﷻ بها الصفّ المسلم ليعده ذلك الإعداد العجيب، وهذا هو المنهج الإلهي في التربية لمن يريد استخلاصهم لنفسه ودعوته ودينه من بين البشر أجمعين.<sup>(5)</sup>

## 2. حكم القتال في الإسلام ومشروعيته

كان المؤمنون مأمورين بترك القتال في سبيل الله لضعفهم وعدم احتمالهم لذلك، فلما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة، وكثر المسلمون واشتد بأسهم أمرهم الله ﷻ بالقتال وفرضه عليهم<sup>(6)</sup>، وذلك في قوله ﷻ: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (216)﴾، قال الإمام ابن كثير: "هذا إيجاب من الله تعالى للجهاد على المسلمين: أن يكفوا شر الأعداء عن حوزة الإسلام."<sup>(7)</sup>

(1) أسباب النزول، الواحدي، ص44

(2) انظر: نظم الدرر، البقاعي، ج2/248.

(3) انظر: أيسر التفاسير، الجزائري، ج1/134.

(4) انظر: التفسير الميسر، نخبة من أساتذة التفسير، ج1/24.

(5) انظر: في ظلال القرآن، قطب، ج1/145-146.

(6) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص96.

(7) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج1/572.

ففي الآية الكريمة يخاطب الله ﷺ عباده المؤمنين أن اعلموا أنني قد فرضت عليكم قتال الكفار وهو مكروه لكم لمشقته، فالنفس تميل إلى الشهوات الموجبة لهلاكها ونفورها عن التكاليفات الموجبة لسعادتها، فلعل لكم في القتال وإن كرهتموه خيراً لأن فيه إما الظفر والغنيمة أو الشهادة والأجر، وفي تركه وإن أحببتموه شراً لأن فيه الذل والفقر وحرمان الأجر والله يعلم ما هو خير لكم وأنتم لا تعلمون ذلك فبادروا إلى ما يأمركم به.<sup>(1)</sup>

### 3. الجهاد في سبيل الله وسيلة وليس غاية

جاء الخطاب القرآني كعادته لتعديل المفاهيم ولتوجيهها في الطريق السليم الذي يرضاه الحق ﷻ، من أجل ذلك أعقب الله ﷺ إذنه بقتال الكفار ببيان الهدف من القتال والسر وراء تشريعه والإذن به، وتفصيل هذا الهدف وضحته الآيات الكريمة في قوله ﷻ: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ لِلَّهِ فَإِنْ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ (193)﴾ فقد كان الكفار بمكة في أمن وطمأنينة يقيمون الباطل ويعبدون الأصنام، والمسلمون مطرودون منها ومن بقي فهو خائف لا يظهر دينه ولا يُجاهر به، فحثّ الله ﷻ المؤمنين أن يستمروا في قتال الكفار حتى لا تكون لهم قوة تمكّنهم من أن يفتنّوهم عن دينهم أو يفتنّوا غيرهم، بل أكد عليهم أن يستمروا في قتالهم حتى يكون الدين خالصاً لله لا دخل للشيطان فيه، وحتى يأمن المسلم في الحرم فيظهر دينه فيكون الدين لله فقط<sup>(2)</sup>، فَإِنْ انْتَهَوْا عن قتالكم في الحرم فلا سبيل لكم بالقتل إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ المبتدئين بالقتل إصلاحاً وتأديباً لهم.<sup>(3)</sup>

وفي الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ».<sup>(4)</sup>

أما هؤلاء الظالمون المعتدون فالحال معهم المعاملة بالمثل، لذلك قال الله ﷻ: ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى

(1) انظر: تفسير الجلالين، السيوطي والمحلي، ص45.

(2) انظر: التفسير الواضح، حجازي، ج1/116.

(3) انظر: محاسن التأويل، القاسمي، ج2/59.

(4) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الإيمان/ باب: {فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم}،

ج1/14، رقم الحديث 25. صحيح مسلم، مسلم، كتاب الإيمان/ باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا

إله إلا الله محمد رسول الله، ج1/53، رقم الحديث 22.

عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (194)﴾ أي: إذا قاتلوكم في الشهر الحرام وهتكوا حرمة فقاتلتموهم في الشهر الحرام مكافأة لهم ومجازاة على فعلهم، فمن هتك حرمتكم عليكم فلکم أن تهتكوا حرمة عليه قصاصًا. (1)

#### 4. الإذن بالقتال والنهي عن البدء في الاعتداء

تدرج أمر الجهاد في سورة البقرة من الترغيب فيه وبيان أن الشهداء أحياء وليسوا أمواتًا إلى الحث عليه مع عدم الإذن بالبدء بالاعتداء من طرف المسلمين، وقد ورد ذلك في قوله ﷺ: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (190)﴾ ومما جاء في سبب نزول الآية الكريمة "أنها نزلت في صلح الحديبية، وذلك أن رسول الله ﷺ لما صدّ عن البيت هو وأصحابه، نحر الهدي بالحديبية، ثم صالحه المشركون على أن يرجع عامه، ثم يأتي القابل على أن يخلوا له مكة ثلاثة أيام، فيطوف بالبيت ويفعل ما شاء، وصالحهم رسول الله ﷺ؛ فلما كان العام المقبل تجهّز رسول الله ﷺ وأصحابه لعمرة القضاء، وخافوا أن لا تفي لهم قريش بذلك، وأن يصدّوهم عن المسجد الحرام ويقاتلوهم، وكره أصحابه قتالهم في الشهر الحرام، فأنزل الله ﷻ: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ.. (190)﴾، يعني قريشًا. (2)

يقول الشيخ ابن عثيمين أن الآية دليل صريح على وجوب القتال؛ لقوله ﷻ: ﴿وَقَاتِلُوا..﴾، ووجوب أن يكون في سبيل الله أي: في شرعه، ودينه ومن أجله لقوله ﷻ: ﴿.. فِي سَبِيلِ اللَّهِ..﴾ (3)، وأما النهي عن الاعتداء في الآية الكريمة فهو "يشمل أنواع الاعتداء كلها، من قتل من لا يُقاتل من النساء والمجانين والأطفال والرهبان ونحوهم، والتمثيل بالقتلى، وقتل الحيوانات، وقطع الأشجار ونحوها، لغير مصلحة تعود للمسلمين، ومن الاعتداء مقاتلة من تقبل منهم الجزية إذا بذلوا، فإن ذلك لا يجوز. (4)

#### 5. الإذن بالقتال في الحرم إذا ابتدؤوهم بالعدوان

كان القتال محرّمًا في الأشهر الحرم ف جاء الإذن بالقتال للمحرمين في الأشهر الحرم، إذا فوجئوا بالقتال بغياً وعدواناً، وهذا التصريح بيانه في قول الحق ﷻ: ﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ

(1) انظر: نيل المرام من تفسير آيات الأحكام، صديق خان، ص 42-43.

(2) أسباب النزول، الواحدي، ص 55.

(3) انظر: تفسير العثيمين الفاتحة والبقرة، ابن عثيمين، ج 2/374.

(4) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص 89.

حَتَّى يُقَاتِلُوَكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ (191) فَإِنْ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (192)﴾ يقول الزجاج في معنى الآية أي: لا تَمْتَنِعُوا من قتلهم في الحرم وغيره، فكفرهم في هذه الأمكنة أشد من القتل، وكانوا قد نُهوا عن ابتدائهم بقتل أو قتال حتى يبتدئ المشركون بذلك<sup>(1)</sup>، وأشار الإمام القرطبي إلى أن للعلماء في هذه الآية قولين:

الأول: أنها منسوخة، بقوله ﷺ: ﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ..﴾ [التوبة: 5] فيجوز الابتداء بالقتال في الحرم.

الثاني: أنها محكمة، فلا يجوز قتال أحد في المسجد الحرام إلا بعد أن يُقَاتَلَ، وهو الذي يقتضيه نص الآية، وهو الصحيح من القولين، وفي الصحيح عن ابن عباس ؓ قال: قال رسول الله ﷺ يوم فتح مكة: «إِنَّ هَذَا الْبَلَدَ حَرَمُهُ اللَّهُ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، فَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَإِنَّهُ لَمْ يَحِلَّ الْقِتَالُ فِيهِ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَلَمْ يَحِلَّ لِي إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، فَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»<sup>(2)</sup>.<sup>(3)</sup>

ففي الآية الكريمة تمام البيان لقضية القتال بين المسلمين ومشركي قريش، "فحين يلتقى بهم المسلمون في ميدان القتال، فلا يتحرّج المسلمون من قتلهم حيث التقوا بهم، فهم قد ابتدأوهم بالعدوان، وأخرجوهم من ديارهم، وفتنوا بعضهم عن دينهم، إذ المفتن في دينه قد أصيب بما هو أشد وأنكى من القتل، فقد خسر الدنيا والآخرة، فإذا كان القتال في المسجد الحرام، فلا يبدأ المسلمون بقتال فيه حتى يكون المشركون هم الذين بدؤوه، وعندئذ تحل حرمة الحرم، اقتصاصاً ممن أحلوا حرمة"<sup>(4)</sup>، فإن انتهوا عن قتالهم ورجعوا عن الكفر بأن انقادوا إلى الإسلام، فإله غفور يغفر لهم ما سلف من كفرهم، رحيماً بهم وبحالهم.<sup>(5)</sup>

وتأمل ما في قوله ﷺ: ﴿فَإِنْ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (192)﴾ من إشارة جميلة إلى أن القتال ليس غاية في نفسه إنما هو سبيل ووسيلة لنصرة دين الإسلام العظيم.

كما أكّدت آيات سورة البقرة على إباحة القتال في الأشهر الحرم "فحينما أخبر الله ﷺ أنه كتب على المؤمنين القتال أرسل رسول الله ﷺ سرية من المسلمين، وأمر عليهم عبد الله بن

(1) انظر: معاني القرآن، الزجاج، ج1/264.

(2) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الجزية/باب إثم الغادر للبر والفاجر، ج4/104، رقم الحديث 3189.

(3) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج2/351.

(4) التفسير القرآني للقرآن الكريم، الخطيب، ج1/212-213.

(5) انظر: تيسير التفسير، القطان، ج1/105.

جش الأسدي رضي الله عنه، فانطلقوا حتى هبطوا نخلة، ووجدوا بها عمرو بن الحضرمي في غير تجارة لقريش في يوم بقي في الشهر الحرام، فاختم المسلمون فقال قائل منهم: لا نعلم هذا اليوم إلا من الشهر الحرام ولا نرى أن تستحلوا لطمع أشقيتم عليه. فغلب على الأمر الذين يريدون عرض الدنيا، فشدوا على ابن الحضرمي فقتلوه وغنموا غيره فبلغ ذلك كفار قريش، وكان ابن الحضرمي أول قتيل قتل بين المسلمين وبين المشركين، فركب وفد من كفار قريش حتى قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: أتحل القتال في الشهر الحرام؟ فأنزل الله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (217)﴾. (1)

فعنما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القتال في الشهر الحرام أمره الله تعالى أن يخبرهم أن "القتال فيه وزر كبير بيد أن الصد عن دين الله والكفر به صلى الله عليه وسلم، وكذا الصد عن المسجد الحرام، وإخراج الرسول منه والمؤمنين وهم أهله وولاته بحق أعظم وزراً في حكم الله تعالى، كما أن شرك المشركين في الحرم وفتنة المؤمنين فيه لإرجاعهم عن دينهم الحق إلى الكفر بشتى أنواع التعذيب أعظم من القتل في الشهر الحرام" (2) مضافاً إلى كل هذا أن هؤلاء لا هم لهم إلا منع الإسلام عن الانتشار في الأرض، لاستحكام عداوتهم وحرصهم على فتنكم إن استطاعوا، فانتظار إيمانهم بمجرد الدعوة طمع في غير مطمع، والقتال في الشهر الحرام أهون من فتنكم عن الإسلام علاوة على كل الآثام التي ارتكبوها في حق دين الله (3)، فمن تأثر بهم وارتد عن دينه بأن اختار عليه الكفر واستمر على ذلك حتى مات كافراً فقد حبط عمله في الدنيا والآخرة لعدم وجود شرطه وهو الإسلام ووجبت له النار خالداً فيها. (4)

## 6. الحث على اتباع أمر الله بالقتال والنهي عن التباطؤ فيه

شرع الله تعالى القتال لإعلاء كلمة الحق، وتأمين الدعوة، ونشر الدين، حتى لا يغلب أهله، ولا يُصدّهم صادّ عن إقامة شعائره، والدفاع عن بلاد الإسلام إذا هم الطامع في

(1) أسباب النزول، الواحدي، ص 68.

(2) أيسر التفاسير، أبو بكر الجزائري، ج 1/199.

(3) انظر: تفسير المراغي، المراغي، ج 2/136.

(4) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص 97.

اغتنابها والتمتع بخيراتها، وإرادة إذلالها، والعدوان على استقلالها، ولما كانت النفس البشرية تميل إلى الركود أتى الأمر الرباني بالتحلي بالشجاعة والقوة والبأس، وتحمل أعباء القتال في سبيل الله، وقد جاء هذا الأمر في قوله ﷺ: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (244)﴾ فعلينا أن نراقب أنفسنا في اعتذارنا عن امتثال الأمر بالقتال، والفرار من الاستعداد للدفاع ومقاتلة العدو، فالمتعلل بها مخادع لربه ولنفسه ولقومه.<sup>(1)</sup>

وتأمل موقع الآية الكريمة حيث أنت بين قصتين، أما الأولى فهي التي ذكرت في قوله ﷺ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ.. (243)﴾ حيث ذكر الله ﷻ حادثة الفارين من الموت التاركين ديارهم لغيرهم كيف أماتهم الله، ولم ينجهم فرارهم، ثم أحياهم ليكون ذلك عبرة لهم ولغيرهم، فالفرار من الموت لا يجدي إنما يجدي الصبر والصمود حتى النصر<sup>(2)</sup>، فجاء الأمر الإلهي في قوله ﷺ: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ.. (244)﴾ للتحريض على الجهاد والتذكير بأن الحذر لا يؤخر الأجل، وأن الجبان قد يلقي حتفه في مظنة النجاة<sup>(3)</sup>، أما القصة التي تلتها فهي المذكورة في قوله ﷺ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (246)﴾ فهذه قصة أخرى جاءت للتحريض على القتال قصة أخرى جرت في بني إسرائيل بعد القصة المتقدمة، حيث يقص ﷺ على نبيه ﷺ قصة الملأ من بني إسرائيل الذين طالبوا نبيهم أن يبعث لهم ملكاً يقاتل معهم، فلما لم تكن نياتهم حسنة ولم يقو توكلمهم على ربهم جبنوا عن قتال الأعداء وضعفوا عن المصادمة، وزال ما كانوا عزموا عليه من أمر القتال، واستولى على أكثرهم الخور والجبن<sup>(4)</sup>، فكان الأمر بالقتال في قوله ﷺ: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ.. (244)﴾ شحداً لهمم وإلهاباً للمشاعر لتقوى الجماعة المسلمة بالمدينة على مواجهة حرب العرب والعجم معاً، ولبيان أن الجبن من شر الصفات في الرجال، وأن الأمم تموت بالجبن كما تحيا بالشجاعة.<sup>(5)</sup>

(1) انظر: تفسير المراغي، المراغي، ج2/210.

(2) انظر: أيسر التفاسير، الجزائري، ج1/234.

(3) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، ج3/401. التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج2/475.

(4) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص107.

(5) انظر: أيسر التفاسير، الجزائري، ج1/234.

هكذا أتى السياق القرآني بحصيلة دسمة من التوجيهات للجماعة المسلمة، فالحال آنذاك أنها في المدينة مقبلة على جهادٍ شاقٍ لإقرار منهج الله في الأرض، ولأداء دورها المقسوم لها في قدر الله، ولتسلم الراية والسير بها في الطريق الشاق الطويل، فأخذ القرآن الكريم في تعبئتها تعبئة روحية من جهة وذلك في تقويم تصوّرها لما يجري في أثناء هذا الجهاد من جذب ودفع، ومن تضحيات وآلام، وتعبئة جهادية من جهة أخرى في إعطائها الموازين الصحيحة التي تقدّر بها أحكام القتال وضوابطه بمعايير محددة تحفظ حقوق العباد.<sup>(1)</sup>

وها قد أخذتنا سنام القرآن في جولة غنية تفيض بثلة من أحكام ذروة سنام الإسلام، جولةً مليئةً بالعبر لكل من كان له نظر، فالجهاد في سبيل الله هو سبيل النصر لهذا الدين، ولا سبيل لأخذ زمام المهمة الإلهية وتنفيذ التكليف الرباني بالاستخلاف في هذه الأرض إلا بالاستمساك بالجهاد، فالآجال متى انقضت لا بدّ من مفارقة الروح للجسد، وشتان شتان بين روح فارقت الدنيا مقبلة، وعلى حدوده مرابطة، وعلى الجهاد في سبيله صابرة مصابرة، وبين روح ولّت مدبرة، وفي أحكام الله مفرطة، وللجهاد في سبيله مضيعة!

#### • علاقة المبحث بوحدة موضوع السورة:

بعد أن أرست السورة الكريمة دعائم العقيدة في نفوس المكلفين، أتت بشرائع العبادات وأشارت لها في مواضع كثيرة؛ ليتهاً العبد للدور المنوط به، فالعبادات هي ترجمات وجدانية وعملية على غراس العقيدة، الذي لا بدّ وأن ينبت اتباعاً وانقياداً.

فعلى العبد المستخلف أن يتقرب إلى باريه بما يحبه جلّ في علاه، ولا شيء أحب إلى الخالق ﷻ مما افترضه عليه، فكلفه بالصلاة التي تنهى عن الفحشاء والمنكر، والتي بإقامتها تُقام الحياة بأكملها، ثم كلفه بالإنفاق ليطهر قلبه من آفات النفوس، وليسمو المؤمنون إخوة يتداعى بعضهم لعون بعض، وكلفه كذلك بالصيام وما فيه من مشقة وتعب ليرتّي نفس العبد على المجاهدة والمصابرة، وترك الشهوات رغبة وإنابة لله ﷻ، ثم بيّن لهم أحكام الحج والعمرة ليعيش العبد مشاعر الهجرة إلى الله خوفاً وطمعاً، فيتصل قلب العبد بما عند ربه، ويتذكر دوماً أنه مكلف تكليفاً عظيماً يحتاج إلى قدر عالٍ من الصدق والقرب، والتوبة والإنابة.

ثم أكد على تكليف عباد الله ﷻ بتحقيق الاستخلاف في الأرض فأمرهم بالجهاد لنشر الإسلام وإقامة شرع الله.

(1) في ظلال القرآن، قطب، ج1/143 بتصرف.

والمتمأمل في حال الأمة الإسلامية في يومنا الحالي يحزن لما آل إليه حالها، بل ويعجب كيف لأمة عظيمة أن تتراجع لهذا الحد، وإنما كان ذلك لتقصيرهم فيما أمرهم الله ﷻ به -إلا من رحم ربي-، فلا صلاة تقام بحق، ولا زكاة تُعطى لمستحقيها، وتفريط في العبادات، وتباطؤ عن الجهاد والدعوة، بل امتدّ الأمر لأن يُوصم هذا الدين بالإرهاب وسفك الدماء من أبناء الإسلام أنفسهم.

لهذا كله تجد سنام القرآن الكريم تؤكد على ضرورة الالتزام بالشرائع التعبدية التي افترضها المولى ﷻ على عباده؛ ليستطيعوا أن يحملوا راية الاستخلاف؛ فينشروا دين الإسلام في الأرجاء.

### المبحث الثالث

## تنظيم العلاقات الأسرية والمعاملات في السورة وعلاقتها بوحدة موضوعها

لم تقتصر عناية السورة الكريمة على إرساء أصول العقائد وبسط الشرائع وحسب، وإنما امتدت عنايتها لإصلاح الفرد والمجتمع، فنظمت العلاقات الأسرية التي هي لبنة المجتمع ودعامته الأساسية، ووضعت ضوابط المعاملات الإنسانية بين أفرادها، والتي تمثل في جملتها سياج الدين ونظام الدنيا، وهي الخطوات العملية التي ترسم معالم المجتمع المسلم وعلاقاته الاجتماعية المنشودة، وستعرض الباحثة في هذا المبحث هذه الأحكام الفرعية بإيجاز مسلّطة الضوء على مدى ارتباط هذه الموضوعات بوحدة موضوع السورة.

### المطلب الأول

#### تنظيم العلاقات الأسرية في سورة البقرة

توجّه الشارع الحكيم لتنظيم اللبنة الأولى التي تقوم عليها الجماعة المسلمة، ألا وهي الأسرة، فهذه النواة قد أحاطها الإسلام برعاية ملحوظة، واستغرق تنظيمها وحمايتها وتطهيرها من فوضى الجاهلية جهداً كبيراً، نراه متناثراً في سور شتى من القرآن وفي ثنايا سورة البقرة خاصة، محيطاً بكل المقومات اللازمة لإقامة هذه القاعدة الأساسية الكبرى، تأكيداً على دورها السامي والأساسي في صلاح النظام الاجتماعي المسلم، فتناولت آيات السورة بعض أحكام الزواج والمعاشرة والإيلاء والطلاق والعدة والنفقة والمتعة والرضاعة والحضانة وغيرها من الأحكام التي تنظم جوانب الحياة البشرية منبثقة من مشكاة العقيدة الإسلامية<sup>(1)</sup>، وستتناول الباحثة في هذا المطلب هذه الأحكام على النحو الآتي:

#### أولاً: أحكام الوصية

الوصية عمل من أعمال البر والخير التي ذكّر الله ﷻ بها جميع عباده، وذلك أنه لما ذكر ﷻ القتل في القصص والدية أتبع ذلك بالتنبيه على الوصية حتى يتنبه كل أحد فيوصي قبل مفاجأة الموت، فيموت على غير وصية<sup>(2)</sup>، وفي ذلك قال الحق ﷻ: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ (180) فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (181)﴾ فَمَنْ خَافَ مِنْ

(1) في ظلال القرآن، قطب، ج1/234-236 بتصرف.

(2) انظر: التفسير المنير، الزحيلي، ج2/119.

مُوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (182)﴾ فهذه آية الوصية، وليس في القرآن ذكر للوصية إلا في هذه الآية، رغم أنها ذُكرت في مواطن أخرى<sup>(1)</sup> ولكن التي في البقرة أتمّها وأكملها، وقد نزلت قبل نزول الفرائض والمواريث<sup>(2)</sup>، وهذه الآية قد دلّت على وجوب الوصية، واختلف العلماء فيها: أهي منسوخة أم محكمة لم تُنسخ؟ وجمهور العلماء على أنها منسوخة بقوله ﷺ: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ ..﴾ [النساء:7]<sup>(3)</sup>، ويرى الإمام الشافعي أن المواريث ناسخة للوصية للوالدين والزوجة، استدلالاً بالخبر المنقطع عن النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعْطَى كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، أَلَا لَا وَصِيَّةَ لَوَارِثٍ»<sup>(4)</sup> وقد أجمعت الأمة على القول به<sup>(5)</sup>، والعلماء متفقون على نسخ الوصية للوالدين والأقربين الذين يرثون فقد جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «كان المال للولد، وكانت الوصية للوالدين، فنسخ الله ﷻ من ذلك ما أحب، فجعل للذكر مثل حظ الأنثيين، وجعل للأبوين لكل واحد منهما السدس، وجعل للمرأة الثمن والربع، وللزوج الشطر والربع»<sup>(6)</sup>، وهم مختلفون في الأقربين الذين لا يرثون: هل تجب الوصية لهم؟ وذلك على قولين، أصحهما أنها لا تجب لأحد والله أعلم، وقد اختلف كذلك هل كانت الوصية ندباً أو واجبة؟ وقد احتج من قال أنها كانت فرضاً بقوله ﷻ: «كُتِبَ» ومعناه: فرض<sup>(7)</sup>.

وقد اشترط الحق ﷻ مراعاة العدل فلا يُحرّم الفقير ويوصى للغني، ولا يتجاوز الثلث، وذلك حقٌّ ثابت يعمل به أهل التقوى الذين يخافون الله<sup>(8)</sup>، فمن غير الوصية بعدما سمعها وشهد عليها فإثمه عليه، والله سميع لكل قول عليم بكل فعل، ومن علم من موصٍ ميلاً عن الحق سواء كان خطأً أو عمداً فله أن يصلح بين الموصي والموصى له بأن يجعل الوصية شرعية عادلة لا ظلم فيها، ولا ذنب عليه في ذلك والله غفور رحيم<sup>(9)</sup>.

(1) وهي: "من بعد وصية" [النساء: 12] و "حين الوصية" [المائدة: 106].

(2) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج2/258.

(3) انظر: تفسير آيات الأحكام، السائس، ص64.

(4) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، كتاب الوصايا/ باب لا وصية لوارث، ج2/906، رقم الحديث 2714. سنن

الترمذي، الترمذي، باب ما جاء في لا وصية لوارث، ج4/433، رقم الحديث 2120. قال الألباني:

"إسناده حسن". انظر: أحكام الجنائز، الألباني، ج1/7.

(5) انظر: الرسالة، الشافعي، ج1/137.

(6) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الوصايا/ باب لا وصية لوارث، ج4/4، رقم الحديث 2747.

(7) انظر: زاد المسير، ابن الجوزي، ج1/139.

(8) انظر: التفسير الميسر، نخبة من أساتذة التفسير، ج1/27.

(9) انظر: التفسير الواضح، حجازي، ج1/105.

## ثانياً: أحكام النكاح

النكاح هو أعمق وأقوى وأدوم رابطة تصل بين اثنين من بني الإنسان، فلما أراد الله ﷻ للجماعة المسلمة أن تستقلّ في المدينة، وتتميّز شخصيتها الاجتماعية كما تميّزت شخصيتها الاعتقادية بدأ التنظيم الجديد يأخذ طريقه، فأُنزل الله ﷻ قوله: ﴿وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَبَيَّنَّ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (221)﴾<sup>(1)</sup>، ففصلت الآية الكريمة حكم نكاح المسلم للمشركة وحكم نكاح المشرك للمسلمة، وهذه الآية من الآيات التي اختلف فيها، فقد روي عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان إذا سُئل عن نكاح اليهودية والنصرانية قال: «إن الله ﷻ حرّم المشركات على المسلمين ولا أعلم شيئاً من الشرك أكثر من أن يقال: «عيسى ربنا»، وأما الباقيون فإنهم جوزوه تعلقاً بقوله ﷻ: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [المائدة: 107]، حيث إن الله ﷻ حرّم نكاح المشركات فيها والكتابات من الجملة، ثم جاءت آية المائدة فخصصت الكتابيات من هذا العموم، ولا تعارض بين هذا وبين قوله ﷻ: ﴿وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ﴾، فإن ظاهر لفظ المشرك لا يتناول أهل الكتاب، لقوله ﷻ: ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ﴾ [البقرة: 105].<sup>(2)</sup>

والمتمائل في هذا الحكم يقف على مدى تناغم التشريع الإسلامي مع الفطرة الإنسانية فقد أجاز الشرع زواج المسلم بالكتابية، ولم يُجزِ زواج المسلمة بالكتابي، لأن للرجل عادةً سلطة القوامة على المرأة، وهي أقوى من سلطة المرأة، فلو تزوّج الكتابي المسلمة أمكنه التأثير عليها، وربما تركت دينها، وتضررت غالباً بمعاشرة زوجها، لعدم توافر الانسجام والوئام الروحي والحسي، على عكس المسلم فإنه يؤمن بدينه المتضمن الإقرار بأصول الأديان الأخرى، ومنها الدين اليهودي والدين النصراني في أصوله الأولى التي تتفق مع الإسلام في الدعوة إلى التوحيد والفضائل الإنسانية، فهي مع المسلم في دائرة متسعة تسع دينها وغيره، وربما كانت سبباً لإسلامها<sup>(3)</sup>، فأراد الحق ﷻ أن يحمي اللبنة الأولى في تكوين المجتمع وهي الأسرة في البناء

(1) انظر: في ظلال القرآن، قطب، ج1/239.

(2) انظر: أحكام القرآن، الكيا الهراسي، ج1/129. نيل المرام في تفسير آيات الأحكام، صديق خان، ص69.

(3) انظر: التفسير المنير، الزحيلي، ج2/293.

العقدي من أن تتأثر بالشرك، ويريد أن يحفظ للأسرة كياناً سليماً<sup>(1)</sup>، هكذا عرضت هذه الآية جملة من الأحكام التي تُنظّم المجتمع الإسلامي الداخلي وتُرسي دعائمه.

### ثالثاً: أحكام الحيض

يستمر التشريع الإلهي في تنظيم الحياة الإنسانية وفق معايير التميّز والتنصل من كل أردان الجاهلية وبتدعها، فتحرّيم نكاح المشركات يؤذن بالتنزه عن أحوال المشركين، وقد كان المشركون لا يقربون نساءهم إذا كنّ حيضاً وكانوا يفرطون في الابتعاد عنهن مدة الحيض، وقد كان أهل يثرب قد امتزجوا باليهود واستنّوا بسنتهم في كثير من الأشياء، فتساءل المسلمون عن أحق المناهج بالاتباع فجاء التشريع الإلهي بالإجابة الواضحة في قوله ﷺ: «وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أذى فَأَعْتَرِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَظْهَرْنَ فَإِذَا تَظْهَرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ (222) نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (223)»<sup>(2)</sup>، وقد جاء عن أنس رضي الله عنه "أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم لم يواكلوها ولم يجامعوهن في البيوت، فسأل أصحاب النبي ﷺ فأُنزل الله ﷻ قوله: «وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أذى فَأَعْتَرِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ..»، فقال رسول الله ﷺ: «اصْنَعُوا كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا النِّكَاحَ» فبلغ ذلك اليهود فقالوا: ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئاً إلا خالفنا"<sup>(3)</sup>، فأرشدهم المولى ﷻ إلى أن الحيض أذى يضر الرجل والمرأة على السواء، والطب يشهد بهذا، فاحذروا الجماع فقط في الحيض ولا حرج عليكم في غير الجماع، ولا تقربوهن حتى يطهرن من الحيض فإذا تطهرن باغتسال فجامعوهن في المكان الذي أمركم الله به وهو القبل، واعلموا أن نساءكم الطاهرات من الحيض هنّ مواضع حرثكم، ولا حرج عليكم في إتيان النساء بأي كيفية شئتم ما دام في القبل الذي هو موضع الحرث.<sup>(4)</sup>

(1) انظر: الخواطر، الشعراوي، ج2/965.

(2) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج2/364.

(3) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الحيض/ باب جواز غسل الحائض رأس زوجها وترجيله وطهارة سورها والانتكاء في حجرها وقراءة القرآن فيه، ج1/246، رقم الحديث 302.. الصحيح المسند من أسباب النزول، مقبل الهمداني، ص34.

(4) انظر: التفسير الواضح، حجازي، ج1/139-140.

## رابعًا: أحكام اليمين

لما تتابعت الأوامر الإلهية بالإنفاق وصحبة الأيتام وجميل معاشره النساء، حذر الحق ﷺ من الامتناع عن شيء من هذه المكارم تعللًا بالإيمان<sup>(1)</sup>، فأقر القاعدة الكلية في الحلف واليمين في قوله ﷺ: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصَلِّحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ 224 لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبْتُمْ فُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ (225)﴾ وقد قيل أن المراد بقوله ﷺ: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ..﴾ وجهان:

**الوجه الأول:** أن يجعل يمينه مانعة من البر والتقوى والإصلاح بين الناس فإذا طلب منه ذلك قال قد حلفت فيجعل اليمين معترضة بينه وبين ما هو مندوب إليه أو هو مأمور به من البر والتقوى والإصلاح.

**الوجه الثاني:** أن يُراد به كثرة الحلف وهو ضرب من الجرأة على الله ﷻ وابتدال لاسمه في كل حق وباطل، وإذا كانت الآية محتملة للمعنيين وليس متضادين فالواجب حملها عليهما جميعًا فتكون مفيدة لحظر ابتداله اسم الله ﷻ واعتراضه باليمين في كل شيء حقًا كان أو باطلاً<sup>(2)</sup>، ثم يؤكد ﷻ أنه لا يؤاخذهم بما يجري على ألسنتهم من ذكر اسم الله من غير قصد الحلف، ولكن يؤاخذهم بما قصدوا إليه وعقدوا القلب عليه من الأيمان، والله واسع المغفرة، حلِيمٌ لا يُعاجل عباده بالعقوبة.<sup>(3)</sup>

## خامسًا: حكم الإيلاء

لم يقتصر القرآن الكريم على تنظيم شأن الأسرة المسلمة في حال اتصالها، بل امتدت تلك العناية الإلهية لكل ما يتعلّق بها حال انفصالها، فبعد أن ذكر المولى ﷺ حكمه العام في الحلف واليمين، أعقبه بالحديث عن ظاهرة بارزة ارتبطت بالأيمان وكانت تغزو الجاهلية ألا وهي الإيلاء، ففي ذلك قال الحق ﷻ: ﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ 226 وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (227)﴾ "والإيلاء لغة هو: الحلف، وشرعًا هو: الامتناع باليمين من وطء الزوجة"<sup>(4)</sup>، وقد قال عبد الله بن عباس ﷺ: كان

(1) انظر: التفسير المنير، الزحيلي، ج2/308.

(2) انظر: أحكام القرآن، الجصاص، ج2/42-43.

(3) انظر: روائع البيان في تفسير آيات الأحكام، الصابوني، ج1/308.

(4) سبل السلام، الصنعاني، ج2/268.

إيلاء الجاهلية السنة والسنتين وأكثر من ذلك يقصدون بذلك إيذاء المرأة عند المساءة، فوقت لهم الشارع الحكيم أربعة أشهر، فمن كان إيلاؤه أقل من أربعة أشهر فليس بإيلاء<sup>(1)</sup>، وقد وقت الشارع هذه الفترة لأنها مما لا تشقّ على المرأة، ولأنها فترة كافية لتروّي الرجل وتمهّله في التفكير، فإن رجعوا إلى نسائهم وكفّروا عن يمينهم فإن الله غفور لمن تاب وأصلح، رحيمٌ بهم في كل ما كلّفهم به، وإن صمّموا القصد وعزموا على العود فليراقبوا الله ﷻ فهو سميع لأيمانهم، عليمٌ بما يقع منهم من إيذاء لنسائهم.<sup>(2)</sup>

### سادسًا: أحكام الطلاق

قد تعتري الحياة الزوجية الخلافات المستديمة التي قد تستحيل معها الحياة، لذلك شرع الحق ﷻ الطلاق "لأن فيه حلًّا للمشكلات الزوجية عند الحاجة إليه، وبخاصة عند عدم الوفاق، وحلول البغضاء التي لا يتمكّن الزوجان معها من إقامة حدود الله، واستمرار الحياة الزوجية، وهو بذلك من محاسن الدين الإسلامي"<sup>(3)</sup>، وقد جاء تشريع الطلاق في آيات سورة البقرة بعد أن أوّمت الآيات الكريمة لهذه الخلافات الزوجية بالحديث عن الإيلاء والذي قد ينتهي بالطلاق، هنا جاء التفصيل في بيان جملة من أحكام الطلاق، أذكرها على النحو الآتي:

#### • بيان عدة المطلقة وما لها وما عليها:

استهل الله ﷻ أحكام الطلاق بذكره عدة المطلقة، وذلك في قوله ﷻ: ﴿وَالْمُطَلَّاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ.. (228)﴾ وهذه الأحكام خاصة بالمطلقة المدخول بها، غير المتوقّى عنها زوجها، وغير الحامل، وغير اليائسة من الحيض، فعليها أن تعتدّ ثلاثة قروء، والقراء لغة بمعنى الطهر وبمعنى الحيض أيضًا<sup>(4)</sup>، وإنما وجبت عدة الطلاق ليتمكّن الزوج فيها من الرجعة، ففيها حق لله وحق للزوج وحق للولد وحق للناكح الثاني، فحق الله ﷻ لوجوب ملازمتها المنزل كما نصّ عليه سبحانه، وحق الزوج ليتمكّن من الرجعة في العدة، وحق الولد لئلا يضيع نسبه، ولا يدرى لأي الواطئين ينتسب، وحق المرأة لما لها من النفقة زمن العدة لكونها زوجة ترث وتورث.<sup>(5)</sup>

(1) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج3/103. السنن الكبرى، البيهقي، ج15/387-388.

(2) انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، مسلم وآخرون، ص287.

(3) الفقه الميسر، الطيار وآخرون، ج1/313.

(4) انظر: التفسير القرآني للقرآن الكريم، الخطيب، ج1/259.

(5) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم، ج5/591.

ثم بيّن المولى ﷺ ما على المطلقة المعتدة من واجبات وذلك في قوله ﷺ: ﴿..وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ..﴾ (228) أي "يحرم على المرأة المطلقة المعتدة بالقروء أن تكتم ما خلق الله ﷻ في رحمها من الولد، فتقرّ بالواقع، إذ القول هنا قولها، وما تعلمه هو أمانة حملتها، فإذا لم تؤدّ الأمانة على وجهها فقد أصبحت في الخائنات الآثمات." (1)

وكما بيّن ما على الزوجة من واجبات عطف عليه ما يجب على الزوج وبيان ذلك في قوله ﷺ: ﴿..وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرِدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا..﴾ (228) فإن بدا للزوج أنه أخطأ في حق زوجه وأراد مراجعتها فله ذلك بل هو أحقّ بمراجعتها من غيره ما لم تكن بائنة، وينبغي أن يكون ذلك بقصد الإصلاح والخير، وليس بقصد الإضرار والإفساد. (2)

ثم أجمل الله ﷻ جملة هذه الحقوق والواجبات بعبارة بليغة موجزة وذلك في قوله ﷻ: ﴿..وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْنَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (228) "فللنساء حقوق على الأزواج، مثل التي عليهن، على الوجه المعروف، وللرجال على النساء منزلة زائدة من حسن الصحبة والعشرة بالمعروف والقوامة على البيت وملك الطلاق، والله عزيز له العزة القاهرة، حكيم يضع كل شيء في موضعه المناسب" (3)، هكذا نظم الإسلام العظيم العلاقة بين الزوجين على أساس العدل والتكافل، وأن يعرف كلٌّ منهما ما له من الحقوق، وما عليه من الواجبات.

#### • عَدَدُ الطَّلَاقِ وَالْأَحْكَامُ الْمَتْرَبَةُ عَلَيْهَا وَالْخُلْعُ:

"كان الرجل في الجاهلية إذا طلق امرأته، ثم ارتجعها قبل أن تنتقضي عدتها، كان ذلك له، وإن طلقها ألف مرة، فعمد رجل إلى امرأة له فطلقها، ثم أمهلها حتى إذا شارفت انقضاء عدتها ارتجعها، ثم طلقها، وقال: والله لا أوبك إليّ، ولا تحلين أبداً، فأنزل الله ﷻ قوله: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فِيمَا سَأَلَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٍ بِإِحْسَانٍ..﴾ (229) (4)، وقد قيل أنّ هذه الآية جاءت لبيان عدد الطلاق؛ وقيل: جاءت لبيان سنة الطلاق، والقولان صحيحان؛ وتحقيق هذا القول أنّ الطلاق كان في الجاهلية فعلاً مهملاً كسائر أفعالها، فشرع الله ﷻ أمده، وبيّن حدّه،

(1) التفسير القرآني للقرآن الكريم، الخطيب، ج1/259.

(2) انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، مسلم وآخرون، ص288.

(3) التفسير الميسر، نخبة من أساتذة التفسير، ج1/36.

(4) أسباب النزول، الواحدي، ص79-80.

وأوضح في كتابه حكمه، وعلى لسان رسوله تماماً وشرحه<sup>(1)</sup>، فأخبر الله ﷻ أن الطلاق الذي تحصل به الرجعة مرتان، وذلك ليتمكن الزوج أن يراجع رأيه في هذه المدة إذا أراد ارتجاع زوجه، وأما ما فوقها، فليس محلاً لذلك، لأن من زاد على الثنتين، فإما متجرئ على المحرم، أو ليس له رغبة في إمساكها، بل قصده المضارة، فلهذا أمره ﷻ أن يمسك زوجته بالمعروف والعشرة الحسنة، وإلا يسرحها ويفارقها بإحسان، ومن الإحسان ألا يأخذ على فراقه لها شيئاً من مالها، لأنه ظلم، وأخذ للمال في غير مقابلة بشيء، فلهذا قال: ﴿..وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ..(229)﴾، وبهذا القول أشار إلى المخالعة بالمعروف، ويكون ذلك إن كرهت الزوجة زوجها، لخلقها أو خلقه أو نقص دينه، وخافت أن لا تطيع الله فيه، حينها ﴿.. فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ..(229)﴾ لأنه عوض لتحصيل مقصودها من الفرقة، وفي هذا مشروعية الخلع، إذا وجدت هذه الحكمة.<sup>(2)</sup>

وبعد أن بين الخطاب القرآني حكم الطلاق الرجعي والخلع أتبع ذلك ببيان الحال إن طلقها الطلقة الثالثة بقوله ﷻ: ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (230)﴾ أي: فإن طلقها بعد المرتين المذكورتين في قوله: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ.. (229)﴾ وهذه التظليقة هي المعبر عنها فيما سلف بقوله: ﴿.. أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ.. (229)﴾، فلا يملك مراجعتها بعد ذلك إلا إذا تزوجت بزواج صحيحاً مقصوداً لا بقصد إحلالها للزوج الأول، والحكمة في اشتراط ذلك أن الرجل متى علم أن المرأة لا تحل له بعد الطلاق ثلاثاً إلا إذا نكحت زوجاً غيره، ولعله يرتدع ويزدجر، لأن هذا مما تنفر منه الطباع السليمة ويأباه ذو الغيرة والمروءة، فإن طلقها الزوج الثاني ﴿..فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا..(230)﴾، ويكون هو أحق بها من الزوج الثاني، ولكن بشرط ﴿.. أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ..﴾ من حسن العشرة وسلامة النية، ليصلح حالهما ويستقيم أمرهما.<sup>(3)</sup>

(1) انظر: أحكام القرآن، ابن العربي، ج1/258.

(2) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص102.

(3) انظر: تفسير المراغي، المراغي، ج2/174-176.

• آداب معاملة المطلقة:

تعرضت آيات الطلاق لجملة من الآداب الواجبة على الرجل في معاملة المطلقة، وفي ذلك جاء قول الحق ﷻ: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِيَتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ .. (231)﴾، والمعنى: إذا طلقتم النساء وقرب انتهاء عدتهن، فاعزموا أحد الأمرين: إمساك بالمعروف، قاصدين إقامة العدل وحسن العشرة، أو طلاق بالمعروف حتى تذهب المرأة في حال سبيلها، ولا يجوز أن يكون القصد من المراجعة إلحاق الضرر بها حتى تلجئوها الى افتداء نفسها، ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه في الدنيا بسلوك طريق الشر وحرمان نفسه سعادة الحياة الزوجية واستحق سخط الله ﷻ عليه<sup>(1)</sup>، ورغم أن الآية جاءت في صدد تحذير الأزواج من التحايل على زوجاتهم وإنذارهم إلا أنه ﷻ نهى عباده المؤمنين عن التحايل على أوامره وآيات كتابه، وتحميلها ما لا تحتل، والتلاعب فيها، وصرفها عن أهدافها السامية بقصد جلب النفع للنفس وإيقاع الضرر للغير بغياً وعدواناً لذلك قال ﷻ: ﴿.. وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوعًا وَادْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (231)﴾.<sup>(2)</sup>

ثم عطف على ذلك ببيان الآداب اللازمة عقب انتهاء عدتهن، وذلك في قوله ﷻ: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضُوا بَيْنَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَظْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (232)﴾ وقوله: ﴿..تَعْضُلُوهُنَّ..﴾ معناه تحبسوهن، وقيل: العضل التضيق والمنع وهو راجع إلى معنى الحبس<sup>(3)</sup>، ففي الآية الكريمة "ينهى الله ﷻ أولياء أمور النساء أن يمنعوا المطلقة طليقة أو طلقين فقط من أن تعود إلى زوجها الذي طلقها وبانت منه بانقضاء عدتها، إذا رضيت هي بالزواج منه مرة أخرى ورضي هو به وعزما على المعاشرة الحسنة بالمعروف"<sup>(4)</sup>، وقد استدلل البعض بهذه الآية الكريمة على عدم جواز النكاح إلا بولي، لأنه لو كان للمرأة أن تتزوج دون رضى وليها ولم يكن للولي شأن لما كان معنى لنهي الأولياء عن أن

(1) انظر: تيسير التفسير، القطان، ج1/133.

(2) انظر: التفسير الحديث، دروزة، ج6/430.

(3) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج3/159.

(4) أيسر التفاسير، الجزائري، ج1/219.

يعضلوا النساء<sup>(1)</sup>، وقال البعض أنه يُستدلّ بها على جواز نكاح المرأة بدون وليّ بدليل إضافة العقد إليها من غير شرط إذن الولي، والله أعلم.<sup>(2)</sup>

#### • نذكر بعض أحوال المطلقات وحقوقهن:

لما كان للمطلقات أحوال فصل الحق ﷺ بعض أحوالهنّ وما يتعلّق بها، وقد قسم الإمام القرطبي<sup>(3)</sup> المطلقات إلى أربع على النحو الآتي:

1. مطلقة مدخول بها مفروض لها، وقد ذكر الله ﷻ حكمها في السورة الكريمة في قوله: ﴿وَالْمُطَلَّقاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ.. (228)﴾ فلا يستردّ منها شيء من المهر، وعدتها ثلاثة قروء.

2. مطلقة غير مفروض لها ولا مدخول بها، وفي ذلك يقول المولى ﷺ: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدْرَهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدْرَهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ (239)﴾ فهذه الآية في شأنها ولا مهر لها، بل أمر الرب ﷻ بإمتاعها.

3. مطلقة مفروض لها غير مدخول بها، وقد ذكرها بعد الآية السابقة في قوله ﷻ: ﴿وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (237)﴾ فهذه لها نصف المهر.

4. مطلقة مدخول بها غير مفروض لها، وهذه قد ذكرها الله ﷻ في سورة النساء في قوله: ﴿..فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً..﴾ [الآية: 24]، فهذه إذا جامعها مرة واحدة وجب لها المهر كاملاً إن كان مسمّى، أو مهر مثلها إن لم يسمّ.<sup>(4)</sup>

فذكر الحق ﷻ حكم المطلقة قبل الفرض والمساس، وذلك في قوله ﷻ: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدْرَهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدْرَهُ.. (236)﴾ فرفع الإثم عن الطلاق قبل الدخول، لئلا يتوهم أحد أن الطلاق في هذه

(1) انظر: تفسير آيات الأحكام، السائيس، ص161-162.

(2) انظر: أحكام القرآن، الجصاص، ج2/100.

(3) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج3/197.

(4) انظر: المرجع السابق، ج5/129.

الحالة محذور، وأمر بدفع المتعة لهنّ تطيباً لخاطرهنّ، على قدر حال الرجل في الغنى والفقر، وجعله نوعاً من الإحسان لجبر وحشة الطلاق، ثم بين حكم المطلقة إذا كان الطلاق قبل المساس وقد ذكر المهر وذلك في قوله ﷺ: ﴿وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ .. (237)﴾ فللمطلقة نصف المسمى المفروض، إلا إذا أسقطت حقها، أو دفع الزوج لها كامل المهر، أو أسقط وليّ أمرها الحق إذا كانت صغيرة، ثم أكد الحق ﷺ على أنّ الطلاق وإن تمّ لأسباب ضرورية قاهرة فلا ينبغي أن يكون هذا قاطعاً لروابط المصاهرة ووشائج القرى، وفي ذلك قال ﷺ: ﴿.. وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (237)﴾<sup>(1)</sup>، واعلم أن المراد بفرض الفريضة تسمية المهر، لأن المطلقة قبل الدخول بها إن سمي لها مهر، فلها نصف المهر المسمى، وإن لم يسم فليس لها نصف مهر المثل، ولكن لها المتعة، وهي إعطاء المطلقات شيئاً من أموال أزواجهنّ يتمتعنّ به بحسب حال أزواجهنّ من الثروة والغنى والمنزلة والفقر، جبراً للخاطر، ولم يحدده الله ﷻ وإنما ترك تقديره لحالة الزوج من غنى وفقر حسب الطاقة.<sup>(2)</sup>

ثم ختم الله ﷻ آيات الطلاق بقوله: ﴿وَالْمُطَلَّاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ (241)﴾ وقد استدللّ بعض العلماء بهذه الآية على إثبات المتعة لكل مطلقة، سواء أكانت مدخولاً بها، أو لم تكن مدخولاً بها، وقيل: المراد بالمتعة متعة العدة<sup>(3)</sup>، ويرى الإمام ابن العربي غير ذلك باعتبار أن المتاع هو كل ما يُنتفع به، فمن كان لها مهر فمتاعها مهرها، ومن لم يكن لها مهر فمتاعها ما تقدّم<sup>(4)</sup>، وقيل: إن هذه الآية خاصة بالثيبات اللواتي قد جومعن، لأنه قد تقدّم قبل هذه الآية ذكر المتعة اللواتي لم يدخل بهنّ الأزواج، وقيل: إن هذه الآية شاملة للمتعة الواجبة وهي متعة المطلقة قبل البناء والفرص، وغير الواجبة وهي متعة سائر المطلقات فإنها مستحبة فقط، وقيل: المراد بالمتعة هنا النفقة.<sup>(5)</sup>

هكذا بين الحق ﷻ حدوده وأحكامه، وعلى هذا النحو نظم وضبط العلاقات الزوجية حال الانفصال تنظيمًا دقيقًا مراعيًا للفطرة الإنسانية، وما جُبلت عليه من ضعف وقصور، تزامناً

(1) انظر: روائع البيان في تفسير آيات الأحكام، الصابوني، ج 372/1.

(2) انظر: التفسير المنير، الزحيلي، ج 384/2.

(3) انظر: تفسير آيات الأحكام، السابيس، ص 173.

(4) انظر: أحكام القرآن، ابن العربي، ج 1/291-292.

(5) انظر: نيل المرام من تفسير آيات الأحكام، صديق خان، ص 110.

مع الرسائل الربانية الداعية للالتزام التقوى في شتى التفاصيل والأحوال، ليتهيأ بهذا كله لدوره في الخلافة على هذه الأرض.

### سابعاً: أحكام الرضاعة

بعد أن بيّنت السورة الكريمة بعض أحكام الطلاق، وقد تُطلق المرأة أحياناً وهي حامل ذكر الله ﷻ أحكام الرضاعة،

وما يتعلق بها من توجيهات، وذلك في قوله ﷻ: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنَمِّمَ الرِّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (233)﴾ فقد أمر الله ﷻ الوالدات المطلقات بإرضاع أولادهنّ مدة سنتين كاملتين إذا شاء الوالدان إتمام الرضاعة، وأنّ على الوالد كفاية المُرَضِع التي تقوم بإرضاع ولده، والإنفاق عليها لتقوم بخدمته حقّ القيام، وأنّ يكون ذلك الإنفاق بحسب قدرته وطاقته، ثم حذر الله ﷻ كلاً من الوالدين أن يضارّ أحدهما الآخر بسبب الولد، فلا يحلّ للأُم أن تمتنع عن إرضاع الولد إضراراً بأبيه، وأن تقول له مثلاً: اطلب له ظئراً غيري، ولا يحلّ للأب أن ينزع الولد منها مع رغبتها في إرضاعه، ليغيظ أحدهما صاحبه بسبب الولد<sup>(1)</sup>، ثم ذكر الله ﷻ رخصتين في الإرضاع: "الأولى: فطامه قبل إتمام العامين، فإنّ لهما ذلك بعد التشاور في ذلك وتقدير مصلحة الولد من هذا الفطام المبكر، والثانية إن أراد المولود له أن يسترضع لولده مُرضِعاً غير أمه فله ذلك إن طابت به نفس الأم بشرط أن يسلم الأجرة المتفق عليها بالمعروف بلا إجحاف ولا مماطلة، ثم ختم هذه التوجيهات بحثاً كلّ من المُرَضِع والمرضَع له بتقواه في هذه الحدود التي وضعها لهما، وأعلمهم أنه بما يعملون بصير فليحذروا مخالفة أمره، وارتكاب نهيه"<sup>(2)</sup>.

وقد حثّ الله ﷻ الأمهات على إرضاع الأبناء، وحدد مدة الرضاع بعامين كاملين، لأنّ هذه المدة يستغني بها الطفل عن ثدي أمه، ويبدأ بالتغذي بعدها عن طريق تناول الطعام والشراب، وليس هناك لبن يعادل لبن الأم، فهو أفضل غذاء باتفاق الأطباء، فإذا أرضعته مرضع لضرورة وجب التدقيق في صحتها، ومعرفة أخلاقها وطبائعها، لأنّ لبنها يؤثّر في جسم

(1) انظر: روائع البيان في تفسير آيات الأحكام، الصابوني، ج1/348-349.

(2) أيسر التفاسير، الجزائري، ج1/221-222.

الطفل وأخلاقه وآدابه، حيث ينمو به اللحم، ويُنشز العظم، فيؤثر فيه جسميًا وُخُلقيًا<sup>(1)</sup>، وعلّة هذه الأحكام جميعها دفع الأذى عن كل من الرضيع والوالدة والوالد لتحقيق الاستقرار في حياتهم جميعًا دون ضرر أو ضرار، فالرضيع هو بذرة هذا المجتمع المنوط به مهمة الاستخلاف العظيمة.

### ثامناً: أحكام المتوفى عنها زوجها

#### • عدة المتوفى عنها زوجها

كما تعرّضت السورة الكريمة لبيان عدة الطلاق بالحيض أولاً اتصل الخطاب ببيان عدة الوفاة المخالفة لها، وكان هذا البيان لعدة الوفاة لثلاث يتوهم أنّها مثل عدة الطلاق<sup>(2)</sup>، وقد جاء هذا البيان في قوله ﷺ: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذُرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (234)﴾، ومعنى الآية: "والذين يُتَوَفَّوْنَ منكم من الرجال ويتركون زوجات لهم غير حوامل فعليهنّ أن يمكثنّ بعدهم دون تعرّض للزواج مدة أربعة أشهر هلالية وعشر ليال بأيامها استبراءً للرحم، فإذا انتهت هذه المدة فلا تبعة عليكم أيها الأولياء لو تركتموهنّ يأتين من شريف الأعمال التي يرضاها الشرع ليصلنّ بها إلى الزواج، فلا ينبغي أن تمنعهنّ من ذلك ولا يجوز لهنّ أن يأتين من الأعمال ما ينكره الشرع ويأباه، فإن الله ﷻ مطّلع على سرائركم ويعلم أعمالكم فيحاسبكم على ما تعملون."<sup>(3)</sup>

وقد اختلف العلماء في هذه الآية الكريمة على قولين، أحدهما: أن قوله ﷺ: ﴿..يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا..(234)﴾ قد نسخ قوله ﷺ: ﴿..مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ..240﴾ حيث كانت الوصية للأزواج واجبة، وهي النفقة إلى الحول، ثم أُبدلت الوصية بالميراث، إما رُبْعًا في حالة، أو ثُمْنًا في حالة، ولا خلاف أن هذه الآية خاصّة في غير الحامل حيث إنّ الحامل تنقطع عدّتها بوضع حملها كما جاء في قوله ﷻ: ﴿.. وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ

(1) انظر: روائع البيان في تفسير آيات الأحكام، الصابوني، ج1/357.

(2) انظر: التفسير المنير، الزحيلي، ج2/368.

(3) المنتخب في تفسير القرآن الكريم، لجنة من علماء الأزهر، ص55.

أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ..» [الطلاق: 4] <sup>(1)</sup>، وأكثر العلماء على هذا القول، وقال قوم: ليس في هذا نسخ، وإنما هو نقصان من الحول. <sup>(2)</sup>

والتريص في قوله ﷺ: «..يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ..» هو الانتظار، ومتعلقه ثلاثة أشياء: النكاح، والطيب والتنظف، والتصرف والخروج <sup>(3)</sup>، وقد بين الإمام ابن العربي المقصود من العدة حيث اعتبر أنّ المقصود بهذه العدة براءة الرحم من ماء الزوج؛ فامتناع النكاح إنما هو لأجل الماء الواجب صيانته أولاً، وامتناع عقد النكاح إنما هو لاستحالة وجوده شرعاً على محل لا يفيد مقصوده فيه وهو الحل، وامتناع الطيب والزينة لأنه من دواعيه، فقطعت الذريعة إليه بمنع ما يحرص عليه، وامتناع الخطبة لأن القول في ذلك والتصريح به أقوى ذريعة وأشد داعية من الطيب والزينة، فحرم من طريق الأولى، وامتناع الخروج لغير الضرورة احتراماً للزوج بعد وفاته. <sup>(4)</sup>

#### • خطبة المتوفى عنها زوجها تعريضاً ووقت العقد

علم المولى ﷺ أنّ المتوفى عنها زوجها أو المطلقة ستكون مطلباً للرجال ومطمعاً فوضع ضوابط حكيمة تضبط أمور الخطبة، وفي ذلك يقول الحق ﷻ: «وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْتَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُؤَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَعْرِضُوا عَقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ حَلِيمٌ (235)» والخطاب في هذه الآية لجميع الناس، والمباشر لحكمها هو الرجل الذي في نفسه تزويج معتدة، والتعريض هو الكلام الذي لا تصريح فيه كأنه يعرض لفكر المتكلم به، وأجمعت الأمة على أنّ الكلام مع المعتدة بما هو نص في تزويجها وتنبه عليه لا يجوز، وكذلك أجمعت على أنّ الكلام معها بما هو رفق وذكر جماع أو تحريض عليه لا يجوز وجوز ما عدا ذلك <sup>(5)</sup>، فقد أباح الشرع الحنيف أن يعرض الرجل للمعتدة بأمر الزواج تعريضاً لا صراحة فيه، أو يضمّر في نفسه أمر زواجه

(1) انظر: أحكام القرآن، الكيا الهراسي، ج1/193.

(2) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج3/174.

(3) أحكام القرآن، ابن العربي، ج1/280 بتصرف يسير.

(4) انظر: المرجع السابق، ج1/284.

(5) المحرر الوجيز، ابن عطية، ج1/315.

بها لأن هذا أمر طبيعي في النفس البشرية، فرخص لهم الحق ﷺ ذلك لعلمه ما في سرائرهم وضمايرهم، ولعلمه أنه يشق عليهم أن يكتموا مثل هذا، فوجههم إلى أن يذكرهون لكن نهاهم عن مواعدهتهن النكاح صراحة، فهو مما يضر ولا يليق بهم أدبياً وذوقياً في حال من الأحوال إلا في حالة أن يقولوا قولاً معروفاً غير منكر شرعاً فهذا دأب المهذبين العفيفين، ثم بين لهم الوقت المناسب للعقد عليهم وهو حين انقضاء عدتهن، ودعاهم إلى مراقبة الله في السر والعلن، مع مواساته لمن فرط وعصى أنه غفور حلیم لا يعجل بالعقوبة.<sup>(1)</sup>

### • وصية الحول للمتوفى عنها زوجها

حفظ الإسلام العظيم المرأة ووهب لها حياة كريمة وكفل لها حقوقها في كل الأحوال، فما هو يؤكد على ما خص المتوفى عنها زوجها من نفقة وسكنى وغير ذلك، وذلك في قوله ﷺ: **«وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (240)»** فقد أمر الشارع الحكيم الذين يشرفون على الموت ويتركون زوجات بعدهم أن يوصوا لهم بوصية التمتع المستمر في البيت إلى نهاية الحول، بدون إخراج منه أو منع السكنى فيه، فيحق لها النفقة من مال زوجها المتوفى مدة سنة كاملة، ويجب على الورثة ألا يخرجوها من مسكنها ولا يمنعوا النفقة عنها قبل مضي السنة<sup>(2)</sup>، هنا يتضح أننا أمام حكمين للذين يتوفون ويذرون أزواجاً، حكم أن تعتد أربعة أشهر وعشراً، وحكم آخر بأن يوصي لها زوجها بأن تظل في بيته حولاً كاملاً لا تُخرج منه، وقد بينا فيما سبق الخلاف في هل هذا الحكم منسوخ أم لا، وقد مال الإمام الشعراوي إلى أن تكون الأربعة الأشهر والعشر فريضة وبقية الحول والعام وصية، إن شاءت أخذتها وإن شاءت عدلت عنها، فلها الخيار أن تظل عاماً حسب وصية زوجها، ولها الخيار في أن تخرج بعد الأربعة أشهر والعشر.<sup>(3)</sup>

وبعد أن تتقنا بين أفانين وبساتين الأحكام الشرعية الخاصة بالأسرة المسلمة، ختم الله ﷺ جملة أحكامه بقوله: **«كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (242)»** وكأنه ﷺ يوجهنا إلى أن هذا التبيين لأحكام الطلاق والخلع والرضاع والعدد وغيرها من الأحكام إنما هي

(1) انظر: التفسير الواضح، حجازي، ج1/154.

(2) انظر: التفسير المنير، الزحيلي، ج2/403.

(3) انظر: الخواطر، الشعراوي، ج2/1028. تفسير آيات الأحكام، السائس، ص173.

أحكام شرعها الله ﷻ لنعقلها ونعمل بها فتنظم الحياة ونسعد في الحياتين الدنيا والآخرة<sup>(1)</sup>، هكذا اعتنى التشريع الإلهي في البذرة لتغدو الثمرة يافعة، وكذلك سطر قواعد البدايات لتكتمل النهايات وتزدهر، وهكذا أعد الأسرة المسلمة وصنعها ﷻ على عينه لترقى للمهمة الجليلة والغاية السامية بتحقيق الاستخلاف في هذه الأرض على الوجه الذي أراده الله ﷻ.

## المطلب الثاني

### تنظيم المعاملات في سورة البقرة "آية الدين أنموذجاً"

ينظر الشارع الحكيم إلى الجماعة المسلمة نظرة تكاملية قائمة على الاتحاد والتكاتف بين أفرادها، من أجل ذلك عرض أنموذجاً هاماً من نماذج المعاملات الإنسانية ألا وهو الدين، وإنما هدف بذلك تنظيم العلاقة بين الدائن والمدين وفق شرع الله وضوابطه، وقد اقتضى قصور الإنسان وحاجته إلى الإرشاد إلى حفظ المال الحلال وصونه عن الفساد والتنبية على كيفية التوثق، من أجل ذلك عقب بآية الدين<sup>(2)</sup> وهي قوله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْب كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفَعَّلُوا فَإِنَّهُ فَسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (282)﴾ واعتبر الإمام ابن العربي أن آية الدين آية عظمى في الأحكام، مبينة جُملاً من الحلال والحرام، وهي أصل في مسائل البيوع، وكثير من الفروع<sup>(3)</sup>، وقال الإمام القرطبي أنها "تتناول جميع المدائيات إجمالاً"<sup>(4)</sup>.

(1) انظر: أيسر التفاسير، الجزائري، ج1/230.

(2) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، ج4/147-148.

(3) انظر: أحكام القرآن، ابن العربي، ج1/327.

(4) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج3/377.

والدَّيْنِ فِي حَقِيقَتِهِ هُوَ "كُلِّ مَعَامَلَةٍ كَانَ أَحَدُ الْعَوْضَيْنِ فِيهَا نَقْدًا وَالْآخَرُ فِي الذِّمَّةِ نَسِيئَةً"<sup>(1)</sup>، وَقِيلَ أَنَّ الدَّيْنَ الْمَقْصُودَ فِي قَوْلِهِ ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ..﴾ هُوَ مَا يُسَمَّى فِي الشَّرْعِ السَّلْمَ أَوْ السَّلْفَ وَهُوَ جَائِزٌ بِالْإِجْمَاعِ، وَدَلِيلٌ مَشْرُوعِيَّتِهِ مِنَ الْكِتَابِ قَوْلُهُ ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَآكُتُبُوهُ..﴾، وَقَدْ جَاءَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ السَّلْفَ الْمَضْمُونِ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى قَدْ أَحَلَّهُ اللَّهُ ﷻ فِي كِتَابِهِ، وَأَذِنَ فِيهِ، ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ.<sup>(2)</sup>

وَقَدْ أُرْشِدَتْ هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ إِلَى مَجْمُوعَةِ قَوَاعِدٍ وَأَحْكَامٍ فِي الْمَعَامَلَاتِ الْجَارِيَةِ بَيْنَ النَّاسِ حَصَرَهَا الْإِمَامُ السَّعْدِيُّ فِي خَمْسِينَ حِكْمًا<sup>(3)</sup>، وَلَا عَجَبَ فِي ذَلِكَ فَهِيَ أَطْوَلُ آيَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ، وَسَتَعْرَضُ الْبَاحِثَةُ أَبْرَزَ هَذِهِ الْأَحْكَامِ عَلَى كَثْرَتِهَا لِأَهْمِيَّتِهَا عَلَى النَّحْوِ الْآتِي:

- جَوَّازَ جَمِيعِ الْمَدَايِنَاتِ مِنْ سَلْمٍ وَغَيْرِهِ، لِأَنَّ اللَّهَ أَخْبَرَ عَنِ الْمَدَايِنَةِ الَّتِي عَلَيْهَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْبَارًا مَقْرَّرًا لَهَا ذَاكِرًا أَحْكَامَهَا، وَذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى الْجَوَّازِ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ..﴾.
- لَا بَدَّ لِلسَّلْمِ مِنْ أَجَلٍ مُّعَيَّنٍ مَعْلُومٍ، فَلَا يَصِحُّ حَالًا، وَلَا إِلَى أَجَلٍ مَجْهُولٍ، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ ﷺ: ﴿..إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى..﴾.
- الْأَمْرُ بِكِتَابَةِ جَمِيعِ عَقُودِ الْمَدَايِنَاتِ إِمَّا وَجُوبًا وَإِمَّا اسْتِحْبَابًا لِشِدَّةِ الْحَاجَةِ إِلَى كِتَابَتِهَا، لِأَنَّهَا بَدُونِ الْكِتَابَةِ يَدْخُلُهَا مِنَ الْغَلْطِ وَالنَّسْيَانِ وَالْمَنَازَعَةِ وَالْمَشَاجِرَةِ شَرٌّ عَظِيمٌ، وَالْكِتَابَةُ: "هِيَ إِثْبَاتُ الْحَقِّ بِوَسْطَةِ دَلِيلٍ كِتَابِيٍّ مَعَدًّا مُسَبِّقًا وَهِيَ حِجَّةٌ بَاتِنَاقٍ الْفُقَهَاءِ، لِقَوْلِهِ ﷺ: ﴿.. فَآكُتُبُوهُ..﴾"<sup>(4)</sup>.
- بَيَانُ الشَّرْطِ الْوَاجِبِ تَوْقَرُهَا فِي الْكَاتِبِ وَهِيَ: أَنْ يَكُونَ عَدْلًا فِي نَفْسِهِ، عَارِفًا بِكِتَابَةِ الْوَتَائِقِ وَمَا يَلْزَمُ فِيهَا، وَمَا يَحْصُلُ بِهِ التَّوْتُقُّ، لِأَنَّهُ لَا سَبِيلَ إِلَى الْعَدْلِ إِلَّا بِذَلِكَ، وَأَلَّا يَمْتَنِعَ

(1) أَحْكَامُ الْقُرْآنِ، ابْنُ الْعَرَبِيِّ، ج1/327.

(2) انظُر: تَوْضِيحُ الْأَحْكَامِ مِنْ بَلُوغِ الْمَرَامِ، التَّمِيمِيُّ، ج4/442. فَهْهُ الْمَعَامَلَاتِ، مَجْمُوعَةٌ مِنَ الْمُؤَلِّفِينَ، ج1/11. مَسْنَدُ الشَّافِعِيِّ، الشَّافِعِيُّ، ص138.

(3) انظُر: تَيْسِيرُ الْكَرِيمِ الرَّحْمَنِ، السَّعْدِيُّ، ص118.

(4) الْفَقْهُ الْإِسْلَامِيُّ وَأَدْلَتُهُ، الزَّحِيلِيُّ، ج8/6285.

من الكتابة بين المتعاقدين وألا يكتب إلا ما أملاه من عليه الحق، وهذا مأخوذ من قوله ﷺ: **﴿وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ..﴾** (1).

■ أن الذي يُملي من المتعاقدين هو من عليه الدين، وأمره الله ﷻ أن يبين جميع الحق الذي عليه ولا يخس منه شيئاً، فإذا كتب إقراره بذلك ثبت موجهه ومضمونه، وفي ذلك قال الحق ﷻ: **﴿..وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَخْسَ مِنْهُ شَيْئًا..﴾**.

■ جواز الولاية في الإملاء والإقرار وذلك إن كان صاحب الحق لا يقدر على إملائه إما لصغره أو سفهه أو خرسه، أو نحو ذلك، ويلزم الولي من العدل ما يلزم من عليه الحق من العدل، وعدم البخس لقوله ﷻ: **﴿..فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ..﴾**.

■ ضرورة الإشهاد على العقود، وذلك على وجه الندب، لأن المقصود من ذلك الإرشاد إلى ما يحفظ الحقوق، فهو عائد لمصلحة المكلفين، ونصاب الشهادة في الأموال ونحوها رجلان أو رجل وامرأتان، وإتما جعل الشرع المرأتين بمنزلة رجل واحد خوف أن تخطئ إحداهما فتذكرها الثانية لقلّة ضبط النساء للأمور المالية وقلة عنايتهنّ بمثل ذلك (2)، وفي ذلك قال الله ﷻ: **﴿..وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى..﴾**.

■ لا يجوز للشاهد إذا دُعي للشهادة وهو غير معذور أن يأبى الشهادة لقوله ﷻ: **﴿.. وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا..﴾**.

■ النهي عن السامة والضجر من كتابة الديون كلها من صغير وكبير وصفة الأجل وجميع ما احتوى عليه العقد من الشروط والقيود، وفي ذلك قال الله ﷻ: **﴿..وَلَا تَسَامُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ..﴾**.

(1) انظر: التفسير الوسيط، الزحيلي، ج1/163.

(2) انظر: التفسير الواضح، حجازي، ج1/197.

■ بيان الحكمة في مشروعية الكتابة والإشهاد في العقود، وأنه ﴿..أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا..﴾ فإنها متضمنة للعدل الذي به قوام العباد والبلاد، والشهادة المقترنة بالكتابة تكون أقوم وأكمل وأبعد من الشك والرَّيب والتنازع والتشاجر.

■ الرخصة في ترك الكتابة إذا كانت التجارة حاضرًا بحاضر، لعدم شدة الحاجة إلى الكتابة، لقوله ﷺ: ﴿..إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُوتَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا..﴾ إلا أنه شرع الإشهاد لقوله ﷺ: ﴿..وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ..﴾.

■ النهي عن مضارة الكاتب بأن يُدعى وقت اشتغال وحصول مشقة عليه، والنهي عن مضارة الشهيد أيضًا بأن يُدعى إلى تحمل الشهادة أو أدائها في مرض أو شغل يشقّ عليه، أو غير ذلك هذا إن جعلنا قوله ﷺ: ﴿..وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ..﴾ مبنياً للمجهول، وأما على جعلها مبنياً للفاعل ففيه نهي الشاهد والكاتب أن يضارّا صاحب الحق بالامتناع أو طلب أجره شاقّة ونحو ذلك.

■ ارتكاب هذه المحرمات من خصال الفسق لقوله ﷺ: ﴿..وَأَنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ..﴾.

ثم ذكر الله ﷻ عقب النذب إلى الإشهاد والكتابة ما هو كالاستثناء من الأحكام السابقة فبيّن الأعذار المانعة من الكتابة وجعل لها الرهن وذكر من هذه الأعذار السفر<sup>(1)</sup>، فقال الله ﷻ: ﴿وَأَنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ.. (283)﴾ أي: "وإن كنتم أيها المتدائنين مسافرين، فاستوثقوا بالرهن، بدل الإشهاد والكتب، وذكر القبض بجانب الرهن دليل على اشتراط القبض حتى يتم الرهن"<sup>(2)</sup>، وفي الآية إشارة إلى أنّ عدم وجود الكاتب لا بدّ أن يكون مقيدًا بحال السفر، لا في مواطن الإقامة<sup>(3)</sup>، ثم حثّ المدّين على أن يكون عند ظنّ الدائن وذلك في حالة الأمن حيث قال ﷻ: ﴿..فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ..﴾ فإن أمن بعض الدائنين بعض المديونين بحسن ظنّه به فلم يتوثّق بالكتابة والشهود والرهن فعليه أن يؤدّي إليه الحقّ الذي اتّمنه عليه وليتقّ ربّه في إنكار حقه.<sup>(4)</sup>

(1) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، ج1/385.

(2) الأساس في التفسير، حوى، ج1/663.

(3) انظر: تفسير المراغي، المراغي، ج3/78.

(4) انظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، ج1/230.

ثم رجع إلى خطاب الشهود فنهاهم عن كتم الشهادة إذا دُعوا إلى إقامتها، بل توعدّ من يكتمها بأنه آثم قلبه، أي: فاجر قلبه، وقيل: ما وعد على شيء كإيعاده على كتمان الشهادة، فالله بما تعملون من بيان الشهادة وكتمانها عليم.<sup>(1)</sup>

"والآيات السالفة الدالة على وجوب الكتابة والإشهاد وأخذ الرهن هي الأصل، والعزيمة للاحتياط في الديون، وهذه الآية رخصة أباحها الله ﷻ لنا حين الضرورة كالأوقات التي لا يوجد فيها كاتبٌ ولا شهيد، فإذا احتاج امرؤ إلى الاقتراض من أخيه في مثل هذه الحال، فالله ﷻ لا يحرم عليه قضاء حاجته وسد خلته إذا هو ائتمنه."<sup>(2)</sup>

وكون هذه الآية أطول آية في القرآن الكريم دليل على أن الإسلام معنيّ باقتصاديات الأمة، وأن المال في ذاته ليس مبعوضاً عند الله، وعلى أن الإسلام دين ودولة وحياة ونظام مجتمع، فتنظيم التعامل بين الناس، وتبيان طريق حفظ الحقوق، وتعاطي التجارة وتنمية المال، يدلّ كل ذلك على أنّ الإسلام دين عمل وجهد وكفاح، وحرص على الكسب والريح من أوجه الحلال.<sup>(3)</sup>

#### • علاقة المبحث بوحدة موضوع السورة:

من مقاصد سورة البقرة الكريمة تنظيم حياة المجتمع المسلم، وتوطيد وشائجه، وذلك من خلال الرسائل الاجتماعية التي ترسلها لبناء طود شامخ لا يتهاوى عند أهون الخطوب.

فاتجه الخطاب القرآني لبناء الأسرة التي هي لبنة هذا المجتمع، ففصل كثيراً من الأحكام التي تُبنى على أساسها الأسرة وفق المنهج الإلهي، ولتؤكد على أن الأمة المستخلقة لن تصلح إلا بصلاح لبناتها من الأسر المسلمة، فنظّم أحكام الوصية لحفظ الحقوق، وأحكام النكاح لتكون البداية ناجحة، وأشار إلى الأحكام المتعلقة بالنساء وحقوقهن لأنهن عماد الأسرة ومصدر قوتها، وغيرها من الأحكام التي تخص الحياة الأسرية.

وامتدّ الأمر لتنظيم المعاملات بين أفراد هذا المجتمع، فالإسلام دين حياة، فكان التأكيد على أهمية بناء العلاقات البشرية على تقوى الله في المعاملات وغيرها.

(1) انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، ج1/397.

(2) تفسير المراغي، المراغي، ج3/78.

(3) انظر: التفسير المنير، الزحيلي، ج3/107.

هذا الاهتمام والتفصيل والتبيين هو نبض قلب هذه الأمة، فإن أنعش قلبها باتباع الأحكام الإلهية في أسرها ومعاملة أفرادها أصبحت مهمة الاستخلاف مهمة ناجحة مبنية على أسس عادلة متوازنة.

والتفكك الواضح والانحدار في حال الأمة الإسلامية في عصرنا هذا يعود بلا شك إلى التفكك والتردي في أحوال الأسرة المسلمة، فإن فسدت البذرة، هلك الزرع وذبل، فنجد تضييعاً للحقوق، وتجاوزاً للأحكام الإلهية، وانتشار الظلم بين أفراد المجتمع، فلا عجب إذًا لما آل إليه حال هذه الأمة، فلن تستطيع حمل راية الاستخلاف إلا إن أصلحت لبناتها، وأقامت علاقاتها ومعاملاتها وفق شرع الله ﷻ.

## المبحث الرابع

### العقوبات والمحرمات في السورة وعلاقتها بوحدة موضوعها

تناولت السورة الكريمة بعض العقوبات، وعرضت بعض المحرمات، لتكتمل بها صورة المجتمع الإسلامي المُشرق وروابطه الاجتماعية القائمة على شرع الله وحكمه، وستعرض الباحثة هذه الجوانب على النحو الآتي:

### المطلب الأول

#### العقوبات في سورة البقرة "القصاص أنموذجاً"

بعد أن عرض الله ﷻ جملة من أصول الدين وقواعده التي تنظم الحياة الاجتماعية شرع في بيان بعض الأحكام الشرعية والعقوبات التي يُستعان بها حينما يفرط المفرطون في تنفيذ أوامر الله، لتستقيم الحياة وفق منهج العدل الإلهي، ومن هذه العقوبات "القصاص" الذي عرضته السورة الكريمة في قوله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحُرِّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعُ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ (178)﴾ ومما جاء في سبب نزول الآية الكريمة أنه "كان بين حَيِّين من أحياء العرب قتال، وكان لأحد الحَيِّين طَوْلاً على الآخر، فقالوا: نقتل بالعبد منا الحر منكم، وبالمراة الرجل، فنزلت هذه الآية"<sup>(1)</sup>، وكما جاء في التعريفات فالقصاص هو "أن يُفعل بالفاعل مثل ما فعل"<sup>(2)</sup>، وقد ذهب جمعٌ إلى أن المقصود بتلك الآية أن يُقتل القاتل المتعمد كما قُتل، فيُقتل الحرّ بالحر، وكذلك يُقتل العبد بالقتيل العبد، والأنثى بالأنثى، ومنهم من قال أن المراد إيجاب المكافأة والمماثلة في ديات القتلى، الحرّ له دية الحرّ، والعبد له دية العبد، وكذلك الأنثى إذا قُتلت لها دية الأنثى، فلا خلاف بين أهل السنة أن الذكر يُقتل بالأنثى، والحرّ بالعبد إذا لم يكن سيده<sup>(3)</sup>، وهذا القول الذي مال إليه الإمام ابن تيمية.<sup>(4)</sup>

فقد أكد الحق ﷻ في الآية الكريمة على مبدأ العدل والمساواة في القصاص، ونهاهم عن البغي والظلم، فالعدل مطلوب في القصاص، والمساواة شرط فيه، فلا يُقتل الكثير بالقليل،

(1) أسباب النزول، الواحدي، ص49.

(2) التعريفات، الجرجاني، ص176.

(3) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، مسلم وآخرون، ص214-216، بتصرف.

(4) انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج74/14 وما بعدها.

ولا السيّد بالمسود، وإنما ينحصر بالقاتل، لا يتجاوزهُ إلى أحد أفراد قبيلته، أو أقاربه، أو عشيرته<sup>(1)</sup>، فمن ترك له شيء من القصاص إلى الدية، وعفا عنه وليّ القتل فلم يقتصّ منه وقيل منه الدية، فليُحسِن الطالب في الطلب من غير إرهابٍ ولا تعنيف، وليُحسِن الدافع في الأداء من غير مماطلة ولا تسويف، فهذا فيه تخفيف من ربكم ورحمة ليظهر فضله عليكم، أمّا من تجاوز منكم بعد أخذ الدية وقَتَلَ القاتل، فله عذاب أليم عند الله، لأنه نقض العهد وغدر بالقاتل بعد أن أعطاه الأمان، وأخذ منه المال.<sup>(2)</sup>

ثم بيّن الله ﷻ حكمته العظيمة من تشريع القصاص بعبارة بليغة موحية ومؤثرة وذلك في قوله ﷻ: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (179)﴾ فالقصاص فيه حياة للناس، وبقاء للنوع الإنساني، فما شرّعه الحق ﷻ إلا رحمة بالناس، وحفظاً لدمائهم، وزجرًا عن العدوان، وإذاعةً للجاني ما أذاقه لغيره، وفيه إذهابٌ لحرارة الغيظ من قلوب أولياء المجني عليه<sup>(3)</sup>، فقد عبّر الله ﷻ في هذه الآية على وجازتها عن حكمة القصاص، بأسلوب لا يُسامى، وعبارة لا تُحاكى، واشتهر أنها من أبلغ آي القرآن الكريم، ومن دقائق البلاغة فيها أن جعل فيها الضدّ متضمنًا لضده، وهو (الحياة) في (الإماتة) التي هي القصاص، وعزّف القصاص ونكّر الحياة للإشعار بأنّ في هذا الجنس نوعًا من الحياة عظيمًا لا يبلغه الوصف، وذلك لأنّ العلم به يردع القاتل عن القتل، فيتسبّب في حياة البشرية.<sup>(4)</sup>

## المطلب الثاني

### المُحرّمات في سورة البقرة

عرضت السورة الكريمة جملة من المحرّمات التي نهى الله ﷻ عباده عن ارتكابها حرصًا عليهم، ودرءًا لأيّ مفسدة قد تصيبهم، وتتقيّةً لنفوسهم وجوارحهم وعلاقاتهم من كلّ حرام نهاهم الله ﷻ عنه، وستعرض الباحثة ذلك على النحو الآتي:

(1) انظر: التفسير المنير، الزحيلي، ج2/106.

(2) انظر: روائع البيان في تفسير آيات الأحكام، الصابوني، ج1/170-171.

(3) انظر: الفقه الميسر، الطيار وآخرون، ج1/345.

(4) روائع البيان في تفسير آيات الأحكام، الصابوني، ج1/173.

## أولاً: المحرّمات من المأكّل

الحلال هو الأصل في الأشياء والحرام معدود ومقيّد لذلك جاءت السورة الكريمة بذكر بعض من المحرّمات، فقال تبارك اسمه: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ (173)﴾ ففي الآية الكريمة حصّر لمحرّمات الطعام من الحيوان لحكم عظيمة، فحرّم ﴿..الْمَيْتَةَ..﴾ لما في الطباع السليمة من استنقاذها، ولما يُتوقع من ضررها، وحرّم ﴿..الدّم..﴾ المسفوح لقذارته وضرره، و ﴿..لَحْمَ الْخِنْزِيرِ..﴾ فإنه قدر لأنه يتغذى على القاذورات والنجاسات، وأكل لحمه من أسباب الدودة القتالة، وله تأثير سيئ في العفة والخيرة، ومن المحرّمات أيضاً ﴿..وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ..﴾ وهو ما يُذبح ويُقدّم للأصنام أو غيرها ممّا يُعبّد، ومنعها ديني محض لحماية التوحيد، لأنه من أعمال الوثنية<sup>(1)</sup>، ثم خصّ من أُلجئ إلى أكل شيء ممّا حرم الله لإكراهه أو مخصصةً بأنه إن لم يجد غيره وخاف على نفسه الهلاك إن لم يأكل منه، ولم يكن راغباً فيه لذاته، ولم يتجاوز قدر الحاجة فلا إثم عليه، لأن الإلقاء بنفسه إلى التهلكة بالموت جوعاً أشدّ ضرراً من أكل الميتة أو الدم، فلا حرج عليه.<sup>(2)</sup>

## ثانياً: تحريم أكل أموال الناس عامّة بالباطل، وأموال اليتامى على وجه الخصوص

من جملة الأوامر والنواهي التي اشتملت عليها آيات السورة الكريمة تحريم أكل أموال الناس بالباطل، وقد جاء هذا التحريم في قوله ﷺ: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (188)﴾ فقد بيّن الله ﷻ حكم أكل أموال المسلمين بالباطل، وأنه حرام فلا يحلّ لمسلم أن يأكل مال أخيه بغير طيب نفس منه، وذكر نوعاً بغيضاً منها وهو دفع الرشوة إلى القضاة والحاكمين ليحكموا لهم بغير الحقّ فيأكلوا أموال إخوانهم بشهادة الزور واليمين الغموس الفاجرة وهي التي يحلف فيها المرء كاذباً<sup>(3)</sup>، بل وزاد في توبيخهم بقوله ﷻ: ﴿.. وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (188)﴾ أي: حال كونكم تعلمون أنّكم على باطل، فإتيان الباطل مع العلم بأنّه باطل أدعى إلى التوبيخ من إتيانه على جهالة به.<sup>(4)</sup>

(1) انظر: تفسير المنار، رضا، ج2/79-80.

(2) انظر: تفسير المراغي، المراغي، ج2/49.

(3) انظر: أيسر التفاسير، الجزائري، ج1/169.

(4) انظر: التفسير الوسيط، طنطاوي، ج1/401.

ثم خصّ هذا التحريم لعموم أموال المسلمين بتحريم أكل أموال اليتامى خاصة، فقد اهتمّ الإسلام بجميع أفراد المجتمع وخصّ كل فئة من فئاته برعاية خاصة لتنظيم شئونهم وأحوالهم، ومن هذه الفئات التي حظيت بهذه العناية فئة اليتامى، وذلك كما جاء في قوله ﷺ: ﴿..وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (220)﴾ واليتيم: "هو المنفرد عن أحد أبويه، فقد يكون يتيماً من جهة الأم مع بقاء أبيه، وقد يكون يتيماً من جهة الأب مع بقاء الأم، والإطلاق أظهر في اليتيم من قِبَل الأب، وظواهر القرآن في أحكام اليتامى، محمولة على الفاقدين لأبائهم وهم صغار." (1)

وقد روي عن سعيد بن جبيرة رضي الله عنه قال: "لما نزلت: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلُونَ سَعِيرًا﴾ [النساء: 10] عزلوا أموالهم عن أموالهم، فنزلت: ﴿..قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ.. (220)﴾ فخلطوا أموالهم بأموالهم" (2)، فمراد التوجيه الإلهي أن مداخلة اليتامى لإصلاحهم، أو إصلاح أموالهم خير من مجانبتهم، فهم إخوانكم في الدين ومن حقّ الأخ أن يُخالط الأخ، وقيل المراد بالمخالطة المصاهرة، لكنه ﷺ توعّد من خالطهم لإفساد أو إضرار، وذكرهم بأنه ﷺ لو شاء الله إعناتهم لأعناتهم أي: لكفهم ما يشقّ عليهم، فهو عزيزٌ غالب يقدر على الإعنات، حكيمٌ يحكم ما تقتضيه الحكمة وتتسع له الطاقة. (3)

وإنما جاء هذا الحثّ على حماية اليتامى وصون حقوقهم لإمطة الأذى عن الجماعة المسلمة، فحماية اليتامى هي حماية للمجتمع من أن يكون منهم شريرون ييغضون المجتمع، ويجلبون له الويلات وهم في كنف المجتمع ورعايته (4)، فهم أحقّ الناس بالرعاية والمخالطة والإنفاق، وكأنه ﷺ يلفتنا إلى أنّ كل ما جاء في المنهج القويم، إنما جاء لينظم لنا حركة الحياة، ويخرجنا من أهواء النفوس، ويطهرنا من الأثانية والطمع، ويجمعنا مع أفراد المجتمع في بوتقة واحدة وحصن متين.

(1) أحكام القرآن، الكيا الهراسي، ج1/126.

(2) أسباب النزول، الواحدي، ص72.

(3) انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، ج1/138.

(4) انظر: زهرة التفاسير، أبو زهرة، ج2/710.

## ثالثاً: تحريم الخمر والميسر

كان الخمر والميسر ممّا اشتهرت به حياة الجاهلية، فقد كانت تشتغل بهما في غير تحرج أو تأثم من أمر دين أو ناموس مجتمع، وقد كان هذان المنكران متلازمين، لا يكاد يفترق أحدهما عن الآخر، فحيث كان خمر كان معه ميسر، ولهذا قرنهما الله ﷻ في قوله: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا..(219)﴾<sup>(1)</sup>، فما هو الشارع الحكيم يعرض لأمر كان مباحاً ديانةً وعرفاً في حياة الجاهلية، فيؤثمه ويجرمه، والحكم في الآية أنها يحملان في كيانهما قدرًا كبيرًا من الإثم، إلى جانب ما يحملان من نفع.<sup>(1)</sup>

وقد جاء في سنن الترمذي أنّ عمر بن الخطاب ﷺ قال: "اللهم بيّن لنا في الخمر بيان شفاء" فنزلت الآية التي في سورة البقرة: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا..(219)﴾ [البقرة: 219] فدعى عمر ﷺ فقرئت عليه، فقال: "اللهم بيّن لنا في الخمر بيان شفاء" فنزلت الآية التي في سورة النساء: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ..﴾ [النساء: 43] فدعى عمر ﷺ فقرئت عليه، فقال: "اللهم بيّن لنا في الخمر بيان شفاء" فنزلت الآية التي في سورة المائدة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ 90 إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقَعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ..﴾ [المائدة: 90-91] فدعى عمر ﷺ فقرئت عليه، فقال: انتهينا.<sup>(2)</sup>

من هذه الرواية وغيرها يتبيّن أنّ تحريم الخمر جاء تدريجيًا لينقل الناس من الأخف إلى الأشد، وتلك سياسة تربوية ناجحة، فالله ﷻ علم أنّ القوم كانوا قد ألفوا شرب الخمر، وكان انتفاعهم بها كثيرًا، فعلم الله ﷻ أنه لو منعهم دفعة واحدة لشقّ عليهم ذلك، وهذه المراحل كانت على النحو الآتي:

المرحلة الأولى: في قوله ﷻ: ﴿..وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا..﴾ [النحل: 67] حيث كان المسلمون يشربونها وهي لهم حلال.

(1) انظر: التفسير القرآني للقرآن الكريم، الخطيب، ج1/244-245.

(2) سنن الترمذي، الترمذي، أبواب تفسير القرآن/ باب ومن سورة المائدة، ج5/103، رقم الحديث 3049.

"حديث صحيح" انظر: سلسلة الآثار الصحيحة، الداني، ج2/261.

المرحلة الثانية: وهي التي جاءت في سورة البقرة في قوله ﷺ: ﴿.. قَل فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ (219)﴾، وفيها إشارة واضحة لضررها الذي يغلب على منفعتها.

المرحلة الثالثة: وهي في قوله ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ..﴾ [النساء:43] فقيّد تحريمها في أوقات الصلاة فحسب.

المرحلة الرابعة: وذلك في قوله ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ 90 إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ (91)﴾ [المائدة: 90-91] فكان هذا تحريماً صريحاً قاطعاً.<sup>(1)</sup>

ووجه تحريم الخمر والميسر أنّ الله ﷻ قد أنعم على الإنسان بنعم كثيرة، منها نعمة العقل التي ميّزه بها عن سائر المخلوقات، ولما كانت المسكرات من شأنها أن تُفقد الإنسان نعمة العقل، وتُثير الشحناء والبغضاء بين المؤمنين، وتصدّ عن الصلاة، وعن ذكر الله، حرّمها الشارع، فالخمر خطرهما عظيم، وشرّها جسيم، فهي مطيّة الشيطان التي يركبها للإضرار بالمسلمين، فلما كان الميسر أيضاً يثير البغضاء، ويصدّ عن ذكر الله، ويحطّم الأعصاب، ويُذهب المال، وينقل الملكية نقلاً غير معقول، ويقلّل الإنتاج العام للأمة حرّمه الشارع الحكيم كذلك، وقد قال فيهما الحق ﷻ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ﴾ [المائدة: 91].<sup>(2)</sup>

#### رابعاً: تحريم أكل الربا

لما أمر الله ﷻ عباده بالإنفاق من طيبّ الكسب، وحضّ على الصدقة، ورغب في الإنفاق في سبيله، حدّهم من نقيضه وهو الربا، فكما أن المنفقين في سبيل الله يتصدّقون بأموالهم بغير عوض تقريباً من مولاها، فالمرابون كذلك يأخذون المال بغير عوض طمعاً في المكسب الدنيوي، وقد جاء الخطاب الرباني بعرض الربا ذاك الوجه الخبيث للكسب مباشرة عقب عرض الوجه الطيبّ من الإنفاق في سبيل الله ليظهر الفارق بجلاء بينهما<sup>(3)</sup>، "والربا في اللغة:

(1) انظر: التفسير المنير، الزحيلي، ج2/270-271.

(2) انظر: الفقه الميسر، الطيار وآخرون، ج1/372-373. الأساس في التفسير، حوى، ج3/1510.

(3) انظر: صفوة التفاسير، الصابوني، ج1/157. التفسير المنير، الزحيلي، ج3/85.

الزيادة، وفي الشرع: هو فضل خالٍ عن عوض شرط لأحد العاقدين<sup>(1)</sup>، وقال الإمام الطبري: "وقد قيل إنّ هذه الآيات في أحكام الربا، هنّ آخر آيات نزلت من القرآن"<sup>(2)</sup>، وعلى كل الأحوال فذكر الربا وأحكامه في أطول سورة في كتاب الله له دلالات عميقة، وقد تناولت الآيات الكريمة قضية الربا من جوانب عدة حيث عرضت أطراف العملية الربوية وعلقت على كل طرف وذلك كما يأتي:

### 1. بيان حال آكلي الربا في الدنيا والآخرة:

أولاً: بيان حال آكلي الربا في الدنيا: فهؤلاء دعاهم الحق ﷻ إلى ترك هذا المنكر محدّراً إياهم ممّا سيلقونه منه، فقال لهم الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (278) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ (279)﴾ فمن واجب الذين آمنوا وصافحت قلوبهم أضواء الهدى أن يتقوا الله، فلا ينتهكوا حرّماته فيجتنبوا الربا، ودعاهم إلى أن يتركوا ما تعاملوا به من ربا قبل أن يأتيهم حكم تحريمه، فليس لهم بعد هذا إلا رؤوس أموالهم<sup>(3)</sup>، وإنّ الاقتصار على رأس المال لا يكون فيه ظلم للدائن، لأنّه استلم مثل ما أعطى وليس له وراء ذلك حق، ولا ظلم فيه على المدين لأن أداء الحق لا ظلم فيه، أمّا من عاند الله ﷻ ورسوله ﷺ وأخذ ما بقي من الربا فهو في حرب مع الله ورسوله<sup>(4)</sup>.

والآية الكريمة فيها إشارات بيانية تبين عظيم ما يتعرّض له من يعاند الله ورسوله، ويخالف أحكامه التي يقرها الله ﷻ لتنظيم المجتمع الإسلامي، فمن لم يمتنع عن أكل الربا وبقي على ضلّالته فهو في حرب عظيمة مع الله ورسوله، والتعبير بـ"حرب" فيه تهويل بليغ لشأن هذه الحرب من ناحيتين: ناحية التذكير، فهي حرب هائلة لم يدركوا كنهها، والناحية الثانية ناحية التصريح بإضافتها إلى الله ورسوله، فهي حرب معهما، والنتيجة في هذا مؤكدة محتومة، ألا وهي الخسران والهلاك<sup>(5)</sup>.

(1) التعريفات، الجرجاني، ص109.

(2) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ج6/37.

(3) انظر: التفسير القرآني للقرآن الكريم، الخطيب، ج2/359-360.

(4) انظر: زهرة التفاسير، أبو زهرة، ج2/1059-1060.

(5) انظر: المرجع السابق، ج2/1058-1059.

ثانياً: بيان حال آكلي الربا في الآخرة: وصف الحق ﷺ حال المرابين يوم القيامة وصفاً بديعاً مرعباً تكاد تتقبض الصدور عند تخيله، وذلك كما جاء في قوله ﷺ: ﴿..الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (275)﴾ فأخبر الله ﷺ أن أكلة الربا لا يقومون من قبورهم يوم القيامة إلى بعثهم ونشورهم، إلا كما يقوم المصروع حال صرعه، وتخبط الشيطان له، ذلك التخبط البغيض المنكر، وإنما جوزوا بذلك لاعتراضهم على أحكام الله في شرعه إذ اعتراضوا على شرع الله بتحريمه الربا، بل زعموا أن الربا شبيهه بالبيع بحجة أن كلا منهما يؤدي إلى زيادة المال ونمائه<sup>(1)</sup>، فردّ الله ﷺ عليهم وأبطل قياسهم، وبيّن أنه أحلّ البيع لما فيه من نفع عام وخاص، وحرّم الربا لما فيه من ظلم وأكل لأموال الناس بالباطل بلا مقابل، فمن جاءته موعظة من ربه فيها النهي والتحذير من الربا، فانتهى عنه وتاب إلى الله منه، فله ما مضى من أخذه للربا لا إثم عليه فيه، وأمره إلى الله فيما يستقبل بعد ذلك، ومن عاد إلى أخذ الربا بعد أن بلغه النهي من الله، وقامت عليه الحجة؛ فقد استحقّ دخول النار والخلود فيها.<sup>(2)</sup>

2. بيان حقيقة المال المقترض (مال الربا): فقد جاء هذا البيان في قوله ﷺ: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِيهِ الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ (276)﴾ أي أنّ مال الربا يُذهب البركة ويُهلك المال الذي يدخل فيه، أما مال الصدقات فيزيد وبيبارك الله فيه، وفعل الربا من فعل الكفار لا من فعل المسلمين فهؤلاء المرابون لا يحبهم الله ولا يقبلهم<sup>(3)</sup>، أما من يحبهم الله ﷺ ويقبلهم فهم من قال فيهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (277)﴾ فهؤلاء لهم وعدّ رباني صادق وبشرى إلهية سارة بأنّ لهم أجراً وافياً عند ربهم يوم الحاجة إليه في عرصات القيامة وأنه لا خوف عليهم ولا حزن في الحياة الدنيا والآخرة.<sup>(4)</sup>

(1) انظر: الأساس في التفسير، حوى، ج1/642.

(2) انظر: المختصر في تفسير القرآن الكريم، جماعة من علماء التفسير، ج1/47.

(3) انظر: الموسوعة القرآنية، الأبياري، ج9/197.

(4) انظر: أيسر التفاسير، الجزائري، ج1/269.

وهنا نبّه الله ﷻ إلى أنّ الإسلام قد بنى العملية الاقتصادية على الرشد والعطاء، فقال الحق ﷻ: ﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (280)﴾ فحثّ الدائن على إمهال المدين مهلة من الوقت إن كان في عُسرة ولا يستطيع دفع ما عليه في موعده فليمهله إلى أن يتيسر للمدين دفع دينه، بل زاد على ذلك بأن رغب بالتصدق على المُعسر بالترك، أو الإبراء، أو حطّ جزء من الدَّين، طمعاً بما أعدّه الله ﷻ من الأجر العظيم للمتصدّق. (1)

وفي هذا المقام من الجدير الإشارة إلى أن الربا قد مرّ بأربعة أدوار لتحريمه كما حدث في تحريم الخمر وذلك تمثيلاً مع قاعدة التدرج، وهذه الأدوار انتظمت على النحو الآتي (2):

**الدور الأول:** نزل في قوله ﷻ: ﴿..وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبًّا لِيَرْبُوهَا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُوهَا عِنْدَ اللَّهِ..﴾ [الروم: 39] وهذه الآية المكية الكريمة ليس فيها ما يشير إلى تحريم الربا وإنما فيها إشارة إلى بُغض الله ﷻ للربا، وأنّ الربا ليس له ثواب عند الله.

**الدور الثاني:** نزل في قوله ﷻ: ﴿..فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا (160) وَأَخَذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ..﴾ [النساء: 160 - 161] وهذه الآية المدنية جاءت في معرض الحديث عن سيرة اليهود الذين حرّم عليهم الربا فأكلوه واستحقّوا عليه اللعنة والغضب، وهو تحريم (بالتلويح) لا (بالصريح) وليس فيه ما يدلّ دلالة قطعية على أن الربا محرّم على المسلمين.

**الدور الثالث:** نزل في قوله ﷻ: ﴿..يا أيها الذين آمنوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً..﴾ [آل عمران: 130]، فهذه الآية المدنية فيها تحريم للربا صريح ولكنه تحريم (جزئي) لا (كلي) لأنه تحريم لنوع من الربا يُسمّى (الربا الفاحش) وهو الربا الذي بلغ في الشناعة والقبح الذروة العليا، وبلغ في الإجرام النهاية العظمى، حيث كان الدَّينُ فيه يتزايد حتى يصبح أضْعَافًا مضاعفة، يضعف عن سداه كاهل المستدين.

**الدور الرابع:** وفي هذا الدور الأخير نزل التحريم الكلّي القاطع، الذي لا يفرّق فيه القرآن بين قليل أو كثير، والذي تدلّ النصوص الكريمة على أنه قد ختم فيه التشريع السماوي بالنسبة إلى حكم الربا، فقد نزل قوله ﷻ: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ 278 فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ.. (279)﴾ وهذه الآية الكريمة كانت المرحلة

(1) انظر: أوضح التفاسير، الخطيب، ج1/57.

(2) انظر: روائع البيان في تفسير آيات الأحكام، الصابوني، ج1/389-391.

النهائية في تحريم الربا، وبهذا البيان يتّضح لنا سر التشريع الإسلامي في معالجة الأمراض الاجتماعية التي كان عليها العرب في الجاهلية بالسير بهم في طريق التدرج.

#### • علاقة المبحث بوحدة موضوع السورة:

والآن وقد اكتملت الصورة وبرزت الحكمة أصبح واضحاً أنّ التشريع الإسلامي هو نظام اجتماعي واقتصادي متكامل بامتياز، فقد جمع أقطاب الحياة الاجتماعية والاقتصادية من كل جانب وضمّها في نظام متّزن مراعيًا الفطرة الإنسانية القائمة على القصور ووافق بين المصلحة الخاصة للفرد والمصلحة العامة للمجتمع في ترابط واتحاد بديع، فتراه نبّه إلى حرمة الأنفس والجوارح فشرع القصاص لحفظها، ثم عرض بعض المحرمات من المآكل فدعا لاجتنابها، وعاد ليؤكد على ضرورة العدل بين الناس وحرمة أكل أموال الناس بالباطل، ثم أعقب ذلك بالتحذير من آفات العصر التي تفتك بالفرد والمجتمع على حد سواء فحرّم الخمر والميسر، ولأنه نظام رباني يهدف إلى تيسير الحياة وفق شرع الله فقد أسهب في تحريم المداينة الفاسدة ألا وهي الربا وهدّد وتوعّد من يقوم بها.

فهل بعد هذا الإحكام من إحكام، وهل بعد هذا التنظيم والاعتزان والتكامل من قول؟! فوالله إن الحق ﷻ نظم حياة العباد تنظيمًا سماويًا ليرشد هذا الإنسان المستخلف إلى كل صغيرة وكبيرة، ولينبّهه إلى أنّ صلاح المجتمع منوط بصلاح أفراده، وليضع بين يديه دليلًا إرشاديًا واضحًا ينير له الطريق في رحلته الكريمة في خلافته في الأرض.

## المبحث الخامس

### وسائل تحقيق العبودية كما تصوّرها سورة البقرة

من محاسن كتاب الله العظيم أنه جعل لكلٍ داءٍ دواء، فهو يسلّط الضوء على أوران النفوس، ويبين كيفية استئصالها، لكي لا يبقى لبني البشر عذر ولتقام عليهم الحجة، وهذا الأسلوب واضح في سورة البقرة، فبعد أن شهدنا إعلان التكليف الإلهي للعباد بالاستخلاف في الأرض، وتتبعنا منهاج الأمة المسلمة بأوامره ونواهيه وأحكامه، والحال أن النفس البشرية قاصرة عن إدراك الهداية الربانية دون الاستعانة بالإرشادات الإلهية التي تتبّتها إلى ما قد يعتريها من صعاب ومكاره، وتوجّه أنظارها إلى الوسائل المعينة لها في هذا الدرب الطويل، والإنسان في معاركه للإصلاح يواجه جبهتين: نفسه والشيطان، أما الشيطان فقد ذُكر في عدة مواضع، فتحذير الرب ﷻ لعباده منه جاء أكثر من تحذيره من النفس، وذلك لأن شرّ النفس وفسادها ينشأ من وسوسته.<sup>(1)</sup>

وستتناول الباحثة في هذا المبحث هذه الوسائل المعينة على تحقيق العبودية كما بينتها خاتمة السورة.

### المطلب الأول

#### التحذير من اتباع خطوات الشيطان

لأن الشيطان هو العدو الأول لبني آدم منذ الخليقة، ولأن مكائده لا تتطفئ وحيله لا تنقطع من أجل ذلك استهدفه الخطاب القرآني، فاشتملت السورة الكريمة على دعوات صريحة لبني البشر أن يحذروا الشيطان وسبله، وقد جاء هذا التنبيه الذي لا بد أن يسترعي الأذهان وتُصغي له الآذان في موضعين في السورة الكريمة، سنذكرهما الباحثة على النحو الآتي:

**الموضع الأول:** وهو قول الحق: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (168)﴾ فنهى الله ﷻ الناس عن اتباع خطوات الشيطان، وقد اختلف أهل التفسير في المراد بقوله: ﴿..خُطُواتِ الشَّيْطَانِ..﴾ على عدة أقوال منها:

1. عن مجاهد: أن المراد خطؤه.<sup>(2)</sup>
2. قال الزجاج: المعنى: "طُرُقَه، أي لا تَسْلُكوا الطريق الذي يدعوكم إليه الشيطان."<sup>(3)</sup>

(1) انظر: إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، ابن القيم، ج 1/90-91.

(2) انظر: تفسير مجاهد، ابن جبر، ص 218.

(3) معاني القرآن، الزجاج، ج 1/241.

3. وأورد الماوردي أنّ من معاني ﴿..خُطُوتِ الشَّيْطَانِ..﴾ أعماله، أو طاعته، أو النذور في المعاصي. (1)

4. وقال الواحدي: المراد: أن "لا تتبّعوا سبيله، ولا تسلكوا ولا تقفوا أثره، ولا تأتمّوا به، ولا تُطيعوه فيما يزيّن لكم من تحريم حلال واستحلال حرام في الشرع." (2)

5. ورأى الإمام ابن عرفة أن هذا الوصف من مجاز التمثيل فليس المراد النهي عن اتباع خطوات الشيطان حقيقة إذ لا نراه نحن بل الخطوات معنوية. (3)

وأشار أبو حيان إلى أنّ هذه أقوال متقاربة المعنى وجميعها تتضمّن النهي عن معصية الله، وكأنه ﷺ لما أباح لهم الأكل من الحلال الطيب في قوله ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا..﴾ نهاهم عن معاصي الله وعن الانجراف إلى أكل الحرام، لأن الشيطان يُلقي إلى المرء ما يجري مجرى الشبهة، فيزيّن بذلك ما لا يحلّ، فزجر الله ﷻ عن ذلك. (4)

وقد أكّد الحق ﷻ على خطورة الشيطان وشدة عداوته لبني البشر بقوله: ﴿..إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (168)﴾، فحذّره الشيطان الذي قد أبان عداوته لهم وذلك بإعراضه عن السجود لأبيهم آدم ﷺ، وهو الذي أخرج من الجنة (5)، وقوله: ﴿..مُبِينٌ﴾ أي: "ظاهر العداوة عند ذوي البصيرة وإن كان يُظهر الموالاة لمن يغويه." (6)

ثم شرع المولى ﷻ في فضح فنون غوايته وسُبُل تزيينه للعباد بقوله ﷻ: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (169)﴾، وقد تعدّدت أقوال العلماء في معاني السوء والفحشاء على النحو الآتي:

1. اعتبر الأصفهاني أن "السوء والفحشاء كل قبيح من نحو الزنا، والسرقة، والسكر، والقتل، والخيانة، والكذب والحسد والجهل، وكل ما يقال له سوء يقال له فُحْش." (7)

(1) النكت والعيون، الماوردي، ج1/220.

(2) التفسير الوسيط، الواحدي، ج1/253.

(3) انظر: تفسير الإمام ابن عرفة، ابن عرفة، ج2/498.

(4) انظر: البحر المحيط، أبو حيان، ج2/101. التفسير المنير، الزحيلي، ج2/73.

(5) انظر: التفسير البسيط، الواحدي، ج1/253.

(6) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، ج1/118.

(7) تفسير الراغب الأصفهاني، الأصفهاني، ج1/366.

2. عند الزمخشري "السوء: القبيح، والفحشاء: ما يتجاوز الحد في القبح من العظائم، وقيل: السوء ما لا حدّ فيه، والفحشاء: ما يجب الحدّ فيه".<sup>(1)</sup>

وعلى كلِّ فإن أعمال الشيطان ومداخله كلها تندرج تحت الأمر بالسوء لأنه لا يعرف إلا طريق الشر والسوء، لأن الأمر بالسوء هو الضمان الوحيد لتحقيق غاياته، فمنطق الجاهلية مبني على أنّ الغاية تبرّر الوسيلة وقد يخدع البعض ويلبس بعض أوامره ثوب الحق ولكنه أبداً لا يريد إلا السوء، فلقد أخذ إذنًا من الله وعهوداً على نفسه بأن يؤدي بني آدم أشدّ الإيذاء ويحاربهم بكل وسيلة، أوليست طاقة الشر هذه متجلية في قول الحق ﷺ: ﴿لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا (118) وَلَا أَضِلَّهُمْ وَلَا أُضِلَّتْهُمْ وَلَا مَرْتَبَهُمْ وَلَا مَرْتَبَهُمْ فَلْيُبَيِّنَنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَا مَرْتَبَهُمْ فَلْيُعَيِّرَنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا (119)﴾ [النساء: 118-119].<sup>(2)</sup>

الموضع الثاني: في قول الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (208)﴾ لما بين الله ﷻ انقسام الناس إلى مؤمن وكافر ومنافق أمرهم بأن يكونوا على ملة واحدة، وأن يجتمعوا على الإسلام ويثبتوا عليه، فالسلم هنا بمعنى الإسلام،<sup>(3)</sup> ثم نهاهم عن اتباع سبيل الشيطان وحذرهم من عداوته، وقد ذكر المفسرون وجوهاً للمخاطبين في الآية الكريمة، وهي كالتالي:

الأول: أن الخطاب للمناققين، والمعنى: ادخلوا في الإسلام بكلّيتكم ولا تخلطوا به غيره.

الثاني: أن الخطاب لمؤمني أهل الكتاب، فإنهم بعد إسلامهم عظموا السبب وحرّموا الإبل وأبناها، فدعاهم ألا يتمسكوا بشيء من أحكام التوراة، والتمسك بشعائر الإسلام كلها قولاً وعملاً.

الثالث: أن هذا الخطاب لأهل الكتاب الذين لم يؤمنوا بالنبي ﷺ واقتصروا على الإيمان بموسى وعيسى -عليهما السلام- أن آمنوا بجميع أنبيائه وكتبهم، وبمحمد ﷺ، وكتابه على التمام، ولا تتبّعوا خطوات الشيطان في تحسينه الاقتصار على التوراة.

الرابع: الخطاب للمسلمين أن داوموا على الإسلام فيما بقي من العمر ولا تلتفتوا إلى الشبهات التي يلقيها إليكم أصحاب الضلالة والغواية.<sup>(4)</sup>

(1) الكشاف، الزمخشري، ج1/213.

(2) انظر: البيان في مداخل الشيطان، البلاي، ص80.

(3) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج3/22.

(4) انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، ج1/134. الباب في علوم الكتاب، الحنبلي، ج3/477.

وقد يعجب المرء من وصف الله ﷻ الشيطان بأنه عدو مبين مع أننا لا نرى ذاته ولا نسمع كلامه، وقد أجاب على هذا التساؤل الفخر الرازي حين أشار إلى أنّ الله ﷻ لما بيّن عداوته لآدم ونسله صحّ أن يُوصَف بأنه عدو مبين وإن لم يُشاهد، ومن جهة أخرى أنّ الأصل في الإبانة القطع، والبيان إنما سُمّي بياناً لهذا المعنى، فإنه يقطع بعض الاحتمالات عن بعض، فوصفُ الشيطان بأنه مبين معناه أنه يقطع المكلف بوسوسته عن طاعة الله وثوابه ورضوانه.<sup>(1)</sup>

فإن سأل سائل كيف تكون عداوة الشيطان؟! والجواب: أنه عدوٌّ من وجهين معاً:

**أحدهما:** أنه يحاول إيصال الضرر إلينا إلا أنّ الله ﷻ منعه عن ذلك، وليس يلزم من كونه مُريداً لإيصال الضرر إلينا أن يكون قادراً عليه.

**ثانيهما:** أنه يوسوس للعباد، فمعلوم أنّ تزيين المعاصي وإلقاء الشبهات كلّ ذلك سبب لوقوع الإنسان في الباطل وبه يصير محروماً عن الثواب، فكان ذلك من أعظم جهات العداوة.<sup>(2)</sup>

فالشيطان لا يرضى من العبد بالذنب والذنبين، بل هو معه في استدرارك وتحريض على المعاصي؛ حتى يوقعه في كبارها، فلا يزال يزيّن للعبد المعاصي؛ حتى يجردّه عن دينه! ليكون رفيقه في النار! فطاعة الرحمن خلف كل خير وسعادة، وطاعة الشيطان خلف كل شر وشقاوة! فليختر كل إنسان لنفسه وليحذر عدوّه الأزلي فيسقط في جحيم الذنوب فوالله لا طاقة لأحد بتلك الخطوب!<sup>(3)</sup>

## المطلب الثاني

### التزام الوازع الديني وبيان محدودية الطاقة الإنسانية

معركة الإنسان مع الشيطان معركة أزلية باقية بالبقاء على هذه الأرض، فبعد أن حثّ الله ﷻ عباده على دحر الشيطان والتيقّظ لوسوسته وأساليب غوايته وجّه الله ﷻ النفوس للوقود الذي يشحذ همتها ضمن طاقة الإنسان وقدرته، والذي ستعرضه الباحثة في هذا المطلب على النحو الآتي:

(1) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي، ج5/354.

(2) انظر: المرجع السابق، نفس الجزء والصفحة.

(3) انظر: لا يخذعك الشيطان، أزهرى، ص12.

## أولاً: الالتزام بالوازع الديني

وجّه المولى ﷺ أنظار الناس أجمعين إلى الوازع الديني الذي يردعهم عن معصيته ويحثهم على طاعته ألا وهو التقوى، وهذا التوجيه قد سبق في ختام سورة البقرة في قوله ﷻ: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (281)﴾ وقد كان هذا الخطاب آخر توجيه إلهي تلقته البشرية من ربها ﷻ كونه آخر ما نزل من السماء على رسول الله ﷺ<sup>(1)</sup>، والحاصل أن هذا الأمر قد وقع فيه الخلاف على النحو الآتي<sup>(2)</sup>:

1. روى الشيخان عن البراء بن عازب ؓ أنه قال: آخر آية نزلت: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ [النساء:176] وآخر سورة نزلت براءة.<sup>(3)</sup>

2. أخرج البخاري عن ابن عباس ؓ أنه قال: آخر آية نزلت آية الربا.<sup>(4)</sup>

3. وأخرج البخاري كذلك عن ابن عباس ؓ قوله: "في قوله ﷻ: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (281)﴾ أنها آخر آية أنزلت على رسول الله ﷺ"<sup>(5)</sup>.

وقد علق الإمام السيوطي على المسألة بأنه لا منافاة بين هذه الروايات في آية الربا، والآية: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا..﴾ وآية الدين لأن الظاهر أنها نزلت دفعة واحدة كترتيبها في المصحف، ولأنها في قصة واحدة فأخبر كل عن بعض ما نزل بأنه آخر وذلك صحيح، وقول البراء: آخر ما نزل آية الكلاله أي: في شأن الفرائض، ويحتمل أن تكون الآخرة في آية النساء مقيدة بما يتعلق بالمواريث بخلاف آية البقرة ويحتمل عكسه، والأول أرجح لما في آية البقرة من الإشارة إلى معنى الوفاء المستلزمة لخاتمة النزول.<sup>(6)</sup>

(1) انظر: أيسر التفاسير، الجزائري، ج1/272.

(2) انظر: الإتيقان في علوم القرآن، السيوطي، ج1/101.

(3) انظر: صحيح البخاري، البخاري، كتاب الفرائض/ باب {يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلاله}، ج8/153، رقم الحديث 6744. صحيح مسلم، مسلم، كتاب الفرائض/ باب آخر آية أنزلت آية الكلاله، ج3/1236، رقم الحديث 1618.

(4) انظر: صحيح البخاري، البخاري، كتاب تفسير القرآن/ باب {واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله}، ج3/33، رقم الحديث 4544.

(5) صحيح البخاري، البخاري، كتاب البيوع/ باب موكل الربا، ج3/59، رقم الحديث 2085.

(6) انظر: الإتيقان في علوم القرآن، السيوطي، ج1/102-103.

وقال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري: "أنَّ طريق الجمع بين القولين في آية الرِّبَا والآية: ﴿وَأَتَّقُوا يَوْمًا..﴾ أن هذه الآية هي ختام الآيات المنزلة في الرِّبَا إذ هي معطوفة عليهنَّ ويجمع بين ذلك وبين قول البراء بأن الآيتين نزلتا جميعاً فيصدق أنَّ كلاً منهما آخر بالنسبة لما عداهما." (1)

وقيل أنَّ رسول الله ﷺ قد توفي بعدها بأحد وثمانين يوماً، وقيل بتسع ليالٍ، وقيل بسبع ليالٍ (2)، وقيل: بأحد وعشرين، وقيل: بثلاث ساعات. (3)

وقد جاءت هذه الآية الكريمة تذييلاً لجملة الأحكام والتشريعات التي عرضتها سورة البقرة، لأنه صالح للترهيب من ارتكاب ما نهى الله ﷻ عنه والترغيب في فعل ما أمر به أو نذب إليه، لأنَّ في ترك المنهيات سلامة من آثامها، وفي فعل المطلوبات استكثاراً من ثوابها، والكلَّ يرجع إلى اتقاء ذلك اليوم الذي تُطلب فيه السلامة والفلاح. (4)

وخلاصة هذا التوجيه أن ترقّبوا وخافوا يوماً يردكم الله ﷻ إليه فلا تملكون من أموركم شيئاً فيه؛ فإنكم إذا تذكّرتم ذلك اليوم وفكرتم فيما أعدَّ الله ﷻ لعباده من الجزاء على قدر أعمالهم، خفّف ذلك من غلوائكم واطمأنت نفوسكم إلى ملاقاته ركبم، فتجدون برداً وسلاماً لطيب هذه المعاملة، ففي هذا اليوم تلقى كل نفسٍ جزاء ما كسبت إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، لا ينقصون من ثوابهم شيئاً مما عملوا، ولا يعاقبون على ما لم يعملوا. (5)

وتأمل كيف جاء بلفظ: ﴿..يَوْمًا..﴾ نكرةً للتفخيم والتهويل من هذا اليوم المشهود، وتعليق الاتقاء به إنما للمبالغة في التحذير مما فيه من الشدائد والأهوال (6)، وبني فعل الرجوع إلى المجهول في قوله ﷻ: ﴿.. تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ..﴾ في إشارة واضحة إلى أنَّ الرجوع في هذا اليوم لا يكون بطوعية العباد ولكن بإرادة الله ﷻ فهو رجوع قسري لا اختيار فيه. (7)

(1) عمدة القاري في شرح صحيح البخاري، ابن حجر، ج18/133.

(2) انظر: زاد المسير، ابن الجوزي، ج1/250.

(3) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي، ج7/88.

(4) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج3/97.

(5) انظر: زهرة التفاسير، أبو زهرة، ج2/1062. تفسير المراغي، المراغي، ج3/69.

(6) انظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود، ج1/268.

(7) انظر: الخواطر، الشعراوي، ج2/1211.

وقد جُعِلت هذه الآية خاتمة للأحكام والأوامر والنواهي، لأن فيها الوعد على الخير، والوعيد على فعل الشر، وَأَنَّ مَنْ عَلِمَ أَنَّهُ رَاجِعٌ إِلَى اللَّهِ فَمَجَازِيهِ عَلَى الصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ وَالْجَلِيِّ وَالْخَفِيِّ، وَأَنَّ اللَّهَ جَلِيلٌ لَا يَظْلِمُهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ، له وحده الرغبة والرغبة<sup>(1)</sup>، فمن اتَّعَظَ بهذه الموعظة البليغة ووعاها هانت عليه الدنيا ومطامعها، فالدنيا زائلة، والأموال فانية، والآخرة آتية خالدة باقية، والحساب أمام الله أمر حتمي، يجازي كل امرئ بما عمل من خير أو شر، دون بخرس أو ظلم أو نقصان، فليحذر المؤمن عقوبة ربه، وليتق الله بامثال الأوامر الإلهية، واجتناب النواهي<sup>(2)</sup>، وقد تجلَّى ارتباط هذا التوجيه النهائي باتقاء عذاب يوم القيامة بالصفة الأولى التي وصف الله ﷻ بها عباده المتقين في فاتحة السورة حين قال ﷻ: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ.. (3)﴾ وكأنه يوجِّه البصر نحو الإيمان باليوم الآخر على أنه جوهر الإيمان، فبالإيمان به تكون البداية وابتقاء حسابه تكون الهداية وبالنجاة من عذابه تكون الوقاية، فمن اتقى ذلك اليوم كان من زمرة المتقين المفلحين.

### ثانياً: سعة مُلكِ الله ﷻ وقدرته ومحدودية الطاقة الإنسانية

لم تكن التوجيهات الإلهية لبني الإنسان بمعزلٍ عن طبيعة النفس البشرية التي صنعها الخالق ﷻ والتي جبلها على القصور والضعف والمحدودية، بل كانت التكاليف الإلهية تتناغم مع طاقات بني البشر، من أجل هذا جاءت خاتمة سورة البقرة الكريمة لترسم الصورة الكاملة السامية للتصور الإسلامي للنفس البشرية والجماعة المسلمة، وقد بزغ هذا المنهج القويم في خاتمة السورة الكريمة في عدة محاور متكاملة، ستعرضها الباحثة على النحو الآتي:

#### 1. سعة مُلكِ الله ﷻ وعلمه وقدرته

لما حوت سورة البقرة دستور هذه الأمة جاءت خاتمتها لتؤكد على عنوان هذا الدستور وشعاره الذي ميّزه عن كل أنظمة البشرية القاصرة، وذلك في قول الحق ﷻ: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفَوْهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (284)﴾ فالله ﷻ يخبر عباده أنه مالك السماوات والأرض وما فيهنّ، لا شريك له في شيء منهنّ، وأنه مطلع على ما فيهنّ، لا تخفى عليه السرائر ولا الظواهر، وأنه سيحاسب عباده على ما فعلوه، وما أخفوه في صدورهم، فيغفر لمن

(1) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص116.

(2) انظر: التفسير المنير، الزحيلي، ج3/102.

يشاء، ويعذب من يشاء، وهو قادر على كل شيء، فهو ذو الملك والعلم والقدرة التي لا تتفد<sup>(1)</sup>، لكن هذا الإخبار كان له وقع قوي وشديد على نفوس صحابة رسول الله ﷺ، فعن أبي هريرة ؓ قال: لما نزلت على رسول الله ﷺ ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا﴾ قال: فاشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ، فأتوا رسول الله ﷺ ثم بركوا على الركب، فقالوا: أي رسول الله، كلفنا من الأعمال ما نطيق، الصلاة والصيام والجهاد والصدقة، وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها، قال رسول الله ﷺ: "أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا؟ بل قولوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير"، قالوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير، فلما اقترأها القوم، دلت بها ألسنتهم، فأنزل الله في إثرها: ﴿أَمَنْ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (285)﴾ فلما فعلوا ذلك نسخها الله ﷻ، فأنزل الله ﷻ: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ قال: نعم ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾ قال: نعم ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ قال: نعم ﴿وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ 286﴾ قال: نعم " (2).

وقد اختلف العلماء في المراد بالمخفي في هذه الآية على قولين:

**القول الأول:** أنه عام في جميع المخفيات، وهو قول الأكثرين، واختلفوا: هل هذا الحكم ثابت في المؤاخذة أم منسوخ؟ على قولين:

**أحدهما:** أنه منسوخ بقوله ﷻ: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا..﴾، **والثاني:** أنه ثابت في المؤاخذة على العموم، فيؤاخذ به من يشاء، ويغفره لمن يشاء.

**القول الثاني:** أنه أمر خاص في نوع من المخفيات، ولأرياب هذا القول فيه قولان: **أحدهما:** أنه كتمان الشهادة، **والثاني:** أنه الشك واليقين، فعلى هذا المذكور تكون الآية محكمة<sup>(3)</sup>.

(1) انظر: أيسر التفاسير، حومد، ص292.

(2) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الإيمان/ باب بيان قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تَخَفُوهُ﴾، ج1/115، رقم الحديث 125.

(3) انظر: زاد المسير، ابن الجوزي، ج1/254. الهداية إلى بلوغ النهاية، ابن أبي طالب، ج1/929-930.

والراجح أن الآية غير منسوخة، وأن المراد من قوله: «نسخها الله» في الحديث أي: أزال ما أخافهم، وأن آية: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا..﴾ ليست ناسخة، ولكنها موضحة، وقد أيدها ما رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ لِي عَنْ أُمَّتِي مَا وَسَّوَسَتْ بِهِ صُدُورُهَا، مَا لَمْ تَعْمَلْ أَوْ تَكَلَّمْ». (1)(2)

وقد استدل الإمام الزحيلي على منع نسخ الآية بعدة أمور (3):

1. أن قوله صلى الله عليه وسلم: «..يُحَاسِبُكُمْ بِهِ..» خبر، والأخبار لا تُنسخ عند جمهور الأصوليين.
2. أن كسب القلب وعمله مما دلّ الكتاب والسنة والإجماع والقياس على ثبوته والجزاء عليه، سواء ظهر أثره على الجوارح أم لم يظهر، كقوله صلى الله عليه وسلم: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ..(225)﴾.
3. أن الوسواس العارضة وحديث النفس الذي لا يصل إلى درجة القصد الثابت والعزم الراسخ لا يدخل في مفهوم الآية، كما قال المحققون.
4. أن تكليف العبد ما ليس في الوسع يُنافي الحكمة الإلهية.
5. لا يظهر معنى للنسخ وهو تغيير الحكم لتغيير مصلحة المكلفين لأن ما في النفس لا يتغير ولا يختلف باختلاف الأزمنة والأحوال.

وعليه فلا تدخل الوسواس وحديث النفس فيما يُخفيه الإنسان؛ لأن ذلك مما ليس في وسعه الخلو منه، ولكن ما اعتقده وعزم عليه يُحاسب عليه، فالخواطر الحاصلة في القلب على قسمين: ما يوطن الإنسان نفسه عليه ويعزم على إدخاله في حيز الوجود، وما لا يكون كذلك، بل تكون أمورًا خاطرة بالبال، فالقسم الأول: يكون مؤاخذًا عليه، والثاني: لا يكون مؤاخذًا عليه. (4)

فالآية الكريمة تمثل ناقوس خطر وبريق أمل، حيث تضمنت إنذارًا وتخويفًا شديدًا من الحساب الإلهي، فأنت أيها الإنسان مملوك لله جل جلاله، أمرك بيده، لا يخفى عليه شيء من

(1) صحيح البخاري، البخاري، كتاب العتق/ باب الخطأ والنسيان في العتاقة والطلاق ونحوه، ولا عتاقة إلا لوجه الله، ج3/145، رقم الحديث 2528. انظر: صحيح مسلم، مسلم، كتاب الإيمان/ باب تجاوز الله عن حديث النفس والخواطر بالقلب إذا لم تستقر، ج1/116، رقم الحديث 127.

(2) انظر: التفسير المنير، الزحيلي، ج3/129.

(3) انظر: المرجع السابق، نفس الجزء والصفحة.

(4) انظر: حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، العلوي، ج4/146.

حركاتك وسكناتك، مطلع عليها ومحاسبك عليها، وبريق أمل لمن فوض أمره لباريه، وأصلح باطنه وظاهره، وأقرّ بأنه عبد مملوك لا حول له ولا قوة إلا بالله.

## 2. ملامح الشخصية المستخلّفة ومحدودية طاقتها

بعد أن أتم الله ﷺ وصفه لنفسه، انتقل السياق لوصف الجماعة المؤمنة لتكتمل معالم الشخصية المسلمة وفق ما أقرّه الله ﷺ وذلك على النحو الآتي:

### ■ الوصف الجامع والثناء الحسن للمؤمنين:

لما افتتحت هذه السورة ببيان كون القرآن لا ريب فيه وكونه هدىً للمتقين، وذكر صفات هؤلاء المتقين وأصول الإيمان التي أخذوا بها وخبر سائر الناس من الكافرين والمُرتابين، ثم ذكر فيها طائفة من الأحكام، وحاجّ من لم يهتد بالقرآن من بعض الأمم، ناسب بعد هذا كله ختم السورة بالشهادة للنبي ﷺ وللمؤمنين بالإيمان وهم المهتدون تمام الاهتداء<sup>(1)</sup>، وقال الزجاج: "لما ذكر الله ﷻ فَرَضَ الصلاة والزكاة والطلاق والحيض والإيلاء والجهاد وأقاصيص الأنبياء والدين والربا، ختم السورة بذكر تعظيمه وذكر تصديق نبيه ﷺ والمؤمنين بجميع ذلك"<sup>(2)</sup>، فقال الحق ﷻ: ﴿أَمَّنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ..(285)﴾ بهذه الآية "وصف الله ﷻ المؤمنين هذا الوصف الجامع كما رأينا، فهم مصدّقون، سامعون، مطيعون، شاعرون بالتقصير، طالبون للمغفرة، مشفقون من المصير، لقد أحاطت هذه الآية بصفات المؤمنين إحاطة كاملة شاملة"<sup>(3)</sup>، وقد روي أنه "لما أنزل على النبي ﷺ ﴿أَمَّنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ..(285)﴾ إلى آخر الآية، قال له جبريل عليه السلام: إن الله قد أحسن الثناء عليك وعلى أمّتك فسل تعطه، فسأل ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا..﴾ إلى آخر السورة فأجاب سؤاله"<sup>(4)</sup>.

فالله ﷻ يُثني على رسوله الكريم ﷺ بقوله ﷻ: ﴿أَمَّنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ..(285)﴾ ثم أعقب ذلك بقوله ﷻ: ﴿..كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ..﴾ تنبيهاً وتأكيذاً على شرف إيمانه ﷻ

(1) انظر: تفسير المنار، رضا، ج3/119.

(2) معاني القرآن، الزجاج، ج1/368.

(3) الأساس في التفسير، حوى، ج1/670.

(4) العجائب في بيان الأسباب، ابن حجر، ج1/651.

وأنه سابق لإيمانهم، وأن لا واسطة بينه ﷺ وبين الإيمان كما بين إيمان المؤمنين وبين الإيمان به واسطة<sup>(1)</sup>، ثم وصف الله ﷻ المؤمنين بمجموع أوصاف أذكرها على النحو الآتي:

1. إيمانهم بالله ﷻ وهذا يتضمن الإيمان بجميع ما أخبر الله ﷻ به عن نفسه، وأخبرت به عنه رسله من صفات كماله ونعوت جلاله وتنزيهه عن التمثيل والتعطيل وعن جميع صفات النقص.

2. إيمانهم بالملائكة الذين نصّت عليهم الشرائع جملةً وتفصيلاً.

3. إيمانهم بجميع الرسل والكتب، أي: بكل ما أخبرت به الرسل وتضمنته الكتب من الأخبار والأوامر والنواهي، وأنهم لا يفرقون بين أحد من رسله، بل يؤمنون بجميعهم، لأنهم وسائط بين الله وبين عباده، فالكفر ببعضهم كفر بجميعهم بل كفر بالله.

4. انقيادهم إلى أوامر الله وطاعته فلم يكونوا ممن قالوا سمعنا وعصينا، بل يسألون الله المغفرة على التقصير والذنوب.

5. إيمانهم أنّ إلى الله مرجع جميع الخلاق يوم الحساب ليجزيهم بما عملوا من خير وشر.<sup>(2)</sup>

فكان دعاؤهم أن: ﴿قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (285)﴾ فيه إشارة

إلى حال المؤمنين وتضرّعهم لربهم وشكايتهم له حالهم بعدما سمعوا قوله ﷻ: ﴿..وَأِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفَوْهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ.. (284)﴾ هذه الأوصاف جميعها تجسد انقياد هذه الفئة المؤمنة لباريها الذي ربّاهم وخلقهم في أحسن تقويم، وميزهم بالفطر السليمة والخلق الكامل، وطهر نفوسهم وزكّاهم من الأدناس والأرجاس حتى وصلوا إلى طريق السعادة، وفازوا بخيرى الدارين، وهذا منتهى الكمال الإنساني، وغاية ما تصبو إليه نفوس البشر.<sup>(3)</sup>

▪ التكليف الإلهي لا يكون إلا بالتوسع ووفق محدودية طاقة الإنسان:

عندما أناب المؤمنون وسلّموا لأمر الله ﷻ حين قالوا: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ جاء التطمين

الإلهي برفع المشقة عن العباد، وأنهم غير مأمورين إلا بما كان لهم به طاقة، فقال الله ﷻ: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ.. (286)﴾ وقدّم ذلك بين يدي

(1) انظر: تفسير الراغب الأصفهاني، الأصفهاني، ج1/597.

(2) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص120.

(3) انظر: تفسير المراغي، المراغي، ج3/83.

رفقه بهم، وكشفه لذلك الكرب الذي أوجبه تأولهم للآية الكريمة، فجمع لهم ﷺ التشريف بالمدح والثناء ورفع المشقة في أمر الخواطر، وهذه ثمرة الطاعة والانقطاع إلى الله ﷻ. (1)

والأحداث بالنسبة لعزم النفس البشرية ثلاثة أقسام:

**القسم الأول:** هو ما لا قدرة لنا عليه، وهذا بعيد عن التكليف.

**القسم الثاني:** ما لنا قدرة عليه لكن بمشقة وبذل طاقة.

**القسم الثالث:** التكليف بالوسع وهو الطاقة، وهذا القسم هو المراد في قوله ﷻ: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ أي أن الحق ﷻ لا يكلف النفس إلا بتكليف تكون فيه طاقتها أوسع من التكليف، فمثلاً كلف الحق ﷻ كل مسلم بالصلاة خمسة فروض كل يوم، وكان من الممكن أن تكون عشرة، بدليل أن هناك أناساً تتطوع وتُصلي أكثر، إذن فهذا في الوسع (2)، وقوله ﷻ: ﴿..لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ..(286)﴾ فيه ترغيب وترهيب، أي: لها ثواب ما كسبت من الخير، وعليها وزر ما اكتسبت من الشر، وقدّم ﷻ «لها وعليها» على الفعلين ليفيد أن ذلك لها لا لغيرها، وعليها لا على غيرها، وهذا مبني على أن: كسب للخير فقط، واكتسب: للشر فقط، فكسب الشر يحتاج لمجهود أكبر ومزيد مشقة وهذا ظاهر في استعماله الفعل (اكتسب). (3)

■ **الصفة التي استحق بها المؤمنون رفع المشقة والتكليف وفق الوسع:**

ختم الله ﷻ هذه السورة الكريمة ببيان الصفة التي استحق بها المؤمنون رفع المشقة وهي الاعتذار عن التقصير، وعدم المؤاخذة عند النسيان أو الخطأ من قبل العبد تجاه التكليف الإلهية مع طلب العفو والمغفرة والرحمة فقال ﷻ: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (286)﴾ فالتسليم التام للخالق المهيم والاستعانة به في الملمات والرغبة والرغبة إليه هو لبّ العبادة وجوهرها، وهو السبيل إلى تلقي الرحمات الإلهية، ومشاعر الخضوع والإنابة هذه جلية في الآية الكريمة، فهم يتضرعون لخالقهم أن ربنا اجبر تقصيرنا ولا تشدد علينا فتكلفنا ما يشق علينا كما شددت على بني اسرائيل بسبب تعنتهم وظلمهم، ولا تحمّلنا ما يشق علينا من الأحكام والتكاليف، واعفُ عنا بكرمك، واغفر لنا

(1) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، ج1/391.

(2) انظر: الخواطر، الشعراوي، ج2/1242.

(3) انظر: فتح القدير، الشوكاني، ج1/353.

بفضلك، ورحمنا برحمتك التي وسعت كل شيء، إنك أنت مالكننا ومتولّي أمورنا فانصرنا يا ربنا على القوم الكافرين حتى نقوم بنشر دينك وتحقيق الاستخلاف الحق في أرضك.<sup>(1)</sup>

وبالتأمل في هذا الختام البديع تتأثر النفس من الرسائل الرقيقة التي يحتويها والهدايا الإلهية التي تثير طريق المؤمنين، ومن هذه الهدايا الكثيرة أذكر ما يلي<sup>(2)</sup>:

1. الإيمان لا يتجزأ: فالمؤمن يجب عليه الإيمان بكل أركان الإيمان وهذا هو التصور الكلي للإيمان.

2. الإيمان يستلزم الطاعة: فالمؤمن بالله يؤمن بصدق لقائه، ويسمع ويطيع أوامره، ويتجنب نواهيه، فلا إيمان بلا عمل.

3. الإسلام دين اليسر: فهو يمتاز بقلّة التكاليف والفرائض والواجبات، فلا تكليف فوق الطاقة، وإنما التكليف بحسب الوسع والقدرة.

4. المسؤولية الشخصية: فلإنسان ما كسب من الحسنات، وعليه ما اكتسب من السيئات، فالجزاء من جنس العمل.

5. الدعاء هو العبادة: وهو أسمى مظاهر التسليم والخضوع والإنابة لله ﷻ.

هكذا كانت خواتيم سورة البقرة جامعة شاملة لأصول الإيمان، وجسدت العبودية بأخلص صورها بهذه الدعوات التي أحاطت بالخير كله، فأبي خاتمة أعظم من هذه الخاتمة!<sup>(3)</sup> حينها تستحضر ما جاء في الحديث عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه حينما قال: «لَمَّا أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنْتَهِيَ بِهِ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، وَهِيَ فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ... فَأُعْطِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثًا: أُعْطِيَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ، وَأُعْطِيَ خَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، وَعُفِّرَ لِمَنْ لَمْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ مِنْ أُمَّتِهِ شَيْئًا الْمُقْحَمَاتُ»<sup>(4)</sup> «<sup>(5)</sup>، ومعنى قوله: (وَأُعْطِيَ خَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ) أي: "أعطي إجابة دعواتها"<sup>(6)</sup>،

(1) انظر: تيسير التفسير، القطان، ج1/173.

(2) انظر: التفسير المنير، الزحيلي، ج3/136-137.

(3) انظر: الأساس في التفسير، حوى، ج1/672.

(4) (المقحّمات) بالرفع نائب فاعل لغُفِرَ أي: الذنوب العظام التي تقحم وتهلك مرتكبيها وتوردهم النار وتقحمهم

إياها أي تلقيهم فيها، ومعنى الكلام من مات من هذه الأمة غير مشرك بالله غفر له المقحّمات، انظر:

الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم، الأمين، ج4/241.

(5) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الإيمان/باب في ذكر سدرة المنتهى، ج1/157، رقم الحديث 173.

(6) البحر المحيط الثجاج في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج، الإتيوبي، ج4/630.

فخواتيم سورة البقرة عطية من عطايا الرحمن، أنعم بها على أمته المسلمة الخاضعة الخاشعة التي حملت راية الاستخلاف وأقامت شرع الله على أرضه.

كان هذا ختام سورة البقرة، هذه السورة الطويلة بعدد آياتها، والكبيرة بموضوعاتها التي تمثل قطاعاً ضخماً رحيباً من قواعد التصور الإيماني، ودستور الأمة الإسلامية بأحكامه وشرائعه، وصفة الجماعة المسلمة، ومنهجها، وتكاليدها، وموقفها في الأرض، ودورها في الوجود، وموقف أعدائها المناهضين لها، وطبيعتهم، وطبيعتها وسائلهم في حربها، ووسيلتها في الدفاع والثبات على الحق، كما شرحت السورة طبيعة دور الإنسان في الأرض، وفطرته، ومزلق خطاه، ممثلة في تاريخ البشرية وقصصها الواقعي، إلى آخر ما سبق تفصيله في أثناء استعراض نصوصها الطويلة.

هذا ختام السورة الكبيرة.. في آيتين اثنتين.. ولكنهما تمثلان بذاتهما تلخيصاً وافياً لأعظم قطاعات السورة، يصلح ختاماً لها، ختاماً متناسقاً مع موضوعاتها وجوّها وأهدافها.<sup>(1)</sup>

هذا الختام الذي أكد على دور الإنسان والمهمة التي كُلف بها، المهمة التي تتبثق من اعتقاده أنه عبد مملوك لمولاه المالك العليم القادر، وأنه جندي من جنود الله اصطفاه الله ﷻ على أرضه ليكون إماماً للعالمين، وحصناً منيعاً لهذا الدين بكل ما أوتي من قوة وضعف، وقدرة وعجز، ونسيان وخطأ.

#### • علاقة المبحث بوحدة موضوع السورة:

أكدت السورة الكريمة على أن النفس البشرية المكلفة عاجزة عن إدراك الهداية الربانية دون الاستعانة بالإرشادات الربانية، وأنها عاجزة عن صعود ركب الخلافة إلا بالتوجيهات الإلهية التي تعينها على وعثاء الطريق، فعرف المولى ﷻ الأمة المستخلفة على عدوها الأزلي -النفس والشيطان-، وبيّن لها سبيل النجاة إن استمسكت بتقوى الله، ووضع لها أطراً عامة تؤكد على محدودية قدرة المستخلفين في مقابل قدرة الله اللا محدودة، بهذه المعايير جميعها يتهيأ الفرد المستخلف للقيام بدوره وتحقيق العبودية في أسمى صورها.

وكثير ممن حولنا غفلوا عن إصلاح أنفسهم وتهذيبها، وعن مجابهة مكر الشيطان وكيده، ونضبت نفوسهم من تقوى الله ﷻ التي تعينهم على مواجهة ملّمات الحياة، وزينت لهم أنفسهم أنهم لهم القدرة والإرادة والتدبير، فأل حالهم لما نراه في عهدنا هذا، فحملت آيات السورة الكريمة شحنات إيمانية؛ ليستعين بها العبد المستخلف فيرقى لما كلف الله ﷻ به.

(1) انظر: في ظلال القرآن، قطب، ج1/339.

الفصل السادس  
قصص المستخلفين في الأرض في سورة  
البقرة وعلاقتها بوحدة موضوعها

## الفصل السادس

### قصص المستخلفين في الأرض في سورة البقرة وعلاقتها بوحدة موضوعها

يكمن إعجاز القرآن الكريم من خلال إظهار تكامل النظم القرآني في السورة الواحدة عبر تناسب قصصها واتحاد آيها، وإنّ من مظاهر وحدة سورة البقرة تناسب سرد القصص فيها، التي وُزعت على جميع أجزائها في نسق محكم متين<sup>(1)</sup>، وتهدف الباحثة في هذا الفصل إلى إبراز تسلسل القصص داخل سورة البقرة رابطة ذلك بموضوعاتها ومضامين اسمها ومقاصدها، فيتجلى ذلك البنيان المحكم الذي لا يظهر إلا لمن أعمل نظره فيها وتتبع السياق القرآني ومناسبة القصص الواردة فيها مع محور السورة الأساس ألا وهو الاستخلاف في الأرض، وقد تتبعت الباحثة القصص القرآني في سورة البقرة، وستقوم بعرضها بأسلوب موضوعي مجمل مع عرض نماذج الاستخلاف في الأرض التي ذكرتها السورة الكريمة وبيان مدى ارتباطها بوحدة موضوعها وذلك خلال هذا الفصل والذي يشتمل على ثلاثة مباحث.

### المبحث الأول

#### قصة الاستخلاف الأولى وبداية الخلق

استهلّ الباري ﷻ قصص القرآن الكريم عامّة وقصص سورة البقرة خاصّة بقصة سيّد الخلق آدم ﷺ، فكانت القصة الأولى المتلوّة في كتاب الله وفق ترتيب المصحف، وبالرغم من أنّ هذه القصة قد ذُكرت في مواضع متفرقة من القرآن الكريم، إلا أنّ ذكرها في سنام القرآن يدلّ على مدى أهميتها وضرورة الوقوف على هداياتها، وقد تناولت الآيات هذه القصة في مشهدين مختلفين لكلّ منهما دلالاته ومضمونه، وستعرض الباحثة هذين المشهدين في المطلبين الآتيين على النحو الآتي:

### المطلب الأول

#### حوار الله ﷻ مع الملائكة وإعلانه استخلاف آدم ﷺ

جسدت الآيات الكريمات رحلة الاستخلاف الأولى تجسيداً بديعاً، وصورتها أروع تصوير ويظهر ذلك في الحوار الدائر بين المولى ﷻ وملائكته المكرمين وذلك في قوله ﷻ:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (30) وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا

(1) انظر: التناسب القصصي في سورة البقرة، مجلة جامعة زاخو، ص201.

ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ 31 قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (32) قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (33) وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (34) ﴿﴾ في هذه الآيات الكريمات يأمر المولى ﷺ رسوله ﷺ "أن يذكر قوله للملائكة ﴿.. إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً..﴾ يخلفه في إجراء أحكامه في الأرض، وإن الملائكة تساءلت متخوفة من أن يكون هذا الخليفة مَن يسفك الدماء ويُفسد في الأرض بالكفر والمعاصي قياساً على خلق من الجن حصل منهم ما تخوفوه، فأعلمهم ربهم أنه يعلم من الحكم والمصالح ما لا يعلمون." (1)

وفي المراد من خلافة آدم عليه السلام قولان:

الأول: أنه خليفة عن الله ﷻ في إقامة شرعه، ودلائل توحيده، والحكم في خلقه.

الثاني: أنه خلف من سلف في الأرض قبله. (2)

وما كان استفهام الملائكة حين قالوا: ﴿..أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ..﴾ اعتراضاً أو إنكاراً وإنما هو سؤال استعلام واستكشاف عن الحكمة في ذلك، فإنهم إنما أرادوا أن من هذا الجنس من يفعل ذلك، وكأنهم علموا ذلك بعلم خاص، أو بما فهموه من الطبيعة البشرية فإنه أخيرهم أنه يخلق هذا الصنف من صلصال من حمأ مسنون، أو فهموا من الخليفة أنه الذي يفصل بين الناس فيما يقع بينهم من المظالم ويرد عنهم المحارم والمآثم، أو أنهم قاسوهم على من سبق، فقول الملائكة هذا ليس على وجه الاعتراض على الله ﷻ، ولا على وجه الحسد لبني آدم. (3)

ولما كان قول الملائكة المكرمين فيه إشارة إلى فضلهم على الخليفة الذي يجعله الله في الأرض حين قالوا: ﴿..وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ..﴾ أراد الله ﷻ أن يبين لهم من فضل آدم عليه السلام ما يعرفون به فضله، وكمال حكمة الله وعلمه ف ﴿.. عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا..﴾ أي: أسماء الأشياء والألفاظ والمعاني، ثم عقد الرب ﷻ امتحاناً للملائكة، لإظهار عجزهم، وإبطال زعمهم أنهم أحق بالخلافة من خليفته، حيث ﴿..عَرَضَهُمْ..﴾ أي: عرض المسميات ﴿..عَلَى الْمَلَائِكَةِ

(1) أيسر التفاسير، الجزائري، ج1/41.

(2) انظر: زاد المسير، ابن الجوزي، ج1/50.

(3) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج1/216.

فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (31) في قولكم وظنكم، أنكم أفضل من هذا الخليفة، فظهر تسليمهم التام للمولى ﷺ في قولهم: ﴿..سُبْحَانَكَ..﴾ أي: ننزهك من الاعتراض منّا عليك، ومخالفة أمرك، فإنّا ﴿..لَا عَلِمَ لَنَا..﴾ من الوجوه ﴿..إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا..﴾ إياه، فضلاً منك وَجُودًا ﴿..إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (32)﴾<sup>(1)</sup>، فكانت هذه الكرامة الأولى التي فضّل الله ﷻ نبيه آدم ﷺ بها، ثم أكّد عليها بقوله: ﴿.. يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ..﴾ أي: أعلمهم بالأسماء التي عجزوا عن علمها، واعترفوا بتقاصر همهم عن بلوغ مرتبتها، ﴿..فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ..﴾ أي: أخبرهم بكل الأشياء والأسماء، وذَكَرَ حكمته ﷻ التي خلق لها آدم ﷻ، فأقام عليهم الحُجَّة وأثبت قصورهم وعجزهم بقوله: ﴿..أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (33)﴾.<sup>(2)</sup>

ثم أعقب ذلك ﷻ بذكر وجه آخر من وجوه تفضيل آدم ﷻ على سائر الخلق حين أمر الملائكة الكرام بالسجود له فقال ﷻ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (34)﴾ والمعنى: "واذكر -أيها الرسول- للناس تكريم الله ﷻ لآدم ﷻ حين قال سبحانه للملائكة: اسجدوا لآدم إكرامًا له وإظهارًا لفضله، فأطاعوا جميعًا إلا إبليس امتنع عن السجود تكبرًا وحسدًا، فصار من الجاحدين بالله، العاصين لأمره."<sup>(3)</sup>

## المطلب الثاني

### قصة آدم ﷻ وزوجه مع إبليس وهبوطه من الجنة

انتقلت الآيات إلى مشهد آخر من مشاهد التكريم الإلهي لآدم ﷻ، وهذا التكريم هنا هو المقام في الجنة في بدء الخليقة، فقصّ الحق ﷻ قصة آدم ﷻ وزوجه في الجنة وصراعهما مع إبليس لعنه الله، وذلك في قوله ﷻ: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (35) فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (36) فَتَلَقَى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (37) قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا

(1) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص48.

(2) انظر: صفوة التفاسير، الصابوني، ج1/41.

(3) التفسير الميسر، نخبة من أسانذة التفسير، ج1/6.

جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ 38 وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (39) فيخبرنا الله ﷻ حين قال لعبدہ آدم ﷺ ﴿.. اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا..﴾ أي: أَكَلًا هَنِئًا وَاسْعًا لَا مُنْعَصَ فِيهِ ﴿..حَيْثُ شِئْتُمَا..﴾ فِي أَيِّ مَكَانٍ مِنَ الْجَنَّةِ، لَكِنْ ﴿..لَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (35)﴾ أَي: إِيَّاكُمَا أَنْ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ الَّتِي نَهَيْتُكُمَا عَنِ الْأَكْلِ مِنْهَا، فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ بِعَصِيَانِ مَا أَمَرْتُكُمَا بِهِ. (1)

لَكِنَّ الشَّيْطَانَ لَمْ يَزَلْ يُوَسَّسُ لَهُمَا وَيُزِينُ؛ حَتَّى ﴿..أَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا..﴾ أَي أَصْدَرَ زَلَّتَهُمَا وَزَلَقَهُمَا وَحَمَلَهُمَا عَلَى الزَّلَّةِ وَالْخَطِيئَةِ بِالْأَكْلِ مِنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ، ﴿..فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ..﴾ وَالضَّمِيرُ فِي ﴿..فِيهِ..﴾ إِمَّا يَعُودُ عَلَى الْجَنَّةِ إِنْ كَانَ ضَمِيرُ ﴿..عَنْهَا..﴾ لِلشَّجَرَةِ وَالتَّعْبِيرُ عَنْهَا بِذَلِكَ لِلإِذَانِ بِفَخَامَتِهَا وَجَلَّالَتِهَا وَمَلَابَسَتِهَا لَهُ أَي مِنَ الْمَكَانِ الْعَظِيمِ الَّذِي كَانَا مُسْتَقْرَيْنَ فِيهِ، أَوْ مِنَ الْكِرَامَةِ وَالنَّعِيمِ إِنْ كَانَ ضَمِيرُ ﴿..عَنْهَا..﴾ لِلْجَنَّةِ (2)، فَتَغَلَّبَتْ عَلَيْهِمَا وَسَاوَسَ الشَّيْطَانُ، وَصَدَرَ الْأَمْرُ الْإِلَهِيُّ ﴿..أَهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوًّا وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ (36)﴾ حَيْثُ قَالَ اللهُ ﷻ لَهُمَا وَلِلشَّيْطَانِ: انزَلُوا إِلَى الْأَرْضِ، بَعْضُكُمْ أَعْدَاءُ بَعْضٍ، وَلَكُمْ فِي تِلْكَ الْأَرْضِ اسْتِقْرَارٌ وَبِقَاءٌ وَتَمَتُّعٌ بِمَا فِيهَا مِنْ خَيْرَاتٍ إِلَىٰ أَنْ تَنْتَهِيَ آجَالُكُمْ، وَتَقُومُ السَّاعَةُ. (3)

وقد يسأل سائل كيف يخالف آدم ﷺ وزوجه الله ﷻ إلى ما نهاهما عنه؟! وقد اختلف في هذا الأمر على قولين:

"الأول: ما قاله جمهور الفقهاء من أصحاب مالك وأبي حنيفة والشافعي من أن الأنبياء معصومون من صغائر الذنوب وكبائرها معًا، لأننا أمرنا باتباعهم في أفعالهم وآثارهم وسيرهم أمرًا مطلقًا من غير التزام قرينة، فلو جوزنا عليهم الصغائر لم يمكن الاقتداء بهم، وبناء عليه، أجيب عن خطيئة آدم التي كانت من الصغائر لا من الكبائر، بأنها صدرت منه قبل النبوة، والعصمة عن المخالفة إنما تكون بعد النبوة.

(1) انظر: المختصر في تفسير القرآن الكريم، جماعة من علماء التفسير، ج6/1.

(2) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، ج91/1.

(3) انظر: المختصر في تفسير القرآن الكريم، جماعة من علماء التفسير، ج6/1.

الثاني: أن الذي وقع منه كان نسياناً، فسَمِيَ عصيانياً تعظيماً لأمره، والنسيان والسهو لا ينافيان العصمة.<sup>(1)</sup>

وقد يسأل آخر: وما كانت العداوة ما بين آدم وزوجه وإبليس؟ قيل: "أما عداوة إبليس آدم وذريته، فحسده إياه، واستكباره عن طاعة الله في السجود له حين قال لربه: ﴿..أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ..﴾ [ص: 76]، وأما عداوة آدم وذريته إبليس فعداوة المؤمنين إياه لكفره بالله وعصيانه لربه في تكبره عليه ومُخالفته أمره، وذلك من آدم ومؤمني ذريته إيماناً بالله، وأما عداوة إبليس آدم فكفرٌ بالله.<sup>(2)</sup>

لكن الله ﷻ كثير القبول للتوبة، واسع الرحمة بالعباد، ألهم عبده آدم كلمات، فعمل بها هو وزوجه وتابا توبة خالصة ﴿ فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (37) ﴾، والكلمات هي ما جاءت في قوله ﷻ: ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الأعراف: 23] وتقبل الله ﷻ التوبة، وانقسم الناس في الأرض إلى فريقين، بينهما كلام المولى ﷻ: ﴿ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (38) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (39) ﴾ فريق المؤمنين بالله العاملين بطاعته، فهؤلاء آمنون في جنان الله في الآخرة، وفريق الكافرين المكذبين بما أنزل الله ﷻ في كتبه، والجاحدين لرسالات الأنبياء، فهؤلاء مخلدون في نار جهنم.<sup>(3)</sup>

وهذه الرحلة المثيرة لقصة الاستخلاف الأولى كانت مجمعة للقضايا الأساسية والأهداف والمقاصد التي لا بدّ من الإمام بها للقيام بالدور السامي الذي كُلف به أبونا آدم ﷺ وذريته من بعده إلى يوم الدين، وستذكرها الباحثة في عجالة على هيئة نقاط:

1. أكد الحق ﷻ أن هناك ثلاثة عوالم من الإنس والجن والملائكة، وأبرز صفات كل طائفة منهم، مع إبرازه مدى العناية الإلهية بالنوع البشري تحفيزاً لهم لأداء مهمتهم بالقيام بالخلافة في الأرض على الوجه الأمثل.
2. عرّفت الآيات الكريمات بني البشر بأصلهم ونشأتهم الأولى وماضيهم ليكون وقوداً لحاضرهم.

(1) التفسير المنير، الزحيلي، ج1/142.

(2) جامع البيان، الطبري، ج1/536-537.

(3) انظر: التفسير المنير، الزحيلي، ج1/138-139.

3. أقرت الآيات بعداوة إبليس القديمة للإنسان الأول ومخادعته إياه بوساوسه، وما انتهى إليه أمر الخادع والمخدوع من ابتلائهما وابتلاء ذريتهما بالتكاليف<sup>(1)</sup>، وبين لنا حجة إبليس في الامتناع عن السجود، وخطته ومدخله إلى قلوب المؤمنين بالإغواء والوسوسة وغير ذلك<sup>(2)</sup>، حيث كشفت الآيات عن الدسائس الشيطانية التي قد تعتري بني البشر فتصرفهم عن المكرمة التي اختصهم الله ﷻ بها.

4. أبرزت الآيات لبني آدم الأسلحة المنبوعة التي يُستعان بها في طريق تنفيذ مهمتهم المنوطة بهم، ألا وهي الاستخلاف في الأرض، وتمثلت هذه الحصون بعدة صفات لا بدّ لهم من الاتصاف بها:

– التسليم التام لله ﷻ واليقين بأنه الحكيم الخبير عالم الغيب، وهذا ما ميّز الملائكة عن إبليس لعنه الله.

– العلم ثم العلم هو من أقوى أسلحة الإنسان فإنه ﷻ ما أظهر كمال حكمته في خلقه آدم ﷻ إلا بأن أظهر علمه، فلو كان في الإمكان وجود شيء أشرف من العلم، لكان من الواجب إظهار فضله بذلك الشيء لا بالعلم.<sup>(3)</sup>

– الإقرار بعجز الإنسان وضعفه وتقصيره وإن كرمه الله، فهو عرضة للنسيان، كما نسي آدم ﷻ أوامر الله ونواهيه، فأطاع عدوه إبليس، وأكل من الشجرة التي نهاه الله ﷻ عن الأكل منها.

– التوبة والإنابة إلى الله سبيل الظفر برحمة الله الواسعة، فإنّ آدم ﷻ الذي عصى ربه تاب وقبل الله ﷻ توبته، فعلى العاصي أو المقصر المبادرة إلى التوبة والاستغفار دون قنوط ولا يأس من رحمة الله ورضوانه ومغفرته.

– الكبر والعناد والإصرار على الإفساد من أهم الأسباب لاستحقاق السخط الإلهي، والنكوص عن أداء المهمة السامية التي ولى الله ﷻ بني آدم بها.<sup>(4)</sup>

– اختصّ الله ﷻ بني آدم بحمل راية الخلافة، وأودعهم المقومات التي تسمو بهم لأداء هذا الدور العظيم، فلقد وهبهم الله ﷻ سر المعرفة، كما وهبهم سر الإرادة المستقلة التي

(1) انظر: النبأ العظيم، دراز، ص 211-212.

(2) انظر: الخواطر، الشعراوي، ج 1/239.

(3) التفسير المنير، الزحيلي، ج 1/130.

(4) انظر: المرجع السابق، ج 1/147.

تختار الطريق وتحدّده، فمن حجب عقله، وشلّ إرادته، وسار على غير هدى، حُرّم شرف الأمانة والقوامة.<sup>(1)</sup>

وختامًا فتجربة آدم أبي البشر ﷺ كانت تربية له وإعدادًا، وكانت إيقاظًا للقوى الكامنة في كيانه، وتدريبًا له على تلقّي الغواية، وتذوّق العقاب، وتجرّع الندامة، ومعرفة العدو، والالتجاء بعد ذلك إلى الملاذ الأمين.

نعم إنها تجربة البشرية المتجددة! فقد اقتضت رحمة الله ﷻ بهذا الأدمي أن يهبط إلى مقر خلافته، مزودًا بهذه التجربة التي سيتعرّض لمثلها طويلاً، استعدادًا للمعركة الدائبة وموعظةً وتحذيرًا من كيد عدوه الأزلي، فيثبت على الطريق، ويحمل راية الخلافة بقوة وعزم.<sup>(2)</sup>

وبعد هذا العرض الموجز لقصة الاستخلاف الأولى في الأرض ستعرض الباحثة خلال المبحثين الثاني والثالث نموذجين من نماذج المستخلفين في الأرض كما تصورها قصص سورة البقرة، أما النموذج الأول فهو النموذج الفاشل في تحقيق الاستخلاف في الأرض وحمل الأمانة العظيمة التي حملها الله ﷻ لأبيهم آدم ﷺ وهم بنو إسرائيل، وأما النموذج الثاني فهو النموذج الناجح في تحقيق الخلافة في الأرض ويجسد ذلك في سورة البقرة قصص نبي الله وخليئه إبراهيم ﷺ.

(1) انظر: في ظلال القرآن، قطب، ج1/57.

(2) انظر: المرجع السابق، ج1/59.

## المبحث الثاني

### قصص بني إسرائيل وفشلهم في تحقيق الاستخلاف في الأرض

احتلت سورة البقرة المركز الأول من بين سور القرآن الكريم في الحديث عن قصص بني إسرائيل وأحوالهم، ونالت النصيب الأوفر، فقد كان الحديث فيها متعدد الجوانب متنوع المجالات، فتراه يتبسّط في الحديث معهم تارة، والحديث عنهم تارة أخرى، يُسهب حيناً ويوجز حيناً آخر، فليست هناك سورة من سور القرآن الكريم تحدّثت عن بني إسرائيل كما نجده في سورة البقرة، بل إنّ السورة عرضت أموراً لم تُعرض من قبل كقصة البقرة مثلاً.<sup>(1)</sup>

والقرآن الكريم لا يعرض هنا قصة بني إسرائيل، إنما يشير إلى مواقف منها ومشاهد باختصار أو بتطويل مناسب، ورغم ذكر كثير من تلك القصص في القرآن المكي إلا أنها في سنام القرآن جاءت متنسقة مع السياق قبلها، سياق تكريم الإنسان، والعهد إليه والنسيان، متضمنة إشارات إلى وحدة الإنسانية، ووحدة دين الله المنزل إليها، ووحدة رسالاته، مع لفتات ولمسات للنفس البشرية ومقوماتها، وإلى عواقب الانحراف عن هذه المقومات التي نيّطت بها خلافة الإنسان في الأرض فمن كفر بها كفر بإنسانيته وفقد أسباب خلافته، وارتكس في عالم الحيوان.<sup>(2)</sup>

وستنتبّع الباحثة قصص بني إسرائيل المذكورة في السورة في المطالب التالية:

### المطلب الأول

#### قصة فرعون مع كليم الله موسى عليه السلام

جاء ذكر قصة نبي الله موسى عليه السلام مع الطاغية فرعون في السورة الكريمة باختصار شديد، وذلك في معرض تعداد نعم الله جلّ جلاله على بني إسرائيل، وذلك في قوله ﷻ: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكَ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكَ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّجُونَ أَبْتَاءَكَ وَمَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكَ وَفِي ذَلِكَ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكَ عَظِيمٌ (49) وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكَ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (50)﴾ فقد كانت نجاتهم من آل فرعون في مقدّمة النعم التي امتنّ الله جلّ جلاله بها على بني إسرائيل، فما هو الخطاب القرآني يستحضر أمام خيالهم مشهد نجات آبائهم وأجدادهم من فرعون وملئه، فتتخيّل كأنك حاضر، إنه يعيد على خيالهم ويستحيي في مشاعرهم صورة الكرب الذي كانوا فيه

(1) انظر: قصص الأنبياء، عباس، ص578-579.

(2) انظر: في ظلال القرآن، قطب، ج1/66.

- باعتبار أنهم أبناء هذا الأصل البعيد- ويرسم أمامهم مشهد النجاة كما رسم أمامهم مشهد العذاب. (1)

حيث يقول الله ﷻ: واذكروا من نِعْمنا عليكم أن أنجبناكم من ظلم فرعون وأعوانه الذين كانوا ﴿..يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ..﴾ أي: يذيقونكم أشد ألوان العذاب، ثم بيّن ذلك العذاب فقال: ﴿..يُدْجُونَ أَبْنَاءَكُمْ..﴾ فإنهم كانوا يذبحون الذكور من أولادكم تحسباً من أن ينازعهم في حكم البلاد، ﴿..وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ..﴾ أي: ييقون الإناث ليتخذوهن جوارى لهم، وفي هذا العذاب والتعرض للفناء ﴿..بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ (49)﴾، ثم ذكّرهم بنعمة أخرى من نعمه عليهم فقال ﷻ: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ..﴾ أي: شققناه من أجلكم وفصلنا بعضه عن بعض لتسيروا فيه، فتخلصوا وتتجوا من ملاحقة فرعون وجنوده ﴿..فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (50)﴾ فأغرقناه أمام أبصاركم. (2)

وأما البلاء في قوله ﷻ: ﴿..وَفِي ذَلِكَ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ (49)﴾ فالمراد به: "اختبار وامتحان، والبلاء يُطلق تارة على الخير وتارة على الشر، فإن أريد به هنا الشر، كانت الإشارة إلى ما حلّ بهم من النعمة بالذبح ونحوه، وإن أريد به الخير كانت الإشارة إلى النعمة التي أنعم الله ﷻ عليهم بالإنجاء وما هو مذكور قبله من تفضيلهم على العالمين." (3)

وقد تكرّر في الآيتين الامتحان على بني إسرائيل بالنجاة في قول الحق ﷻ: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ..﴾ وقوله ﷻ: ﴿..فَأَنْجَيْنَاكُمْ..﴾ وكأنه ﷻ يريد أن يأسرهم بجزيل عطايه وكرمه، فتارة ينجيهم من فرعون وألوان عذابه، وتارة ينجيهم من الغرق معه عند فلقه للبحر، وتارة تالفة ينجيهم بإهلاك عدوهم، وهم لا يملكون لأنفسهم حولاً ولا قوة. (4)

وقد بيّن الإمام الشعراوي الفرق بين الفعلين (نجى وأنجى) بقوله: "كلمة (نجى) تكون وقت نزول العذاب، وكلمة (أنجى) يمنع عنهم العذاب، فالأولى للتخلص من العذاب، والثانية يبعد عنهم عذاب فرعون نهائياً! ففضل الله ﷻ عليهم كان على مرحلتين: مرحلة أنه خلّصهم من عذاب واقع عليهم، والمرحلة الثانية أنه أبعدهم عن آل فرعون فمنع عنهم العذاب." (5)

(1) انظر: في ظلال القرآن، قطب، ج1/70.

(2) انظر: تيسير التفسير، القطان، ج1/27.

(3) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق خان، ج1/165.

(4) انظر: التفسير الوسيط، طنطاوي، ج1/125.

(5) الخواطر، الشعراوي، ج1/325.

وهذه الواقعة من خوارق العادات ومن المعجزات العجيبة التي خصَّ الله ﷻ بها كليمه ﷺ، إنها معجزة عظيمة تخزّ لها أطمّ الجبال ونعمة عظيمة لأوائل بني إسرائيل موجبة عليهم شكرها. (1)

وقد تسأل ما علاقة هذه القصة بمحور السورة الكريمة، فاعلم أن العلاقة ظاهرة جلية، تبينها الباحثة كما يأتي:

1. أضاف الله جلّ ثناؤه ما كان من فعل آل فرعون ببني إسرائيل - من سومهم إياهم سوء العذاب، وذبحهم أبناءهم، واستحيائهم نساءهم - إليهم دون فرعون - وإن كان فعلهم ما فعلوا من ذلك كان بقوة فرعون وعن أمره - لمباشرتهم ذلك بأنفسهم، فبين بذلك أنّ كل نفس بما كسبت رهينة، وأنّ من باشر الذنب كمن دفعه إليه<sup>(2)</sup>، وهذا يحمل في طياته تحذيراً للأمة المستخلفة أن تأسرها التبعية أو يهلكها الانقياد الأعمى لمن بأيديهم الأمر والحكم، فكانه ﷻ يذكر عباده أن معركتهم الأولى تبدأ مع أنفسهم ولن ينفعهم انقيادهم لظالم أو انصياعهم لطاغية.

2. كأن الخالق ﷻ يخاطب أمته المستخلفة في الأرض أن اعلموا أنّ لكلّ ظالمٍ عاتٍ باغٍ نهاية حتمية، كنهاية فرعون بالإغراق في البحر، وللمظلوم فرجٌ قريبٌ ونصرٌ محقق، كإنجاء بني إسرائيل المظلومين من يد فرعون وآله<sup>(3)</sup>، فيا عباد الله خذوا الكتاب بقوة ولا يضركم كيد من عاداكم فلكل أجل كتاب.

وأخيراً قد يسأل سائل لماذا اعتبرتم قصة موسى ﷺ مع فرعون من قصص بني إسرائيل التي تعكس فشلهم في تحقيق الاستخلاف في الأرض بالرغم ممّا أنعم الله ﷻ به على بني إسرائيل من نجاتهم من عدوهم وغرقه هو وجنوده؟! أقول: بأن تلك النعم العظيمة التي أنعم الله ﷻ بها على بني إسرائيل كان ينبغي أن تكون سبباً لتحقيقهم الاستخلاف في الأرض، لكنهم قابلوا هذه النعم بالجحود والكفر وعبادة العجل ومعصية رسولهم ﷺ ففشلوا في تحقيق الاستخلاف في الأرض رغم توفر أسبابه ومقوماته.

(1) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، ج1/101.

(2) انظر: جامع البيان، الطبري، ج2/41.

(3) انظر: التفسير المنير، الزحيلي، ج1/163.

## المطلب الثاني

### قصة عبادة بني إسرائيل للعجل

أتى السياق القرآني على ذكر قصة عبادة بني إسرائيل للعجل في عَجالة وضمن آيات تعداد النعم التي امتنَّ الله ﷻ بها عليهم، وذلك في قوله ﷻ: ﴿وَإِذْ وَاَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ (51) ثُمَّ عَقَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (52)﴾، وقصة ذلك العجل خلاصتها أنَّ بني إسرائيل بعد اجتيازهم البحر ومهلك فرعون سألوا نبيهم موسى ﷺ أن يأتيهم بكتاب من ربهم، فواعده ربه ﷻ أن يعطيه التوراة وضرب له ميفاتاً لذلك، فاستبطنوه، وسوّل لهم السامري أن يتخذوا عجلاً من ذهب، له خوار فعبدوه وظلموا أنفسهم بإشراكهم ووضعهم للشيء في غير موضعه بعبادة العجل بدل عبادة خالقهم وخالفه. (1)

ومجمل القصة في القرآن الكريم أنَّ السامري -عليه لعنة الله- صنع العجل لبني إسرائيل من الذهب الذي جمعه منهم، وقذف فيه قبضة من التراب الذي أخذه من موضع حافر فرس جبريل ﷺ وقذفه في جوفه فصار له خوار كخوار العجل الحقيقي، وقيل إنه صار عجلاً حقيقياً من لحم ودم، لقول الله ﷻ: ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوارٌ﴾ [طه: 88]. وكان مصير هذا العجل الذهبي هو أن حرقه موسى ﷺ وذرّه في البرّ. (2)

لكنّه العفو الغفور ﷻ غمرهم بنعمه وآلائه فقال لهم: ﴿ثُمَّ عَقَوْنَا عَنْكُمْ..﴾ أي: محونا ذنوبكم وتجاوزنا عنكم، ﴿..مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ..﴾ أي: من بعد عبادتكم العجل ﴿..لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ما أنعم الله به عليكم من العفو عن ذنبيكم العظيم الذي وقعتم فيه وتستمرون بعد ذلك على الطاعة. (3)

لكنّه ﷻ لم يقبل توبة عابدي العجل إلا بالقتل، وذلك كما جاء في قوله ﷻ: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِيَكَمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (54)﴾ وخلاصة ذلك: أنَّ موسى ﷺ أمرهم بالمراجعة من ذنبيهم، والإنابة إلى الله من ردتهم باتخاذ العجل إلهاً،

(1) انظر: تفسير المراغي، المراغي، ج1/117-118.

(2) انظر: البداية والنهاية، ابن كثير، ج2/146-147.

(3) انظر: فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق خان، ج1/169.

وذلك بالتوبة إليه، والتسليم لطاعته ﷺ فيما أمرهم به، وأخبرهم أنّ توبتهم من الذنب الذي اقترفوه هو قتلهم أنفسهم<sup>(1)</sup>، ويُقال: "إنهم أصبحوا يوماً وقد أخذ من لم يعبد العجل في أيديهم السيوف، وألقى الله ﷻ عليهم ضباباً، حتى لا يعرف القريب قريبه، ولا النسيب نسيبه، ثم مالوا على عابديه، فقتلوهم وحصدوهم."<sup>(2)</sup>

وقد جاء تفصيل هذه الحادثة المقيتة في مواضع أخرى من كتاب الله<sup>(3)</sup>، وخلصتها مبسوطاً في كتب التفسير كالطبري وابن كثير والقرطبي وغيرهم<sup>(4)</sup>، وأصلها في القرآن الكريم، ولكن تفاصيلها من حيث سبب اتخاذ السامري للعجل وكيفية اتخاذه للعجل وغيرها من التفاصيل هي من قصص بني إسرائيل التي لا قبل لنا بالوقوف على صحتها، فنقف عند هذه التفاصيل غير مصدقين لها ولا مكذّبين، كما هو مذهب أهل السنة والجماعة حيال قصص بني إسرائيل التي لم يأت في كتابنا تصديقها ولا تكذيبها.

وأما الإشارة إلى هذه القصة وإن كان بإيجاز فله دلالة القوية المرتبطة بمحور السورة، وذلك كما يأتي:

1. ذكر قصة عبادة العجل فيه إشارة تحذيرية للمستخلفين على هذه الأرض أنّ الخلافة الحقّة تقتضي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فبنو إسرائيل لم يعبدوا العجل جميعهم، لكنه ﷻ نسب العبادة إلى جميعهم في قوله: ﴿بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجَلِ..﴾، والذي عبد العجل بعضهم؛ لأنّ الذين لم يعبدوا لم ينهوا غيرهم فكانوا مثلهم، فاحذروا يا عباد الله أن تكونوا ممن لا يتناهون عن منكر فعلوه فتُحرموا كرامة الاستخلاف وتُورثوا سوء العاقبة والجزاء!<sup>(5)</sup>
2. من غياب بني إسرائيل وقصر نظرهم أنهم قابلوا الإحسان بالكفران، فإن مواعدة الله ﷻ موسى ﷺ بإنزال التوراة إليه نعمة وفضيلة لبني إسرائيل قابلوها بأقبح أنواع الكفر والجهل، وهذا الطبع كفيل بأن يضل العبد عن طريق الهدى.

(1) انظر: جامع البيان، الطبري، ج2/72.

(2) البداية والنهاية، ابن كثير، ج2/150.

(3) انظر: الآيات من سورة [الأعراف: 148 - 154]، [طه: 83 - 98].

(4) انظر: جامع البيان، الطبري، ج2/63 وما بعدها. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج7/284 وما بعدها.

تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج3/476 وما بعدها.

(5) انظر: زهرة التفاسير، أبو زهرة، ج1/229.

## المطلب الثالث

### قصة أصحاب السبت

وقصة أصحاب السبت صورة أخرى لمعاصي بني إسرائيل ونقضهم للعهد وعدم التزامهم بالأوامر الإلهية، حيث جاء ذكرها في ثنايا الحديث عن صفات بني إسرائيل الحسية<sup>(1)</sup> وذلك في قوله ﷺ: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ (65) فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ (66)﴾ وقد جاء تفصيل هذه القصة في سورة الأعراف<sup>(2)</sup>، كما جاءت الإشارة إليها في سورتي النحل<sup>(3)</sup> والنساء<sup>(4)</sup>.

وملخص قصة اعتداء بني إسرائيل في يوم السبت، "أن الله ﷻ قد أخذ عليهم عهداً بأن يتفرغوا لعبادته في ذلك اليوم، وحرم عليهم الاصطياد فيه دون سائر الأيام، وقد أراد ﷻ أن يختبر استعدادهم للوفاء بعهدهم، فابتلاهم بتكاثر الحيتان في يوم السبت دون غيره، فكانت تتراءى لهم على الساحل في ذلك اليوم قريبة المأخذ سهلة الاصطياد فقالوا: لو حفرنا إلى جانب ذلك البحر الذي يزخر بالأسماك يوم السبت حياضاً تتساب إليها المياه في ذلك اليوم ثم نسطادها من تلك الحياض في يوم الأحد وما بعده، وبذلك نجمع بين احترام ما عهد إلينا في يوم السبت، وبين ما تشتهي أنفسنا من الحصول على تلك الأسماك، فنصحهم فريق منهم بأن عملهم هذا إنما هو امتثال ظاهري لأمر الله، ولكنه في حقيقته خروج عن أمره من ترك الصيد في يوم السبت، فلم يعبأ أكثرهم بذلك، بل نفذ تلك الحيلة، فغضب الله عليهم ومسخهم قرده، وجعلهم عبرة لمن عاصرهم ولمن أتى بعدهم."<sup>(5)</sup>

وقصة أصحاب السبت تحمل تحذيراً صارماً من انتهاك حرمانات الله بإباحة المحرم أو التحايل على شرع الله وأحكامه، وهي دليل على فشل بني إسرائيل في تحقيق الاستخلاف وطاعة الله والتزام أوامره والانتهاج عن نواهيه، فاحذروا يا بني آدم أن تحذوا حدو بني إسرائيل في انتهاك حرمانات ربهم، فيحلّ عليكم سخطه، وتتعرضون لغضبه ومسخه لكم كما مسخ من كان قبلكم.

(1) للتفصيل راجع: مبحث صفات بني إسرائيل الحسية 123 وما بعدها.

(2) انظر: الآيات من [163 - 166].

(3) انظر: الآية 124.

(4) انظر: الآية 154.

(5) التفسير الوسيط، طنطاوي، ج 1/161.

## المطلب الرابع

### قصة بقرة بني إسرائيل

قصة بني إسرائيل تكاد تكون من أهم القصص القرآنية المذكورة في سورة البقرة والتي اعتبرها بعض العلماء محورها الرئيس، لأنها تمثل عدم الانقياد للنبي موسى ﷺ إلا بعد مجادلة ومراوغة، وقد نبعت تلك الأهمية أيضاً من ارتباطها بالاسم التوقيفي للسورة، وقد تناولت الباحثة هذه القصة بالتفصيل في حديثها عن صفات بني إسرائيل الحسية<sup>(1)</sup> والتي أظهرت طبيعة القوم الجدلية وشخصيتهم المعقدة وتتطعمهم في التعامل مع نبيهم ﷺ، كما تعكس هذه القصة مدى معاناة كليم الله موسى ﷺ في التعامل مع هذا الصنف من البشر الذين شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم.

ويتبادر إلى ذهن سؤال منطقي ألا وهو: لماذا سُميت هذه السورة العظيمة الطويلة بسورة البقرة؟! والإجابة: فقصة بقرة بني إسرائيل تتعارض تعارضاً قوياً مع محور السورة الكريمة ومقاصدها، فأما محور السورة وهو الاستخلاف في الأرض فقد أثبت بني إسرائيل عدم استحقاتهم لهذا الشرف العظيم بسبب جملة طباعهم الخسيسة وأفعالهم الخبيثة التي كانت قصة البقرة أنموذجاً وافياً عليها.

وأما مقاصد السورة الكريمة فمن أهمها: التقوى والالتزام بالأحكام الإلهية الشرعية على الوجه الذي أمر به الخالق ﷻ، وهذان المقصدان لم يحققهما بنو إسرائيل في تعاملهم مع الأمر الإلهي بذبح البقرة، وإنما قابلوه بالتحايل والتتطع.

وترى الباحثة دفعاً للتكرار أن تقف في هذا المطلب على الهدايات الربانية والوصايا الإلهية المستوحاة من قصة بقرة بني إسرائيل، والتي تمثل رسائل وتوجيهات للأمة المستخلفة في الأرض، وبيان ذلك على النحو الآتي:

1. الانتقال من أنبياء الله ﷺ والاستهزاء بهم أمرٌ جَلَّ فَقَد نَبَّه قَوْلُهُ ﷻ: ﴿..أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (67)﴾ على أن الاستهزاء بأمرٍ من أمور الدين أو بنبيٍّ من الأنبياء جهل كبير، وهذا الفعل السفيه يستوجب غضب المولى ﷻ.<sup>(2)</sup>

2. ليس التشدد في الدين أمراً محموداً، وليس الإلحاح في كثرة السؤال مرغوباً فيه، والسؤال عما سكت عنه الشرع من الحلال والحرام أمر ذميم، فما هم بنو إسرائيل شددوا على

(1) انظر: ص 123 وما بعدها من هذا البحث.

(2) انظر: صفوة التفاسير، الصابوني، ج1/60.

أنفسهم فشدّد الله عليهم. (1)

3. على أمة الإسلام أن تتبع أمر الشارع والتسليم له سواء عرفت علة الأمر و النهي أو لم تعرف، ففي هذه الآيات التي نحن بصدها أراد الله ﷻ أن يبيّن لنا ذلك، فجاء بالأمر بذبح البقرة أولاً، وبالعلة في الأمر الإلهي في ختام القصة، ليؤكد على أن طاعة الله ليست مقرونة بالوقوف على حكمة أو علة وإنما الطاعة هي تسليم تام وانقياد كامل. (2)

4. الاستثناء أمر ضروري وملحّ، ألم تر أن اليهود لو لم يقولوا: ﴿.. وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ ما كانوا ليهتدوا إلى معرفة البقرة المطلوبة. (3)

5. سوء الأخلاق من عجرفة وجدل وتنطّع واستهزاء وتحايل كلها صفات ذميمة لا تليق بخلفاء الله المؤتمنين على هذه الأرض ومن حُمّلوا أعظم مهمة وأجلّ تكليف.

6. خلفاء الله على الأرض سريعو الانقياد للأوامر الإلهية، بل هم عشاق للتكليف الرباني، لأنك تسارع لتفعل ما يطلبه منك من تحبه وقوله ﷻ: ﴿.. وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ يدلنا على أنّهم حاولوا الإبطاء في التنفيذ، وتلكؤوا في الاستجابة. (4)

7. الحرمة الشديدة لقتل النفس البريئة، فالحق ﷻ أظهر الخوارق والمعجزات، وبدل نواميس الكون لينتصر للنفس البريئة المقتولة، وهذا دين اليهود وطبيعتهم التي لا تفارقهم، فهم قوم استمروا القتل وسفك الدماء. (5)

8. من شروط القوامة والاستخلاف الحقّ نزع كل ما هو معظم في النفوس غير المولى ﷻ، فلا معبود إلا الله وحده، لذلك أمروا بذبح بقرة، لأنها من جنس ما عظّموه، حتى لا يبقى في نفوسهم قُدسية لغير الله. (6)

9. الماديّة المفرطة والانقياد للملموسات وللخوارق من عادة أهل الكفر والضلال، أمّا أهل الهدى والطاعة فهم يتبعون الحقّ بفطرتهم دون توقّف عند خوارق أو ماديّات. (7)

(1) انظر: التفسير المنير، الزحيلي، ج1/190.

(2) انظر: الخواطر، الشعراوي، ج1/389.

(3) انظر: أيسر التفاسير، الجزائري، ج1/70.

(4) انظر: الخواطر، الشعراوي، ج1/397.

(5) انظر: التفسير المنير، الزحيلي، ج1/191.

(6) انظر: النكت والعيون، الماوردي، ج1/137.

(7) انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، مسلم وآخرون، ص95-96.

10. الله وحده هو القادر على الإحياء والإماتة وهذا مقصد كريم من مقاصد السورة الكريمة، ألم تر قول الحق في ختام هذه القصة: ﴿..كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (73)﴾ ليرى بنو إسرائيل وهم على قيد الحياة كيف يحيى الله الموتى وليعرفوا أن الإنسان لا يبقى حياً بأسباب الحياة، ولكن بإرادة مسبب الحياة في أن يقول «كن فيكون»، وهذا ردّ قويّ عملي على جحود بني إسرائيل باليوم الآخر، وقد أُشير إلى قدرته ﷻ على إحياء الموتى في هذه السورة الكريمة في أكثر من موضع ذكرناها آنفاً.<sup>(1)</sup>

إن قصة بني إسرائيل مع البقرة تدلّ دلالة قاطعة أنّ هؤلاء القوم لا يستحقّون أن يكونوا خلفاء الله في أرضه، فمن كانت صفته المراوغة والتكؤ عن تنفيذ أوامر الله والشك في توجيهات النبي المرسل إليه ليس سهلاً أن ينقاد لأوامر الله ونواهييه، وليس أميناً على أن يكون خليفة الله في أرضه.

### المطلب الخامس

#### قصة طائفة من بني إسرائيل مع هاروت وماروت

ورد ذكر اسميّ "هاروت وماروت" في القرآن الكريم في موضع واحد فقط، وهو ما جاء في سياق قوله ﷻ: ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِبَصِيرِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (102)﴾ ولم يرد موضع آخر ذكر فيه الاسمان لا بتصريح ولا تلميح إلا في هذا الموضع، وتنوّعت الأقاويل فيما يخصّ (هاروت وماروت) وتباينت، بل وصل الحال لذكر أقوال وأخبار ما أنزل الله بها من سلطان، وهي في أغلبها من أخبار بني إسرائيل التي لا دليل عليها<sup>(2)</sup>، وقد ورد ذكرهما في الآية الكريمة تعقيباً على بني إسرائيل وإعراضهم عن الحق ونبذهم للعهود، فجاءت الآية الكريمة لتثبت أنهم حينما نبذوا كلام الله، وأماتوا سنة الله في قلوبهم أجرى الله ﷻ على أيديهم بدعة تزيد من

(1) انظر: ص 292 من البحث.

(2) للاطلاع على هذه الروايات انظر: العجائب في بيان الأسباب، ابن حجر، ج 326/1 وما بعدها. وأسباب

النزول، الواحدي، ص 31 وما بعدها.

خذلانهم وخسرانهم ألا وهي إقبالهم على كلام الشياطين الذين هم أعدى أعداء الله فقال ﷺ: **﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ﴾**.<sup>(1)</sup>

وخالصة قوله -جل شأنه- أن بني إسرائيل لما تركوا دين الله اتبعوا بدلاً عنه ما تنقوله الشياطين كذباً على ملك نبي الله سليمان عليه السلام، حيث زعمت أنه ثبت ملكه بالسحر، **﴿وَمَا كَفَرُ سُلَيْمَانُ﴾** بتعاطي السحر -كما زعمت اليهود- **﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾** حيث كانوا يعلمون الناس السحر، ويعلمونهم السحر الذي أنزل على الملكين: هاروت وماروت، بمدينة بابل بالعراق، امتحاناً وابتلاءً للناس، وما كان هذان الملكان يُعلمان أي أحد السحر حتى يحذراه ويبيئاً له بقولهما: **﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾**، إنما نحن ابتلاء وامتحان للناس فلا تكفر بتعلمك السحر<sup>(2)</sup>، ثم ذكر مفسد السحر فقال عليه السلام: **﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾** وفي هذا دليل على أن السحر له حقيقة، وأنه يضر بإذن الله، أي: بإرادة الله، ثم ذكر أن علم السحر مضرة محضة، ليس فيه منفعة لا دينية ولا دنيوية، ثم أكد على علم اليهود أن من رغب في السحر **﴿مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ﴾** أي: نصيب، بل هو موجب للعقوبة، فلم يكن فعلهم إياه جهلاً ولكنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة، فبئس ما شروا به أنفسهم.<sup>(3)</sup>

وبالتأمل الدقيق في هذا الموضوع يظهر أمران:

1. أن هاروت وماروت ملكين وليسا من البشر بالدليل الصريح في قوله عليه السلام: **﴿وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ﴾**.

2. أنهما مرسلان من الله عليه السلام؛ تعليماً لأناس شيئاً يقيهم من الشر، لا أنها معاقبان على ذنب، بدليل قول الحق عليه السلام: **﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾** وهذا القول يتعارض تماماً مع عصمة الملائكة الكرام واستحالة فعل الشر منهم، فقد قال عليه السلام: **﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ \* لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ \* يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشِيَّتِهِ مُسْفِقُونَ﴾** [الأنبياء: 26-28].

(1) انظر: نظم الدرر، البقاعي، ج2/72.

(2) المختصر في تفسير القرآن الكريم، جماعة من علماء التفسير، ج1/16.

(3) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص61.

وقد عَقَّبَ الحافظ ابن كثير على تلك الروايات المتباينة الواردة عن هاروت وماروت بأنه قد رُوي في قصة هاروت وماروت عن جماعة من التابعين، كمجاهد والسدي والحسن البصري وغيرهم، وقصّها خلق من المفسّرين من المتقدّمين والمتأخّرين، وحاصلها راجع في تفصيلها إلى أخبار بني إسرائيل، إذ ليس فيها حديث مرفوع صحيح متصل الإسناد إلى الصادق المصدوق المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى، وظاهر سياق القرآن إجمال القصة من غير بسط ولا إطناب فيها، فنحن نؤمن بما ورد في القرآن على ما أَرَادَهُ اللهُ ﷻ، والله أعلم بحقيقة الحال. (1) (2)

وهنا قد يقال: كيف يجوز لملائكة الله أن تتعلّم الناس التفريق بين المرء وزوجه؟ أم كيف يجوز أن يضاف إلى الله ﷻ إنزال ذلك على الملائكة وهو محرّم؟

وقد أجاب على هذا التساؤل الإمام الطبري بقوله: "إن الله ﷻ عرّف عباده جميع ما أمرهم به وجميع ما نهاهم عنه، ثم أمرهم ونهاهم بعد العلم منهم بما يؤمرون به ويُنهون عنه، ولو كان الأمر على غير ذلك، لما كان للأمر والنهي معنى مفهوم، فالسحر ممّا قد نهى الله ﷻ عباده من بني آدم عنه، فغير منكر أن يكون -جل ثناؤه- علّمه الملكين اللذين سماهما في تنزيله، وجعلهما فتنة لعباده من بني آدم - كما أخبر عنهما أنهما يقولان لمن يتعلم ذلك منهما: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ..﴾ ليختبر بهما عباده الذين نهاهم عن التفريق بين المرء وزوجه، وعن السحر، فिमحصّ المؤمن بتركه التعلّم منهما، ويخزي الكافر بتعلّمه السحر والكفر منهما، ويكون الملكان في تعليمهما من علّم ذلك - الله مطيعين، إذ كانا - عن إذن الله ﷻ لهما بتعليم ذلك من علّماه - يعلمان." (3)

وبعدُ فقصة هاروت وماروت إنّما جاءت ضمن السياق لتؤكد على أنّ من أعرض عن ذكر الله وعن اتّباع سنته وعن الوفاء بما عاهد هو مُعرّض لا محالة لتدليس الشياطين وإغوائهم، فلا عجب أن ينساق وراء كل منكر من سحر أو خلافه لأنه سلّم مقاليد نفسه لشياطين الإنس والجن، فكان خليفة بحق لإبليس -لعنه الله- الذي أغوى أبا البشر آدم ﷺ، فلا نال شرف الخلافة ولا كرم الأمانة، ولا عظمة القوامة.

(1) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج1/360.

(2) للاطلاع على الروايات انظر: العجائب في بيان الأسباب، ابن حجر، ج1/326 وما بعدها. وأسباب النزول، الواحدي، ص31 وما بعدها.

(3) جامع البيان، الطبري، ج2/426.

## المطلب السادس

### قصة الذين خرجوا من ديارهم حذر الموت

قصّ الحق ﷺ قصة القوم الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت ليؤكّد على أنه ليست العبرة بكثرة أنصار الباطل بل بصمود أهل الحق والتزامهم له وجهادهم في سبيله رغم كثرة الباطل وطغيانه<sup>(1)</sup>، وذلك البيان جاء في قوله ﷺ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (243) وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (244) مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (245)﴾ وقد تعدّدت الروايات فيمن هؤلاء القوم ولم يخرجوا، ويمكن إجمالها في قولين:

**القول الأول:** أنهم قوم فرّوا من المرض، وهذا ما ذكره الإمام الطبري بسنده عن ابن عباس ؓ قوله: "كانوا أربعة آلاف، خرجوا فرارًا من الطاعون، قالوا: نأتي أرضًا ليس فيها موت! حتى إذا كانوا بموضع كذا وكذا، قال لهم الله: موتوا، فمّر عليهم نبيّ من الأنبياء، فدعا ربه أن يحييهم، فأحياهم، فتلا هذه الآية: ﴿.. إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (243)﴾"<sup>(2)</sup>، وقد أيد الإمام القرطبي ذلك القول بقوله: "أنهم قوم من بني إسرائيل وقع فيهم الوباء، وكانوا بقية يقال لها (داوردان)<sup>(3)</sup> فخرجوا منها هاربين فنزلوا واديًا فأماتهم الله ﷺ."<sup>(4)</sup>

**القول الثاني:** أنهم قوم فرّوا من الجهاد، ومن هذا ما أورده شيخ المفسرين الطبري عن ابن عباس ؓ: أنهم "عدد كثير خرجوا فرارًا من الجهاد في سبيل الله، فأماتهم الله، ثم أحياهم وأمرهم أن يُجاهدوا عدوهم، فذلك قوله ﷺ: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (244)﴾."<sup>(5)</sup>

وقد حسم الإمام ابن عطية القول في هذه الروايات المتعددة حيث أكد أن "هذا القصص كله لئن الأسانيد، وإنما اللازم من الآية أن الله ﷻ أخبر نبيه محمدًا ﷺ إخبارًا في عبارة التنبيه

(1) انظر: صفوة التفاسير، الصابوني، ج1/140.

(2) جامع البيان، الطبري، ج5/267.

(3) داوردان: (بفتح الواو وسكون الراء وآخره نون): من نواحي شرقي واسط بينهما فرسخ. انظر: معجم البلدان، الحموي، ج2/434.

(4) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج3/230.

(5) جامع البيان، الطبري، ج5/268.

والتوقيف عن قوم من البشر خرجوا من ديارهم فرارًا من الموت فأماتهم الله ﷺ ثم أحياهم، ليربهم وكلّ من خلف من بعدهم أنّ الإمامة إنما هي بيد الله ﷻ لا بيد غيره، فلا معنى لخوف خائف ولا لاغترار مغترّ، وجعل الله ﷻ هذه الآية مقدمة بين يدي أمره المؤمنين من أمة محمد ﷺ بالجهاد<sup>(1)</sup>، وهذا القول أيده الإمام القرطبي<sup>(2)</sup>.

وعليه فمراده ﷺ من قوله: ﴿..حَدَرَ الْمَوْتِ..﴾ إما أنهم فرّوا من الطاعون وكان قد نزل بهم، أو أنهم أمروا بالجهاد، ففروا منه، أما قوله ﷺ: ﴿.. وَهُمْ أُلُوفٌ..﴾ فقول أن معناه: وهم مؤتلفون، أو أنه من العدد، وهذا قول جمهور العلماء<sup>(3)</sup>، وقد كثرت الأقوال في مبلغ عدد القوم الذين وصف الله خروجهم من ديارهم، لكنّ القرآن الكريم لم يعين عددهم ولا أمتهم ولا بلدتهم، ولو علم لنا خيرًا في التعيين والتفصيل لتفضّل ﷺ علينا بذلك في كتابه المبين، فالأولى أن نأخذ القرآن على ما هو عليه، ولا ندخل فيه شيئًا من الروايات الإسرائيلية التي ذكرها<sup>(4)</sup>.

ثم عقب هذه القصة بالأمر الصريح بالقتال في قوله ﷺ: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (244)﴾ وقد يكون المقصود بالخطاب هؤلاء الذين أماتهم الله، ثم أحياهم، أو أنه خطاب عام لأمة محمد ﷺ، فهو أمر بالقتال يشتمل معنى النهي أي: لا تهربوا من الموت كما هرب هؤلاء، فما ينفعكم الهرب واعلموا أنّ الله سميعٌ لأقوالكم عليمٌ بما تنطوي عليه ضمائرهم<sup>(5)</sup>، ومعلوم أنّ سورة البقرة مما نزل في المدينة إثر الهجرة قبل فتح مكة، وكان العدو في مكة وما حولها في كثرة وقوة ومنعة، فأمر المسلمون المهاجرون ومن آواهم أن يقاتلوا في سبيل الله، وقصّ لهم من الأنبياء ما فيه بعث لهم على الجهاد وتبشير لهم بالفوز والعاقبة، وإن يكونوا في قلة وضعف، ما داموا مستمسكين بحبل الوفاق والصبر والمصابرة<sup>(6)</sup>.

(1) المحرر الوجيز، ابن عطية، 328/1.

(2) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج3/230.

(3) انظر: زاد المسير، ابن الجوزي، ج1/219.

(4) انظر: تفسير المنار، رضا، ج2/362.

(5) انظر: زاد المسير، ابن الجوزي، ج1/220.

(6) محاسن التأويل، القاسمي، ج2/174.

ولمّا كان القتال في سبيل الله لا يتمّ إلا بالنفقة وبذل الأموال في ذلك، أمر ﷺ بالإنفاق في سبيله ورغب فيه، وسمّاه قرصاً فقال ﷺ: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُفْرِضُ اللَّهُ قَرْصًا حَسَنًا فَيُضَاعِفُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (245).<sup>(1)</sup>

فهذه القصة الموجزة تمثّل -على قصرها- صورة متكاملة متناسقة مؤثرة لتلك الأحداث الهامة التي اكتفى المولى ﷺ بذكرها دون الغوص في تفاصيل ليست هي المقصود من الحكاية، فهذا مشهد خروج القوم مهلوعين يتمثّل لنا وكأننا نراه رأي العين، وكذلك مشهد الإمامة المفاجئ ومشهد الإحياء العجيب، كلها تلخّص لنا مغزى واضحاً أنّ الله ﷻ قد وهبهم الحياة من غير جهد منهم في حين أن جهدهم لم يردّ الموت عنهم فيا للعجب!<sup>(2)</sup> كما أنّها تحمل لنا رسائل عظيمة تهيء للأمة المستخلّفة أمرها وتهدها رشدها، فقد أكّدت هذه القصة عدة أمور أذكر أهمها:

1. لا بدّ للأمة المستخلّفة أن تثبت على الحق وإن كثّر الباطل وانتشر، فالله القادر على إحياء الموتى، والذي بيده مقاليد السماوات والأرض قادر على أن ينصر عباده المؤمنين، وإن بدت أسباب النصر ومقوماته مستحيلة.
2. الجهاد ذروة سنام الإسلام، ولن يرتفع شأن هذا الدين إذا أعطينا الدنية في ديننا وتخلّت أمة الإسلام عن قتال أعداء الدين، فمن طلب الموت وهبت له الحياة، ومن فرّ ذل.
3. الله وحده من يقبض ويبسط، بيده الأمر كله، فالأمة الراشدة لا بد أن توازن بين جهاد العدو وجهاد المال ليتزّن النظام الاجتماعي وتسمو الأمة ويعلو شأنها.
4. الرسالة واضحة جليّة أن يا أمة الإسلام لا يقعدتكم حب الحياة عن الجهاد والامتنال لأمر الله، فالله هو واهب الحياة وقابضها ولا رادّ لقضائه.

وترى الباحثة أنه سواء كان هؤلاء الخارجون من ديارهم حذر الموت أمة من بني إسرائيل كما قال بعض علماء التفسير أو من غيرهم، وسواء كان سبب خروجهم الفرار من المرض أو الجهاد في سبيل الله فإنّ العبرة والعظة تكمن في إمانتهم ثم إحيائهم، وهي آية عظيمة من آيات الله، تجسّدت أمام أعينهم، وكانت معجزة واقعة عليهم، حيث كانت كفيلة بأن يثبتوا بعدها على الحق، ويحققوا الاستخلاف في الأرض كما أراد الله ﷻ، وهذا يؤكّد على العلاقة الواضحة بين هذه الحادثة ووحدة موضوع السورة.

(1) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص106.

(2) في ظلال القرآن، قطب، ج1/264 بتصرف.

## المطلب السابع قصة طالوت وجالوت

بعد أن ذكر الله ﷻ في الآيات المتقدمة شرع القتال لحماية الحق وبذل المال في سبيل الله، وأن من يتباطأ عنه يتردى في مهاوي، ذكر هنا تجربة أخرى من تجارب بني إسرائيل الذين أُخرجوا من ديارهم وأبنائهم بالقهر، كما خرج أصحاب القصة الأولى بالجبن واستحقوا الخزي والنكال، فجاءت هذه القصة مفصلة لما أجمل في قصة الذين خرجوا من ديارهم، فإن الأولى تصرّح بأن موتهم كان نتيجة لفرارهم وضعف عزيمتهم، لكن لم يذكر سبب إحيائهم وإن كان قد فهم مما جاء بعدها من الأمر بالقتال وبذل المال أن هذا هو سنة الله في إحياء الأمم، أما هذه القصة فقد فصلت احتياج هؤلاء القوم إلى القتال لمدافة العادين عليهم، واسترجاع ديارهم من أيديهم، فبذلوا الوُسع في الاستعداد للدفاع، لكن الضعف قد بلغ منهم كل مبلغ، فتولّوا وأعرضوا عن القتال إلا قليلاً منهم، ألهمهم الله رشدهم فاعتبروا وانتصروا.<sup>(1)</sup>

وقد سبقت هذه القصة في مساق الاستدلال لقوله ﷻ: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ..(244)﴾ حتى تتشجع النفوس على الجهاد، وتهون عليها المصاعب في سبيل حياة العزة والكرامة.<sup>(2)</sup>

وهذه القصة أوردت بسياقين، الأول موجز تمثّل في قوله ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّهِمْ لَهُمْ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (246)﴾ والمعنى: ألم يبلغ علمك -أيها النبي- خبر الأشراف من بني إسرائيل بعد زمن موسى ﷻ في عصر داوود ﷻ، حين قالوا لنبي لهم: اختر لنا قائداً للحرب وجمع الكلمة، فإننا عزمنا على طرد أعدائنا واسترداد حقوقنا المغتصبة، ولكنّ نبيهم بسبب معرفته لهم وتجربته معهم قال لهم: أتوقع منكم التخلّي عن القتال إن فرض عليكم، فردّوا عليه: أي شيء يدعونا إلى ترك القتال، وقد أُخرجنا من ديارنا وأوطاننا، ومُنعنا من أبنائنا، واغترينا عنهم؟! فلما فرض الله عليهم القتال أعرضوا إذ لم يوقّوا

(1) انظر: تفسير المراغي، المراغي، ج2/214-215.

(2) انظر: التفسير الوسيط، طنطاوي، ج1/563.

بما وعدوا به إلا قلة منهم، عبروا النهر مع طالوت، والله عليم بالظالمين المعرضين عن أمره، التاركين للجهاد في سبيله، وسيجازيهم على ذلك. (1)

ثم جاء تفصيل ما وقع بين النبي ﷺ وبين قومه حين طلبوا منه ملكاً عليهم وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَأَتَى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (247) ﴾) فما هو نبيهم ﷺ يبلّغهم باستجابة طلبهم قائلاً: ﴿..إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا..﴾ فما كان منهم إلا أن ردّوا متعجبين لقصور عقولهم: ﴿..أَتَى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ..﴾ إذ فينا الملك قديماً، وطالوت فقير ليس غنياً، فكأنهم فهموا أنّ الملك حقّ يورث وأن الغنى شرط أساسي فيه (2)، إنها اللجاجة التي جُبل عليها بنو إسرائيل والتي ظهرت كسمة واضحة من سماتهم في أكثر من إشارة في السورة الكريمة! رغم أن الذي يقتضيه العقل أن يطيعوا أمر نبيهم، ولكنهم لجواً في جدالهم وطغيانهم، واستنكارهم هذا إنما هو لانعدام المقاييس الصحيحة عندهم فقد ظنوا أن المؤهلات الحقيقية لاستحقاق الملك والقيادة إنما تكون بالنسب وكثرة المال أما الكفاءة العقلية، والقوة البدنية، والقدرة الشخصية فلا قيمة لها عندهم لانطماس بصيرتهم، وسوء تفكيرهم. (3)

هنا يكشف لهم نبيهم ﷺ عن وجه استحقاق طالوت للملك وحكمة المولى ﷺ في اختياره فقال لهم: ﴿..إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (247) ﴾) فهو سبحانه من اختاره، وزاده سعة في العلم وقوة في الجسم ليجاهد العدو، والله مالك الملك وصاحب التصرف يعطي ملكه من يشاء من عباده، والله واسع الفضل والعطاء، عليم بحقائق الأمور، لا يخفى عليه شيء. (4)

لكنهم هم القوم لا يخفى طبعهم ولا يتغيّر وصفهم، قوم جُبلوا على التسليم للماديات والخوارق الظاهرة، فكانهم طالبوا نبيهم ﷺ بأية تدلّ على أن الله حقّاً اختار طالوت لقيادتهم،

(1) انظر: التفسير المنير، الزحيلي، ج2/421-422. المختصر في تفسير القرآن الكريم، جماعة من علماء التفسير، ج40/1.

(2) انظر: التفسير الواضح، حجازي، ج1/163.

(3) انظر: التفسير الوسيط، طنطاوي، ج1/566.

(4) انظر: التفسير الميسر، نخبة من علماء التفسير، ج40/1.

فقال لهم: ﴿..إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ (248)﴾<sup>(1)</sup> فيها قد جاءهم الدليل المادي الذي طلبوه وخلصته أن نبيهم ﷺ أعلمهم أن آية تمليك الله ﷻ لطالوت عليهم أن يأتيهم التابوت المسلوب منهم من أعدائهم الذين شردوهم من الأرض المقدسة وهو رمز تجمعهم واتحادهم ومصدر استمداد قوة معنوياتهم لما حواه من آثار آل موسى وآل هارون، فكان هذا التابوت بمثابة الراية التي يقاتلون تحتها فإنهم إذا خرجوا للقتال حملوه معهم إلى داخل المعركة ولا يزالون يقاتلون ما بقي التابوت بأيديهم لم يغلبهم عليه عدوهم، ومن هنا وهم يتحفظون للقتال جعل الله ﷻ لهم إتيان التابوت آية على تمليك طالوت عليهم وفي نفس الوقت يحملونه معهم في قتالهم فتسكن به قلوبهم وتهاد نفوسهم فيقاتلون، فكانت آية وأعظم آية، وقبل بنو إسرائيل بقيادة طالوت.<sup>(1)</sup>

فثبت الاختيار الرباني وأقيمت عليهم الحجة بالدليل الظاهر الذي طلبوه، فخرج من سلم لأمر وتيقن منه لفريضة الجهاد، فانقلت الآيات لوصف مشهد مختلف، مشهد عملي لتطبيق أمر الله ﷻ بالقتال، وذلك في قوله ﷻ: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ..(249)﴾ وهنا تتجلى شخصية القائد الفذ، الواسع الأفق، العالم بنقاط ضعف جيشه، المروض لهم تجهيزاً للمعركة الفاصلة بين الحق والباطل، فلما خرج طالوت بجنوده لقتال العمالقة قال لهم: إن الله ﷻ ممتحنكم على الصبر بنهر أمامكم تعبرونه، لينكشف من يصمد أمام رياح الشهوات، ومن يتحمل المتاعب والصعوبات، فمن شرب منكم من ماء النهر فليس مني، ولا يصلح للجهاد معي، ومن لم يذق الماء فإنه مني، لأنه مطيع لأمري وصالح للجهاد، إلا من ترخص واغتترف غُرْفَةً واحدة بيده فلا لوم عليه، والحال أنهم كانوا عطاشى فلما وصلوا إلى النهر انكبوا على الماء، وأفرطوا في الشرب منه، وفشلوا في اختبار الصبر إلا عدداً قليلاً منهم صبروا على العطش والحر، واكتفوا بغُرْفَةٍ اليد، وحينئذ تخلف العصاة.<sup>(2)</sup>

وهكذا تغريل الجيش الغريلة الأولى عند أول تجربة عملية، وواصل طالوت ومن بقي معه المسير، ﴿..فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ..﴾ أي: لما اجتاز طالوت النهر مع الذين صبروا على العطش والتعب ورأوا كثرة عدوهم اعتراهم الخوف،

(1) انظر: أيسر التفاسير، الجزائري، ج1/235-237.

(2) انظر: التفسير الميسر، نخبة من علماء التفسير، ج1/41.

نعم إنه الضعف البشري والتأثر بالمعطيات المادية الملموسة، فقال فريق منهم مترددين فزعين ﴿..لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ..﴾ أي: لا قدرة لنا على قتال الأعداء مع قائد جيشهم جالوت فنحن قلة وهم كثرة كاثرة، هنا برز الصفوة الأخيار والعلماء الأبرار من أتباع طالوت المتيقنين بلقاء الله معلنين ﴿..كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (249)﴾ نعم فليس النصر عن كثرة العدد وإنما النصر من عند الله ﴿.. وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (249)﴾ بالحفظ والرعاية والتأييد. (1)

إنه يقين المؤمن، ورباطة جأشه، وحسن توكله وإنابته، دفعهم للجوء إلى بارئهم ودعائه دعاء المضطر الخائف الذي لا يجد ملاذًا غير الله في وقت الشدة وعسر المحنة، فقالوا: ﴿..رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّثْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (250)﴾ أي ألهمنا الصبر، وثبت نفوسنا في القتال، وحقق النصر لنا على الكافرين، وهذا دعاء عظيم في مثل هذا الموقف الرهيب، وفيه حكمة وعقل، إذ الصبر سبب الثبات، والثبات سبب النصر، وأحق الناس بالنصر هم المؤمنون.

وهنا تجلّت عظمة الله ونعمته عند صدق الإيمان وحسن الإنابة، فأذن بنصر المؤمنين، ﴿فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ..﴾ واستجاب الله ﷻ دعاءهم، وهزمت الفئة القليلة تلك الفئة الكثيرة بإذن الله وإرادته، وقتل داود الفتى القوي جالوت الجبار، وانهزم جنوده وأتباعه (2)، وأعطى الله ﷻ داود النبوة وهي الحكمة، وجعله ملكًا على بني إسرائيل أثناء حياة طالوت، بعد أن كان راعيًا، وعلمه ربه من علومه، كصناعة الدروع، ومعرفة منقح الطير. (3)

ثم ختم الحق ﷻ هذه القصة بعد أن توارت الأشخاص ومضت الأحداث بحكمتين عظيمتين جاءتا تعقيبًا على القصة:

أما الأولى فقد بين الله ﷻ الحكمة من القتال حيث قال: ﴿..وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ (251)﴾ فالتدافع سنة كونية، لا تخلو من ضرر وخطر، فإنها كذلك لا تخلو أيضًا من نفع وخير، فلولا دفع الله أهل البيغي والشر بأهل العدل والإصلاح والخير، وتسليط جماعة على أخرى، لغلب أهل الفساد، وفسدت

(1) انظر: صفوة التفاسير، الصابوني، ج1/143.

(2) انظر: التفسير المنير، الزحيلي، ج2/429.

(3) انظر: المرجع السابق، ج1/142.

الأرض، وعمّت الفوضى، وساد الظلم، ولكن الله ﷻ ذو فضل كبير على الناس جميعاً، وذو رحمة بهم، حيث يسّط على الظالم من يهلكه، ويدحر أهل الباطل بجند الحق، فإذا ظهر ظالم آخر، أرسل الله له في الوقت المناسب من يخلص الناس منه، وهكذا ينصر الله رسله بالغيب، ويؤيد أعوانه في اللحظة الحاسمة التي يريدها.<sup>(1)</sup>

وأما الثانية فقد احتوت توكيداً وجّه الخطاب فيه للنبي ﷺ بأنه من رُسل الله وبأن الله ﷻ قد أنزل آياته عليه بالحق حسب ما رآه من مقتضيات الحكمة والمصلحة، تسلية لقلبه وتأييداً له بنصره، وذلك في قوله ﷻ: ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَنْزُلُهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (252)﴾.<sup>(2)</sup>

وفي ختام هذه القصة الماتعة حريّ بنا الوقوف على بعض دلالاتها وإيحاءاتها التي ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بالمنهج الرباني للأمة المستخلفة في الأرض، نذكرها على النحو الآتي:

1. وضوح الطريق وبروز معالمه ليس كافياً للسير فيه، بل ينقصه عقيدة راسخة وصدق نية وإرادة صلبة للتغيير.
2. معايير اختيار القائد المسلم ليست منوطة بأمور النسب أو المال، إنما هي امتيازات عملية متكاملة عقلية وجسدية تهيء صاحبها لحمل أمانة القيادة.
3. لا بدّ للقائد الراعي لرعيته من الحنكة والواقعية والنظرة الواعية لأحوال الجيش، ومعالجة مواطن ضعفهم باختبارات عملية تُظهر مكنوناتهم وألوان عجزهم.
4. ليست العبرة بالكثرة يا أمة الإسلام، العبرة بمن عرّف وصدق.
5. التوكل على الله واللجوء إليه أعظم سلاح يتسلّح به جيش المسلمين حتى وإن قلّ عدده أو عتاده.
6. التدافع سنة الله في الكون إلى قيام الساعة، فكن من جند الله لا من أعدائه.

"وبهذا ينتهي هذا الدرس القيم الحافل بذخيرة التجارب، وبهذا ينتهي هذا الجزء الذي طوّف بالجماعة المسلمة في شتى المجالات وشتى الاتجاهات وهو يربّيها ويعدها للدور الخطير

(1) انظر: التفسير المنير، الزحيلي، ج2/430.

(2) انظر: التفسير الحديث، عزت، ج6/460.

الذي قدره الله ﷻ لها في الأرض، وجعلها قيمة عليه، وجعلها أمة وسطاً تقوم على الناس بهذا المنهج الرباني إلى آخر الزمان." (1)

إنَّ تحقيق الاستخلاف في الأرض يحتاج إلى التضحية بالنفس والنفيس في سبيل الله وابتغاء مرضاته، والتعاس عن الجهاد في سبيل الله والجبين عن مواجهة الأعداء من شيم الفاشلين والعاجزين عن حمل أمانة الاستخلاف، فالنصر والتمكين في الأرض لا يتحقق إلا بسواعد أصحاب الهمم العالية بغض النظر عن المقاييس المادية والعسكرية والدينيوية التي لا تساوي في ميزان الله جناح بعوضة، فالله ﷻ ينصر عباده المؤمنين ولو كانوا قلة على أعدائهم أو كانوا كثرة، وذلك إذا تحققت في المؤمنين صفة الإخلاص لدين الله ونبيه وتحقيق الخلافة في الأرض استجابة لأمر الله ونصراً لدينه.

## المطلب الثامن

### قصة الذي مرّ على قرية وهي خاوية على عروشها

سأقت السورة الكريمة قصص عديدة تدلّ أبلغ دلالة على قدرة الله ﷻ وعلى صحة البعث والنشور، وهذا مثل آخر معطوف على المثل الأول الذي تجلّت فيه ولاية الله ﷻ لإبراهيم عليه السلام في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ..﴾ وهذا ما أخبرنا الله ﷻ به في قوله: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (259)﴾ وهذا المثل جاء في ذلك الذي مرّ على قرية وهي خاوية على عروشها، فهو رجل مؤمن بالله، يريد أن يستوثق لإيمانه، ويطلب له المزيد من الأدلة والشواهد، وليس هذا بالذي يُضير المؤمن أو يقلل من إيمانه، مادام حريصاً على طلب الحق، مجتهداً في بلوغه، فإنه بهذه النية المخلصة سيجد العون والتوفيق من الله. (2)

(1) في ظلال القرآن، قطب، ج1/271.

(2) انظر: التفسير القرآني للقرآن الكريم، الخطيب، ج2/325.

وقد ورد في بعض كتب التفسير أقوال عديدة لاسم الشخص الذي دخل القرية واسم القرية، والباحثة تتوقف في ذلك عند حدود النص القرآني وتميل إلى رأي الإمام الطبري حيث يقول: "وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره ذَكَرَ عَجَبَ نبيه ﷺ مَمَّن قال - إذ رأى قرية خاوية على عروشها- "أنى يحيي هذه الله بعد موتها"، مع علمه أنه ابتداء خلقها من غير شيء، فلم يُقنعه علمه بقدرته على ابتدائها حتى قال: أنى يحييها الله بعد موتها! ولا بيان عندنا من الوجه الذي يصحّ من قِبَلِهِ البيان على اسم قائل ذلك. وجائز أن يكون ذلك عُزيراً، وجائز أن يكون أورميا، ولا حاجة بنا إلى معرفة اسمه، إذ لم يكن المقصود بالآية تعريف الخلق اسم قائل ذلك، وإنما المقصود بها تعريف المنكرين قدرة الله ﷻ على إحيائه خلقه بعد مماتهم، وإعادتهم بعد فنائهم، وأتته الذي بيده الحياة والموت." (1)

ووجه استنكار هذا القائل أن يحيي الله ﷻ القرية: أن عهده كان عامراً بأهله وسكانه، ثم رآه خاوياً على عروشه، قد باد أهله، وشتتتهم القتل والسبأ، فلم يبق منهم بذلك المكان أحد، وخربت منازلهم ودورهم، فلم يبق إلا الأثر، فلما رآه على تلك الحال البالية، قال استنكاراً: على أيّ وجه يحيي هذه الله بعد خرابها فيعمرها؟! فأراه الله ﷻ كيفية إحيائه ذلك بما ضربه له في نفسه، وفيما كان في أدواته وفي طعامه، ثم عرّفه قدرته ﷻ على ذلك فأراه رأي العين حتى أبصره ببصره، فلما رأى ذلك قال: ﴿..أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (259). (2)

وقد أراه المولى ﷺ الدليل على الإحياء الحقيقي في نفسه مبالغة في قلع الشبهة، فأماتهُ اللَّهُ ﴿..مِائَةَ عَامٍ..﴾ ليندثر بالكلية ﴿..نُومٌ بَعَثُهُ..﴾ أي: أحياه ببعث روحه إلى بدنه وبعض أجزائه إلى بعض بعد تفرقها، ثم سأله الله ﷻ ليُظهر له جهله بالحقيقة وعجزه عن الإحاطة بشئونه: ﴿..قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ..﴾ أي: مكثت ميثاً، قال تخميناً أو تقريباً أو استقصاراً للمدة التي مكثها: ﴿..لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ..﴾، فجاء الرد الإلهي الصادم: ﴿..بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ..﴾ فتظهر له بدائع خلقه ﷻ وقدرته العجيبة على الإحياء والإماتة. (3)

وقد أثبت الله ﷻ أنه لبث مائة عام ووجه نظره إلى آيتين تثبتان قدرته ﷻ وقد بينهما أبو زهرة على النحو الآتي:

(1) جامع البيان، الطبري، ج5/441-442.

(2) انظر: المرجع السابق، ج5/447.

(3) انظر: محاسن التأويل، القاسمي، ج2/197.

الآية الأولى: إنه لم يتغير الطعام والشراب بل بقي كما هو على مرّ السنين وهذا معنى قوله تعالى: ﴿لَمْ يَتَسَنَّهٗ﴾.

الآية الثانية: الحمار وكيف بلى وتحلّل وتفنّنت ولم يبق منه شيء، وهذا يدلّ على مرّ السنين وكرّ الأعوام، ويتّجه بعض المفسرين إلى أنّ الحمار كان قائماً كالطعام والشراب وأنّه لم يتغير، ويؤيدون اتجاههم بأنّ السياق يدلّ على ذلك لأنه معطوف على الطعام والشراب، والفعل محذوف في المعطوف لدلالة المعطوف عليه، ويرى بعضهم أن المراد انظر إلى حمارك وقد صار عظماً بالية ثم ردّ إليه ﷺ الحياة وقد اتخذوا من قوله بعد ذلك: ﴿.. وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا..﴾ قرينة على ذلك، والأقرب هو التخريج الثاني؛ ولذلك أمر ﷺ بالنظر إلى الطعام والشراب وحدهما ثم أمر بالنظر إلى الحمار وحده فكان هذا يُشعر بالتقابل.<sup>(1)</sup>

وعلى كلّ فهذه الحالة العجيبة الباهرة التي جسّدتها هذه القصة إنما تؤكّد على قدرة الله الفائقة البالغة في الإتقان والإعجاز حدّ الخيال، وأنّ قدرة الخالق ﷻ على الإحياء والإماتة تجلّت في هذه الحادثة وفي مواضع أخرى من السورة الكريمة، لتردّ على شبهات بني إسرائيل الباطلة وإنكارهم قدرة الباري ﷻ على البعث والنشور والحياة بعد الموت، وهذا المقصد من أهمّ المقاصد التي لا بد للمستخلف في هذه الأرض أن يؤمن بها، فهو يعلم أنّه في تكليف مؤقت يعقبه بعث وحساب وجزاء وعقاب، فيتق الله ﷻ في نفسه وفي أداء مهمته الكريمة على أتمّ وجه وأخلص سبيل.

(1) انظر: زهرة التفاسير، أبو زهرة، ج2/962.

## المبحث الثالث

### قصص خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام ونجاحه في تحقيق الاستخلاف في الأرض

تكرّر ذكر نبي الله إبراهيم عليه السلام خمس عشرة مرة<sup>(1)</sup> في مواضع متفرقة من سورة البقرة، ونلاحظ أنّ ثلاثة قصص من القصص القرآني الوارد في السورة الكريمة تنظمها شخصية واحدة هي شخصية خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام، ولا شك أنّ لذلك علاقة وثيقة بالسورة ومحورها الأساس، إذ نراها تتحدّث عنه في مساحة واسعة من السورة، وتمنحه أهمية خاصة بعد تجسيد أول شخصية ممثلة بآدم عليه السلام.

ومن المؤكّد أنّ هذا التركيز على إبراهيم عليه السلام وتاريخه ومعجزاته له أسباب قوية تتّسق مع سياق السورة ستذكرها الباحثة على النحو الآتي:

1. يتجلّى التوافق واضحاً بين شخصية أبي البشر آدم عليه السلام ممثلاً بجعله خليفة في الأرض، في قوله ﷻ: ﴿.. إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً..﴾ ثم جعل إبراهيم عليه السلام إماماً للناس في قوله ﷻ: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾، والإمامة امتداد الخلافة التي خصّ بها إبراهيم عليه السلام إلى يوم القيامة، فهي المهمة العبادية التي أكسبته سمة الحنفية والتي أقرتها جميع الشرائع التي أنت بعدها، وختمت بالإسلام.<sup>(2)</sup>

2. بعد أن أخبر القرآن الكريم نبأ ابتداء الأبوّة الآدمية في متقدّم قوله ﷻ: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً..﴾ انتظمت رؤوس الخطابات بعضها ببعض وتفاصيلها بتفاصيل بعض، فأكد الحق ﷻ على أنّ تلك الأبوّة الإبراهيمية بالملّة والمحمّدية بالدين<sup>(3)</sup> هي امتداد لتلك الأبوّة الآدمية، وليكون إظهار ذلك في سورة سنام القرآن أصلاً لما في سائر من السور.<sup>(4)</sup>

3. يعرض القرآن الكريم ذلك التاريخ المجيد لإبراهيم عليه السلام وأبنائه وأحفاده في العصور الذهبية التي لا يختلف أحد من أهل الكتاب ولا المشركين في تعظيمها ومحبتها ومحبة الانتساب

(1) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ص1.

(2) انظر: التناسب القصصي في سورة البقرة، مجلة جامعة زاخو، ص207.

(3) قيل: الدين والملّة: متحدان بالذات، ومختلفان بالاعتبار؛ فإن الشريعة من حيث إنها تُطاع تسمى: ديناً، ومن حيث إنها تُجمع تسمى: ملّة، وقيل: أنّ الدين منسوب إلى الله ﷻ، والملّة منسوبة إلى الرسول ﷺ.

انظر: التعريفات، الجرجاني، ص105-106.

(4) انظر: نظم الدرر، البقاعي، ج2/147-148.

إليها، لتقرير الحقائق الخالصة في ادعاءات اليهود والنصارى والمشركين جميعاً حول هذا النسب وهذه الصلات. (1)

4. بعد أن ذكر الله ﷻ بني إسرائيل نعمه عليهم، وأبان كيف قابلوا النعم بالكفر والجحود، أعقب ذلك بقصة إبراهيم ﷺ أبي الأنبياء، الذي يزعم اليهود والنصارى انتماءهم إليه، ولو صدقوا لاتبعوا النبي محمداً ﷺ، لأنه أثر دعوة جدّه إبراهيم ﷺ حين دعا لأهل الحرم، فأقام عليهم الحجة. (2)

5. ذُكر قيام إبراهيم ﷺ وابنه إسماعيل ﷺ ببناء البيت المعظم جاء ممهداً لتقرير تلك الصلة التاريخية المتينة التي تربط هذا النبي وأمه بهذين النبيين الجليلين، لا صلة النبوة النسبية فحسب، بل صلة المبدأ ورابطة الوحدة الدينية أيضاً، فهم من ذريتهما، ووجودهم تحقيق لقبول دعوتهم، وملتهم ملتهما؛ وقبلتهم قبلتهما، ومثابتهما في حجّهم مثابتهما، ومقرّراً في الوقت نفسه انقطاع مثل هذه النسبة المشرفة عن اليهود الذين ينتسبون بالنبوة لإبراهيم ويعقوب -عليهما السلام-، وهم عن ملتهما منحرفون ولوصيتهما مخالفون. (3)

وستتناول الباحثة في هذا المبحث القصص الثلاث المتعلقة بنبي الله إبراهيم ﷺ والتي وردت في سورة البقرة محاولةً الوقوف على ارتباطها بالسياق القرآني في السورة ومحورها.

## المطلب الأول

### إبراهيم ﷺ بين التكليف والتشريف

الحديث عن أبي الأنبياء إبراهيم ﷺ حديث متشعب الجوانب في آيات السورة الكريمة، فهو وإن لم يعرض قصة نبي الله إبراهيم ﷺ بتفاصيلها، إلا أنه ألقى الضوء على بعض المحطات، وأثار الومضات على بعض أحوال خليل الرحمن ﷺ ومناقبه التي تتسق اتساقاً تاماً مع محور السورة وموضوعاتها، وقد تتابعت هذه المحطات والوقفات على النحو الآتي:

#### 1. تكليفٌ عظيم يتبعه تشريف كريم

يأمر الله ﷻ رسوله ﷺ أن يذكر ابتلاءه ﷺ لنبيه وخليله إبراهيم ﷺ بما كلفه من أوامر ونواهي، وذلك في قوله ﷻ: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ

(1) انظر: النبأ العظيم، دراز، ص 234-235.

(2) انظر: التفسير المنير، الزحيلي، ج 1/303.

(3) انظر: النبأ العظيم، دراز، ص 235.

إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَتَّأَلُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ (124)»، فالله ﷻ اختبر خليله ﷺ بتشريعات فأنمها على وجهها الصحيح، فلما أنمها علم الله ﷻ شدة حبه للتكليف، لأنه أنمها على الوجه الأكمل، فكان جزاؤه أن جعله الله ﷻ للناس إمامًا، ولكنَّ رغبة إبراهيم ﷺ في امتداد هذا الشرف في الذرية جعلته يطلبها لذريته أيضًا، أي إنه يريد أن يكون من ذريته أئمة، ولما كان الله ﷻ يعلم أن بعضيان الكثير من الذرية قال لخليله: ﴿.. لَا يَتَّأَلُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ (124)﴾.<sup>(1)</sup>

ورغم الإيجاز الشديد ما بين إعلان التكليف وإعلان النتيجة الباهرة في قوله ﷻ: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ..﴾ إلا أنها تحمل في طياتها معاني جمة للابتلاءات والصعوبات والتحديات التي خاضها نبي الله ﷺ، فمن أبرز تلك التكاليف وقوفه في وجه الوثنيين، وتحطيم أوثانهم، والهجرة من ديارهم، والهَمَّ بذبح ولده إسماعيل ﷺ قريبًا لله، وبناء البيت، وحجة الدعوة إليه مما استحق به الإمامة للناس كافة، فقام بها خير قيام فأنعم عليه بأكبر إنعام، وهو أنه ﷺ جعله إمامًا للناس<sup>(2)</sup>، وقد شهد المولى ﷺ على أداء إبراهيم ﷺ لهذه الكلمات وفاءً وقضاءً في قوله ﷻ: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ [النجم: 37].

وقد اختلف أهل التأويل في صفة "الكلمات" التي ابتلى الله ﷻ بها إبراهيم نبيه وخليله ﷺ، فمنهم من قال: هي شرائع الإسلام، وقال آخرون: هي مناسك الحج، وغير ذلك من الأقوال، إلا أن الإمام الطبري حسم الأمر حيث اعتبر أن الصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله ﷻ أخبر عباده أنه اختبر إبراهيم خليله ﷺ بكلمات أوحاهنَّ إليه، وأمره أن يعمل بهنَّ فأتَمهنَّ، كما أخبر الله جل ثناؤه عنه أنه فعل، وجائز أن تكون تلك الكلمات جميع ما قيل في تأويل "الكلمات"، وجائز أن تكون بعضه، فغير جائز لأحد أن يجزم بالمراد بها إلا بحجة يجب التسليم لها من خير عن الرسول ﷺ، أو إجماع من الحجة، وهذا لم يصح في شيء.<sup>(3)</sup>

## 2. الفضائل والمناقب التي شرف الله ﷻ بها خليله ﷺ

يتابع السياق ذكر مناقب النبي إبراهيم ﷺ، فبعد أن كرمه المولى ﷻ بأن جعله إمامًا للعالمين، عدَّ الله ﷻ مناقب نبيه الكريم على النحو الآتي:

(1) انظر: قصص الأنبياء، الشعراوي، ص85. قصص الأنبياء، ابن كثير، ج1/232.

(2) انظر: أيسر التفاسير، الجزائري، ج1/110.

(3) انظر: جامع البيان، الطبري، ج2/15.

## أ - ذِكر منقبة البيت وشرفه والمنة على ساكنيه

امتَنَ اللهُ ﷺ على أمة الإسلام بنعمة البيت العتيق، وبشرف البيت يشرف البنا، وجاء ذلك في قوله ﷺ: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأُمَّنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهَّرَا بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (125)﴾ ففي الآية الكريمة يأمر الله نبيه الأمين ﷺ بأن يذكر حين جعل الكعبة المعظمة ﴿..مَثَابَةً لِّلنَّاسِ..﴾ أي: مرجعاً للناس يُقبلون عليه من كل جانب ﴿..وَأُمَّنًا..﴾ أي: مكان آمن يأمن من لجأ إليه، وذلك لما أودع الله في قلوب العرب من تعظيمه وإجلاله، وكذلك حين قال ﷺ للناس: ﴿..وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ أي: اتخذوا من المقام - وهو الحجر الذي كان يقوم عليه إبراهيم عليه السلام لبناء الكعبة- مصلى أي صلوا عنده، واذكر حين: ﴿..عَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهَّرَا بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (125)﴾ أي أوصينا وأمرنا إبراهيم وولده إسماعيل عليه السلام بأن يصونا البيت من الأرجاس والأوثان ليكون معقلاً للطائفين حوله والمعتكفين الملازمين له والمصلين فيه، فالآية جمعت أصناف العابدين في البيت الحرام: الطائفين، والمعتكفين، والمصلين. (1)

وأما الحكمة في اتخاذ الكعبة مقراً لاتجاه المصلين: "هو توحيد المشاعر والعواطف، وحصص الاتجاه إلى الذات الإلهية المقدسة، رمزاً إلى حضوره ﷺ، والحضور الحقيقي مُحال عليه، فكان المراد أن رحمة الإلهية تحضره، ومن ثم كان التوجه إلى الكعبة كالتوجه إلى تلك الذات العلية." (2)

فتأمل كيف فضّل اللهُ ﷺ خليته وابنه إسماعيل عليه السلام على سائر الخلق بأن وكلهم حماية بيته الحرام وكعبته المشرفة، وشرفهم وخذ ذكراهم وتاريخهم المجيد الحافل ببناء البيت العتيق، بل جعل مقام إبراهيم عليه السلام مصلى يقوم به الناس لرب العالمين.

## ب - استجابة المولى ﷺ لدعوة خليته عليه السلام

من فضائل نبي الله إبراهيم عليه السلام أن جعله اللهُ ﷺ مستجاب الدعوة، فقد استجاب ربه دعاءه الخالص حين دعا ربه متضرعاً إليه: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى

(1) انظر: صفوة التفاسير، الصابوني، ج1/83.

(2) التفسير المنير، الزحيلي، ج1/305.

عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (126)﴾ فدعى ربه أن يجعل هذا البلد في أمن وطمأنينة، فلا يتسلط عليه الجبارون، ولا يعكّر صفوه المجرمون الآثمون، ويحميه ﷺ من جميع مظاهر السخط، ودعاؤه أن يرزق أهله من أنواع الثمار وأطيبها، ومن خيرات الأرض وبركاتها وأمنها، إما بالزرع بالقرب منه، وإما بأن تُجبي إليه من الأقطار الشاسعة، وقد حصل كل ذلك، استجابة لدعاء النبي الكريم ﷺ، فالله ﷻ هو القائل في محكم تنزيله: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [ القصص: 57].<sup>(1)</sup>

وتأمل قمة تأدب النبي الكريم الأواه الحليم ﷺ مع ربه في دعائه حيث قيّد دعاءه هذا للمؤمنين، إذ كان دعاؤه الأول، فيه الإطلاق حين قال: ﴿..وَمِنْ ذُرِّيَّتِي..﴾ فجاء الجواب فيه مقيداً بغير الظالم حينها قال رب العزة: ﴿..لَا يَتَّأَلُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ (124)﴾، فلما دعا لهم بالرزق، وقيده بالمؤمن، وكان رزق الله شاملاً للمؤمن والكافر، والعاصي والطائع، قال الله ﷻ: ﴿.. وَمَنْ كَفَرَ..﴾ أي: أرزقهم كلهم، مسلمهم وكافرهم، أما المسلم فيستعين بالرزق على عبادة الله، ثم ينتقل منه إلى نعيم الجنة، وأما الكافر، فيتمتع فيها قليلاً ﴿.. ثُمَّ أَصْطَرَّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (126)﴾ أي: أُلجئه وأخرجه مكرهاً.<sup>(2)</sup>

#### ت - تكريمه وابنه إسماعيل ﷺ ببناء البيت العتيق

يتجسد تحقيق الاستخلاف في الأرض في قصة نبي الله وخليله إبراهيم ﷺ من خلال استجابته وولده إسماعيل ﷺ لأمر الله ورفع قواعد البيت العتيق وبنائه، وهو ما ورد في قوله ﷻ: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (127)﴾ وفي ذكر البيت العتيق خولف الأسلوب الذي يقتضيه الظاهر في حكاية الماضي بأن يقول (وإذ رفع) إلى كونه بالمضارع لاستحضار الحالة وحكايتها كأنها مشاهدة وذلك لتكرّر الحديث عنه بينهم، فإنهم لحبهم إبراهيم ﷺ وإجلالهم إياه لا يزالون يذكرون مناقبه وأعظمها بناء الكعبة<sup>(3)</sup>، ثم يظهر لك في هذا التعبير الرباني أن خليل الرحمن ﷺ أراد أن ينفذ أمر الله ﷻ بالرفع للقواعد لا بقدر الاستطاعة البدنية فقط، ولكن بقدر الاستطاعة والاحتتيال أي أنه أدّى مطلوب الله أداءً كاملاً، ولا أدلّ على هذا الأداء من أنه أتى بحجر منها

(1) انظر: التفسير المنير، الزحيلي، ج1/305.

(2) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص66.

(3) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج1/717-718.

ليقف عليه وليزيد من ارتفاع البيت قدر هذا الحجر<sup>(1)</sup>، نعم إنه مشهد تنفيذي مكتمل المشاهد  
 فبينما تستحضر صورة تنفيذ نبي الله وابنه ﷺ أمر الله ﷻ ببناء البيت العتيق، تستشعر وكأنك  
 تسمع صوتيهما يلهمان ويبتهلان بالدعاء الصادق المُخبت ﴿.. رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ  
 الْعَلِيمُ (127)﴾، إنه طلب القبول والرضى هذه هي الغاية، فهو عمل خالص لله ﷻ بكل  
 معاني القنوت والخشوع، والرجاء في قبوله متعلق بأن الله سميع للدعاء، عليم بما وراءه من  
 النية والشعور<sup>(2)</sup>، إنه عزم رسول كريم من أولي العزم من الرسل وهمته ودأبه في تنفيذ الأمر  
 الإلهي يرتسم بأبهى صورته فهو خير قدوة يُحتذى بها.

وقد جاء في هذه الآيات "خبر بناء البيت الحرام بيد إبراهيم وإسماعيل ﷺ، بالرغم من  
 ذكر البيت قبل هذه الآيات وهو مستكمل وجوده، ومهيأ للعبادة، وهذا ما يُشعر بجلاله وقدسيته،  
 وأنه كان معداً من قبل بيد القدرة، وأن يدي إبراهيم وإسماعيل -عليهما السلام- اللتان جرتا عليه  
 بعد هذا، إنما لإظهار هذا السر المضمّر، والقدر المقدور." <sup>(3)</sup>

ها هي قصة خليل الرحمن ﷺ تتجلى لتبرز لنا التجربة الناجحة للاستخلاف في  
 الأرض والإمامة والقوامة على الوجه الذي يُرضي ربنا، وقد حملت هذه التجربة في طياتها  
 إشارات هامة، أذكرها على النحو الآتي:

1. التأكيد على حرمة البيت وشرفه ومكانته هو تمهيد للرد على اليهود في إنكارهم استقبال  
 الكعبة الذي يجيء عند قوله ﷺ: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبَلَتِهِمْ الَّتِي كَانُوا  
 عَلَيْهَا.. (142)﴾ وتأكيد صارخ على أن هذا البيت هو قبلة المسلمين إلى يوم الدين.<sup>(4)</sup>

2. قصة إبراهيم ﷺ تقرر قاعدة كبرى وهي: أن الإمامة ليست وراثية أصلاً وأنساب،  
 فالقربى ليست وشيجة لحم ودم، إنما هي وشيجة دين وعقيدة، ودعوى القرابة والدم والجنس  
 والقوم ما هي إلا دعوى الجاهلية، التي تصطدم اصطداماً أساسياً بالتصوّر الإيماني  
 الصحيح، فالإمامة لمن يستحقونها بالعمل والشعور، وبالصلاح والإيمان، أما الظالمون فهم  
 محجوبون عن كل معاني الإمامة: إمامة الرسالة، وإمامة الخلافة، وإمامة الصلاة، وكل

(1) انظر: قصص الأنبياء، الشعراوي، ص 99.

(2) انظر: في ظلال القرآن، قطب، ج 1/114.

(3) التفسير القرآني للقرآن، الخطيب، ج 1/142.

(4) انظر: تفسير المراغي، المراغي، ج 1/215.

معنى من معاني الإمامة والقيادة، فاليهود تتحت عن القيادة والإمامة بما ظلموا وفسقوا،  
وبما عتوا عن أمر الله، وبما انحرفوا عن عقيدة جدّهم إبراهيم عليه السلام.<sup>(1)</sup>

3. التمكين أفضل الدرجات ولا تتأتى إلا بالصبر على المحن، فقد سئل الإمام الشافعي يوماً  
أيها أفضل الصبر أو المحنة أو التمكين؟ فأجاب الشافعي: "التمكين درجة الأنبياء، ولا  
يكون التمكين إلا بعد المحنة، فإذا امتحن صبر، وإذا صبر مكن، ألا ترى إن الله تعالى  
امتنح إبراهيم عليه السلام ثم مكّنه، وامتنح موسى عليه السلام ثم مكّنه، وامتنح أيوب عليه السلام ثم مكّنه،  
والتمكين أفضل الدرجات."<sup>(2)</sup>

## المطلب الثاني

### قصة إبراهيم عليه السلام والمك

ها هو القصة القرآني يعرض نموذجاً للإيمان ونموذجاً آخر للطغيان، فيقص علينا  
الحق تعالى مناظرة نبيه إبراهيم عليه السلام مع ملك زمانه الجبار المتمرد الذي أراد أن يناع العظيم  
الجليل تعالى في إزار العظمة ورداء الكبرياء فادعى الربوبية، وهو أحد العبيد الضعفاء<sup>(3)</sup>، وهذا  
الإخبار جاء في سياق ضرب الله تعالى الأمثال على ولايته للمؤمنين، وولاية الطاغوت للكافرين،  
وذلك في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّي  
الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ  
الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (258)﴾ وأما صفة ذلك الذي حاجّ ربه  
فقد قيل: إنه جبار كان ببابل<sup>(4)</sup>، وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنه قوله: "ملك الأرض شرقها وغربها  
مؤمنان وكافران، فالمؤمنان سليمان بن داود -عليهما السلام- وذو القرنين، والكافران: نمرود  
وبختنصر."<sup>(5)</sup>

ويقول الإمام الشعراوي في أمر ذلك الرجل: "لو شاء الله تعالى تحديد اسم الرجل لحدّده  
لنا، والذي يهمننا هو أنه واحد خرج على رسول الله إبراهيم عليه السلام وجادله في هذه المسألة،  
والتشخيص هنا ليس ضرورياً."<sup>(6)</sup>

(1) انظر: في ظلال القرآن، قطب، ج1/112-113.

(2) تفسير الإمام الشافعي، الشافعي، ج2/978.

(3) انظر: قصص الأنبياء، ابن كثير، ج1/187.

(4) انظر: جامع البيان، الطبري، ج5/430.

(5) زاد المسير، ابن الجوزي، ج1/232.

(6) الخواطر، الشعراوي، ج2/1123.

والمولى ﷺ يخاطب نبيه ﷺ: يا محمد ألم تُخبر بقصة الذي خاصم إبراهيم في توحيد ربه حين قال له إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ..﴾ يعني بذلك: ربي الذي بيده الحياة والموت، يُحيي من يشاء ويميت من أراد بعد الإحياء، قال ذاك الأعمى الضالّ حينها: ﴿..أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ..﴾ يقصد: أستحيي من أردتُ قتله فلا أقتله، فيكون ذلك مني إحياء له! - وذلك عند العرب يسمّى "إحياء"، كما قال تعالى ذكره: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [سورة المائدة: 32] - وأقتل آخر، فيكون ذلك مني إماتة له! فاحتجّ إبراهيم عليه السلام بحجة أخرى لا قبل له بها فقال: ﴿..فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالسَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأَتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ..﴾ إن كنت صادقاً أنك إله!!! قال الله تعالى ذكره: ﴿..فُبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (258)﴾ يعني انقطع وبطلت حجته. (1)

هكذا أبطل الخليل عليه السلام على عدوّ الله دليله، وكشف كثرة جهله وقلة عقله، وأجمه الحجة، وأوضح له طريق المحجّة، وتأمّل جمال التعبير في قوله ﷺ: ﴿..فُبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ..﴾ "فالبيهت يأخذ ثلاث صور: الدهشة أولاً، ثم الحيرة ثانياً، ثم الهزيمة ثالثاً. لقد انتقل الذي كفر من القدرة على المواجهة إلى مفاجأة الدهشة، هذه هي الصورة الأولى، ومن المفاجأة والدهشة انتقل إلى التحير، لأنه يبحث عن مخرج لنفسه فلم يجد مخرجاً لورطته، وهكذا تلقى النتيجة وهي الهزيمة!" (2)

ولا عجب أن تكون هذه حال المبطل المعاند الذي يريد أن يقاوم الحق ويغالبه، فإنه مغلوب مقهور، فلذلك قال ﷺ: ﴿.. وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (258)﴾ أي: "إنّ الله ﷻ لا يهدي من أعرض عن قبول الهداية، ولم ينظر في الدلائل التي توصل إلى معرفة الحق ويستسلم للطاغوت، ويترك ما أعطاه الله من الفهم، اتّباعاً لهواه وشهوته التي تزيّن له ما هو فيه، وهو حينئذ قد ظلم نفسه وضلّ ضلالاً بعيداً." (3)

أما هدايات هذه القصة فهي ظاهرة متصلة بمحور السورة، أبينها بالنقاط الآتية:

1. الله ﷻ لا يشبهه شيء من خلقه، وما في الكون من الدلائل القاطعة على توحيده من إحياء وإماتة وشروق الشمس وغروبها وغيرها من الآيات الكونية خير وسيلة لمعرفته ﷻ،

(1) انظر: جامع البيان، الطبري، ج5/432.

(2) قصص الأنبياء، الشعراوي، ص93.

(3) تفسير المراغي، المراغي، ج3/21.

فأنبياء الله -عليهم السلام- إنما حاجوا الكفار بمثل ذلك، ولم يصفوا الله ﷻ بصفة توجب التشبيه، وإنما وصفوه بأفعاله واستدلوا بها وبآثاره عليها. (1)

2. أيها المستخلف على الأرض احذر توالي النعم وفتنتها، فإنها قد تبطر صاحبها إذا حُرِمَ ولاية الله ﷻ كما أبطرت النمرود. (2)

3. الآية الكريمة برهان قاطع على أنّ مَنْ تفرّد بالخلق والتدبير، يلزمه أن يفرد بالعبادة والإنابة والتوكل عليه في جميع الأحوال. (3)

4. من كان مع الله وبقه الله وتولاه بولايته إلى الحجج القيّمة التي تُزال بها الشبهات وتثبت بها الآيات، أما من عمى عن نور الحق انتقل من ظلمة من ظلمات الشكوك والأوهام إلى أخرى، وتردّى في مهاوى الهلاك بولاية الطاغوت له، فاحذر يا خليفة الله أن تختار غير الله ﷻ ولياً ونصيراً. (4)

من خلال هذه القصة يتبين لنا أنّ نبي الله إبراهيم ﷺ قد نجح في تحقيق الاستخلاف في الأرض من خلال محاججته لهذا المستكبر الذي نصّب نفسه إلهاً من دون الله، وهو المخلوق الضعيف الذليل الذي بُهت في الجولة الأولى، ونكست رايته، وكُسرت شوكته أمام أتباعه، ورُفعت راية المعبود بحق، والذي لا يستحقّ الألوهية والعبودية غيره، ولا تتبغي الطاعة والعبادة لسواه.

### المطلب الثالث

#### قصة نبي الله إبراهيم ﷺ والطير

لما كان الإحياء والإمامة من أظهر آيات الريانية وأخصّها أظهر الله ﷻ عديد من الدلائل والشواهد على ثبوتها، منها الحادثة العظيمة التي حدثت مع نبي الله إبراهيم ﷺ والطير، حيث قصّها المولى ﷺ في سياق حوادث الإحياء والإمامة التي تتابعت في السورة الكريمة، وقد جاء ذكر ذلك في قوله ﷺ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أُولَٰئِكَ تُؤْمِنُونَ قَالَ بَلَىٰ لَٰكِن لِّيَظْمَنَ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ

(1) انظر: التفسير المنير، الزحيلي، ج3/31.

(2) انظر: أيسر التفاسير، الجزائري، ج1/249.

(3) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص111.

(4) انظر: تفسير المراغي، المراغي، ج3/20.

يَأْتِيَنَّكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (260)»، وخلاصة القصة: «أن إبراهيم عليه السلام كان محباً للاستطلاع، فلما أوحى الله ﷻ إليه أنه سيحيي الموتى ويحشرهم يوم القيامة، ليجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته، فأحب أن يرى ميثاقاً عاد حياً، فسأل الله ﷻ ذلك، ليطمئن قلبه، فأمره الله ﷻ أن يأخذ أربعة طيور، فيذبحها، ويفرق أجزاءها على الجبال، ثم يدعوها إليه، وحينئذ يرى كيف يعود الميت حياً، ففعل ودعا الطيور إليه، فجاءت صحيحة، كأنها لم تمت أصلاً.»<sup>(1)</sup>

وقد اختلف الناس في سؤاله «..كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى..» هل صدر من إبراهيم عليه السلام عن شك أم لا؟ فقال الجمهور: «لم يكن إبراهيم عليه السلام شاكاً في إحياء الله الموتى قط، وإنما طلب المعاينة، وذلك أن النفوس مستشرفة إلى رؤية ما أُخبرت به.»<sup>(2)</sup>

وأضاف الإمام الشوكاني أن إبراهيم عليه السلام لم يُرد رؤية القلب، وإنما أراد رؤية العين، وأن يترقى من علم اليقين إلى عين اليقين! ولا يصح أن يراد هنا الرؤية القلبية، لأن مقصود إبراهيم عليه السلام: أن يشاهد الإحياء، لتحصل له الطمأنينة، وقوله: «..أَوْلَمْ تُؤْمِنُ..» عطف على مقدر، أي: ألم تعلم ولم تؤمن بأني قادر على الإحياء حتى تسألني رؤيته؟! قال: بلى علمت وأمنت بأنك قادر على ذلك، ولكن سألت ليطمئن قلبي باجتماع دليل العيان إلى دلائل الإيمان.»<sup>(3)</sup>

"ولو لم يكن عليه السلام مؤمناً بقدرة الله على إحياء الموتى، أو لو كان شاكاً بذلك لكان قوله: رب هل تقدر على إحياء الموتى؟ وقوله هذا إنما يدل على أن إحياء الموتى أمر مفروغ منه عند إبراهيم عليه السلام، يؤمن به إيماناً جازماً قاطعاً"<sup>(4)</sup>، وقد شهد رسول الله ﷺ بصدق خليل الرحمن عليه السلام كما جاء في الصحيحين قوله ﷺ: "نَحْنُ أَحَقُّ بِالشُّكِّ مِنْ إِبْرَاهِيمَ"<sup>(5)</sup>، والمعنى "أن الرسول الكريم يخبرنا أنه إن كان هناك شك فنحن أولى بالشك من إبراهيم."<sup>(6)</sup>

وقد اختلفوا أيضاً في تعيين تلك الطير على أقوال، غير أن الله ﷻ لم يعلمنا بها، والمقصود حاصل على كل تقدير، والحاصل: أن الله ﷻ أجابه إلى ما سأل، وبين له الكيفية

(1) التفسير المنير، الزحيلي، ج3/38.

(2) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج3/297-298.

(3) انظر: فتح القدير، الشوكاني، ج1/323.

(4) القصص القرآني، الخالدي، ص446.

(5) صحيح البخاري، البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء/ باب قوله ﷻ: «لَوْ نَبِئُهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ» [الحجر: 52]، ج4/147، رقم الحديث 3372. صحيح مسلم، مسلم، كتاب الإيمان/ باب زيادة طمأنينة القلب بتظاهر الأدلة، ج1/133، رقم الحديث 238.

(6) قصص الأنبياء، الشعراوي، ص101.

التي سأله إياها بتجربة عملية وتطبيق فعلي ومثال واقعي، بل جعله شاهداً ومشاركاً في هذه التجربة، وجعل المشاهدة أبين وأوضح له فأمر الطير أن يأتيه سعياً لا طيراناً.<sup>(1)</sup>

وإن سأل سائل: هل اكتفى إبراهيم عليه السلام بما شرحه الله تعالى له بالكيفية؟ وهذا مما لم يتعرض له القرآن الكريم، فإما أن يكون وقع من إبراهيم عليه السلام التصديق حال شرح الكيفية، وإما أن يكون قد قام بها فعلياً، فالأمران جائزان.<sup>(2)</sup>

هكذا كانت التجربة العملية والتطبيق الواقعي لإحياء الموتى لنخلص منه إلى ما يأتي:

1. قضية الإحياء والإماتة هي القضية الأولى في باب الإيمان، وهي الثغرة التي تنفذ منها رميات الشيطان إلى قلوب المؤمنين! وإبراهيم عليه السلام في وثاقة إيمانه وقوة يقينه حينما وجد طريقاً إلى مزيد من الإيمان، حتى يمتلئ به قلبه، لم يألُ جهداً أن يطلب المزيد حتى يرتوى رياً لا ظماً بعده!<sup>(3)</sup>

2. استخدام وسائل التوضيح والتجارب العملية لتأكيد الحقائق النظرية وترسيخ الفعاليات منهج تميّز به نبي الله إبراهيم عليه السلام، فقد رأينا هذا عندما أبطل كون الكواكب آلهة أمام قومه، وعندما طلب من الملك الكافر تغيير مسار الشمس، وعندما حطم أصنام قومه، وترك الصنم الكبير ليسأله قومه ويعجز عن الجواب<sup>(4)</sup>، وهذا الأسلوب فعّال جداً في الإقناع والوصول إلى أقصى درجات اليقين.

3. التأمل في آيات الله الكونية وسيلة ناجحة لزيادة الإيمان واليقين.<sup>(5)</sup>

هذه هي قصة إبراهيم عليه السلام في سورة البقرة، شجرة مباركة ذات فروع باسقة، كل فرع له ما يخصّه من الثمر، وهكذا رأينا هذه القصة لأبي الأنبياء، كأنما تفرعت عنها أخبار الأنبياء جميعاً الذين كانوا من ذريته، ولا عجب فهو الأصل، ومع ما في هذه القصة من جوانب متعددة انتقلنا من خلالها بين هضاب عالية لا يتسلّقها إلا أصحاب القوة وذوو البأس، فتراه جمع بين العزم في الأمر، واليقين في القصد، والعزيمة على الرشد، والإنابة مع الشكر، جمع الإخلاص

(1) انظر: قصص الأنبياء، ابن كثير، ج1/235.

(2) انظر: قصص الأنبياء، الشعراوي، ص103.

(3) انظر: التفسير القرآني للقرآن الكريم، الخطيب، ج2/331.

(4) انظر: القصص القرآني، الخالدي، ص447.

(5) انظر: أيسر التفاسير، الجزائري، ج1/253.

في النية والأسوة في العمل، فكان نموذجًا يُحتذى به، فنال شرف الإمامة واستحق القوامة عليه صلوات ربي وسلامه إلى يوم الدين.<sup>(1)</sup>

#### • علاقة الفصل بوحدة موضوع السورة:

هكذا ظهر المنهج الإيماني والتكليف الرياني والمقصد الإلهي للحياة على هذه الأرض، فقد عرضت السورة الكريمة ثلاثة نماذج للاستخلاف في الأرض، هذه النماذج تباينت من حيث الأشخاص والظروف والاستجابات، لكنها اتفقت على معايير معينة واضحة تؤهل المسلم لشرف الخلافة والقوامة والإمامة.

فقصة آدم عليه السلام جسدت قصة الاستخلاف الأولى التي أعلن الحق ﷻ عنها في قوله: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً..(30)﴾ فكانت تجربة تمهيدية لبني البشر اعترافاً ببعض الأخطاء والتجاوزات، ثم أعقبها بتجربة بني إسرائيل البائسة والتي أعلن -جلّ شأنه- عن تكليفهم بالاستخلاف في الأرض في قوله: ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (47)﴾ لكنهم فشلوا فيها فشلاً ذريعاً مخزياً ألحق العار بهم وبمن خلفهم إلى يوم الدين، ثم عرض ﷻ النموذج المشرف المبهر لإبراهيم عليه السلام في أدائه التكليف الرياني الذي كلف به في قوله ﷻ: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا..(124)﴾ فكانت الاستجابة سريعة حثيثة معنوية وحسية، فكان نموذجاً ناجحاً ومشرفاً بامتياز، ونبراساً لبني آدم على مر العصور أن احذوا حذو نبيكم الكريم خليل الرحمن عليه السلام لتنالوا شرف القوامة والكرامة، فالله ﷻ هو القائل: ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ ... (130)﴾.

ثم سلّمت الراية للنبي العذنان ﷺ، وأورثت أمته التكليف والتشريف، فلم يكن هذا القصص القرآني إلا توجيهاً لأمة محمد ﷺ، ليكون لها عبرة وعظة، فكانت هذه النماذج المتباينة المذكورة في السورة الكريمة، مع ما اشتملت عليه من توجيهات وإرشادات وهدايات وأوامر ونواهٍ زاداً لهذه الأمة التي انتقلت إليها المهمة الكريمة، وحُملت الأمانة العظيمة، فهي ﴿... خَيْرُ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ...﴾ [آل عمران: 110]، وهي الأمة التي شرفها الله ﷻ على سائر الأمم، فمن ترجّل والتحق بركب المستخلفين الصالحين كان من المفلحين، ومن تلكأ وتذبذب كان من الخاسرين!

جعلنا الله ممن حملوا الأمانة على ثقلها، ونجحوا في التكليف، الذين استحقوا التشريف، فكانت الجائزة أن: ﴿... نُودُوا أَنْ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّوْحِيدِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: 43].

(1) انظر: قصص القرآن، عباس، ص324.

## الختامة

الحمد لله في سرّي وفي علني، الحمد لله في حزني وفي سعدي، الحمد لله عمّا كنت أعلمه والحمد لله عمّا غاب عن خلدي، الحمد لله من عمّت فضائله وأنعم الله أعيت منطق العدد، فالحمد لله ثم الشكر يتبعه، والحمد لله عن شكري وعن حمدي.

اللهمّ لك الحمد حمدًا أبلغُ به رضاك وأؤدي به شكرك واستوجب به المزيد من فضلك، اللهمّ لك الحمد كما أنعمت عليّ نعمًا بعد نعم، ولك الحمد في السراء والضراء، ولك الحمد في الشدة والرخاء، الحمد لله الذي أتمّ عليّ النعم وبتّ في عزيّمتي الهمم، وعمّني بنفحات القرآن الكريم فهبت عليّ نسمات آياته وأشرقّت عليّ أنوار بركاته.

الحمد لله الذي منّ عليّ بإكمال أطروحتي وشرفني بالتدبر في كتابه العزيز والتبحر في سنام القرآن الكريم، وأسأله جلّ ثناؤه أن يتقبّل مني جهدي هذا وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم. أما جولتي الشيقة في بساتين سورة البقرة وأفانينها فقد تكالّت بجملة من النتائج والتوصيات، أذكر أهمها:

### أولاً: النتائج

1. احتلّت سورة البقرة شرف الصدارة والاستهلال في المصحف العثماني فهي ثاني سوره ترتيبًا بعد سورة الفاتحة، فهي جاءت مفصّلة لما أوجز ذكره في سورة الفاتحة من أصول الإيمان والتوحيد.
2. سورة البقرة - كما غيرها من السور الكريمة - برهان ساطع على أن القرآن الكريم محكم السبك، متين الأسلوب، قويّ الاتصال، فأياته آخذة بعضها بأعناق بعض، فلا يوجد بين أجزائها تفكك أو انفصال، إنما انتظمت كعقد فريد يأخذ الأبصار.
3. تفاوتت آراء العلماء في تحديد محور السورة الأساس وعمودها الجامع لرباط السورة بأسرها، وجميعها اجتهادات قديرة في محاولة لتدبر آيات السورة الكريمة وفهم النص القرآني.
4. اتفق جمهور العلماء المعاصرين وبعض القدامى من المفسرين على أنّ محور السورة الأساس هو الاستخلاف في الأرض وتحقيق العبودية فالمنتبّع لآيات سورة البقرة من مطلعها إلى خاتمتها يلحظ أنها تدور حول محور الاستخلاف في الأرض.
5. الوحدة الموضوعية مصطلح حديث النشأة من حيث الاستعمال وإن كانت جذوره تمتد إلى قرون سالفة، إلا أنّ أهميته تكمن بارتباطه المباشر بكلام الله ﷻ.

6. اعتبر كثير من الباحثين الوحدة الموضوعية لوئاً من ألوان التفسير الموضوعي وجزءاً منه من حيث وحدة الغرض والغاية في السورة القرآنية الواحدة، فالوحدة الموضوعية هي الثمرة المرجوة من التفسير الموضوعي.
7. أكدت الدراسة على أن المناسبة جزء من أجزاء الوحدة الموضوعية وليس العكس، فلا يتأتى استنباط الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية إلا بالوقوف على مناسبة آياتها مع بعضها ومناسبة فواصل الآيات وغيرها من المناسبات.
8. إن إهمال هذا النوع من الدراسات والأبحاث يفتح الباب واسعاً أمام طعون المستشرقين وشبهات الكائدين والتي تهدف إلى زلزلة حقيقة أن القرآن الكريم هو الكتاب المعجز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.
9. الناس في استجابتهم لهدايات القرآن منقسمون إلى: متقين فهم على هدى من ربهم، وكافرين لا ينفعهم إنذار ولا تخويف، ومناققين مخادعين متخبطين.
10. احتلّ الحديث عن أحوال بني إسرائيل حيزاً كبيراً في السورة الكريمة رغم أنّ غيرها من السور الكريمة قد عرضت بعض أحوال بني إسرائيل إلا أنّ ما ورد في سورة البقرة أكبر وأكثر محورية ممّا ورد في غيرها من السور.
11. تعدّ قصة بقرة بني إسرائيل الواردة في سورة البقرة نموذجاً بيّناً على فساد طويّة بني إسرائيل وفشلهم في حمل أمانة الاستخلاف في الأرض.
12. اشترك أهل الكتاب يهوداً ونصارى في كراهيتهم للإسلام وكيدهم وحسدهم للمسلمين، وكلا الفريقين قد جمع مزيجاً من الصفات الحسية والمعنوية البغيضة التي كانت حائلاً دون نيلهم شرف الاستخلاف في هذه الأرض.
13. أظهرت الدراسة أنّ قصة تحويل القبلة كانت مرحلة مصيرية في طريق الجماعة المسلمة التي انقادت لأمر باريها واستجابت وأتابت فنجحت بامتياز لأن تكون خليفة الله في أرضه.
14. اشتملت سورة البقرة على دستور شامل ومنهاج متكامل للجماعة المسلمة يكون لها دليلاً ومرشداً في رحلتها الدؤوبة في مسيرة الخلافة.
15. امتدّت موضوعات السورة الكريمة إلى العناية بإصلاح الفرد والمجتمع، فنظّمت العلاقات الأسرية من زواج وطلاق وغيرها، وضبطت المعاملات الإنسانية بين أفراد المجتمع كالدين مثلاً، وذلك لتقوية دعائم المجتمع المسلم.

16. أكّدت السورة الكريمة على شمولية العبودية لجميع جوانب الحياة، لتجابه كل ترهات المتفلسفين المتشككين الذين ينادون بفصل الدين عن الدولة، ولتثبت أنّ الإسلام هو دستور حياة، دين ودولة، قول وعمل.

17. وجّهت السورة الكريمة أنظار العبد المسلم إلى أعدائه في معركة الإصلاح: الشيطان والنفس البشرية، وشر النفس وفسادها ينشأ من وسوسة الشيطان وإغوائه، أما الشيطان - العدو الأزلي - فنهانا الله ﷻ عن اتباع خطواته، وأما النفس البشرية فقد حنّنا الله ﷻ على تحصيلها وتهذيبها بالتزام الوازع الديني ألا وهو التقوى، فالتقوى كنزٌ عزيز من امتلاكه استطاع أن يلبي نداء الخلافة، وأن يستشرف نسمات الهداية.

18. مطلق العبودية يتجسّد بالإيمان بمُلك الله وقدرته اللا محدودة مع اليقين التام بعجز العبد المملوك، وهذا هو مختصر قصة الخلافة، عباد ضعفاء محدودو الطاقة والقدرة كلّفهم القادر المقدر بأن يكونوا خلفاءه في الأرض وفق وسعهم وطاقتهم وقدرتهم مستعينين على ذلك بالتضرع والإنابة وبذل الوسع والجهد مع تفويض الأمر لخالقهم خالق هذا الكون.

19. من مظاهر وحدة سورة البقرة تناسب القصص القرآني فيها مع محورها الأساس، حيث قصّت السورة الكريمة جملة من القصص القرآني التي مثّلت نماذج عملية وتجارب حيّة على مدى الاستجابة البشرية للتكليف الإلهي بالاستخلاف في الأرض، حيث تباينت هذه التجارب من حيث نجاحها وفشلها.

### ثانيًا: التوصيات

1. أوصي نفسي وكل من يطالع رسالتي بتقوى الله العظيم في السر والعلن، وإخلاص النية لوجهه الكريم في كل صغيرة وكبيرة.
2. أوصي كل فرد من أمة الإسلام العظيم أن يلزم القرآن الكريم ويُقبل عليه قراءةً وتلاوةً، تدبرًا وحفظًا، قولًا وعملاً، فوالله ما ارتفعت قمم وأمم إلا بالقرآن العظيم.
3. أوصي كل محبّ لكتاب الله ﷻ بأن يلزم سورة البقرة، وأن يحتمي بحماها، فهي الزهراء التي تنير دروب السالكين، والسنام الذي يسمو به المخلصون، والشفيعة لهم يوم الدين، فما ذُقت من لذة ومتعة وذهول وأنا أرتع في رحابها أكبر من أن أستطيع وصفه، ومن ذاق عرف، ومن عرف اغترف.

4. أوصي الباحثين في العلم الشرعي أن يوجّهوا أنظارهم نحو مثل هذه الدراسات التي تهتم بموضوعات القرآن الكريم والتي تبرز إعجاز الكتاب العزيز وتناغم سوره وآياته.

5. أوصي الباحثين أن يحدو حدو هذه الدراسة فلعلها تكون باكورة سلسلة كاملة لسور القرآن الكريم لإبراز الوحدة الموضوعية لكل سورة من سوره بحيث تظهر الوحدة البنائية الكلية لكتاب الله المجيد.

6. أوصي كلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية بطرح مشروع الوحدة الموضوعية لسور القرآن الكريم، بحيث توزع السور الكريمة على طلاب قسم الدراسات العليا ليتم دراستها وفق هذه المنهجية.

7. أوصي الباحثين بالتركيز على الموضوعات التي تبني الفرد والمجتمع، والتي تلمم جراح الأمة وتداوي سقمها والتي تدبّ فيها روح الإيمان من جديد.

هذا ولا أدعي أنني قد وقّيت الموضوع حقّه من البحث والدراسة، فإن كنتُ قد قصرتُ في شيء منه أو عجزتُ عن الوفاء بما يستوجبه من الاستقراء والاستنباط فعذري أنني قد بذلت غاية ما أستطيع في التقصي والاسترشاد، فضلاً عن أن القرآن الكريم لا تتقضي عجائبه، ولا تفي رغائبه، ولا يزال يتفجر عن بحار من المعاني، تقني الأعمار عن متابعتها، بل تضمينها للدراسة.  
وختاماً..

إلهي لك الحمد الذي أنت أهله      على نعمٍ ما كنتُ قطُّ لها أهلاً  
متى ازددت تقصيراً تزدي تفضلاً      كأني بالتقصير أستوجبُ الفضلاً<sup>(1)</sup>

اللهم ما كان في هذا البحث من خير وصلاح فمنك وحدك لا شريك لك، وما كان فيه من قصور أو زلل فمني ومن الشيطان، فاللهم ﴿... لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: 286].

وصلّى الله على هادي الخلق أجمعين وعلى آله وصحبه الطاهرين ومن اهتدى بهديهم إلى يوم الدين.

(1) ديوان محمود الوراق، الوراق، بوابة الشعراء، رابط

<https://www.poetsgate.com/ViewPoem.aspx?id=99867>، تاريخ الاطلاع 2020/6/28م.

## المصادر والمراجع

## المصادر والمراجع

### • القرآن الكريم.

1. اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، أ. د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، طبع بإذن رئاسة إدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية برقم 5/951 وتاريخ 1406/8/5، ط1، 1407هـ - 1986م.
2. الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، 1394هـ / 1974م.
3. أحكام الجنائز، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني، ط4، بيروت، المكتب الإسلامي، 1406هـ - 1986م.
4. أحكام القرآن، أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي، تحقيق: محمد صادق القمحاوي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط2، (د.ت).
5. أحكام القرآن، أحمد علي أبو بكر الرازي الجصاص، تحقيق: محمد صادق القمحاوي، (د.ط)، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1405هـ.
6. أحكام القرآن، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط3، 1424 هـ - 2003 م.
7. أحكام القرآن، علي بن محمد بن علي، أبو الحسن الطبري، الملقب بعماد الدين، المعروف بالكنيا الهراسي الشافعي، تحقيق: موسى محمد علي وعزة عبد عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1405 هـ.
8. إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، دار المعرفة - بيروت
9. إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، محمد ناصر الدين الألباني، تحقيق: زهير الشاويش، ط2، بيروت، المكتب الإسلامي، 1405 هـ - 1985م.
10. الأساس في التفسير، سعيد حوى، دار السلام - القاهرة، ط6، 1424هـ.
11. أسباب نزول القرآن، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح - الدمام، ط2، 1412 هـ - 1992 م.

12. *أسد الغابة*، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير، دار الفكر - بيروت، 1409 هـ - 1989 م.
13. *أسرار ترتيب القرآن*، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع.
14. *أصول الفقه - آيات وأحاديث الأحكام من أمالي الأستاذ الإمام*، عبد الحميد بن باديس، تعليق وتحقيق: محمد الحسن فضلاء، دار البعث، ط1، 1405 هـ - 1985 م.
15. *الأعلام*، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، دار العلم للملايين، ط15 - أيار / مايو 2002 م
16. *إغاثة اللفهان من مصايد الشيطان*، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية انظر: تفسير مجاهد، مجاهد بن جبر.
17. *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط1، - 1418 هـ.
18. *أوضح التفاسير*، محمد عبد اللطيف بن الخطيب، المطبعة المصرية ومكنتها، ط6، رمضان 1383 هـ - فبراير 1964 م.
19. *أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير*، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط5، 1424 هـ/2003 م
20. *أيسر التفاسير*، أسعد حومد، بيروت: دار الكتاب العربي، ط2، (د.ت).
21. *بحر العلوم=تفسير السمرقندي*، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1993 م.
22. *البحر المحيط الثجاج في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج*، محمد بن علي بن آدم بن موسى الإتيوبي الولوي، دار ابن الجوزي، ط1، (1426 - 1436 هـ).
23. *البحر المحيط في التفسير*، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر - بيروت، (د.ط)، 1420 هـ

24. *البداية والنهاية*، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، دار الفكر، عام النشر: 1407 هـ - 1986 م.
25. *البرهان في تناسب سور القرآن*، أحمد بن إبراهيم بن الزبير النقي الغرناطي، أبو جعفر، تحقيق: محمد شعباني، دار النشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية . المغرب، عام النشر: 1410 هـ - 1990 م.
26. *البرهان في علوم القرآن*، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، 1376 هـ - 1957 م، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه.
27. *البرهان في نظام القرآن (نظام سور الفاتحة والبقرة وآل عمران)*، د. محمد عناية الله أسد سبحاني، دار الكتب للنشر والتوزيع، ط1 1414 هـ - 1994 م.
28. *بيان المعاني*، عبد القادر بن ملاً حويش السيد محمود آل غازي العاني (المتوفى: 1398 هـ)، مطبعة الترقى - دمشق، ط1، 1382 هـ - 1965 م.
29. *البيان في مداخل الشيطان*، عبد الحميد جاسم أحمد الجاسم البلالي، قدم له: محمد أحمد الراشد، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط6، 1406 هـ - 1986 م.
30. *تحرير التفسير الموضوعي والوحدة الموضوعية*، محمد بن عمر بازمول، ط1، السعودية، جامعة أم القرى، (د.ت)
31. *التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»*، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: 1393 هـ)، الدار التونسية للنشر - تونس، 1984 هـ.
32. *التعريفات*، علي بن محمد بن علي الزين الشريف، تحقيق: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، ط1، لبنان، دار الكتب العلمية، 1983.
33. *تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم*، أبو السعود العمادي محمد محمد مصطفى، (د.ط)، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (د.ت).
34. *تفسير الإمام ابن عرفة*، محمد بن محمد ابن عرفة الورغمي التونسي المالكي، أبو عبد الله، تحقيق: د. حسن المناعي، مركز البحوث بالكلية الزيتونية - تونس، ط1، 1986 م

35. تفسير الجلالين، جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (المتوفى: 864هـ) وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الحديث - القاهرة، ط1، 2000م.
36. التفسير الحديث، دروزة محمد عزت، دار إحياء الكتب العربية - القاهرة، (د.ط.)، 1383هـ.
37. تفسير الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد عبد العزيز بسيوني، القاهرة، جامعة طنطا، ط1، 1999م.
38. تفسير الشعراوي = الخواطر، محمد متولي الشعراوي، ط1، مطابع أخبار اليوم، القاهرة، 1997م.
39. تفسير الفاتحة والبقرة، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط1، 1423 هـ.
40. تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990 م.
41. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2 1420هـ - 1999 م.
42. تفسير القرآن الكريم (ابن القيم)، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، دار ومكتبة الهلال - بيروت، ط1 - 1410 هـ.
43. التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى: بعد 1390هـ)، دار الفكر العربي - القاهرة، 1997م.
44. تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي، تحقيق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، ط1، 1426 هـ - 2005 م.
45. تفسير الماوردي = النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان.

46. تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط1، 1365 هـ - 1946 م.
47. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر - دمشق، ط2، 1418 هـ.
48. التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، إشراف أ.د. مصطفى مسلم، ط1 1431هـ-2010م، كلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة.
49. التفسير الميسر، نخبة من أساتذة التفسير، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - السعودية، ط2، مزينة ومنقحة، 1430 هـ - 2009 م.
50. تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، ط1، 1419 هـ - 1998 م.
51. التفسير الواضح، الحجازي، محمد محمود، دار الجيل الجديد - بيروت، ط10، 1413 هـ.
52. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة، ط1، 1973 م.
53. التفسير الوسيط، د وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر - دمشق، ط1 - 1422 هـ.
54. تفسير آيات الأحكام، محمد علي السائيس الأستاذ بالأزهر الشريف، تحقيق: ناجي سويدان، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، تاريخ النشر: 2002/10/01.
55. تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، دار طوق النجاة، بيروت - لبنان، ط1، 1421 هـ - 2001 م.
56. تفسير غريب القرآن، كاملة بنت محمد بن جاسم بن علي آل جهام الكواري، دار بن حزم، ط1، 2008.
57. التفسير والتأويل في القرآن، صلاح عبد الفتاح الخالدي (معاصر)، دار النفائس - الأردن، ط1، 1416 هـ / 1996 م.

58. التفسير والمفسرون أساسياته واتجاهاته ومناهجه في العصر الحديث، الأستاذ الدكتور فضل حسن عباس، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 1437 هـ - 2016 م.
59. تفهيم القرآن من الفاتحة إلى آل عمران، أبو الأعلى المودودي، تحقيق: أحمد إدريس، دار القلم، ط3، 2010م.
60. التقوى «تعريفها وفضلها ومحذوراتها وقصص من أحوالها»، عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 1433 هـ - 2012 م.
61. التناسب القصصي في سورة البقرة -دراسة في هدي علم المناسبة-، د. زهراء خالد سعد الله العبيدي ود. طلال إبراهيم الطوبجي، جامعة زاخو، 2013م..
62. التناسب في سورة البقرة، طارق مصطفى حميدة، إشراف: د. حاتم التميمي، رسالة ماجستير جامعة القدس - فلسطين.
63. تناسق الدرر في تناسب السور، الحافظ: جلال الدين السيوطي، دراسة وتحقيق: عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، 1406 هـ - 1986م.
64. تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، ينسب: لعبد الله بن عباس - رضي الله عنهما ، جمعه: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، دار الكتب العلمية - لبنان، (د.ط.)، (د.ت.).
65. تهذيب الكمال في أسماء الرجال، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزني، تحقيق: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط1، 1400 - 1980
66. التوحيد وبيان العقيدة السلفية النقية، المؤلف: عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن حسين بن حميد، تحقيق: أشرف بن عبد المقصود، مكتبة طبرية، ط1، - 1412 هـ - 1992 م.
67. توضيح الأحكام من بلوغ المرام، أبو عبد الرحمن عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح بن حمد بن محمد بن حمد بن إبراهيم البسام التميمي، مكتبة الأسد، مكة المكرمة، ط5، 1423 هـ - 2003 م.
68. تيسير التفسير، إبراهيم القطان، ط1، (د.م.)، (د.ن) (د.ت.).

69. تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، ط1، 1423هـ/2002م.
70. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ - 2000م
71. التيسير بشرح الجامع الصغير، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، مكتبة الإمام الشافعي - الرياض، ط3، 1408هـ - 1988م.
72. جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ - 2000م.
73. الجامع الصحيح للسنن والمسانيد، صهيب عبد الجبار، تاريخ النشر: 15 - 8 - 2014.
74. جامع العلوم في اصطلاحات الفنون = دستور العلماء، القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمدي نكري، ط1، (د.م)، شركة التراث، (د.ت).
75. جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السلامي، البغدادي، ثم دمشقي، الحنبلي (المتوفى: 795هـ)، تحقيق: الدكتور محمد الأحمد أبو النور، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 1424هـ - 2004م.
76. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط1، 1422هـ.
77. الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، ط2، 1384هـ - 1964م.
78. الجواهر المضية، محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي، دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، بمصر، 1349هـ، النشرة الثالثة، 1412هـ.

79. حاشية الأصول الثلاثة، محمد بن عبد الوهاب العاصمي القحطاني الحنبلي النجدي (المتوفى: 1392هـ)، دار الزاحم، ط2، 1423هـ-2002م.
80. الحاكم الجسمي ومنهجه في التفسير (أصل الكتاب رسالة ماجستير - كلية دار العلوم بجامعة القاهرة بإشراف الشيخ محمد أبو زهرة رحمه الله)، عدنان محمد زرزور، مؤسسة الرسالة - بيروت.
81. الحد الفاصل بين الإيمان والكفر، عبد الرحمن بن عبد الخالق اليوسف، الدار السلفية، الكويت، ط5، 1408 هـ - 1988 م.
82. درء تعارض العقل والنقل، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ط2، 1411 هـ - 1991 م.
83. دراسات في علوم القرآن الكريم، فهد عبد الرحمن سليمان الرومي، ط12، (د.ن)، (د.م)، 1424هـ-2003م.
84. دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم في القرن الرابع عشر الهجري والرد عليها، عبد المحسن بن زين بن متعب المطيري، دار البشائر الإسلامية، ط1، بيروت - لبنان، 1427هـ - 2006م.
85. ديوان محمود الوراق، الوراق، بوابة الشعراء، تاريخ الاطلاع 2020/6/28م. الرابط: <https://www.poetsgate.com/ViewPoem.aspx?id=99867>
86. رجال صحيح مسلم، أحمد بن علي بن محمد بن إبراهيم، أبو بكر ابن مَنجُويَه، تحقيق: عبد الله الليثي، ط1، بيروت، دار المعرفة، 1407هـ.
87. الرسالة المفيدة، محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي (المتوفى: 1206هـ)، المحقق: محمد بن عبد العزيز المانع، الناشر: رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.
88. رسالة في أسس العقيدة، محمد بن عودة السعوي، ط1، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، 1425هـ.

89. رسالة في القضاء والقدر، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، ط1، دار الوطن، 1423هـ.
90. الرسالة، الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي، تحقيق: أحمد شاكر، ط1، القاهرة، مكتبة الحلبي - مصر، 1358هـ-1940م.
91. روائع البيان تفسير آيات الأحكام، محمد علي الصابوني، ط3، مكتبة الغزالي - دمشق، مؤسسة مناهل العرفان - بيروت، 1400هـ - 1980م.
92. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني = تفسير الأوسى، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الأوسى، تحقيق: علي عبد الباري عطية، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية 1415هـ.
93. زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط1، دار الكتاب العربي - بيروت، 1422هـ.
94. زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد أبي بكر أيوب سعد شمس الدين قيم الجوزية، ط27، بيروت - مؤسسة الرسالة، الكويت - مكتبة المنار الإسلامية، 1415هـ / 1994م.
95. زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة، ط1، القاهرة، دار الفكر العربي، 2004م.
96. سبل السلام، محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني الصنعاني، ط1، (دم)، دار الحديث، (د.ت).
97. سد الذرائع في مسائل العقيدة على ضوء الكتاب والسنة الصحيحة، عبد الله بن شاكر الجنيدى، (د.ط)، السعودية، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، 1422هـ-2002م.
98. السراج المنير شرح الجامع الصغير في حديث البشير النذير، علي بن الشيخ أحمد بن الشيخ نور الدين بن محمد بن الشيخ إبراهيم الشهير بالعزيمي، (د.ط)، (دم)، أعده للمكتبة الشاملة فريق رابطة النساخ برعاية (مركز النخب العلمية)، (د.ت).
99. سلسلة الآثار الصحيحة أو الصحيح المسند من أقوال الصحابة والتابعين، لأبي عبد الله الداني، مراجعة: عبد الله بن صالح العيبان، ط1، (دم)، دار الفاروق، 2006م.
100. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني، ط1، الرياض، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع.

101. سنن ابن ماجه، ابن ماجه-وماجة اسم أبيه يزيد- أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، محمد كامل قره بللي، عبد اللطيف حرز الله، دار الرسالة العالمية، ط1، 1430 هـ - 2009 م.
102. سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وآخرين، ط1، (د.م): دار الرسالة العالمية، 1430 هـ.
103. سنن الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، وآخرين، ط3، مصر: مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1975 م.
104. السنن الكبرى، أبو بكر البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط3، بيروت، دار الكتب العلمية، 1424 هـ-2003 م.
105. سورة الواقعة ومنهجها في العقائد (دراسات في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم)، محمود محمد غريب، ط3، القاهرة، دار التراث العربي، القاهرة، 1418 هـ - 1988 م.
106. سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، (د.ط)، القاهرة، دار الحديث- القاهرة، 2006 م.
107. شرح العقيدة الطحاوية، عبد الرحمن بن ناصر بن براك بن إبراهيم البراك، ط2، الرياض، دار التدمرية، 1429 هـ.
108. شرح صحيح البخاري، علي بن خلف بن عبد الملك، ابن بطال، تحقيق: ياسر إبراهيم، الرياض، مكتبة الرشد، ط2، 1423 هـ - 2003 م.
109. شرح لمعة الاعتقاد، خالد بن عبد الله بن محمد المصلح، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، <http://www.islamweb.net>.
110. الشيخ القاضي شمس الدين بن شير ومنهجه في التفسير، د. حكمت الحريري، (د.ط)، اليمن، جامعة الأندلس للعلوم و التقنية، 2011 م.
111. صحيح الترغيب والترهيب، محمد ناصر الدين الألباني، ط1، السعودية، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، 2000 م.
112. الصحيح المسند من أسباب النزول، مقبل بن هادي بن مقبل بن قائد الهمداني الوادعي، ط4، القاهرة، مكتبة ابن تيمية، 1408 هـ - 1987 م.

113. صحيح وضعيف سنن أبي داود، محمد ناصر الدين الألباني، برنامج منظومة التحقيقات الحديثية، القاهرة، (د.ط)، مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية، (د.ت).
114. صحيح وضعيف سنن الترمذي، محمد ناصر الدين الألباني، برنامج منظومة التحقيقات الحديثية، القاهرة، (د.ط)، مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة، (د.ت).
115. صفة صلاة النبي ﷺ من التكبير إلى التسليم كأنك تراها، محمد ناصر الدين الألباني، ط1، الرياض، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، (د.ت).
116. صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1417هـ - 1997م.
117. الصلاة في القرآن الكريم - دراسة موضوعية، محمد ظافر، (رسالة دكتوراة غير منشورة)، السعودية، جامعة أم القرى، 1428هـ - 1429هـ.
118. الطبقات الكبرى، أبو عبد الله محمد بن سعد البغدادي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط4، بيروت: دار الكتب العلمية، 1410هـ - 1990م.
119. طبقات خفية بن خياط، أبو عمرو خليفة بن خياط بن خليفة الشيباني العصفري البصري، تحقيق: سهيل زكار، ط1، (د.م)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1993م.
120. العجائب في بيان الأسباب، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: عبد الحكيم محمد الأنيس، ط1، دار ابن الجوزي، (د.ت).
121. العرش، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، تحقيق: محمد بن خليفة بن علي التميمي، ط2، السعودية، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، 1424هـ - 2003م.
122. عقيدة المسلم في ضوء الكتاب والسنة (المفهوم، والفضائل، والمعنى، والمقتضى، والأركان، والشروط، والنواقص، والنواقض)، سعيد بن علي بن وهف القحطاني، ط1، الرياض، مطبعة سفير، (د.ت).
123. العقيدة في سورة الزمر، ناصر بن علي عايض حسن الشيخ، مكتبة الرشد، ط1، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1415هـ - 1995م.

124. علوم القرآن الكريم، نور الدين محمد عتر الحلبي، دمشق، مطبعة الصباح، ط1، 1414هـ - 1993م.
125. علوم القرآن عند الشاطبي من خلال كتابه الموافقات، محمد سالم أبو عاصي، ط1، القاهرة، دار البصائر، 1426هـ - 2005م.
126. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، محمود أحمد موسى أحمد حسين الغيتابي بدر الدين العيني، (د.ط.)، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (د.ت.).
127. عناية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، حسن عبد الفتاح أحمد، ط1، السعودية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، (د.ت.).
128. العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، ابن الوزير محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل الحسني القاسمي، حققه وضبط نصه وخرج أحاديثه وعلّق عليه: شعيب الأرنؤوط، ط3، بيروت، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، 1415هـ - 1994م.
129. غرائب القرآن و رغائب الفرقان، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1416هـ.
130. فتح البيان في مقاصد القرآن، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي، بيروت، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، 1412هـ - 1992م.
131. الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، أحمد عبد الرحمن البنا الساعاتي، و محمد عبد الوهاب بحيري، (د.ط.)، (د.م.)، (د.ن.)، (د.ت.).
132. فتح الرحمن في تفسير القرآن، مجير الدين بن محمد العلمي المقدسي الحنبلي، اعتنى به تحقيقا وضبطا وتخريجا: نور الدين طالب، دار النوادر (إصدارات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - إدارة الشؤون الإسلامية)، ط1، 1430هـ - 2009م.
133. فتح القدير، كمال الدين محمد عبد الواحد السيواسي المعروف بابن الهمام، (د.ط.)، بيروت، دار الفكر، 2004م.
134. الفقه الإسلامي وأدلته، وهبة بن مصطفى الزحيلي، ط4، دمشق، دار الفكر، (د.ت.).

135. *الفقه الميسر في ضوء الكتاب والسنة*، عبد الله بن محمد الطيّار، عبد الله بن محمّد المطلق، محمّد بن إبراهيم موسى، مَدَارُ الوَطْنِ للنَّشر، الرياض - المملكة العربية السعودية، ط1، 2011م.
136. *الفواتح الإلهية والمفاتيح الغيبية*، نعمة الله بن محمود النخجواني، ويعرف بالشيخ علوان، دار ركابي للنشر - الغورية، مصر، ط1، 1419 هـ.
137. *في ظلال القرآن*، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، دار الشروق، بيروت، القاهرة، ط32، 2003م.
138. *القاموس المحيط*، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط8، 1426هـ - 2005م.
139. *قصص الأنبياء ومعها سيرة رسول الله ﷺ*، الشيخ: محمد متولي الشعراوي، ط1، القدس، دار القدس، 1426هـ - 2006م.
140. *قصص الأنبياء*، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، ط1، القاهرة، مطبعة دار التأليف، 1968 م.
141. *قصص القرآن الكريم*، فضل حسن عباس، ط3، الأردن، دار النفائس للنشر والتوزيع، 1430هـ - 2010م.
142. *القصص القرآني عرض وقائع تحليل أحداث*، صلاح الخالدي، بيروت، دار القلم - دمشق، ط1، 1419هـ - 1998م.
143. *القضايا العقدية في سورة البقرة*، أسماء الملفوح، (رسالة ماجستير غير منشورة)، الجامعة الإسلامية غزة، 1435هـ - 2013م.
144. *القضية اليهودية في سورة البقرة*، موقع إسلام ويب، تاريخ الاطلاع 2019/10/15م، الرابط <https://www.islamweb.net/ar/article/190939>.
145. *القول السديد شرح كتاب التوحيد*، أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي، تحقيق: المرتضى الزين أحمد، ط3، (د.م)، مجموعة التحف النفائس الدولية، (د.ت).

146. كتاب أصول الدين، جمال الدين أحمد بن محمد بن سعيد الغزنوي الحنفي، تحقيق: عمر وفيق الداوق، ط1، بيروت، دار البشائر الإسلامية 1419هـ - 1998م.
147. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، محمود عمرو أحمد الزمخشري، ط3، بيروت، دار الكتاب العربي، 1407 هـ.
148. كوثر المعاني الدراري في كشف حبايا صحيح البخاري، محمد الخضر بن سيد عبد الله بن أحمد الجكني الشنقيطي، ط1، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1415هـ - 1995م.
149. لا يخدعك الشيطان، أزهرى أحمد محمود، ط1، (د.م)، دار ابن خزيمة، (د.ت).
150. لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد الخازن، تحقيق: محمد علي شاهين، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1415هـ.
151. لباب النقول في أسباب النزول، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، ضبطه وصححه: الاستاذ أحمد عبد الشافي، عمان، دار الكتب العلمية، (د.ت).
152. لسان العرب، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط2، 2003م.
153. لطائف الإشارات = تفسير القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: 465هـ)، المحقق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر، ط1، (د.ت).
154. مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم، ط4، السعودية، دار القلم، 1426هـ - 2005م.
155. مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح، ط24، بيروت، دار العلم للملايين، 2000م.
156. مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم ابن تيمية، (د.ط)، المدينة المنورة، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 1416هـ.
157. محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1418هـ.
158. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1422هـ.

159. المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة دراسة الأسباب رواية ودراسة، خالد بن سليمان المزيني، ط1، دار ابن الجوزي، الدمام - المملكة العربية السعودية، 1427هـ - 2006م.
160. المحرر في علوم القرآن، مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي، ط2، 1429هـ - 2008م.
161. محور الوحدة الموضوعية لسورة البقرة - دراسة في مقاصد السور، حسين الزومي، مجلة جامعة المدينة العالمية، العدد الثالث عشر يوليو 2015م.
162. مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ط5، بيروت-صيدا، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، 1999م.
163. مختصر تسهيل العقيدة الإسلامية، عبد الله بن عبد العزيز بن حمادة الجبرين، ط2، مكتبة الرشد، 1424هـ.
164. المختصر في تفسير القرآن الكريم، جماعة من علماء التفسير، مركز تفسير للدراسات القرآنية، ط3، 1436هـ.
165. المدخل إلى التفسير الموضوعي، عبد الستار فتح الله سعيد، ط2، (د.م)، دار النشر والتوزيع الإسلامية، 1411هـ - 1991م.
166. المدخل إلى السنن الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي الخراساني، أبو بكر البيهقي، تحقيق: د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي، الكويت: دار الخلفاء للكتاب الإسلامي - الكويت، (د.ت).
167. مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه، عدنان محمد زرزور، ط2، دار القلم / دار الشامية - دمشق بيروت، 1419هـ - 1998م.
168. مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية، عثمان جمعة ضميرية، تقديم: عبد الله بن عبد الكريم العبادي، ط2، مكتبة السوادي للتوزيع، 1417هـ - 1996م.
169. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي (سلطان) محمد نور الدين الملا الهروي القاري، ط1، بيروت، دار الفكر، 1422هـ - 2002م.

170. *المستدرک علی الصحیحین*، محمد بن عبد الله الحاکم، تحقیق: مصطفیٰ عبد القادر عطا، ط1، بیروت، دار الکتب العلمیة، 1411ھ.
171. *المستدرک علی مجموع فتاویٰ شیخ الإسلام*، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحرائي، جمعه ورتبه وطبعه علی نفقته: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، ط1، 1418ھ.
172. *مسند الإمام أحمد بن حنبل*، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، تحقیق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، ط1، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، 1421ھ - 2001م.
173. *مسند الإمام الدارمي*، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، درسه وضبط نصوصه وحققها: مرزوق بن هياس آل مرزوق الزهراني، ط1، 1436ھ - 2015م.
174. *مسند الدارمي المعروف ب (سنن الدارمي)*، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي، تحقیق: حسين سليم أسد الداراني، الناشر: دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط1، 1412ھ - 2000م.
175. *مسند الشافعي*، ترتيب السندي، أبو عبد الله بن إدريس الشافعي، (د.ط)، بيروت، دار الکتب العلمیة، 1951م.
176. *المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ = صحيح مسلم*، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، تحقیق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط1، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1412ھ.
177. *مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور*، عادل بن محمد أبو العلاء، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد 129، 1425ھ.
178. *مساعد النظر للإشراف علی مقاصد السور ويُسمَّى: "المَقْصِدُ الْأَسْمَى فِي مُطَابَقَةِ اسْمِ كُلِّ سُورَةٍ لِلْمُسَمَّى"*، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، ط1، مكتبة المعارف، الرياض، 1408ھ - 1987م.
179. *المصباح المنير في غريب الشرح الكبير*، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي أبو العباس، بيروت، المكتبة العلمیة، (د. ط)، (د. ت).

180. مصنف ابن أبي شيبة=الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر بن أبي شيبة، تحقيق: كمال يوسف الحوت، الرياض، مكتبة الرشد، ط1، 1405هـ.
181. معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، حافظ بن أحمد بن علي الحكمي، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، ط1، الدمام، دار ابن القيم 1410هـ - 1990م.
182. معالم التنزيل في تفسير القرآن - تفسير البغوي، الحسين بن مسعود بن محمد البغوي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط1، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1420هـ.
183. معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم السري سهل أبو إسحاق الزجاج، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، ط1، بيروت، 1408 هـ-1988 م.
184. معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي، محمد علي النجار، عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، ط1، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، (د.ت).
185. معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات، محمد بن خليفة بن علي التميمي، ط1، أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1419هـ-1999م.
186. معجم البلدان، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، ط2، بيروت، دار صادر، 1995 م.
187. معجم التعريفات، علي محمد علي الزين الشريف الجرجاني، تحقيق: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1403هـ -1983م.
188. معجم الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت395هـ)، تحقيق، الشيخ بيت الله بيات، مؤسسة النشر الإسلامي، ط1، 1412هـ.
189. المعجم الكبير، سليمان أحمد أيوب مطير اللخمي الشامي أبو القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط2، القاهرة، مكتبة ابن تيمية، (د.ت).
190. معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عبد الحميد عمر، ط1، (د.م)، عالم الكتب، 1429هـ.
191. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة، دار الكتب المصرية، 1945م.

192. المعجم الوسيط ، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، تحقيق: مجمع اللغة العربية، (د.ط)، (د.م)، دار الدعوة، (2004م).
193. معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلعجي - حامد صادق قنبي ط2، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، 1408هـ - 1988م.
194. معجم مقاييس اللغة، أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ابن فارس، دار الجبل، بيروت، ط1، 1991م.
195. مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، ط3، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1420هـ.
196. مفاتيح للتعامل مع القرآن، د صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار القلم - دمشق، ط3، 1424هـ - 2003م.
197. مفردات القرآن - نظرات جديدة في تفسير ألفاظ قرآنية، عبد الحميد الفراهي الهندي، تحقيق: د. محمد أجمل أيوب الإصلاحي، دار الغرب الإسلامي، ط1، 2002م.
198. المفردات في غريب القرآن، الحسين محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، ط1، دمشق، دار القلم، 1412هـ.
199. المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، دار الكلم الطيب، بيروت، ط1، 1417هـ.
200. المقدمات الأساسية في علوم القرآن، عبد الله بن يوسف بن عيسى بن يعقوب يعقوب الجديع العنزلي، ط1، مركز البحوث الإسلامية ليدز - بريطانيا، 1422هـ - 2001م.
201. المقدمة وتفسير الفاتحة والبقرة، تحقيق ودراسة: د. محمد عبد العزيز بسيوني، الناشر: كلية الآداب - جامعة طنطا، ط1، 1420هـ - 1999م.
202. مناسبات الآيات والسور، أحمد حسن فرحات، الناشر: السعودية، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، (د.ت).
203. مناهج المفسرين، منيع بن عبد الحلیم محمود، دار الكتاب المصري - القاهرة، دار الكتاب اللبناني - بيروت، 1421هـ - 2000م.

204. مئة المنعم في شرح صحيح مسلم، الشارح: فضيلة الشيخ/ صفى الرحمن المباركفوري، ط1، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية، 1420 هـ - 1999 م.
205. المنتخب في تفسير القرآن الكريم، لجنة من علماء الأزهر، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ط18، مصر، طبع مؤسسة الأهرام، 1416 هـ - 1995 م.
206. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، يحيى بن شرف النووي، أبو زكريا محيي الدين، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط2، 1392 هـ - 1972 م.
207. منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام، حمود بن أحمد بن فرج الرحيلي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط1، 1424 هـ - 2004 م.
208. الموافقات، إبراهيم موسى محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، ط1، (د.م)، دار ابن عفان، 1417 هـ - 1997 م.
209. الموسوعة العقدية، مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ علوي بن عبد القادر السقاف، موقع الدرر السنية على الإنترنت [dorar.net](http://dorar.net).
210. موسوعة العلامة الإمام مجدد العصر محمد ناصر الدين الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني، صَنَعَهُ: شادي بن محمد بن سالم آل نعمان، ط1، صنعاء - اليمن مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة، 1431 هـ - 2010 م.
211. الموسوعة الفقهية الميسرة في فقه الكتاب والسنة المطهرة، حسين بن عودة العوايشة، ط1، عمان، المكتبة الإسلامية، 1423 - 1429 هـ.
212. الموسوعة القرآنية المتخصصة، مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين، القاهرة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، 1423 هـ - 2002 م.
213. الموسوعة القرآنية، إبراهيم بن إسماعيل الأبياري، ط1، (د.م)، مؤسسة سجل العرب، 1405 هـ.
214. الموسوعة القرآنية، خصائص السور، جعفر شرف الدين، المحقق: عبد العزيز بن عثمان التويجري، ط1، بيروت، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، 1420 هـ.

215. موقع المكتبة الشاملة، تاريخ الاطلاع 2019/9/25م، الرابط:  
<https://shamela.ws/index.php/author/27K>

216. النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم، محمد بن عبد الله دراز، اعتنى به: أحمد مصطفى فضلية، قدّم له: أ. د. عبد العظيم إبراهيم المطعني، (د.ط)، دمشق، دار القلم للنشر والتوزيع، 1426هـ - 2005م.

217. نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان، الإمام عبد الحميد الفراهيد، ط1، الدائرة الحميدية - الهند، 2008م.

218. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (د.ت).

219. نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، محمد أبي العباس أحمد حمزة شهاب الدين الرملي، ط أخيرة، بيروت، دار الفكر، 1404هـ/1984م.

220. نور التقوى وظلمات المعاصي في ضوء الكتاب والسنة، د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني، الرياض، مطبعة سفير، توزيع: مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان، (د.ت).

221. نيل المرام من تفسير آيات الأحكام، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي، تحقيق: محمد حسن إسماعيل - أحمد فريد المزدي، (د.م)، دار الكتب العلمية، 2003م.

222. الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه وجمل من فنون علومه، أبو محمد مكي بن أبي طالب حمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي، ط1، الشارقة، مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية جامعة الشارقة، 2008م.

223. الواضح في علوم القرآن، مصطفى ديب البغا، محيي الدين ديب مستو، الناشر: دار الكلم الطيب، دار العلوم الانسانية - دمشق، ط2، 1418 هـ - 1998 م.

224. الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار النشر: دار القلم ، الدار الشامية - دمشق، بيروت، ط1، (د.ت).

225. الوجيز في عقيدة السلف الصالح (أهل السنة والجماعة)، عبد الله بن عبد الحميد الأثري، مراجعة وتقديم: صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، ط1، السعودية، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، 1422هـ.
226. الوحدة الموضوعية بين المؤيدين والمعارضين - دراسة تأصيلية مقارنة -، خلود بنت خالد باوزير (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة أم القرى، السعودية، (د.ت).
227. الوحدة الموضوعية بين عبد الحميد الفراهي وسيد قطب، صبحي اليازجي، (رسالة ماجستير غير منشورة)، الجامعة الإسلامية - غزة، 1421هـ - 2000م.
228. الوحدة الموضوعية في السور القرآنية، عبد الله الخضير، السعودية، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة - السعودية، (د.ت).
229. الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، محمد محمود حجازي، ط1، (د.م)، دار الكتب الحديثة، 1390هـ - 1970م.
230. وظيفة الصورة الفنية في القرآن، عبد السلام أحمد الراغب، ط1، حلب، فصلت للدراسات والترجمة والنشر، 1422هـ - 2001م.

# الفهارس العامة

أولاً: فهرس الآيات القرآنية

الصفحة	رقمها	الآية
الفاتحة		
29	2	﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾
29	6	﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾
29	7	﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ ...﴾
البقرة		
66 ، 32 ، 29	2	﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ...﴾
29	3	﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ..﴾
73	5	﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾
32 ، 29	5-1	﴿الم (1) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (2)﴾
77	6	﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (6)﴾
80	7	﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ ...﴾
84	8	﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ ...﴾
85	9	﴿يُحَادِثُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يُخَدِّعُونَ إِلَّا ...﴾
86	10	﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ...﴾
86	12-11	﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (11) أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ (12)﴾

الصفحة	رقمها	الآية
112، 87	13	﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ...﴾
88	14	﴿وَإِذَا لَفُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ...﴾
90	15	﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾
90	16	﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَتِ...﴾
92	18-17	﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ (17) صُمُّ بَعْضُ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾
94	20-19	﴿أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ ..... إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾
27	21	﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ...﴾
99	22-21	﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِهِ مِنَ الْقِمْرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾
105	23	﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا...﴾
188	24	﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ..﴾
105	25	﴿وَيَبْقِرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي...﴾
190	26	﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا...﴾

الصفحة	رقمها	الآية
185	28	﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أََمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ.. ﴾
170، 181، 180	29	﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ ... ﴾
ج 27، 317	30	﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً... ﴾
278	30-34	﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ ..... فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ ... ﴾
279	35-39	﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا .... كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾
27، 111، 113	40	﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا... ﴾
113	41	﴿ وَأَمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ .. ﴾
114	42	﴿ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾
115، 194	43	﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ... ﴾
116	44	﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ... ﴾
117	45-46	﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ (45) الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (46) ﴾
118، 317	47	﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ... ﴾
119	49	﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ... ﴾

الصفحة	رقمها	الآية
284	50-49	﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ..... مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٍ (49) وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ ...﴾
285 ، 119	50	﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ ...﴾
287 ، 119	52-51	﴿وَإِذْ وَاوَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ (51) ثُمَّ عَقَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾
119	53	﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (53)﴾
120	54	﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِيكُمْ...﴾
120	56-55	﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (55) ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ ...﴾
186	56	﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾
120	57	﴿.. وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّٰ وَالسَّلْوَىٰ كُلُّوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾
120	59-58	﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا ...﴾
207 ، 120	60	﴿وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ...﴾
123 188	61	﴿.. وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾
188	62	﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ...﴾
127	64	﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (63) ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ ...﴾

الصفحة	رقمها	الآية
289 ، 127	66-65	﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدُوا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ (65) فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا ...﴾
17	67	﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبُحُوا بَقَرَةً..﴾
129	73-67	﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبُحُوا بَقَرَةً...﴾
130	70	﴿.. وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾
33	73	﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ الْمُوتَى ...﴾
133	75	﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ...﴾
134	76	﴿.. إِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بِبَعْضِهِمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ ...﴾
134	78	﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ ...﴾
136	80	﴿.. قُلْ أَتُحَدِّثُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يَخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾
188 ، 136	81	﴿.. فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾
188 ، 136	82	﴿.. أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾
195 ، 137	83	﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا...﴾
139	86-84	﴿ وَلَا تَخْرُجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَسْهَوْنَ (84)... الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يَخَفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا ...﴾
188 ، 140	85	﴿وَإِن يَأْتُواكُم مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَاجْعَلْ لِّمَنْ يَشَاءُ مِنْهُمْ حُرْمًا وَلَا تُخَالِفُوا لِشَيْءٍ مِنْهُنَّ خِطَابًا لَّسَانِيًّا﴾

الصفحة	رقمها	الآية
152	90	﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا...﴾
151	91-89	﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ... تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (91)﴾
152 ، 144	91	﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا تُوْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ ...﴾
142	92	﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ...﴾
140	93	﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ...﴾
143	96	﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاتِهِ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا...﴾
144	98	﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ ...﴾
292	102	﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ...﴾
147 ، 146	103	﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ...﴾
233 ، 164	105	﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ...﴾
165	109	﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ ...﴾
204 ، 195	110	﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ...﴾
154	111	﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى...﴾
188 ، 155	112	﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ...﴾
156	113	﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ...﴾

الصفحة	رقمها	الآية
157، 196	114	﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي...﴾
158	115	﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا...﴾
159	117-116	﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَكُمْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهٗ قَائِمُونَ (116) بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى...﴾
159	117	﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾
161	118	﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ...﴾
162	119	﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا...﴾
162	120	﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى...﴾
163	121	﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ..﴾
27، 308، 317	124	﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ...﴾
196، 309	125	﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى...﴾
309	126	﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ م...﴾
311	127	﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا...﴾
181	129	﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ...﴾
27	131	﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْتُ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾
182	136	﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ...﴾

الصفحة	رقمها	الآية
311، 190	142	﴿قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾
200	144	﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا...﴾
201	145	﴿وَلَيْنِ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ...﴾
202	150	﴿وَمَنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ ...﴾
187	151	﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ...﴾
222	157-154	﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ (154) وَلَتَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ ... وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾
216	158	﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا...﴾
58	163	﴿وَاللَّهُمَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾
179	164	﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ...﴾
262	168	﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا...﴾
263	169	﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالشُّوْعِ وَالْفَحْشَاءِ...﴾
254	173	﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ...﴾
197، 58	177	﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ...﴾
252	178	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ...﴾
253	179	﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ...﴾

الصفحة	رقمها	الآية
231	182-180	﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا ... بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ ...﴾
213	183	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ...﴾
214	184	﴿.. فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ..﴾
214	185	﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى ..﴾
215	186	﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ...﴾
214 ، 214	187	﴿.. تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ ...﴾
254	188	﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ ...﴾
217	189	﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحُجَّجِ ...﴾
224	193	﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ...﴾
225	194	﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتِ قِصَاصٌ ...﴾
205	195	﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ...﴾
218	196	﴿.. فَإِنْ أَحْصَرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ...﴾
220	197	﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾
220	198	﴿.. فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ ...﴾

الصفحة	رقمها	الآية
221	202- 203	﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا...﴾
220	203	﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ...﴾
264	208	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً...﴾
190	213	﴿.. فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ...﴾
206	215	﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِللَّوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ...﴾
223 ، 182	216	﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ...﴾
227	217	﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ...﴾
257 ، 207	219	﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ...﴾
255	220	﴿.. وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ...﴾
233	221	﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ وَلَا أُمَّةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ...﴾
234	223-222	﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى...﴾
234	223	﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأَثُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ...﴾
235	225-224	﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (224) لَا يُؤَاخِذُكُمْ...﴾
235	225	﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا...﴾
235	227-226	﴿لِلَّذِينَ يُؤَلُّونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ... (226) وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

الصفحة	رقمها	الآية
236	228	﴿وَالْمُطَلَّقاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ...﴾
237	229	﴿.. وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ..﴾
238	230	﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ...﴾
239	231	﴿.. وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوعًا وَادْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ...﴾
239	232	﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ...﴾
243	234	﴿وَالَّذِينَ يُتَوَقَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ...﴾
244	235	﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي...﴾
240	236	﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ...﴾
197	237	﴿وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً...﴾
197	238-239	﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ (238) فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا...﴾
245	240	﴿وَالَّذِينَ يُتَوَقَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ...﴾
245	242	﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾
295، 228	243	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ...﴾
228	244	﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾
298، 228	246	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّهِمْ ائْتِنَا بِعِصْيَانٍ لَنَا﴾

الصفحة	رقمها	الآية
		﴿مَلِكًا نُّقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ...﴾
299	247	﴿.. إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾
300	248	﴿.. إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ...﴾
300	249	﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ...﴾
301	250	﴿.. رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّثْ أَفْئِدَانَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾
301	251	﴿.. وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾
302	252	﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾
208	254	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ...﴾
182	256	﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ...﴾
312، 190	258	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ...﴾
303	259	﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا...﴾
186	260	﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى...﴾
209	261	﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ...﴾
209	263-262	﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا..﴾

الصفحة	رقمها	الآية
209	263	﴿ قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَدَىٰ وَاللَّهُ غَنِيٌّ ... ﴾
190	264	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَدَىٰ كَالَّذِي ... ﴾
210	265	﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيْتًا مِنْ ... ﴾
211	266	﴿ أَيُّودٌ أَحَدَكُمُ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ ... ﴾
211	267	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا ... ﴾
211	270	﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ ... ﴾
212	271	﴿ إِنْ تُبَدُّوا الصَّدَقَاتِ فَبِعَمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفَوْهَا وَتُؤْتَوْهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ ... ﴾
207، 190	272	﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ... ﴾
212	274	﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ ... ﴾
259	275	﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ... ﴾
259	276	﴿ يَمَحِقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾
198	277	﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ ... ﴾
258	278	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ ... ﴾
266، 266	281	﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ ... ﴾
246	282	﴿ وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفَعَّلُوا فَإِنَّهُ فَسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ ... ﴾

الصفحة	رقمها	الآية
272	284	﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفَوْهُ يُحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ...﴾
27، 31، 31	285	﴿وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾
27، 31، 272	286	﴿لَا يَكْفِيكَ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وَسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾
225	192-191	﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ...﴾
آل عمران		
31، 31	3	﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ * نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ...﴾
31	4	﴿...إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾
32	6-5	﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ * هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾
31	9-8	﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ * رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ...﴾
40	36	﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ...﴾
32	49	﴿وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ...﴾
40	96	﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ...﴾
33	195	﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى﴾

الصفحة	رقمها	الآية
		بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ ... ﴿
النساء		
232	7	﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ ..﴾
255	10	﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ ...﴾
257، 256	43	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ..﴾
40	46	﴿..يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ..﴾
1	82	﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ ...﴾
264	119	﴿وَلَا ضَلَّتْهُمْ وَلَا مَنِيَّتْهُمْ وَلَا مَرَّتْهُمْ فَلْيُبَيِّنَنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَا مَرَّتْهُمْ فَلْيُعَيِّرَنَّ خَلْقَ اللَّهِ...﴾
260	160 - 161	﴿فَيُظْلِمِ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ..﴾
39	171	﴿..وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةَ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ..﴾
266	176	﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ..﴾
المائدة		
112	13	﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا..﴾
1	16-15	﴿.. قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى ...﴾

الصفحة	رقمها	الآية
257، 256	91	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْحُمُرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ... ﴾
257	91	﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْحُمُرِ وَالْمَيْسِرِ وَيُضِدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ... ﴾
233	107	﴿ .. وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ.. ﴾
الأنعام		
39	19	﴿.. قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴾
81	42	﴿... يَهْلِكُ مَنْ هَلَكَ عَن بَيْنَتِهِ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَن بَيْنَتِهِ.. ﴾
42	82	﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ... ﴾
التوبة		
226	5	﴿ فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ.. ﴾
166	29	﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ.. ﴾
40	47	﴿.. وَلَا وَضَعُوا خِلالَكُمْ.. ﴾
207	60	﴿.. إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ.. ﴾
يونس		
170	31	﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ... ﴾
105	38	﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَعْظَمْتُمْ مِنْ دُونِ... ﴾
هود		
104	13	﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ... ﴾

الصفحة	رقمها	الآية
الرد		
66	34	﴿.. وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾
النحل		
256	67	﴿.. وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا..﴾
الإسراء		
104	88	﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ لَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾
الكهف		
192	29	﴿..فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ..﴾
40	49	﴿..وَوَضِعَ الْكِتَابَ..﴾
الأنبياء		
293	28-26	﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ * لَا يُسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ * يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا ...﴾
75	94	﴿..فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ..﴾
القصص		
310	57	﴿..أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلكِن أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾
لقمان		
43	13	﴿..إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾

الصفحة	رقمها	الآية
الزمر		
39	45	﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ..﴾
الزخرف		
174، 100	87	﴿وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾
مجد		
66	17	﴿..وَأَتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾
الذاريات		
173	56	﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾
النجم		
308	37	﴿وَأَبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾
الرحمن		
40	10	﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾
المدثر		
189	37	﴿لَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾
189	38	﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾
66	56	﴿هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾

الصفحة	رقمها	الآية
الإنسان		
192	3	﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾
66	11	﴿... فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ..﴾
المطففين		
79	14	﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾
الغاشية		
40	14	﴿وَأَنْكَبُوتُ مَوْضِعَةً﴾

## ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية

م	طرف الحديث	التخريج	الحكم	الصفحة
1.	﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ ...﴾ أنها آخر آية أنزلت على رسول الله	صحيح البخاري	صحيح	266
2.	أَبَشِرْ بِبُورَيْنِ أَوْ تَيْنَهُمَا لَمْ يُؤْتَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ: فَاتِحَةُ الْكِتَابِ، وَخَوَاتِيمِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، ...	صحيح مسلم	صحيح	23
3.	اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ	صحيح البخاري	صحيح	66
4.	آخر آية نزلت آية الربا	صحيح البخاري	صحيح	266
5.	إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَأَقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ، لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ،	صحيح البخاري	صحيح	22
6.	اصْنَعُوا كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا النَّكَاحَ	صحيح مسلم	صحيح	234
7.	افْرَعُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ، افْرَعُوا الزُّهْرَاوَيْنِ الْبَقَرَةَ، ...	صحيح مسلم	صحيح	21، 18
8.	أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ....	صحيح البخاري ومسلم	صحيح	171، 224
9.	إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ لِي عَنْ أُمَّتِي مَا وَسَّوَسَتْ بِهِ صُدُورُهَا، مَا لَمْ تَعْمَلْ أَوْ تَكَلِّمْ	صحيح البخاري ومسلم	صحيح	270
10.	إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعْطَى كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، أَلَا لَا وَصِيَّةَ	سنن ابن ماجه	حسن	232
11.	إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَدْنَبَ ذَنْبًا كَانَتْ نُكْتَةً سَوْدَاءَ فِي قَلْبِهِ، فَإِنْ تَابَ وَنَزَعَ وَاسْتَعْفَرَ سَقَلَ مِنْهَا قَلْبُهُ....	المستدرک علی الصحیحین	حسن صحيح	79

م	طرف الحديث	التخريج	الحكم	الصفحة
12.	إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ، يُصْرَفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ	صحيح مسلم	صحيح	191
13.	إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ سَنَامًا، وَإِنَّ سَنَامَ الْقُرْآنِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ، وَإِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ لُبَابًا، وَإِنَّ ...	الجامع الصحيح للسنن والمسانيد	حسن	19
14.	إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ	صحيح البخاري ومسلم	صحيح	180
15.	إِنَّ هَذَا الْبَلَدَ حَرَّمَهُ اللَّهُ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ...	صحيح البخاري	صحيح	226
16.	الْآيَتَانِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ مَنْ قَرَأَ بِهِمَا فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ	صحيح البخاري	صحيح	16
17.	الْبَقَرَةَ سَنَامَ الْقُرْآنِ وَذُرْوَتُهُ، نَزَلَ مَعَ كُلِّ آيَةٍ مِنْهَا ثَمَانُونَ مَلَكًا	مسند أحمد	ضعيف	19
18.	تِلْكَ الْمَلَائِكَةُ دَنَتْ لِصَوْتِكَ، وَلَوْ قَرَأْتَ لِأَصْبَحْتَ يَنْظُرُ النَّاسُ إِلَيْهَا، لَا ...	صحيح البخاري	صحيح	22
19.	الْحَجُّ عَرَفَةَ	سنن ابن ماجه	صحيح	220
20.	سُورَةُ الْبَقَرَةِ تَعْلُمُهَا بَرَكَهٌ، وَتَرْكُهَا حَسْرَةٌ، وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطْلَةُ وَهِيَ فَسْطَاطُ الْقُرْآنِ	سنن ومسنم الدارمي	موضوع	20
21.	صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ ذَلِكَ شَيْطَانٌ	صحيح البخاري	صحيح	22
22.	فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ...﴾	صحيح مسلم	صحيح	269

م	طرف الحديث	التخريج	الحكم	الصفحة
23.	فقرئت عليه، فقال: انتهينا	سنن الترمذي	صحيح	256
24.	كان المال للولد، وكانت الوصية للوالدين، فنسخ الله ﷺ من ذلك ما أحب، فجعل للذكر مثل حظ الأنثيين	سنن ابن ماجه	حسن	232
25.	كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ	صحيح البخاري	صحيح	160
26.	لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ، إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ	صحيح مسلم	صحيح	20
27.	لَا تَصَدَّقُوا إِلَّا عَلَى أَهْلِ دِينِكُمْ» فأنزل الله	مصنف ابن أبي شيبة	صحيح	207
28.	لَمَّا أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ انْتَهَى بِهِ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، وَهِيَ فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ...	صحيح مسلم	صحيح	274
29.	لَمَّا أُنزِلَتِ الْآيَاتُ مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي الرَّبَا، حَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى الْمَسْجِدِ فَقَرَأَهُنَّ ...	صحيح البخاري	صحيح	17
30.	مَنْ قَرَأَ بِالْآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ	صحيح البخاري ومسلم	صحيح	23
31.	نَحْنُ أَحَقُّ بِالشَّكِّ مِنْ إِبْرَاهِيمَ	صحيح البخاري	صحيح	315
32.	هَكَذَا رَمَى الَّذِي أُنزِلَتْ عَلَيْهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ	صحيح البخاري	صحيح	17
33.	وآخر سورة نزلت براءة	صحيح البخاري ومسلم	صحيح	266
34.	وقد سنَّ رسول الله ﷺ الطواف بينهما، فليس لأحد أن يترك الطواف بينهما	صحيح البخاري	صحيح	217

م	طرف الحديث	التخريج	الحكم	الصفحة
35.	يَا أَبَا الْمُؤَدِّرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟	صحيح مسلم	صحيح	23
36.	يشهد: أنه صلى مع رسول الله ﷺ وأنه توجه نحو الكعبة، فتحرف القوم حتى توجهوا نحو الكعبة	صحيح البخاري ومسلم	صحيح	199
37.	يُؤْتَى بِالْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَهْلِهِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ تَقْدُمُهُ سُورَةُ الْبَقَرَةِ، ...	صحيح مسلم	صحيح	21، 16

### ثالثاً: فهرس الأعلام

رقم الصفحة	الاسم	م
18	أبو أمامة الباهلي	1
40	أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني	2
16	أبو مسعود الأنصاري	3
38	أحمد بن فارس زكريا القزويني الرازي	4
21	أسيد بن حضير	5
16	جبير بن نفيير	6
39	الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم الأصفهاني (أو الأصبهاني)	7
20	خالد بن معدان	8
46	شمس الدين بن الشيخ شير محمد	9
46	عبد الكريم محمود يونس أحمد الخطيب	10
39	محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل	11
52	مساعدة بن سليمان بن ناصر الطيار	12
19	معقل بن يسار	13
16	نواس بن سمعان	14